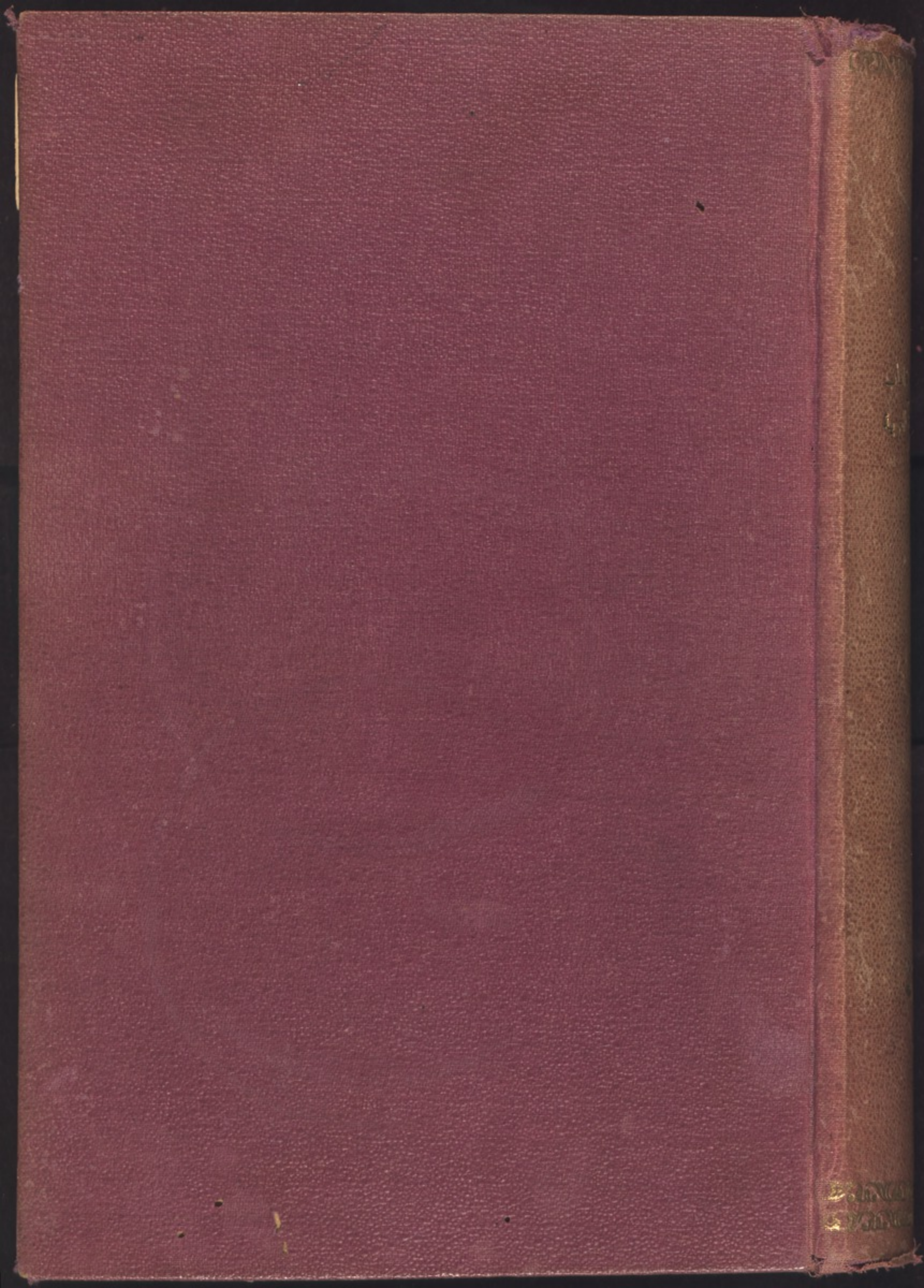



NASSIB E. AZAR
نسيب عازار
GARZOUZ

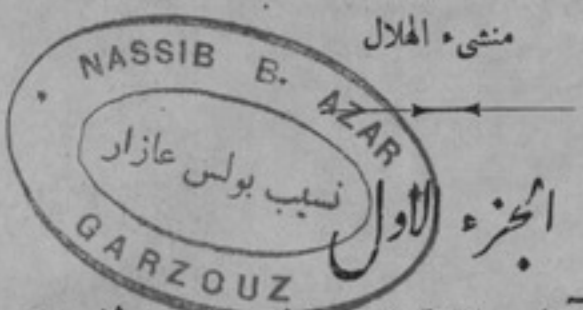
كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم واماكن وجودها او طبعها
من اقدم ازمنة التاريخ
الى الآن

تأليف

جرجي زيدان
منشىء الهلال



الجزء الاول

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية
وعصر الراشدين والعصر الاموي
اي من اقدم ازمنة التاريخ الى سنة ١٣٢ﻫ

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
سنة ١٩١١

المقدمة

تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفاً عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة في التمدن الحديث . وما لبثوا ان تنبهوا له حتى الفوا فيه واصبحوا وما من لغة من لغاتهم الا وفيها كتاب او غير كتاب في تاريخ آدابها . ولما استشرقوا اخذوا في درس اللغة العربية وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكرها

اما العرب فالمشهور انهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم والحقيقة انهم اسبق الامم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع . فان في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبينون مواضيعها وقد يصفونها . واول كتاب خصصوه للبحث في المؤلفين والمؤلفات «كتاب الفهرست» لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من اول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب المواضيع . ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ولكنه تضمن ما احدثوه من العلوم الاسلامية واللسانية وما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والادباء . ولولاه لضاع اسماء كثير من الكتب النفيسة . ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء . فهو ذخيرة ادب وعلم لا تثمَّن . وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ رتبهُ حسب المواضيع ايضاً وذكر فيه ١٥٠ فناً ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

يليه كتاب «كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون» لملا كاتب چلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ وهو معجم مرتب على الابجدية حسب اسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع اسماء اصحابها ووفياتهم وتواريخ اهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات اهمها طبعة ليبسك ولندن سنة ١٨٣٥ـ ١٨٥٨ في ٧ مجلدات معها ملحق فيه ذيل احمد منيف زاده . وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودس والمغرب وفهرس السيوطي وابن خليفة الاندلسي وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات اخرى في الاستانة ومصر في مجلدين

واخيراً كتاب «ابجد العلوم» لصديق القنوجي من اهل هذا العصر وهو كتاب

ضخم عوَّل فيهِ صاحبه على من تقدمهُ ورتبهُ على المواضيع . وقد طبع على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ في ٣ مجلدات كبيرة

على ان هذه الكتب وامثالها تعدُّ من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصحُّ ان تسمَّى تاريخاً لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم ولم يتصدَّ احدٌ للتأليف في تاريخها على النمط الحديث قبل الافرنج المستشرقين فهم اول من كتب فيهِ من اواسط القرن الماضي لكنهم لم يوفوه حقه الا في اول هذا القرن . وسنأتي على اسماء مؤلفاتهم فيما يلي

اما في العربية فلعلنا اول من فعل ذلك . ونحن اول من سمى هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولاً صدر اولها سنة ١٨٩٤ في الهلال التاسع من السنة الثانية وآخرها في اواخر السنة الثالثة وقد انتهينا فيهِ الى تاريخ آدابها في عصر الانحطاط . ثم شغلنا عن اتمامهِ ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع على ان نفرد له كتاباً خاصاً مع التوسع والتدقيق . فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة الا قيدناها ولا ملاحظة الا حفظناها وتدبرناها والقراء يطالبوننا به . فاعلنا في السنة الماضية عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

الغرض من هذا الكتاب

نعني بتاريخ آداب اللغة تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب وما تقلبت عليه في الاعصر المختلفة . او هو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتائج قرائحهم . وهاك اهمّ اغراضنا منه :

١ بيان منزلة العرب بين سائر الامم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي

٢ تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والاعصر

٣ تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوئه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب الاعصر والادوار

٤ تراجم رجال العلم والادب مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم

٥ وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار مواضيعها وكيف تسلسلت بعضها من بعض وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها

٦ لا نهتمُّ من هذه الكتب بالاكثر الا بما لا يزال باقياً منها ويمكن الحصول عليه . فاذا كان مطبوعاً ذكرنا محل طبعه وسنته واذا كان لم يطبع اشرنا الى المكاتب الكبرى التي يوجد فيها — نعني المكاتب الدولية في اوربا او غيرها كالمكتبة الملكية في

برلين ومكتبة المتحف البريطاني في لندن والمكتبة الاهلية في باريس والمكاتب الدولية في فينا وغوطا واكسفورد ومنشن وليدن وغيرها والمكتبة الخديوية في القاهرة ومكاتب اياصوفيا او كوبرلي او بيازيد او غيرها في الاستانة . حتى اذا اراد احد الوقوف على شيءٍ من الاصول الخطية طلبها في قوائم تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسي ان يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلاً عن الفائدة النظرية بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة الى سواه من نوعه . فهو اشبه بدائرة معارف تشتمل على تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم او عاملهم من كبار الرجال . ووصف المؤلفات العربية على اختلاف مواضيعها . ومتى تم الكتاب الحقناهُ بفهرس ابجدي للاعلام والمواضيع فيصير معجماً للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء ولما جادت به قرائحهم من التصانيف او المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه او وجوده

تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيراً في الخطة التي نتخذها في تقسيم هذا الكتاب بين ان نقسمهُ حسب العلوم او حسب الاعصر — ومعنى قسمته حسب العلوم ان نستوفي الكلام في كل علم على حدة من نشأته الى الآن . على ان نبدا باقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلاً وتراجم الشعراء وما تقلب عليه من اول عهده الى الآن . ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية وهكذا في العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة والتاريخ والجغرافية وغيرها . اما قسمته حسب الاعصر فيراد بها الكلام عن احوال العلوم معاً في كل عصر على حدة وهذا الذي اخترناه . فقسمنا هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده . وقسمناها في الاسلام الى اعصر حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها . فبدأنا بعصر الراشدين فالعصر الاموي فالعباسي فالمغولي فالعثماني فالعصر الحديث . وقسمنا كلاً منها الى ادوار حسب الاقتضاء . وسيدخل هذا الكتاب في ثلاثة اجزاء هذا اولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة في العصر الجاهلي وفي عصر الراشدين والعصر الاموي . اي من اول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ . فبدأنا بمقدمات

تمهيدية في ما هو المراد بآداب اللغة ومن هم اسبق الامم الى العلم وما هي مصادر آداب اللغة على الاجمال . واتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال . ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام فقسمناها الى الجاهلية الاولى في زمن الحورابيين وما بعدهم . والجاهلية الثانية في القرنين الاخيرين قبل الهجرة . وصدرنا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين ودرجة ارتقاء عقول العرب . والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمناها الى :

١ الآداب العربية ويدخل فيها اللغة و الشعر والخطابة والامثال والنسب ومجالس الادب والاخبار ونحوها

٢ العلوم الطبيعية وتحتها الطب والبيطرة والخيل ومهاب الرياح

٣ العلوم الرياضية اردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ ما وراء الطبيعة ويدخل فيها الكهانة والعيافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك

واخذنا في الكلام عن كل علم عَلَى حدة فبدأنا باللغة فذكرنا تاريخها قبل الاسلام وما دخلها من الالفاظ الاعجمية وكيف كانت لما جاء الاسلام وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات . ثم الامثال وانواعها وما الف فيها . وانتقلنا الى الشعر وهو اهم تلك الاداب فافضنا في درسه وبحثنا في هل عند العرب شعر تمثيلي . وكيف بدأ العرب ينظمون . وما هو اصل وزن الشعر عندهم واسباب نهضة الشعر في الجاهلية واهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبيّنا عدد الشعراء بالنظر الى القبائل و بالنظر الى الاقاليم وتاثير الاقليم في قرائحهم . ثم عقدنا فصلاً في خصائص الشعر الجاهلي واحوال شعرائه . وتسهيلاً لدرسهم وتفهمهم قسمناهم حسب اغراضهم الى : اصحاب المعلقات والشعراء الامراء والشعراء الفرسان والشعراء الحكماء والشعراء العشاق والصعاليك واليهود والنساء الشواعر والشعراء الهجائين ووصّاف الخيل والموالي وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة واشهر شعرائها وتراجمهم وامثلة من اقوالهم وما صارت اليه دواوينهم والمآخذ التي يرجع اليها في معرفة اخبارهم . ثم تقدمنا للكلام عَلَى سائر علوم الجاهلية

وفي عصر الراشدين بدأنا بذكر التغيير الذي احدثه الاسلام في نفوس العرب وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة . ثم كتبنا فصلاً في الشعر والنبي وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هذا العصر مع تاريخ الخط

وقدمنا الكلام في العصر الاموي بمميزات ذلك العصر وما اقتضته سياسة بني امية

من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك في ادابهم فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحديث والفقه مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ماصارت اليه آداب الجاهلية في ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة وتكلمنا عن اسباب رواج الشعر ومميزاته فيه . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة ادوار . وقسمنا شعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الغزل والشعراء الخلعاء والسكيرين والشعراء الادباء . وقدمنا الكلام في فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة الى احزاب اهمها : انصار بني امية وانصار آل المهلب وانصار العلويين والخوارج وغيرهم . واتينا بتراجم شعراء كل طبقة وامثلة من اقوالهم حسب اغراضهم وادوارهم مع ذكر دواوينهم ومآخذ اخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . واخيراً في الخطابة والخطباء والانشاء وبه تم العصر الاموي وهو آخر الجزء الاول

الكتب التي عولنا علينا

يطول بنا ذكر الكتب التي اطلعنا عليها قبل تاليف هذا الكتاب . وهي على الاجمال كتب التاريخ والادب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانباً كبيراً منها بين مآخذ تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام . واتينا بقائمة اخرى في اخر باب الشعر الجاهلي من هذا الكتاب صفحة ١٦٥ فنكتفي هنا بذكر الكتب التي هي من قبيل تاريخ اداب اللغة في العربية وفي الافرنجية ولم يرد ذكرها في تلك القائمة واليك اهمها :

١ — الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع في ليبسك	سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبري زاده	خط في المكتبة الخديوية	
كشف الظنون ٣ اجزاء	لكاتب چلبي	طبع في ليبسك	سنة ١٨٥٨
ابجد العلوم ٣ اجزاء	لصديق القنوجي	« في الهند	« ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	« بولاق	« ١٢٨٤ «
طبقات الادباء	للانباري	« مصر	« ١٢٩٤ «
« الاطباء جزءان	لابن ابي أُصيبعة	« «	« ١٨٨٢
وفيات الاعيان ٣ اجزاء	ابن خلكان	« «	« ١٣١٠ هـ
فوات الوفيات جزءان	لابن شاكر	« «	« ١٢٨٢ هـ
المزهر جزءان	للسيوطي	« بولاق	« ١٢٨٢ «
ا كتفاء القنوع	لادوارد فانديك	« مصر	« ١٨٩٧

٢ — الكتب الفرنساوية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe ciècles, Paris, 1900
Deltour, Hist. de la littérature grecque, „ 1896
Bouchot, Précis de la littérature ancienne, „ 1874
Perrens, Hist. de la littérature, italienne „ 1867
Baret, Hist. de la littérature espagniole „ 1863
Jusserand, Hist. abr. de la littérature anglaise „ 1896
Duval, La littérature syriacque, „ 1900
Seignobos, Hist. de la civilisation, 3 vol. „ 1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil., ect. „ 1877
Huart, Littérature arabe, „ 1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et littérature de l'Espagne, 2 Vol. „ 1881
Brunetière, Hist. de la littérature française, „ 1900
Le Bon, La civilisation des arabes, „ 1884

٣ — الكتب الانكليزية

Browne, A literary hist. of Persia 2 Vol. London, 1900
Margoliouth, Mohammed and the rise of Islam „ 1905
Boer, The hist. of philos. in Islam „ 1903
Scott, Hist. of moorish empire in Europe 3 Vol. New York, 1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs, London, 1907
Frazer, A literary hist. of India, „ 1898

٤ — الكتب الالمانية

Hammer-Purgstall, Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12 Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol. Vienna, 1856
Wüstenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke, Göthingen 1882
Goldzihr, Muhammedanische Studien, Halle, 1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihre Einfluss auf die Cultur Europa's, Leipzig, 1882
Schak, Pœsie und Kunst der Araber in Spanien, Stuttgart, 1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 Vol. Weimar, 1902

هذا وقد بذلنا الجهد في تحقيق ما كتبناه على ما بلغ اليه الامكان . ولكن الكتاب واسع الموضوع كثير الجزئيات والانسان موضع الضعف . فنتقدم الى من يقع لنا على خطأ ان ينبهنا اليه لنستدركه في الاجزاء التالية . وما العصمة الا لله وحده

مقدمات تمهيدية

١ — ماهو المراد بآداب اللغة

آداب اللغة علومها . والمراد بتاريخ آداب اللغة تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتاج قرائحهم . فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل أمة تاريخ عام يشمل النظر في كل احوالها ويتفرع الى تاريخ سياسي وآخر اجتماعي وآخر اقتصادي وآخر أدبي أو علمي . فالتاريخ السياسي يبحث في ما مرَّ على الامة من الفتوح والحروب وما توالى عليها من الدول وانواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعي يبين الادوار التي تقلبت بها تلك الامة من حيث عاداتها واخلاقها . والاقتصادي يتناول النظر في تاريخ مالية تلك الامة وثروتها واحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الادبي أو العلمي وهو يبحث في تاريخ الامة من حيث الادب والعلم فيدخل فيه النظر في ما ظهر فيها من الشعراء والادباء والعلماء والحكماء وما دونوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم في الكتب وكيف نشأ كل علم وارتقى وتفرع عملاً بسنَّة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتغلب واستبداد . اذ لا يستطاع الوصول الى فهم حقيقة الامة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والادب فيها . فهو شارح للتاريخ يعلل الاسباب والحوادث بعللها الحقيقية . فاذا قرأنا تاريخ امة وعرفنا ما توالى عليها من الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية واستخرجنا أسباب تمدنها ورقيها أو تقهقرها وسقوطها — مهما علمنا من ذلك كله فان الاسباب لا تزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم تلك الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها فتنجلي لنا العوامل الاصلية في اسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الادبية ينمُّ عما كانت عليه من الارتقاء العقلي أو الميل القلبي وسائر احوالها من الاعتدال أو العفة أو التهتك . من الهمة أو الخمول الى غير ذلك من الآداب والاطوار — وانما الامة الاخلاق ما بقيت — على ان تاريخ آداب اللغة

لا يكون وافياً ان لم يوضح بالتاريخ السياسي

وأهل التمدن الحديث يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل لتفهم تاريخها السياسي ويقسمون ذلك التاريخ الى اطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الاحوال الادبية ويقيسون ما تبينوه من الاطوار الماضية على ما سيكون . فيتنبأون عن مستقبل الامة متى عرفوا الطور الذي بلغت اليهِ في ايامهم . وبالقياس على الماضي يقولون ان ان هذه الامة هي الآن في دور الحماسة الشعرية مثلاً ولا تلبث ان تنتقل الى العصر الادبي ثم العلمي فالفلسفي الخ

فتاريخ آداب اللغة هو تاريخ عقول ابنائها وما كان من تأثير ذلك في نفوسهم وفي اخلاقهم . ويدخل فيهِ تعيين مابلغت اليه الامة من الرقي العلمي وامتازت بهِ على سواها . وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليهِ من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها وكيفية تفرعها أو تخلفها بعضها عن بعض

٢ — اسبق الامم الى العلم

من هو أول من قال شعراً ؟ أو أول من رصد الكواكب او اخترع الكتابة أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى اشهر والاشهر الى اسابيع وهذه الى الايام فالساعات ؟ نعرف مثلاً ان اول من رصد الكواكب الكلدانيون ولكن من هو الرجل الذي بدأ بالرصد ؟ ان ذلك ذهب في ثنايا القرون المتباعدة كما ذهبت اسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمغزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب في ذهاب تلك الاخبار ان الانسان عاش ادهاراً قبل ان اخترع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره مع ان بعضها عظيم الاهمية بالنظر الى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان احدهما قبل اختراع الكتابة والآخر بعدها ولا دخل لآداب اللغة في ما هو قبل الكتابة لان معول اصحاب هذا العلم على ما بين ايديهم من مدونات العلوم والآداب . فاي امة دونت العلم اولاً ؟

لا خلاف في ان الشرق اسبق الى تدوين العلم من الغرب . فقد نظم المشارقة الشعروعالجوا الامراض ووضعوا الشرائع ورصدوا الكواكب وعينوا اماكنها وسموها باسمائها والغرب في غفلة وظلام دامس . فاي امم الشرق اسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جواباً قطعياً لان اكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة في مصر والشام ومابين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينتبه العلماء الى اهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل الكتابات . فحلوا الخط الهيروغليفي بمصر والمسماري بين النهرين والمسند في اليمن والنبطي في الحجاز والفينيقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير فاطلعوا على كثير من احوال تلك الامم . لكن اعمال التنقيب لا تزال في اولها ولا يزال معظم الآثار مدفوناً وخصوصاً في ما بين النهرين واسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب . اما مصر فان حظها من التنقيب اكثر من حظ سواها

وادي النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الان ان وادي النيل ووادي الفرات اسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب وقد قضيا ادهاراً وهما زاهران منيران بالعلم وسائر العالم في ظلام . نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أي منذ نحو ٦ آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة في عهد الاسرة السادسة بمصر انه كان متولياً ادارة الكتب فطلب الى ذويه ان ينقشوا ذلك على قبره منذ نيف و ٥ آلاف سنة

ويدلُّ ذلك طبعاً على وجود الكتب من ذلك الحين وان لم يصل الينا شيء منها ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتب الاموات » وهي كتب الطقوس وفيها شعر وادب وتاريخ وعقود وعهود وأغانٍ وبعضها قديم جداً ربما كان قبل مينا أول فراعنة مصر . وهي تشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة كالفيدا عند البراهمة والزندافستا عند الجابرية والكنغ عند الصينيين والتلمود عند اليهود لكنها اقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ويقال ان توسرتسن احد ملوك هذه الاسرة كان عالماً بالطب فوضع فيه كتاباً تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولا

ريب ان الرياضيات في عهد العائلة الرابعة بناة الاهرام كانت من ارقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من اقدم ازمانها وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس تحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني . كما اجتمع بندار وزملاؤه من شعراء اليونان بعد الف سنة في مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد الف وخمسمائة سنة اخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد في كل نصر أو فتح يمتدحون ملوكهم ويسمونهم ابناء الشمس واصحاب التاجين

وادي الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل واشور في وادي الفرات اودجلة فان العلم عندهم قديم وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر بالاكتشافات الأثرية في بابل أنه كان هناك قبل تمدن البابليين امتان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية او العلم هما الاكاديون والسومريون جاؤا وادي الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهي الاحرف المسمارية فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها اخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عد قدومهم الفرات اهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الانسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة وما زالوا نبراساً يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق م اي نحو ٢٥ قرناً . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلاً كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس اهل الشام والعراق عنهم كثيراً من اسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك في مزامير داود

أقدم مكتبة في العالم

وعاصر هذه الامة في وادي الفرات غير دولة من اصل سامي . وعثر النقابون على قرميدة بابلية عليها كتابة مسمارية فيها قائمة باسماء ملوك بابل منذ اكثر من ستين قرناً ويدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محباً للعلم والعلماء راغباً في العمارة أنشأ مكتبة في « ورقة » من

أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . و استعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق — كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد وكسرى انو شروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد وكما فعل الرشيد والمأمون في بغدد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دون شرجينا هذه العلوم بالحرف المسماري نقشا على الطين وهي القراميد الاشورية المعروفة

فكانت مكتبة ورقة هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها . ثم نسخت بعد انشائها بخمسة عشر قرناً بامر أمير أشوري وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر النقابون بالامس على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن فهي هناك الى هذه الغاية

على أن هذه البقايا نتف اكثرها محطم لاينتفع به . أما أقدم أثر علمي بقي سالماً كاملاً الى هذا العهد فهو شريعة حورابي فانها دونت في أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٤٩ ج ١ أن دولة حورابي عربية وأنها أقدم دول العرب . فاذا صح استدلالنا هناك كان أقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربي الفكر وان كان اشوري اللغة

ويلي المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والحثيون فيها وفي أسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم

اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية حتى آن تقهقره على مقتضى سنة العمران . فانتقلت الرئاسة منه الى الغرب واسبق الامم الغربية الى ذلك اليونان لانهم أقربها الى الشرق من سواهم . وعنهم أخذ الرومان وأنشأوا التمدن الروماني ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها والمرجع في ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها أساس آداب سائر لغات أوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والادباء

واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها صار لكل منها تاريخ خاص لاداب لسانها وقد الف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهي أشهى ما يقرأ من تواريخ تلك الامم

على أن الاداب اليونانية كانت أيضاً أساساً لاداب أكثر الامم التي ظهرت بعد اليونان في الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامي مدين لاداب اليونان في أكثر العلوم الطبيعية . وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الاكاسرة

ثم ان الآداب العربية كانت أساساً لاداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن الاسلامي او بعده — حتى في أوربا فالافرنج في نهضتهم الاخيرة استعانوا على انشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق وأثمر أولاً في وادي النيل ووادي الفرات وانتشر منهما في سائر المشرق. ثم انتقل الى الغرب فتناوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار علماً خاصاً بهم . ومنهم أخذه الرومان في الغرب والفرس والسريان والعرب في الشرق وانتقل من الرومان الى أمم أوربا في الاجيال الوسطى وحفظ في الكنائس والاديار أما في الشرق فاجتمع علم اليونان أخيراً الى المسلمين فدرسوه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا بذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وارصاداً ومدارس ومكاتب نحو الف سنة . فلما نهضت أمم أوربا لانشاء التمدن الحديث اقتبسوا كثيراً من آداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى السنتهم فكانت أساساً لتمدنهم الحديث

٣ — مصادر آداب اللغة بوجه عام

الامم تتشابه بطبائعها ومداركها من أكثر الوجوه وان اختلفت في بعضها ولذلك جاءت آدابها متشابهة في مواضيعها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها مع تباين في كل امة تمتاز به عن سواها . فاداب اللغة عند كل الامم قديماً وحديثاً مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى مواضيع كثيرة من الحماسة والغزل والفخر والرثاء والمدح . والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل امة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحاً ولكنهم لم يفعلوا ولا تيسر

للمحدثين العثور على مايصح جمعه ودرسه . وأقدم الامم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو ما نحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان فقد الفوا في تاريخ آداب لغتهم غير كتاب وقسموها وبوبوها وانتقدوها . وألف آخرون في آداب اللغة اللاتينية ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية فالفوا في آداب لغة الهند والفرس والسريان والعرب

خصائص الامم

واذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها لكنك تجد لكل امة خصائص في شعائرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات والاوهام واليهود أميل الامم الى التدين — وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة باداب أجادت فيها وتناقلها سائر الامم عنها . كامتياز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي والتمثيل وعنهم أخذها سائر الامم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع والنظامات السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوربا ونظامها الاجتماعي الى هذه الغاية . وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على السنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة وعنهم اخذها سائر الناس . وامتاز اليهود بالتوحيد وهم قدوة الامم فيه . وأما العرب فقد ملأوا الدنيا شعراً وادباً وفقهاً وتاريخاً وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

واعتبر ذلك في الامم الاوربية الحديثة فان لكل منها مزية في شيء من آداب اللغة . فالفرنساويون أهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء — اشتهروا بذلك من أقدم أزمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد « ان الغاليين اهل ذوق في الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم من الكتاب والمنشئين والخطباء في الادب بالقياس على سائر امم اوربا . والالمان يمتازون بابحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع المواضيع الى اقصى جزئياتها ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . اما

الانكليز فيمتازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة في آرائهم فلا يبنون ابحاثهم الا على الواقع وترى ذلك ظاهراً في اعمالهم واخلاقهم . والايطاليان معروفون بتبرزهم في الفنون الجميلة فهم شديدو التأثر من اعمال الطبيعة وظواهرها

على ان تفوق بعض الامم في بعض الاداب لا يمنع تشابه تلك الامم بسائر الآداب . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربيـة ان نذكر نموذجاً عن آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم ان الامم الشرقية القديمة لم تجمع آدابها وليس لدينا منها مايصح اتخاذه مثالاً لنا . والامم المتمدنة الآن في اوربا واميركا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية اي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا اكثر آدابهم عن اليونان . فاداب اللغة اليونانية خير مثال لاداب لغات العالم المتمدن لانها أساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب اوعلم او فلسفة في اللغة الفرنساوية او الانكليزية او الايطالية او غيرها الا وله اصل او اساس في اللغة اليونانية – واكثر موءلفات تلك الامم ومنظومات شعرائهم في الاجيال الوسطى صور او اظلال لما كان عند اليونان – حتى امهن اللاتينية فان الانياد في اللغة اللاتينية لفرجيل انما هي نسخة من الياذة هوميروس وكذلك فردوس ملتن وجهنم دانتي وتلماك فنيلون وغيرهم

فافضل نموذج لاداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي اهمها جميعاً ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عديدة قبل الميلاد وهاك اقسامها :

٤ — آداب اللغة اليونانية

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة ادوار او اطوار :

١ العصر الخرافي : ويراد به اقدم ازمان الامة اليونانية ولم يبق منها الا القصص الخرافية عن الالهة ونحوهم مما يسمى في اصطلاح الافرنج ميثولوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي الى القرن التاسع قبل الميلاد واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرن التاسع المذكور ونصف الثامن (من سنة ٩٠٠ — ٧٥٠ ق م) وفيه ظهر اقدم الشعر الوصفي او القصصي . نعني

نعني منظومات هوميروس في الالياذة والاوذيسية وفيه جرت حروب الارانطة وطية وحصار تروادة الشهير الذي وصفه هوميروس في الياذته .ولم يبق من اداب هذا العصر غير الشعر القصصي ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس وهسيود . اما هوميروس فهو ابو الشعراء ورب الشعر القصصي وقد عاش اسمه بالياذته التي نقلت الى سائر لغات العالم وباوذيسته . اما هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعراً في نشيدين احدهما الف بيت وصف بها بناء العالم وتعاقب الآلهة والآخر ٨٠٠ بيت وصف بها الطبيعة ونسبوا اليه نشيداً ثالثاً موءلفاً من ٤٠٠ بيت وصف به قوس هركيل

٣ العصر الثالث : من سنة ٥٧٠ — ٥٠٠ ق م وفيه تحضر اليونان وعمروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط والبحر الاسود واتسعت تجارتهم وقامت الفتن بينهم في التنازع على السلطة فقام مثل هذا التنازع في آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلي (الدرام Dram) وكان مقره اثينا . وانتشر الشعر على الاجمـال ونبغ الشعراء في بلاد اليونان باوربا وآسيا وفي الجزائر وصقلية حتى سبارطة وطية . وظهر فيها الشعر الغنائي أو الموسيقي وهو المعبر عن الشعور كالمدح والفخر والحماسة والغزل مثل الشعر العربي . ونبغ في كل قوم او بلد شاعر أو غير شاعر ينصر قومه او يعبر عن شعائرهم . وتكاثر الشعراء وأخذوا يتمادحون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب في الجاهلية يفعلون ولذلك سموا هذا العصر عصر الشعر الغنائي Lyric

فمن شعراء هذا العصر الهجائين ارشيلوك الفاروسي من اهل القرن السابع ق م ولم يبق من شعره الا نتف مبعثرة . وسيمونيد والامارغوسي كان معاصراً لارشيلوك ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتاً في وصف المرأة . وهيبونكس الافسي من اهل اواسط القرن السادس ق م كان ظهوره في آخر التنازع بين الاشراف والعامة ولم يعرف عنهُ الاّ القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسي وتيرتيه . ومن اصحاب السياسة صولون استخدم الشعر في السياسة وهو مشهور . ومن أهل الحماسة الادبيـة ثيوغنيس الميغاري نبغ في سنة ٣٤٠ ق م شعره ادبي حكمي ولايزال باقياً من منظومه الآن ١٢٠٠ بيت

وأقدم شعراء الشعر الغنائي عندهم ترباندر وهو الذي اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه Lyr واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وعلم ترباندر عدة تلامذة في لسبس وانتيسا ومتلين . ومن تلامذته اريون والسي وسافو . ونبغ ايضاً شواعر من تلامذته منهن اريني . ومن قبيل الشعر الغنائي الشعر الديني الذي كانوا يغنونه في الصلوات

وأشهر شعراء اليونان في الشعر الغنائي بندار مثل شهرة هوميروس في الشعر القصصي ولد سنة ٥٢٢ ق م وله آثار كثيرة لا تزال باقية الى الآن . ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبي في مدح سيف الدولة والاخطل في مدح عبد الملك

وفي هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضي الشهير وزينوفون وبرمنيدس وامبيدكليس وطالس وانا كسميندر وانا كساغورس وقدمس وايسوب وغيرهم

٤ العصر الأتيّ او الاثيني : (سنة ٥٠٠ — ٣٠٠ ق م) نسبة الى اثينا لان اكثر أدباء هذا العصر نبغوا هناك . وفيه نضج الشعر التمثيلي والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . وأقدم شعراء التمثيل ثسبس وفرينيكوس وبراتيناس وأشهرهم اشيل وسفوكلس ويوربيدس للتمثيل المحزن (تراجيديا) وارستوفانس . وأشهر مؤرخيه هيرودوتس ابو التاريخ وتوسيديد وزينوفون وستيسياس وفيلست . ومن الجغرافيين هانون ونيارك . ومن الخطباء بريكليس وكليون والسيبياد وكوراكس وتيسياس وبروتاغوراس وانتيفون واندوسيد وليكورغوس وهيبريد ودينارك وديموستين وديماد وفوسيون . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ العصر الاسكندري : (٣٠٠ — ١٤٦ ق م) وفيه انتقل العلم من أثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هي وحدها مرسح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر في الرياضيات اوقليدس وارخميدس . وفي التاريخ هيكاتس ومانيثون وبروسيوس . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستن . ومن الشعراء الغنائيين كلماك وابولونيوس الرودسي ويوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفون وتيمون ومنيب وثيوكريت . ومن الفلاسفة ليسيوس وابيكوروس

٦ العصر اليوناني الروماني : (١٤٦ ق م — ٣٣٠ ب م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح اهلها — والذل يذهب بالقرائح — فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية احدثت انقلاباً في تلك الآداب فادخلت فيها بعض الاساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو ودنيس وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس واريان وابيان وبوسانياس وهيروديان . وفي الشعر ارخياس وابولودورس . ومن الفلاسفة فيلون اليهودي واناسيديمس وكريسوستوم وغيرهم

٧ العصر البيزانتي : (من سنة ٣٣٠ — ١٤٥٣ ب م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . وما زالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م فانقضت دولة الروم وتشتت علماؤها في اوربا . وكانوا في جملة من اعانها على نهضتها في انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيمريوس وتمستس وليبانيوس وجوليان وهليودورس واشيل تايتوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها . فان اقدم آدابها دائماً الشعر الديني يليه الشعر القصصي والتمثيلي فالغنائي ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ثم تستغرق الامة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جدة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

٥ — آداب اللغة العربية واقسامها

واذا نظرنا الى آداب اللغة العربية واخواتها الساميات رأيناها تنطبق على ما تقدم بوجه اجمالي . أما عند التفصيل فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقاً كالفرق بين طبائع الامتين . فالشعر عند الساميين اقدم آدابهم لكن اكثره غنائي وليس فيه من الشعر القصصي الا نتف قليلة . أما التمثيل (دراما) فيظهر لاول وهلة

انه بعيد عن آداب العرب وسترى انه موجود فيها — ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصي والتمثيلي فان اللغة العربية واخواتها يمتزن بنوع من الآداب كبير الاهمية ليس فيه من لغات الافرنج الا نتف نعني « الامثال » فانها جزء مهمٌّ من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية وتندر في سواها

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب أغنى سائر الآداب الساميةً بل هي على الاجمال أغنى آداب سائر لغات العالم . لان الذين وضعوا آدابها في اثناء التمدن الاسلامي اخلاط من امم شتى جمعهم الاسلام أو الدولة الاسلامية وفيهم العربي والفارسي والتركي والهندي والسوري والعراقي والمصري والرومي والارمني والبربري والزنجي والصقلي وغيرهم . وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربي والفوا الكتب العربية في الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحاسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع وادخلوا فيها كثيراً من اساليب السنتهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

ونريد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ما تقلبت عليه اللغة وآدابها من أقدم ازمانها الى الآن . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى اطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه وقد لاحظنا في تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الامة من الانقلابات السياسية أو الادارية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح

اقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويجوز قسمة تاريخ آداب اللغة العربية أما حسب علومها وآدابها أو حسب الاعصر التي توالت عليها . ونريد بقسمتها حسب العلوم ان نستوفي الكلام في كل علم على حدة من نشأته الى الآن . على ان نبدأ باقدمها ونتدرج الى احدثها فنبدأ بآداب الجاهلية فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار في الجاهلية والاسلام في دولة الراشدين فالامويين فالعباسيين فغيرهم الى اليوم . ونفعل مثل ذلك في الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية . وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية وهكذا نفعل بالعلوم الدخيلة منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن

أما قسمتها حسب الاعصر فيراد بها الكلام عن العلوم كلها معاً في كل عصر على حدة • وهذا الذي اخترناه في هذا الكتاب لانه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها على العلم والادب . ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب اصاب العرب من اول عهد تاريخهم الى الآن — نعني ظهور الاسلام . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وآدابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى اعصر أو اطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهي :

١ عصر الخلفاء الراشدين
٢ العصر الاموي
٣ العصر العباسي
٤ العصر المغولي
٥ العصر العثماني
٦ العصر الحديث

وقسمنا العصر العباسي الى اطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراهُ في مكانه



آداب اللغة العربية

قبل الاسلام

١ — العصر القديم أو الجاهلية الاولى

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصدَّ أحدٌ للبحث في آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ولاعتقادهم أن العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الاسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا عمل لهم الا الغزو والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب . على اننا اذا نظرنا الى لغتهم كما كانت في عصر الجاهلية نستدل على ان هذه الامة كانت من اعرق الامم في المدنية لانها من أرقى لغات العالم في أساليبها ومعانيها وتراكيبها — واللغة مرآة عقول اصحابها ومستودع آدابهم . فمتكلمو اللغة الفصحى كما جاءتنا في القرآن والشعر الجاهلي والامثال لا يمكن أن يكون اصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن أو قرنين فقط . اذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين ان تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتوالي الادهار فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه في أماكنه

على ان الاكتشافات الاثرية ايدت هذا الرأي بما اظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرناً ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لان ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر في جانب ما بقي مدفوناً في الرمال . فضلاً عما ظهر من فضل العرب واعراقهم في المدنية والعلم ما قرأوه من آثار بابل وأشور . فاذا صح ان دولة حمورابي التي توات بابل وسائر العراق في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد



ش ١ : حمورابي

عربية كما بينا ذلك في كتابنا « العرب قبل الاسلام » (١) ـ كان العرب من أسبق الامم الى المدنية والعلم فانهم اقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابي التي عثروا عليها في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسماري على مسلة من الحجر الاسود الصلب سنها حمورابي في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد اي قبل شريعة موسى بثمانية او تسعة قرون . وهي مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث في طبقات الامة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره

هم أقدم من أنشأ المدارس

والحمورابيون او عمالقة العراق اقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن وقد كشفوا في اثار زيبارا انقاض مدرسة لتعليم الاطفال وهذه أول مرة سمعنا

(١) العرب قبل الاسلام صفحة ٤٩ ج ١

بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم اي منذ اربعة آلاف سنة وكان فيها (قرميدات) عليهـا دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب ومعجمات ونحوها واكتشفوا كثيراً من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار او القراميـد واكثرها لحمورابي وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن اكبر ادلة الرقي في ذلك العهد ان المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن يتعاطين المهن القلمية وانخرط جاعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية



ش ٢ : أنقاض مدرسة حورابية منذ ٤٠٠٠ سنة

فاذا صح ان هذه الدولة عربية كان العرب أسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم وانهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم وادركوا من الرقي الاجتماعي ما لا يزال بعض الامم المتمدنة في هذا العصر بعيدين عنه

ونحن في غنى عن التنبيه الى ان قولنا ان الدولة الحمورابية عربية لا يتبادر منه الى ذهن القاريء انه مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » واذا صحت عربيـة تلك فلا يستلزم ان تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا ان عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش فان بين الدولتين ٢٧ قرناً والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالي العصور

تأثير الحمورابيين في الشرائع الحاضرة

ولم يقتصر فضل الحمورابيين أو عمالقة العراق على ما شادوهُ في ما بين النهرين وماخلفوهُ هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ولكنهم نشروا آدابهم ودياناتهم وشريعتهم في جزيرة العرب من اقصائها الى أقصائها على ايدي المعينيين جالية عمالقة العراق في اليمن[1] على أثر سقوط دولة حمورابي في مابين النهرين . فانتشرت آداب الحمورابيين ودياناتهم وشريعتهم في جزيرة العرب كما سنبينه في الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام وخصوصاً في البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدين والحجاز

وللحمورابيين فضلٌ على كل من استعان بشريعة موسى لان فيها كثيراً من نصوص شريعة حمورابي كما بينا ذلك في الهلال ٥ سنة ١٣ اذ اتينا بنصوص متقابلة متشابهة في الشريعتين تشابهاً كليًا وحمورابي قبل موسى بثمانمائة سنة . فكأن صاحب شريعة موسى اقتبس من شريعة حمورابي

وتعليل ذلك في نظر نيلسن[2] ان مدين أو مديان كانت اقرب بلاد العرب العامرة الى مصر لا يفصلها عنها الا برية سينا . وكان المعينيون عرب اليمن القدماء يفدون اليها بتجاراتهم وقوافلهم أو يمرون بها في طريقهم الى الشام أو مصر . وكان للمديانيين معابد بنوها على شكل معابد الحمورابيين في العراق وفيها كهان قدْ حفظوا الشرائع وشادوا الهياكلَ والمذابح . ولا خلاف انهُ كان في مدين بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد كاهن سمي في التوراة مرة يثرو ومرة رعوئيل فهو كاهن عربي يشهد بذلك اسمهُ المزدوج ـ وتلك كانت عادة العرب في ذلك العهد يسمون الرجل باسمين احدهما لقب فيقولون « وقه ايل يثع » و « يثع ايل ريام » ونحو ذلك[3] فالظاهر ان كاهن مديان كان اسمهُ « يثرو رعوئيل » فذكرتهُ التوراة مرة بالاسم ومرة باللقب . والصيغة العربية ظاهرة في اكثر الاسماء التي جاء ذكرها في قصة موسى في مديان وغيرها وخصوصاً اسم ابن الكاهن « حباب »

(١) العرب قبل الاسلام ١١١ ج ١ (٢) في كتابه عن عبادة القمر عند العرب وشريعة موسى المسمى Die altarabische Mondreligion etc.
(٣) العرب قبل الاسلام ١١٢ ج ١

وفي سفر الخروج ان موسى بعد ان قتل المصري خرج الى مديان والتقى ببنات يثرو عند بئر وهنَّ سبع جئن ليستقين فتعدى الرعاة عليهن فانجدهن موسى وسقى غنمهن فعدن الى الـكاهن واخبرنهُ فاستقدمهُ اليهِ واسكنهُ عندهُ وأزوجهُ صفورة احدى بناته وولدت لهُ اولاداً . وكان موسى يرعى غنم يثرو الـكاهن فساق الغنم الى ما وراء البرية حتى افضى الى جبل حوريب فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة فاذا العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق — الى آخر ما جاء هناك

فيرى نيلسن ان حوريب مكان عبادة على نحو ما أخذه العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبال واقامة الحرم أو الحمى حول المعابد بحيث لا يطأهُ الغرباء وان الغنم التي كان موسى يرعاها هي غنم الحرم . وان النار التي رآها من رموز الصابئة عن الـكواكب . فلم يستطع موسى دخول الحرم لانهُ غريب فادخلهُ حموهُ وجعلهُ كاهناً وعلمهُ قواعد الدين . وان حوريب اسم الـكوكب الذي يعبد هناك . وفي أي حال فان موسى تعلم الشريعة من يترو وهي شريعة حمورابي فادخل كثيراً من احكامها في شريعته

ومهما يكن من تعليل نيلسن فلاخلاف في ان شريعة موسى فيها كثير من شريعة حمورابي وهو فضل للعرب القدماء ودليل على قدم مدنيتهم

سفر ايوب

ومما يعدُّ من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر ايوب والمرجح عند أهل التحقيق ان صاحب هـذا السفر في التوراة عربي الاصل . نظم ذلك الـكتاب شعراً عربيًّا في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحورابيين من بين النهرين ثم ترجم الى العبرانية وعدَّ من الاسفار المقدسة وضاع اصـلهُ العربي كما ضاع اصل كليلة ودمنة الفارسي . فاذا ثبتت عربية سفر ايوب كان العرب اسبق الامم الى قرض الشعر لانه نظم قبل الياذة هوميروس بالف سنة وقبل مهابهاراتة الهند بعدة قرون

٢ — الجاهلية الثانية

أو

العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبني على الحدس والتخمين لاستغراقه في القدم وضياع اخبار تلك الجزيرة بتمادي الايام . ولعلهم اذا نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا عن حقيقة هذه الظنون الستار

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية

وفي كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغةً وديناً وادباً وخلقاً . فالحورابيون كان اكثرهم اهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . واما عرب الجاهلية الثانية فاكثرهم اهل بادية ونجع وكانت لغة الحورابيين اقرب الى الاشورية منها الى العربية — فلغة ايوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت الينا من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيراً جداً اكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر او الشام الآن . لان اهل هذين المصرين قيدوا انفسهم بالمحافظة على لغة القرآن واساليبه . فكلما ساقهم طبيعة النشوء نحو التغيير اعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى ابعد من ذلك كثيراً

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدوه بين لغة عرب الشام في اوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرىء القيس بن عمرو ملك الحيرة و بين لغة مضر عند ظهور الاسلام — وذلك انهم عثروا في اطلال النمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي نقشت في اوائل القرن الرابع للميلاد اي قبل الاسلام بثلاثة قرون وهذه صورتها : (ش ٣)

ش ٣ : كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرىء القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ كل سطر على حدة :

١ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج
٢ وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذ حجو عكدي وجاء
٣ يزجو (؟) في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
٤ الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

هذا لسان عربي تشوبه صبغة ارامية يحتاج تفهمها الى ايضاح وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :

١ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج
٢ واخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
٣ الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معداً واستعمل بنيه
٤ على القبائل وانابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
٥ الى اليوم • توفي سنة ٢٢٣ في اليوم ٧ ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة

وكان اهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصروي نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ للميلاد فاذا اضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للميلاد وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره والمدة بين هذين العصرين ثلاثة قرون فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرناً ؟ والتغيير طبيعي في كل لغة عملاً بناموس النشوء — اعتبر ذلك في الفرق بين اللغة اللاتينية الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية

والاسبانية وبين اللغة الانكليزية القديمة والحديثة وغير ذلك

فاداب العرب في جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم اهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون . وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتي

درجة ارتقائهم في العقول والاخلاق

وقد يتبادر الى الاذهان ان اولئك البدو وكانوا اهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب . ولكن يظهر مما وصل الينا من اخبارهم انهم كانوا كبار العقول اهل ذكاء ونباهة واختبار وحنكة . وا كثر معارفهم من ثمار قرائحهم وهي تدل على صفاء اذهانهم وصدق نظرهم في الطبيعة واحوال الانسان مما لا يقل عن نظر اعظم الفلاسفة . فان قول زهير بن ابي سلمى في معلقته :

رايت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطىءْ يعمر فيهرمِ
رايت سفاه الشيخ لا حلم بعده ... وان الفتى بعد السفاهة يحلمِ
واعلم ما في اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي
ومن لم يصانع في امور كثيرة ... يضرَّس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يصنع المعروف مع غير اهله ... يعد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يعفها يوماً من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

لا يقلُّ شيئاً على احكام اكابر الفلاسفة . وانك تجد كثيراً من امثال ذلك في اشعارهم كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد ان عولج قروناً متطاولة ذهبت اخبارها . فهم لذلك يشكون من ان اسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول عنترة « هل غادر الشعراء من متردم » وقول زهير :

ما ارانا نقول الا معاراً ... او معاداً من قولنا مكرورا

ارتقاؤهم في السياسة والعمران

على انك اذا نظرت في لغتهم تبين لك ان اصحابها من أرقى الامم سياسيًا واجتماعيًا وان عرفناهم بدواً رحالة — واللغة دليل اخلاق الامة ومرآة آدابها وسائر احوالها — ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث في اذهان اصحابها . فاذا وجدنا في لغة من اللغات اسماً لنوع من اللباس نحكم قطعيًا ان اصحابها عرفوه أو لبسوه أو نوعاً من الاطعمة عرفنا انهم اكلوه . و بعكس ذلك خلوها من اسماء بعض الادوات فانه يدلنا على جهلهم اياها

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التي تدل على المعاني المجردة كالعواطف والفضائل فان وجودها في اللغة يدل على ان اصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل وعانوها . ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها

واللغة العربية من اغنى لغات الارض بالالفاظ العمرانية والسياسية . ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف اغراض اجتماعهم كالشعب والجماعة واللجنة والزراقة والسرب والكوكبة والقوم والنفر والشرذمة والعصابة . ومثلها لاماكن الاجتماع كالمحفل والنادي والندوة والمأتم والمجلس والموسم والمدرس والمصطبة [1] وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند كالجريدة والسرية والكتيبة وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقاب كالمقاط واليراع والانبوبة والاسل والجلف للقلم . والقرطاس والطرس والمهزف والرف والطلس والمجلة والصحيفة — ولكل منها معنى خاص

ومن انواع الكتب : القمطر كتاب الاعمال . المدرس الصك . الزبور . الرقيم . والسفر الكتاب الكبير . والضبار الكتب بلا واحد . الرهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها . الوصير الصك للسجلات وقس على ذلك

وقد عالجوا الفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فاكثروا فيها من المترادفات التي يدل عشرات اومئات منها على معنى واحد اومعان متشابه . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد

(١) لطائف اللغة ٦٤و١٠٨

حتى تعددت معانيه. فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ومثلها او اكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعاني لالفاظ الخال والحر والدين والركن والغرب والحر وغيرها وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لامثيل له في ارقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف اصحاب هذه اللغة بالمعاني والمباني لخصب عقولهم وسعة مداركهم

ارتقاؤهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل اقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال . فان منها بضعة وعشرين اسماً لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية التي ترجع الى الاستثمار وغيره منها : التلاد المال الموروث . الركاز المال المدفون . الضمار المال لا يرجى . الطارف المال المستحدث . التالد المال القديم . ونحو ذلك العدد من اسماء النقود وانواعها من الذهب والفضة . وعندهم للذهب وحده اكثر من عشرين اسماً كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على انواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجدب ونحو ذلك . ومن الادلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة اسماء السفن عندهم وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك اسماء الرياح وهي تزيد على المئة ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم «اذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة فاذا ابتدأت بشدة فهي النافجة فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع» وقس على ذلك سائر اسمائها وهي تدل على توسعهم في معرفة الظواهر الجوية. ومن هذا القبيل اسماء الطرق وانواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الميازين فانها عديدة واعتبر ذلك بكثرة اسماء ادوات الصناعة واواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما يفوق الحصر . وتجد منه امثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها

تعقلهم وآراؤهم

ولك في امثالهم والكنايات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالاحاجي والالغاز وفتيا العرب ادلة أخرى على ارتقاء اذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضاً في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم وقد كان

فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللاأدرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان للخلق خالقاً لا اعلم ماهو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليهِ يذهب كثيرون من المفكرين في هذا العصر

ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في اثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيًا :

استأثر الله بالوفاء و بالعد ل وولى الملامة الرجلا

وهو مذهب فلسفي يراد بهِ رفع التبعة عن الانسان . والمظنون ان الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة

وترى اقوالهم المأثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور كالاقوال المنسوبة الى اكثم بن صيفي وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك ان المسلمين لما تمدنوا وانشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأو الذي بلغ اليهِ أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والآداب الجاهلية أساس الآداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي كما كانت الآداب اليونانية والرومانية أساس الآداب العصرية في التمدن الحديث

وكان للعرب في جاهليتهم القاب يلقبون بها النابغين منهم كما كان لسائر الامم المتمدنة قديماً وحديثاً فاذا نبغ أحدهم بالشعر سموه « الشاعر » ونسبوهُ الى قبيلته فقالوا « شاعر تميم » أو عامر أو نحو ذلك فيكون هذا اللقب مميزاً لهُ عن سواه وكذلك الخطيب واذا امتاز احدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه « الحكم » مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن احرز كل الآداب والفضائل وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً وهو يشبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به ارسطو ولعل العرب اقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغي لنا ان نستخف بآداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي اكثر من ذلك . ولكن اكثرها ضاع لانها لم تدون فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام . فنستدل بما بقي على ما كان

المرأة في الجاهلية

من ارقى النساء

ومن اكبر الادلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم . فقد كان للمرأة عندهم رأي وارادة وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم. فنبغ غير واحدة منهنَّ في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ولاسيما في اوائل الاسلام على أثر ما حصل من النهضة في النفوس والعقول . فاشتهرت جماعة منهنَّ بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال واكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

الشهيرات في الشجاعة

فاللواتي اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو كبر النفس منهنَّ سلمى بنت عمر احدى نساء بني عدي بن النجار فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوَّج الرجال الا وامرها بيدها اذا رأت من الرجل شيئاً تركتهُ . على ان الغالب في نساء الجاهلية ان يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد ان يشاورها . واشتهرت التيميات من نساء قريش في حظوتهنَّ عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهنَّ بالبسالة في اثناء الغزوات . ففي معركة أُحد وقع لواء قريش في ساحة القتال فلم يزل صريعاً حتى اخذتهُ امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة خرجت مع النسوة تمتار جثث الموتى فوجدت بينها جثة حمزة عم النبي فبقرت بطنه واخرجت كبده فلاكتها من غيظها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها . ثم علت صخرة وانشدت اشعاراً تفخر بالفوز على المسلمين

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن

قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب الانصارية وام حكيم بنت الحرث والخنساء الشاعرة أخت صخر وغيرهنَّ

الشهيرات في الرأي والحزم

ونبغ بالرأي والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد وكانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال تتقي من اشتهر من الرجال بالامانة والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليهِ ان يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيهِ افضل ما كانت تعطي غيره من الرجال . فلما افلح في تجارتهِ عرضت عليهِ ان يتزوَّج بها فأجابها . وهي اول من أسلم وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليهِ أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها بهِ الاثبتهُ وخففت عنهُ وهوَّنت عليه. وما زالت على ذلك حتى ماتت[1] وهل اكبر نفساً من الخنساء عند ماحرضت اولادها على الثبات في واقعة القادسية فلما بلغها انهم قتلوا في سبيل الجهاد قالت « الحمد الله الذي شرفني بقتلهم »

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم فنبغ منهن عدة شواعر أشهرهن الخنساء وخرنق ولهما اشعار مطبوعة ومنشورة على حدة . وهناك عشرات من النساء الشواعر ذهبت اشعارهنَّ الا قليلاً جاءنا عرضاً في بعض الاخبار. منهن كبشة اخت عمرو بن معدي كرب وجليلة بنت مرة اخت كليب الفارس المشهور لها فيهِ مراثٍ لم ينظم احسن منها . وميسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر رثت زوجها . وأميمة امرأة ابن الدمينة فقد قالت شعراً في عتابهِ لم يقل في العتاب احسن منهُ — وسيأتي خبر ذلك في ترجمته . وغيرهن مما يطول شرحه . وكان ابو نواس يروي لستين شاعرة من العرب

وكان في الجاهلية خطيبات اشتهر منهن هند بنت الخس وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات اشهرهن زينب طبيبة بني أود كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح . غير من كن يرافقن المحاربين و يضمدن الجراح في ساحة الحرب

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ص ٥٦ ج ٥

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنهُ للمذاكرة بهِ في المجالس فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في ايهما اشعر كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس اذ حكمها زوجها بينهُ و بين علقمة الفحل فحكمت حكماً يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجيء في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية كنَّ يعقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم واخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة وكانت ادبية عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلاريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة ابي دهبل الشاعر فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار قبل ان تزوجها ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي ارقى جمعياتهم

و بالجملة فالامة التي تكون هذه حال نسائها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والرأي امة راقية



اقسام

آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية اصلية اقتضتها اللغة العربيـة واساليبها وقرائح اهلها ونسميها العلوم العربية . وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها واكثرها دخيل على هذه الصورة :

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ماوراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيل	الميثولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط في الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية اهمها كلها . وهي التي كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال . فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لا يزال الادباء يتحدونها و ينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فقد حوروها بما أخذوهُ عن اليونان والفرس وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر و بعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل — فنقدم الكلام في الاهم منها

اولاً ـ اللغة العربية

هي احدى اللغات الساميَّة — و يريدون باللغات السامية اللغات التي كان يتفاهم بها ابناء سام وهم في اصطلاحهم اهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام . اشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية ولم يبقَ حيًّا منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية ارقاها جميعاً

واللغات الساميةً اخوات لا يعرَف لهن ام وظن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة امهن كما ان اللغة اللاتينية ام اللغات الاسبانية والايطالية والبورتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعوَّل عليهِ ان هذه اللغات الساميةً اخوات انقرضت امهن قبل زمن التاريخ . وقد دعاها علماء اللغات « اللغة الارامية » نسبة الى آرام احد ابناء سام مما يطول الكلام فيهِ

تاريخ اللغة العربية

١ ـ ما هو تاريخ اللغة

البحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول اولاً النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانياً النظر في ماطرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط اصحابها بالامم الاخرى فاكتسبت من لغاتهم الفاظاً وتعبيرات جديدة كما يقتبس أهلها من عادات تلك الامم وأخلاقهم وآدابهم وما يوافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثاً النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبيٌ اذ لانجد حدًّا فاصلاً بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالاداب او اللغة او الشرائع أو غيرها باعتبار ما مرَّ بها من الاحوال في أثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيتهـا تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به الا عند انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير

البطيء وثباتٌ قوية تأتي دفعة واحدة فتغير الشؤون تغييراً ظاهراً وهو ما يعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف . او يكون سبب الاختلاط ظهور نبي أو متشرع او فيلسوف كبير او نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو امثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتحتك الافكار وتتمازج الطباع فتتنوع العادات والاخلاق والاديان والآداب — واللغة تابعة لكل ذلك بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير فتذخرها قروناً بعد زوال تلك العادات او الآداب أو الشرائع واذا تبدَّل شيء منها حفظت آثار تبديله

٢ ــ ماهي اللغة العربية

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارىء مثل سائر اللغات الحية وتقلبت على احوال شتى فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ودخلها كثير من الالفاظ الاعجمية في أعصر مختلفة قبل ان تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ وانما نستدل على ذلك من درس الفاظها ومقابلتها باخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن في صددها هي لغة الحجاز التي وصلت الينا . وكانت قبل الاسلام لغات عديدة تعرف بلغات القبائل وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور — وأقرب هذه اللغات شبهاً باللغة السامية الاصلية ابعدها عن الاختلاط . وبعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى كاهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصاً اهل مكة وبالاخص قريش فقد كانوا اهل تجارة وسفر شمالاً الى الشام والعراق ومصر وجنوباً الى بلاد اليمن وشرقاً الى خليج فارس وما وراءه وغرباً الى بلاد الحبشة

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الهنود والفرس والانباط واليمنية والاحباش والمصريون . غير الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى. فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له في اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالنهضة التي حدثت في القرنين الاول والثاني قبل

الاسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن — وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصاً أهل نجران فطلب اليهم اعتناق اليهودية فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً فاستنجد بعضهم الحبشة فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً واذلوا ملوكها أعواماً . ثم انف احد ملوكها ذو يزن فاستنجد الفرس على عهد كسرى انو شروان فانجده طمعاً بالفتح فاخرج الاحباش من اليمن بعد ان ملكوها ٧٢ سنة وكان في اثناء ذلك يترددون الى الحجاز وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس فجاؤا مكة بافيالهم ورجالهم ولم يفلحوا واهتم اهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى ارخوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا باهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا وكانوا يقدمون الى الحجاز واهل الحجاز يترددون اليهم

٣ ــ مادخلها من الالفاظ الاعجمية

غير ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت الفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبستهُ من التراكيب الغريبة ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبهاً في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا انه دخيل فيها . واكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير اوالادوات أو المصنوعات أو المعادن او نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس او الروم او الهند او غيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في اسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية واكثر هذا منقول عن العبرانية او الحبشية لان اليهود والاحباش من اهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس اكثر مما اقتبسوا من سواها ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم اصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمور السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرمك الجردق السميد السكباج الزيرباج

الاسفيذاج الطباهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البغرينج الجلاب السكنجبين الخلنجين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرفة النرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل» اه وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سترى

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

وأما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ولان الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لا نشك في انهم اقتبسوا كثيراً غيرها وخصوصاً ما يتعلق منها بالمصطلحات الدينية

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع او الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ » وقد شقهُ صاحب القاموس من « نبر » اي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه معرب « ومبر » في الحبشية اي كرسي أو مجلس او عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في القلب واظهار الايمان » وقد شقوه من « نفق » راج او رغب فيه وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » في الحبشية معناها الهرطقة او البدعة او الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشية بدخول النصرانية فيها

وكذلك لفظ « الحواري » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال في معنى الحواريّ « انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم او لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » والاظهر عندنا ان هذه اللفظة معرب حواري في الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره

من « بره » بمعنى القطع وان النون زائدة فيها وهي في الحبشية « برهان » أي النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أي اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيراً من امثاله كالمصحف فانه حبشي من « صحف » أي كتب والمصحف الكتاب . ناهيك باسماء الحيوانات أو النباتات أو نحوها فان « عنبسة » من اسماء الاسد عند العرب وهي الاسد بالحبشية

وقد اخذوا عن العبرانية كثيراً من الالفاظ الدينية كالحج والكاهن والعاشوراء وغيرها واكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان و يضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيراً من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود في اثناء الاسفار للتجارة أو الحج . لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر أو الشام أو المغرب كانت تمرُّ ببلاد العرب ويكون للعرب في حملها أو ترويجها شأن — وقد عثرنا في السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظاً عربية تغلب ان تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من امثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دوّنت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الاصل ايضاً وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من امثال ذلك

على اننا نرجح ان العرب اخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية واسماء السفن وادواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدُّونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلاً . كالمسك مثلاً فقد رأيت صاحب المزهر يعدُّه فارسيًا وهكذا يقول صاحب القاموس . وهو بالحقيقة سنسكريتي ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هنديٌّ على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا ان القرنفل فارسيٌّ

والغالب عندنا انهُ سنسكريتي لان اصله من الهند وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع بيَّنا فيهِ القاعدة في تعيين اصول الالفاظ الاعجمية وأوردنا كثيراً من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحبشية وأئمة اللغة يعدونها عربية . وفصل آخر في ما لحق اللغة العربية من التغيير في الفاظها بمقابلتها باخواتها (١)

٤ ـ كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام

ليس ما قدمناه اواشرنا اليهِ من تاريخ تكوُّن اللغة العربية وترقيها الا فذلكة مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطاع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام اذ ليس لدينا أمثلة مدوَّنة يرجع اليها أو يقاس عليها غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشاً على قبر امرئ القيس وهو لا يشفي غليلاً . ولو ان اشعار ايوب كانت مدوَّنة كما دوّنت الياذة هوميروس مثلاً لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير . كما فعل اليونان في بيان الفروق بين لغة الالياذة ولغات ما دوّن بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام وما تقلبت عليهِ من تبديل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية وما أخذته من كل لغة حسب الاطوار التي مرَّت عليها (٢) وكما يفعل فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى اصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية

ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم فقد عرفناها عند ظهور الاسلام ناضجة وقدتفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل فدوَّن المسلمون احدى تلك اللغات مع امثلة من سائر اللغات على ماسنبينهُ

٥ ـ البلاد التي كان اهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخارطة اليوم رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربي البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٨ — ١٩

(٢) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٠ — ٦٢

وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من اواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وغيرها . غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية وهم المسلمون في اكثر انحاء المعمور في فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الاسلام في القارات الخمس

أما قبل الاسلام فقدكانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة (بين النهرين) وفي جزيرة سينا وقليل بعدها في صحراء مصر الشرقية (١)

و يعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد كما يعسر تقديره اليوم لاعتماد اولئك الاقوام على الرحلة والتنقل في البوادي ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين اكثرهم من اهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وافخاذاً وبطوناً في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق . يندر فيهم المتحضرون سكان المدن اذ لم يكن يومئذٍ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز وصنعاء في اليمن و بعض المزارات في اواسط الجزيرة و بعض الفرض على الشواطئ

فالمعوَّل في احصاء العرب على اهل البادية وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالباً في بقعة من بقاع الجزيرة مالم يطرأعليها طارئ يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى كما أصاب قبائل عدنان في القرون الاولى قبيل الميلاد و بعده . اذكانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد . وكانت القبائل القحطانية في اليمن ثم انتشرت في سائرجزيرة العرب. ولكل انتقال سبب طبيعي او سياسي او غير ذلك مما يطول شرحه وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية اكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية كما تجد ذلك مبيناً في الخريطة و بالقياس على مانشاهده اليوم من تعدد لغات (او لهجات) المتكلمين بالعربية

(١) راجع خارطة جزيرة العرب في صفحة ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١

في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظاً وتركيباً مع ان الاصل واحد فيها جميعاً (لغة مضر) نعتقد ان لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب. فلغات اواسط جزيرة العرب وان بعدت الشقة بينها كانت لغاتها اكثر تقارباً مما بينها وبين لغات اهل الشواطيء لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطيء خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم او عند مشارف الشام لاختلاطهم باهل المدن من السريان او الروم أو الانباط في الشام والعراق. ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة لاحظوا هذه الاعتبارات التماساً لاختيار احسن اللغات وابعدها عن العجمة

٦ – فروع اللغة العربية

واذا امعنت النظر في الخارطة رأيت اكثر سكان اواسط جزيرة العرب من قبائل مضر واعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد وشماليها. وغطفان (عبس وذبيان) وسليم وغيرهما في نجد وارقاها قريش في مكة وكان من القبائل القحطانية هناك طي في نجد ومذحج في اطراف الحجاز. واكثر سكانها في الشمال من ربيعة ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصولها ومساكنها وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد اي بين جنوب الجزيرة وشمالها. واحسن مثال للغات الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية والفرق بين اللغتين كبير. والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين «المسند». ولمن اقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن. وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعرف به — وهي:

المسند لغة حمير في اليمن
الزبور « حضرموت وبعض اليمن
الرشق « عدن والجند

الحويل لغة مهرة والشحر
الزقزقة « الاشعريين

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربي ولكن اكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك

اما لغات اهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون فترجع الى اصل واحد يسمونه «المبين» وهو الباقي الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر الالسنة وانتشر مع المسلمين في الارض

اللسان المبين

فاللسان المبين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل عديدة كما رأيت وبينها فروق في معاني الالفاظ ونطقها وفي اساليب التركيب. ولكن الاسلام ذهب بها جميعاً الا لغة قريش (لغة القرآن) وما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى ولم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا امثلة ذكرها علماء اللغة عرضاً من باب العيوب. واكثرها في قبائل ربيعة مثال ذلك انهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شيناً فيقولون عليكش وبكش بدل عليك وبك. وجاء في بعض الكتب انهم يبدلون الكاف شيناً فيقول عليش بدل عليك. وهي في الحالين غير الشين التي يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بني تميم كانوا يلفظون الهمزة اذا وقعت في المبدأ عيناً فيقولون في «أسلم» «عسلم» ويسمونها العنعنة وكان الهذيليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عيناً ويسمونها العحعحة. ومنها الجعجعة في قضاعة وهي ان يجعلوا الياء المشددة جيناً فيقولون في تميمي تميمج. والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهي ان يقولوا انطى بدل اعطى. وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف في لغة تميم لعله كالكاف الفارسية. وذكر صاحب المزهر امثلة كثيرة من هذه العيوب [1]

ومن اللغات الشاذة التي تفيدنا في الرجوع الى اصل اللغة العربية استعمال الذال للموصول بدل «الذي» فان بعض العرب (طي) يقولون «فلان ذو سمعت به»

(١) المزهر ١٠٩ ج ١

اي الذي سمعت به وهو تركيب ارامي او بابلي من بقايا القرابة بين العرب والحورابيين ومن هذا القبيل كسر اول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام فانه كان عاماً في قبائل العرب الاّ في قريش واسد [1] فلغات القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام مدة ثم أخذت تنقرض بالتدريج وحلت لغة قريش محلها — ليس في جزيرة فقط بل في كل بلد دخله الاسلام

على ان ما يعده ائمة اللغة عيوباً في لغات هذه القبائل انما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التي اختاروها ليس بالنظر الى اللغة نفسها . فان استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيباً الا لانه يخالف المألوف في لغة قريش ولو الفوه لفضلوه على الذي . وفي كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل احسن ما فيها بالنظر الى اذواقهم ومألوفهم . واكثر ما اخذوه من قيس وتميم واسد وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها

مميزات اللغة العربية وخصائصها

للغة العربية كما وصلت الينا خصائص تميزها عن سواها وتدل على مبلغ عقول صحابها من الرقي وان كانوا بادية راحلين وهذه مميزاتها :

١ — الاعراب

نعني بالاعراب تغيير اواخر الكلم بتغيير العوامل عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الان تعد بالعشرات ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث وهي العربية وابنتها الحبشية واللغة الالمانية . والظاهر ان الاعراب من خصائص التمدن القديم لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معرباً — كذلك كانت اللغات البابلية (الاشورية) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التي

(١) المزهر ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

تخلفت عن اللاتينية في اوربا وعن السنسكريتية في الهند وايران غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربيـة نعني لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة . كان الاعراب اذا ترك لمجاري الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلاً وانما يعيش في البادية او نحوها من احوال الخشونة او القوة — الا اذا اراد اصحابه تقييد لغتهم بالقواعد كما فعل العرب والالمان . على ان اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على السنة العامة فذهب الاعراب منها

ومما يحسن استطراده ان اللغات الساميَّة القديمة على كثرتها اختص منها بالاعراب لغة بابل (الاشورية) واللغة العربية ويؤخذ ذلك من الادلة على وحدة اصل العرب والحورابيين وان الامتين كانتا امة واحدة يتكلمون لساناً واحداً معرباً فتحضر الحورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلما تمدن الحورابيون واركنوا الى الرخاء ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة . كما اصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم فنشأ من بقايا البابليين امة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأ من العرب اقوام لا يعربون كلامهم وهم عامة الشام ومصر وغيرهما من بلاد العرب وكان اجدادهم في البادية يعربونه

٢ — دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بالفاظها وتراكيبها . اما الالفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص حتى اشباه المعاني او فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في ما تقدم . ومن أمثلة دقة التعبير فيها وجود الالفاظ لتأدية فروع المعاني أو جزئياتها فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . فالساعة الاولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب . و يقال فيها ايضاً البكور ثم الشروق فالاشراق فالرأد فالضحى فالمتوع فالهاجرة فالاصيل فالعصر فالطفل فالحدور فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالي القمر . وتجد للمعنى الواحد عدة الفاظ يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . فللشعر مثلا اسماء عديدة حسب منبته

كالفروة لشعر معظم الرأس والناصية لشعر مقدم الرأس والذوابة شعر موْخر الرأس والفرع شعر رأس المرأة والغديرة شعر ذوًابتها والدبب شعر وجهها الى غير ذلك. وهو كثير. وقس عليه اسماء المعائب فمن معائب العين الحوص والخوص والشتر والقمش والكمش والغطش والجهر. ولكل منها معنى خاص مما لامثيل له في ارقى لغات البشر قديماً ولا حديثاً

واعتبر ذلك في تفرع معاني الافعال كتفرع فعل النظر الى رمق ولمح وحدج وشفن وتوضح ورنا واستكف واستشف. ومثلها فروع أفعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك. وفي المخصص وفقه اللغة الوف من هذه الامثلة ولا خلاف في ان ذلك من أدلة الارتقاء. ناهيك بالمترادفات في الاوصاف وهي أكثر من أن تحصى. ولعل العربية أغنى اللغات في الالفاظ المعبرة عن المعاني المجردة وأعمال العواطف. ففيها لانواع الحب نحو عشرة الفاظ ومثلها للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيدات الافعال فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معان لايعبر عنها في اللغات الاخرى الا بعدة الفاظ كقولنا تقاتلوا وتقاضوا وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ — الاعجاز والايجاز

لكل قوم أعجاز في لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه والفوه ومنه في القرآن والحديث والامثال وكتب الفقه والشرع والادب أمثلة كثيرة. ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر أساليب البديع فانها في العربية أرقى مما في سواها لانها لغة شعرية كثيرة الكنايات والاشارات يسهل فيها التعمية والالغاز. ولذلك رأيت في أخبار أهل البادية أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة. كقول جاسوس منهم وقع في أيدي الاعداء فحبسوه وألزموه أن يكتب كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وعددهم غشاً وتغريراً. فكتب الى الملك كتاباً قال فيه: « أما بعد فقد أحطت علماً بالقوم وأصبحت مستريحا من السعي في تعريف أحوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة باذن الله. ولقد رأيت من أحوال القوم مايطيب به قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى العدوّ فارسلوه الى الملك بعد ما اطلعوا عليه. فتفطن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته « ان الجاسوس وقع فى الاسر فأصبح مستريحاً من السعي وانه رآهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » ولمتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي. وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كلهم عدو كبير عد فتحصن »

٤ — المترادفات والاضداد

في كل لغة مرادفات أي عدة ألفاظ للمعنى الواحد ولكن العرب فاقوا بها سائر امم الارض. ففيها للسنة ٢٤ اسماً وللنور ٢١ اسماً وللظلام ٥٢ اسماً وللشمس ٢٩ اسماً وللسحاب ٥٠ وللمطر ٦٤ وللبئر ٨٨ اسماً وللماء ١٧٠ اسماً وللبن ١٣ اسماً وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللاسد ٣٥٠ اسماً وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل. أما الناقة فاسماؤها ٢٥٥ اسما. وقس على ذلك اسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب واسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرهما. ناهيك بمترادف الصفات فعندهم للطويل ٩١ لفظاً وللقصير ١٦٠ لفظاً ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه

وأسباب كثرة المترادفات في العربية عديدة منها أن كثيراً من أسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت أسماء و بعضها مأخوذ عن لغة اخرى. فمن اسماء الاسد مثلاً الحطّام والخطّار والاصيد والشديد والراهب والمرهوب والمهوب والاغلب والاصهب والمجرب والباسل والميّاس ونحوها وهي نعوت لطبائع الاسد وظواهره. ومن اسمائه عنبسة وهو اسمه بالحبشية. وقد يكون السبب في زيادة المترادفات استعارة اسماء حيوانات اخرى للدلالة على هذا الحيوان يتكنون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد فان فيها مئات من الالفاظ يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش

والري و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار والاستغناء ·

٥ ـ المعاني الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضاً دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة فمن الفاظها نيف ومئتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان . ونيف ومئة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ومثلها التي تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم والفن والطيس . ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى واللفظ « العين » ٣٥ معنى واللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ ـ السجع وغيره من اسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعاني للفظ الواحد جعلتها واسعة التعبير وسهلت على اصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعاً في الجاهلية بلغة الكهان على اساليب يستقبحها اهل اللغة لغرابة الفاظها وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار اصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ومهمل ومنقط او مشترك . وقد علمنا ان بعضهم كتب تفسير القرآن بالفاظ ليس فيها حرف منقط . وهناك تراكيب يشترط فيها اذا قرأها الالثغ لاتظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء وكان اذا قال شعراً لم يورد فيه حرف الراء على الاطلاق [1] وذلك لايتيسر في اللغات الافرنجية وقد جرب بعضهم كتابة اسطر بالالمانية بدون راء (r) فلم يستطع ذلك الا بعد شق النفس

٧ ـ حكاية الاصوات

من خصائص اللغة العربية ان لالفاظها وقعاً على الاذن يكون له تأثير موسيقي يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيراً خاصاً سواء كان نثراً أو نظماً . من امثلة الوقع الشديد وصف الاسد لابي زبيد الطائي بين يدي عثمان بن عفان فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في واد « فضرب بيده فارهج وكشر فافرج

(١) البيان والتبين ١١ ج ١

عن انياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم اشدق كالغار الاخرق . ثم تمطى فاسرع يديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم اقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا وذو[1] بيته في السماء ما اتقيناه الابأخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض متنيه فجعل يلغ في دمه . فذمرت لاصحابي فبعد ما استقدموا فهجهجنا به فكرّ مقشعراً كان به شيهماً حوليًا فاختلج رجلاً اعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله . ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه فارعشت الايدي واصطكت الارجل واطتّ الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون ... »

فصاح به عثمان « اسكت قطع الله لسانك فقد ارعبت قلوب المسلمين »

وحكايات الاصوات موجودة في سائر اللغات



(١) « ذو » يعني « الذي » في لغة طي والرجل منهم

ثانياً – الامثال

الامثال من آداب العرب الهامة لانها تجري على السنتهم مجرى الشعر. وهي عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد « الامثال من حكمة العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه »(١) والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول ابي ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم امسى يثيرها (٢)

و بعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كارجوزة ابي العتاهية التي سماها ذات الامثال (٣) ولا تخلو امة من الامثال المتوارثة في الاعقاب لكن العرب يمتازون بامثالهم المبنية على الحوادث . لان الامثال عندهم نوعان :

١ : امثال حكمية كقولهم الجار قبل الدار والحرب خدعة والخطأ زاد العجول والعتاب قبل العقاب ونحوها مما يتناقله الناس في الاعقاب وترويها الامم بعضها عن بعض . واقدم مجموع لها امثال سليمان واكثر الامم اخذت عنها وهي عند العرب مقتبسة من التوراة وامثال الهند والفرس والروم فضلاً عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم كاكثم بن صيفي وغيره وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان . وهو من قدماء الحكماء يشبه شاعراً حكيماً بنحو هذا الاسم عند اليونان (Alcman) من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو اقدم من نظم الشعر الغنائي عندهم

٢ : الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم لان الحوادث جرت لهم كقولهم وافق شنٌّ طبقة وقطعت جهيزة قول كل خطيب و بالصيف ضيعت اللبن وسبق السيف العزل وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائليها وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما رووا في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (٥) فذكروا في اثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلاً منها قول قصير « رأي فاتر

(١) المزهر ٢٣٤ ج ١ (٢) الاغاني ٦٣ ج ٦
(٣) الاغاني ١٤٣ ج ٣ (٤) ابن الاثير ١٤٩ جزء ١

وعدو حاضر » وقوله « رأيك في الكن لا في الضح » و« ما ضلّ من تجري به العصا » وقول الزباء « لامر ما جدع قصير انفه » و« بيدي لا بيد عمرو » ونحو ذلك وهذه الامثال واشباهها كثيرة في اقوال الجاهلية

كتب الامثال

وقد عني العرب في جمع الامثال لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق الفاظ اللغة — ذكر ابن النديم ان عبيد بن شرية من اهل اليمن الف كتاباً في الامثال في خمسين ورقة باواخر القرن الاول للهجرة وهو اول من فعل ذلك وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة في ابان التمدن الاسلامي بجمع امثال العرب منهم صحار العبدي كان معاصراً لابن شرية (١) ويونس النحوي المتوفى سنة ١٨٢ ﻫ وابو عبيدة سنة ٢١١ ﻫ وثعلب سنة ٢٩١ ﻫ وابو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ والمفضل الضبي وابو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثيرون واضافوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . واهم هذه الكتب الباقية الى الآن كتاب المستقصى للزمخشري (توفي سنة ٥٣٨ ﻫ) ومجمع الامثال للميداني (توفي سنة ٥١٨ ﻫ) . وفي مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتاباً في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد ان اضاف اليه امثال المولدين . وهو اجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مراراً بمصر والشام وغيرهما . اما المستقصى للزمخشري فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن وفينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالاستانة والمكتبة الخديوية بمصر

اما كتب الامثال الاصلية التي اخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل اهمها كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وامثال العرب للضبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ ﻫ وجمهرة الامثال لابي هلال العسكري طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ ﻫ وأمثال لقمان طبعت مراراً في اوربا ومصر منها طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنساوية . وتجد كثيراً من امثال العرب في كتب الامالي وكتب اللغة وكتب الادب ونحوها

(٢) الفهرست ٩٠

ثالثاً – الشعر في العصر الجاهلي

١ – ما هو الشعر

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الاداب الرفيعة وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة — فالحفر يصورها بارزة والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان . والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . فهو لغة النفس او هو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر — هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني وهي تعبر عنه بالانغام والالحان وكلاهما في الاصل شيء واحد

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ وهو تعريف النظم لا الشعر وبينهما فرق كبير اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم وقد يكون ناظماً وليس في نظمه شعر — وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعاً في النفس فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر . ويجوز سبكه في النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة اخرى في تعريف الشعر فقال « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على اساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ويشترط ايضاً استقلال كل بيت منها بغرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر وذلك كثير في كلامهم والحكم فيه للذوق . ومن اصعب الامور ان نعرّف الشعر ونجعل له حدوداً جامعة مانعة كما نعرف الصرف أو النحو او الفلك او غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولاً فيه خيال شعري تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له وقد يكون ذلك القول نثراً وانما أطربك ما فيه من اساليب الكناية او الاستعارة . فاذا سبكته في قالب شعري زاد رونقا وطلاوة فاذا غنيته على

توقيع الالحان زدت طرباً به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقي في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثراً يصف به ذهوله بالحب فيقول « اذا جئت دار الحبيب ليلاً لحاجة لي التمسها فلا ادخل الدار حتى انسى ماجئت له » فهذا معنى شعري غزلي ترتاح اليه النفس لكن ارتياحها يكون اكثر اذا نظم ذلك المعنى شعراً كقول المجنون :

فيا ليلي كم من حاجة لي مهمة اذا جئتكم بالليل لاادري ما هيا

ويكون وقعه في النفس اشد اذا غني على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من اقوال العرب التي نعدُّها من قبيل الامثال أو الحكم المأثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء باصغريه لا ببرديه . وعاد الامر الى نصابه . وصاحت عصافير بطنه ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية . وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر فقد قال بعضهم « الشعر كلام واجوده اشعره » [1] ولم يقيده بالوزن ولا القافية وقال آخر « الشعر شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا » [2]

٢ – انواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغراض وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من انواع الشعر يسمونه الشعر الغنائي او الموسيقي لان مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة انواع ١ الشعر القصصي (Epique) ٢ الشعر الغنائي (Lyrique) ٣ الشعر التمثيلي (Dramatique)

الشعر القصصي

فالشعر القصصي اقدمها وهو عبارة عن سرد الوقائع او الحوادث في الشعر (موزون أوغير موزون) على سبيل القصة واكثرها دينية وابطالها الالهة ومعظم حوادثها

(١) الاغاني ١٢٤ ج ١٨ و٦٠ ج ٢١
(٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢

عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته اقدم آدابها واقدمه الديني المتعلق بالالهة واعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان ومهابهارتة الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد والنبوات فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقي . لان الشعر القصصي نادر في اشعار الساميين على الاجمال الا السريان فان القديس افرام نظم شيئاً منه ولعله اقتبسه من اليونان (١)

اما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الديني لانه لم يكن عندهم في الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ولا بد من انهم نظموا الاشعار خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها واستعطفوها وصلوا اليها وتخشعوا لها ولكن منظوماتهم في هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام اغفى الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يمحو ما كان قبله ــ كما ابادوا مكاتب الفرس ومصر وكما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر . فاكتفوا بتدوين اشعار الحماسة والفخر ولكن بقي من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضاً في تراجم بعض الشعراء كامية ابن ابي الصلت وغيره

الشعر الغنائي

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصي وفيه اخبار الهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر. ثم قالوا الشعر الموسيقي وقد نضج عندهم نحو القرن الخامس قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب بها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وعقب ذلك التنازع بين الاسبارطيين والمسينيين و بين يونان اسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب فجاش في صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل كما اصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سلطة الحميريين ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب في القرون الاولى قبل الاسلام فانها انطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجيء

(١) Lit. Syr. 20

فاصبح اليونان من القرن الخامس قبل الميلاد اهل دولة وتمدن ورخاء فصاروا في حاجة الى شعراء يحرضونهم على الثبات في الحرب او يمدحون بسالتهم ويطرون اعمالهم ويصفون حضارتهم فظهر الشعر الغنائي او الموسيقي وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعي ان الظفر يبعث على المدح والموت يولد الرثاء والحب يستدعي النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبراؤهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب في ابان دولتهم فكثر الشعراء الغنائيون عندهم واستاذهم بندار . وشاع الشعر الغنائي فيهم فاشتغلوا به عن الشعر القصصي ــ كانهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلي

ثم رأوا الكلام وحده لا يكفي لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدي سردها او تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلاً من ان يمدح شاعرهم الشجاعة مثلاً ويحببها الى الابطال ببلاغة البيان الشعري عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة يمثلونها على مشهد من الناس لتكون اوقع في النفس واثبت في الذهن وسموا هذا النوع من الشعر الشعر التمثيلي (Dram)

ويراد بالشعر التمثيلي في اصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمي الى الموعظة او الحكمة سواء مثلت على المرسح او لم تمثل (١) وفي الشعر القصصي شيء منه لان الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن الشعراء بدأوا في نظمهم اولاً بالشعر الخيالي التصويري المحض اذهاج شاعريتهم التخشع للالهة وكانوا يغنونه لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع الالحان فتصوروا الوزن من حركات الرقص ــ وذلك اصل النظم عندهم . وكان اول منظوماتهم اقاصيص الالهة واعمالهم ثم تدرجوا الى وصف الواقع فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا الى تمثيل الفضائل على المراسح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلي

(١) Enc. Brit. XIX 263، Lit. Anc. 56

٣ — هل عند العرب شعر تمثيلي ؟

قد رأيت ان الشعر التمثيلي او الدرام هو الوجهة العملية من الشعر اي يراد بها تمثيل الفضائل او المناقب للعين . والعرب مثل سائر الساميين اكثر ميلاً الى الخيال والتصور فلم يلتفتوا الى التمثيل او على الاقل لم نعثر بين ما وصلنا من آدابهم قبل الاسلام على شيء من الشعر التمثيلي على سبيل المحاورة او التمثيل كما هو الحال عند اليونان او من اخذ عنهم — فهل كان عندهم وفقد ؟

اذا امعنا النظر في ما خلفه العرب من اخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو من التمثيل باعم معانيه وان لم يكن شعراً مجرداً بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقد وصل الينا في قالب القصص والحقائق التاريخية لكن اكثرها في نظرنا موضوع او كان له اصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون عبرة او قدوة في الموقف المطلوب . وا كثر تلك القصص (او الروايات التمثيلية) ترمي الى تمثيل الفضائل البدوية التي يقدسها العرب كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلاً يحببها الى الناس ويرغبهم فيها وجعلوا ابطالها رجالاً من مشاهيرهم في تلك المناقب

فقصة حاتم الطائي التي ذبح بها فرسه لضيفه وابناؤه جياع اقرب ان تكون موضوعة او مبالغاً فيها للتحريض على السخاء . وقصة السموأل التي قتل فيها ابنه ولم يسلم بالامانة المودعة عنده موضوعة او موسع بها لتمثيل الوفاء . واخبار العذريين في العفة اكثرها موضوع لترغيب الناس في العفة . وقد اجمع الرواة تقريباً على ان اخبار مجنون ليلى موضوعة ويراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب وهي تشبه من هذا القبيل رواية روميو وجوليت لشكسبير . وقس على ذلك اكثر ما يروونه من هذا النوع مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر وهم يروونها عن عبيد بن الابرص ايضاً كأن المراد المغزى وهو الترغيب في الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى اشخاص معروفين في التاريخ لا يطعن في ان المراد بها التمثيل وهذه قصة عنترة فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته واضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة والفروسية

اما السريانيون فالدرام غير اصلي في آدابهم وانما اتخذوه من جملة آدابهم

الدينية من اليونان وكانت منظوماتهم في اول امرها بغير قافية ثم قفوها بعد الاسلام فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب

وبالجملة ان الشعر العربي اكثره من الشعر الغنائي وهو ارق في العربية مما في سائر اللغات وليس في الدنيا امة تضاهي العرب في كثرة الشعر والشعراء

اقدم منظومات العالم

المشهور ان الياذة هوميروس اقدم كتاب شعري لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهي نحو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك الزمن او قبله احدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر الموسيقي ويقال انه نظم نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وزبور داود نظم نحو القرن العاشر ولعله عاصر صاحب الالياذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقي الى عهد رعمسيس الثاني نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر ايوب اقدم من ذلك ببضعة قرون فاذا صح انه عربي الاصل كان اقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربي الاصل

٤ — كيف بدأ العرب بنظمون الشعر

الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من اصل واحد عند جميع الامم والشعر وضع اولاً للتغني به وانشاده للآلهة او الملوك ولذلك فاليونان والرومان يقولون حتى الآن « غنى شعراً » وليس نظم شعراً او صنع شعراً والعرب يقولون « انشد شعراً » او انشد الشعر الفلاني اي غناه .وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشاداً ولعل العرب كانوا كذلك في اقدم احوالهم فنبغ منهم جماعة يفنون شعرهم كما فعل الاعشى قبيل الاسلام فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ولذلك سموه صناجة العرب . وما زال ذلك شأنهم بعد الاسلام فان الشاعر اذا جاء الخليفة او الامير بقصيدة انشدها في حضرته وهو قائم فاذا لم يكن صوته رخيماً او مسموعاً اقتنى غلاماً رخيم الصوت ينشد اشعاره . وللانشاد لحن مطرب وكان الرشيد يطرب للانشاد اكثر مما للغناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء المغنين كالدارمي والحطيئة واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب انهم بدأوا اولاً بالسجع بلا وزن نحو ما وصل الينا من سجع الكهان وربما كان الكهان يغنونه توقيعاً على القافية . ومن امثلة سجعهم قولهم في الانواء « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع البطين اقتضى الدين وظهر الزين واقتفى بالعطار والقين . اذا طلع النجم يعني الثريا فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران واستغرب الزيان ويبست الغدران ورمت بانفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقاعة ورجعوا عن النجعة واردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشعلت في الافق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . » وهي طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون اي يتذاكرون بالسجع ولعلهم وضعوا السجع اولاً لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما في المثل المتقدم ذكره

اما النظم اي القياس الشعري بالمقاطع وهو الوزن فابسطه الرجز وهو اقدم اوزان الشعر كل بيت منه منفرد بقافية خاصة وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم يزعم العرب ان اول من قاله مضر بن نزار اذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من احسن خلق الله صوتاً فاصغت الابل اليه وجدّت في السير فجعلت العرب مثالاً لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الابل . وقال آخرون ان الاصل في وضع الشعر للغناء قالوا «وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحائها الاجواد لتهز نفوسها الى الكرم وتدل ابناءها على حسن الشيم فتوهموا اعاريض فعملوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم شعروا به أي فطنوا له »

اصل وزن الشعر

والغالب في اعتقادنا ان الوزن مأخوذ في الاصل من توقيع سير الجمال في الصحراء وتمطيه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك ان الرجز اول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء في اصطلاحهم وكانه وضع لهذا الغرض لان العربي يقضي اكثر اوقاته في معاشرة جمله اوناقته . وعندهم ضربان من الرجز المشطور والمنهوك والمشطور هذا وزنه :

دع المطايا تنسم الجنوبا   ان لها لنبأً عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا   يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيباً   يسرُّ مما اعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا   اذا لآثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماماً . فكان العرب يحدونها به اذا ارادوا سيرها وئيداً . وربما كان شاعرهم عاشقاً فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته فيحدوها بابيات على وزن الرجز . كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان بن الحكم فطلب اليه مروان ان يسوق الجمال اي يحدوها فقال :

بابثن حيي اوعدينا او صلي   وهوّني الامر فزوري واعجلي
بثين اياً ما اردت فافعلي   اني لآتي ما اشأت مقتلي

فلم يقبل مروان منه ان يتغزل بالحدو وانما يطلب الخلفاء والامراء اذا ركبوا الابل ان يحدوها الحادي برجز في مدحهم . خرج عبد الملك يوماً راكباً على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر الذي اراكا   عليك سهل الارض في ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا   ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذي امتطاكا   لم يعل بكراً مثل ما علاكا

أما اذا اراد الحادي ان تسرع الجمال في السير حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنهُ :

اعطيتهُ ما سألا   حكمته لو عدلا
قلبي به في شغل   لاملَّ ذاك الشغلا
قيدهُ الحب كما   قيد راع جملا (١)

واعتبر ذلك في بحر الخبب من الشعر فانه يوافق في توقيعه خبب الفرس اي ركضه وهذا وزنه :

ابكيت على طلل طرباً   فشجاك واحزنك الطللُ

(١) العقد الفريد ١٦١ ج ٣

اوزان الشعر

ثم وضعوا الاوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الاحوال بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الفخر وآخر للغزل . فالبحر الطويل يوافق لنظم الشعر الحماسي والوافر للفخر والرمل للحزن أو الفرح والسريع لتمثيل العواطف (١) وقس على ذلك

فالرجز اقدم ابحر الشعر وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو فاخر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال ان أول من اطاله الاغلب العجلي على عهد النبي ثم روئبة بن العجاج وتمننوا في بحر الرجز فتعددت واخترعوا ابحراً غيرها وصاروا ينظمون الاراجيز الطوال ويريدون بها ما زادت اياتها على عشرة

أما غير الرجز من ابحر الشعر فكانوا أولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة . حتى اذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء وظهر فيها الابطال والفرسان احتاجوا الى الشعر فاطالوا فيه وهي القصائد واول من اطالها المهلهل اخو كليب وأول قصيدة قالها في قتل اخيه المذكور فهو لم يفعل ذلك الا بعد ان حركه طلب الثأر وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتاً من الشعر . واقتدى به سواه ثم كان للنظم تاريخ بعد الاسلام

الالحان

ولما وضعوا الاوزان صار الغناء عندهم الحاناً معينة فجعلوا لكل غناء أو لحن وزناً مخصوصاً فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . فالنصب غناء الركبان والقتيان ويقال له الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من اصل الطويل في العروض . والسناد هو الغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو الغناء الخفيف الذي يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (٢) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل لحن بوزن (٣)

(١) الالياذة العربية ٩٠ (٢) العمدة ٢٤١ ج ٢
(٣) الاغاني ١٠٥ ج ١

٥ — شاعرية العرب

تلك كانت بداية النظم عند العرب على ما نظن . وكان ذلك طبعاً في زمن بعيد لا يدرك اوله التاريخ ومهما يكن من سبب النظم فان العرب اقوى الامم شاعرية واقدرهم على النظم في الشعر الموسيقي بلا خلاف — يدلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ولذلك اسباب طبيعية اهمها :

اولا : ان العربي من فطرته ذو نفس حساسة وشعور راق واريحية وانفة سريع الطرب سريع الغضب فيه بديهة وارتجال . ومن كان هذا شأنه لا يلبث ان يجيش صدره بمعنى حتى يلفظهُ لسانه . ولذلك كان اكثر شعرهم غنائياً او موسيقيا يعبرون به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن احد اربعة فواعل : الرغبة والرهبة والطرب والغاب

ثانياً : ان لغتهم شعرية لما فيها من اساليب الكناية او الاستعارة ودقة التعبير وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية . فالعربي من انطق الامم ولغته اوسع اللغات ولفظها ادل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم . وللغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على ابناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحساسة ودقة الشعور والشاعرية فان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر — فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً في معظم بلاد العرب الا مهرة وعمان لان معداً لم ينزل احد منهم هناك . فظهر الشعراء قبل الاسلام في كل جزيرة العرب الا هذين البلدين . ويؤيد ذلك ان الشاعرية انتشرت بين المتكلمين بهذه اللغة وان لم يكونوا عرباً حتى اليهود والعبيد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية في الاقطار فنبغ فيها شعراء اصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم — وذلك من تأثير اللسان

ثالثاً : صفاء جوهم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة فان اهل الجو الصافي تكون اذهانهم صافية وخصوصاً اذا كانوا اهل خيال وتصور مثل العرب فيزيدهم الصفاء شاعرية ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة احوال الطبيعة كما كان

العرب في بداوتهم — غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب في ايامهم وغيرها كما سنفصله في ما يلي

٦ — نهضة الشعر في الجاهلية وأسبابها

اسباب النهضة بوجه عام

قضى العرب اجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل الينا خبره وانما وصل الينا بعض ما نظموه في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام. والنهضة في الشعر او الادب او العلم تحدث على اثر انقلاب سياسي من فتح او حرب او نصر. او تغيير اجتماعي على أثر نكبة او نازلة اوكل ما يثير العواطف. وهي قاعدة تشمل طبائع البشر في كل زمان ومكان. فالهنود القدماء لم ينظموا اناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع في اثناء نزولهم الهند قبل الميلاد باجيال. واليونان ما زالوا على الشعر القصصي وشعراؤهم قليلون حتى قامت الفتن بينهم وتحاربوا ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الموسيقيون. وظلَّ الرومان بعد تأسيس دولتهم ٢٤٠ سنة في جمود ادبي لم يظهر فيهم شاعر حتى كانت الحروب الفونية مع القرطاجيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر. وقضت امم اوربا اجيالاً في القرون الوسطى وقرائحهم خامدة فلما خرجوا للحروب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم في الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتي وغيرهما. وترى اشعار الامة في نهضتها صورة من صور احوالها على أثر ذلك الانقلاب. فان كانت هي الظافرة فيه كثر شعرها الحماسي والفخري واذا كانت المغلوبة كان شعرها اكثره في الرثاء كما فعل اليهود بعد اسرهم في بابل بمراثي ارمياء وغيره. والشعر يوجبهُ الحب والحرب والموت

استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم في نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شؤون سائر الامم. ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا

نظمهم كانوا يجيدون وهم تحت سيطرة الحمير بين ملوك اليمن يخدمونهم في نقل تجارتهم اورعي ماشيتهم. وكانت دولة اليمن تستأجرهم في حروبها كما يفعل اهل المدن اليوم بأهل البادية. وكانوا يؤدون لها الاتاوة (الخراج) وقد رسخ في اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من اسباب الحضارة فاصبحوا بتوالي الاجيال يعدون الاذعان لها فرضاً. فلما رأوا ما اصابها في حروبها مع الحبشة في اواسط القرن الرابع للميلاد اذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ [١] تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم فأخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة واحسوا بالحاجة الى الاتحاد

واول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة على يد فارسها كليب الشجاع المشهور وكان معاصراً لزهير بن جناب الذي ولاه صاحب اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة. وكان زهير يتقاضى الاتاوة او الخراج منهم في مقابل النجعة والكلأ والمرعى وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة. فاصابهم في اثناء امارته ضيق واحلت ارضهم فتأخروا عن الدفع فجاءهم زهير والح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وابانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم. ومنعهم النجعة والمرعى او يؤدوا ماعليهم فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك. وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم — فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله فدسوا رجلاً منهم اسمه زيابة من بني تيم الله وكان فاتكاً واوعزوا اليه ان يقتل زهيراً غدراً ولم يقدموا على مناواته جهاراً لئلا يستنجد جنده. فاتاه زيابة وهو نائم وطعنه ورجع الى قومه واخبرهم انه قتله والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلاً. وعلم هذا انه سالم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه. فلما انصرف زيابة اوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ويستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه فلما اذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم. فجمع زهير الجموع وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غلس الليـ ... ـل زهيراً وقد توافى الخصوم
حـين يحمي له المواسم بكر ... ابن بكر وابن منهـا الحلوم

(١) العرب قبل الاسلام ١٢٧ ج ١

خانني السيف اذ طعنت زهيراً وهو سيف مضلل مشؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من اهل اليمن وغزا بكراً وتغلب وقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها ثم انهزمت واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة واخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب واسر جماعة من وجوههم وفرسانهم

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلهل وخرجوا على زهير وانقذوا الاسيرين منه . ودالت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة او الخراج على بني معد جميعاً

وفي اواخر القرن الخامس توفي ربيعة امير ربيعة فخلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن ضغائن لما قاساه في اسرهم فجمع معدًّا تحت لوائه اي ربيعة وقضاعة ومضر واياد ونزار وحاربوا اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز وهزموهم واستقلوا من سيطرتهم . ولم يدفعوا اليهم اتاوة او خراجاً من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسلطة اليمن

حروبهم فيما بينهم

فاستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلابٌ سياسيٌّ هاج شاعريتهم وايقظ مافطروا عليهِ من عزة النفس واباءة الضيم فاخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها . فلما اطلق سراحهم تنازعوا فجرت بينهم حروب تعرف بايام العرب قد فصلناها في كتابنا (العرب قبل الاسلام ج ١) واكثرها حدَّة واطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب وكلاهما من ربيعة وهي حرب البسوس بين كليب وجساس دام النزاع فيها اربعين سنة مات في اثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشبَّ الولدان . وفي اثنائها نبغ مهلهل اخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعراً مطبوعاً فتوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر. ناهيك بالحروب التي جرت بين قبائل مضر أشهرها ايام داحس والغبراء وغيرها

نهضة قريش : وقد انهض قريش على الخصوص واثارت شاعريتهم وشحذت قرائحهم حروبهم مع الاحباش في عام الفيل باواسط القرن الاول قبل الهجرة فان

الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . وكانت سدانتها يومئذٍ الى عبد المطلب جد النبي فجاء الاحباش بافيالهم ورجالهم وعدتهم واهل مكة لم يتعوَّدوا شيئاً من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في انفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب فدفعوا الاحباش وقد تنبهت اذهانهم واخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدلُّ على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منهُ وهو عام الفيل

وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس وكان لها تأثير كبير في نفوس القرشيين ساعدتهما على تلك النهضة

فهذه الحروب والفتن اظهرت مواهب الرجال فتولدت طبقة من الحكماء وأخرى من الاسخياء وأخرى من الفرسان والشجعان وايقظت الشاعرية الحماسية والفخرية فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون لمدح الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحاك القبائل وتقاربها أو تباعدها وتنبهت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشعراء . ولذلك كانت منظومات هذه النهضة اكثرها في الفخر والحماسة على اثر واقعة من تلك الوقائع أو في وصف شوق أو حكمة أو موعظة أو مدح ظافر أو كريم كما ستراهُ في مكانه

اقدم الشعراء

فكل ما وصل الينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال الحجازيين من سيطرة اليمن وماوصل الينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو لغير الحجازيين . واقدم ماوصلنا خبرهم من الشعراء ابو دوءاد الايادي ولقيط الايادي وكلاهما من اياد وكانت تقيم في العراق تعمل للمناذرة . فابن ابي دوءاد كان على خيل النعمان ولقيط شاعر جاهلي قديم . وعلس بن جدن من حمير وخذيمة بن نهد وزهير بن جناب الكلبي من قضاعة — وقد ظهرت قضاعة قبل سائر قبائل عدنان . ويقال أيضاً ان حزين بن لوزان وربيع بن زياد والاصبع العدواني من اقدم الشعراء [1] ويقولون ان اول من قال الشعر في نزار (وهي تشمل مضر وقضاعة) عمرو بن قميئة من ربيعة [2]

(١) المزهر ٢٣٧ ج ٢ والاغاني ٢٢ ج ١٦ (٢) الاغاني ١٦٣ ج ١٦

وللعلماء في اقدم الشعر العربي اقوال لا فائدة من ايرادها لان اكثرها مبني على الوهم ولا سيما في ما يروونه للآباء الاولين من الشعر — حتى روى بعضهم اشعاراً نسبها الى آدم ! وارفق منه حالاً من روى للتبابعة ويطعن في صحتها ان لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيراً . وقد يردُّ على ذلك بان الحميري قد يعرف العربية وينظم فيها ولكن الغالب انهم لم يفعلوا

٧ — تنقل الشعر في الاقاليم والقبائل

١ — في الاقاليم

من القواعد الثابتة في علم الطبيعة ان للاقليم تأثيراً في اخلاق الناس وأبدانهم فيختلفون صحة ونشاطاً و بديهة وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال على الاجمال ان اهل البادية اصفى ذهناً من سكان المدن واهل البلاد الباردة اسرع حركة واكثر نشاطاً من اهل البلاد الحارة . وفي البلد الواحد يفضل اهل الجبال على اهل السهول نشاطاً وصفاء ذهن

شعراء نجد

وعلى هذا القياس فان سكان نجد اقوى بنية واصفى ذهناً من سائر سكان جزيرة العرب لانها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل وقد تغزَّل بها العرب فقال قيس ابن الملوح :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقال آخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد ويا حبذا نجد على القرب والبعد

وفيها الارض التي حماها كليب وائل وافضى ذلك الى قتله وانتشاب حرب البسوس . وفيها جبل عكاد الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد تمادي الاجيال الا بين اهله . وعندهم ان افصح العرب اهل السروات وهي ثلاثة جبال مطلة على تهامة — فاهل نجد اقوى شاعرية من سائر بلاد العرب

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم فقد امتاز اهل كل اقليم من بلاد العرب بباب من ابواب الشعر — فاشتهر اهل الحجاز بالرقة واكثر شعرهم النزل (١) كما اشتهر شعر اهل نجد بالبلاغة (٢) وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب . واذا احصيت شعراء الجاهلية الذين بلغ الينا خبرهم بالنظر الى المواطن رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمس الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق فيه بضعة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

٢ — في القبائل

<u>ربيعة</u> : اما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم أن ربيعة اول من نهض للاستقلال وهم اول من نبغ في الشعر . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس ونمر بن قاسط و يشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهل وسدوس . وكانوا يقيمون قديماً في اليمن ثم في نجد ثم نزحت بكر وتغلب وغيرها نحو العراق فاقاموا في باديتها وفي ما بين النهرين . ونبغ منهم وهم في نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقّش الاكبر وابن اخيه المرقّش الاصغر . والاكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٣) والمرقش الاصغر عم طَرَفة بن العبد ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قُميئة المتقدم انه اقدم من قال الشعر من نزار والحارث بن حلّزه والمتلمّس خال طرفة والاعشى والمسيب بن علس وغيرهم جماعة من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربيعة الى العراق زادتها مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

<u>قيس</u> : وتحوَّل الشعر بعد ربيعة الى قيس عيلان وكلاها من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عبس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وعامر ابن صعصعة ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه البطون او القبائل في نجد واعالي الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء فمنهم النابغتان وزهير بن ابي سلمى وكعب ابنه ولبيد والحُطيئة والشمّاخ وخِداش بن زهير وغيرهم . وعندهم ان اشعر قيس

(١) الاغاني ٤٢ ج ٧ (٢) الاغاني ٧٢ ج ١ (٣) الاغاني ١٩٠ ج ٥

الملقبون من بني عامر والمنسوبون الى امهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر في تميم وهي قبيلة كبيرة من مضر اشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديماً تقيم في تهامة ثم نزحت في اواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوباً . ومن شعرائها المشاهير اوس بن حجَر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه احد حتى نشأ النابغة وزهير فاخملاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك في بطون مدركة من مضر وهي هُذيل وقريش واسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من اهل البادية . اما المدن فانها قليلة في جزيرة العرب واهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول واشعر اهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسَّان بن ثابت (٢)

عدد الشعراء بالنظر الى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل كانت قيس اكثرها شعراء تليها اليمن فربيعة فمضر فتميم فقريش فقضاعة فاليهود فاياد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتي بيانها ولكن الذين وصلتنا اخبارهم وامثلة من اشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعراً يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل :

عدد شعرائها	اسم القبيلة	عدد شعرائها	اسم القبيلة
٣٠	قيس	٢	اياد
٢٣	اليمن (القحطانية)	١	موالي غير عرب
٢١	ربيعة		
١٦	مضر		
١٢	تميم		
١٠	قريش		
٤	قضاعة		
٤	يهود		

(١) الاغاني ٩٢ ج ٢ (٢) العمدة ٥٦ ج ١

ولزيادة الايضاح نذكر اشهر البطون التي تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهل المراجعة على الباحث :

يدخل في قيس	في ربيعة	في القحطانية	في تميم	في مدركة	في قضاعة
غطفان	نمر بن قاسط	طي	مازن	هذيل	جهينة
ذبيان	عبد القيس	الاشعر	سعد	اسد	ضجعم
عبس	بكر بن وائل	جذام	دارم	كنانة	تنوخ
هوازن	تغلب	الازد	يربوع	قريش	كلب
سعد	يشكر	كندة	مجاشع	الدئل	
سليم	جشم	لخم	بهدلة		في قريش
ثقيف	حنيفة	مذحج	مالك		هاشم
عامر	عجل	خزاعة			امية
كلاب	شيبان	همدان			مخزوم
جعدة	سدوس	مازن			محارب
نمير	ذهل	غسان			كلاب
عقيل	ضبيعة	الاوس والخزرج			غالب
قشير					جمح

٨ — كثرة الشعر وتعدد الشعراء

قد رأيت في ما تقدم استعداد العرب الفطري للشعر واقتدارهم على النظم لان لغتهم شعرية بالفاظها واساليبها ومعانيها فلا عجب اذا تعدد شعراؤها وكثرت اشعارهم وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضياع اكثر ما خلفوه وذهاب اكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك في الجاهلية واشتغال العرب عنهُ بالفتوح في صدر الاسلام . على انا نكتفي بالاستدلال على كثرة ذلك بما وصل الينا من اخبارهم . ويؤخذ منها ان العرب الجاهلية نظموا في نهضتهم الاخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم من الامم في عدة قرون وخصوصاً في العصر الجاهلي . فالياذة هوميروس واوذيسته هما معظم شعر جاهلية اليونان ولا يزيد عدد اياتها على ٣٠٠٠٠ بيت وكذلك مهابهاراتة الهنود ٢٠٠٠٠ بيت وراماياتهم ٤٨٠٠٠ بيت . واما العرب فيؤخذ مما بلغنا من

اخبارهم عما نظموه في نهضتهم الاخيرة قبل الاسلام انه يربو على اضعاف ذلك. فهم يعدون منظوماتهم بالقصائد وليس بالابيات فقد ذكروا ان ابا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من اشعار العرب (الجاهلية) ١٤٠٠٠ ارجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧٠٠٠ قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء الف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦٠٠٠ ارجوزة (٣) وكان ابو ضمضم يروي اشعاراً لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) — ومع ما يظن في ذلك من المبالغة فانه يدل على كثرة ما خلفه العرب من المنظومات . وخصوصاً اذا اعتبرنا ان ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام انما هو بعض اشعار الجاهلية لان كثيرين من رواة الشعر الجاهلي قتلوا في الفتوح الاسلامية فضاع ماكان في محفوظهم من الاشعار — قال ابو عمرو ابن العلاء « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وابدعوا فيه وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان أو الهنود أو غيرهم على النظم وانما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائحهم كما حدث للرومانيين فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا في ايام اوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم اخذ في التقهقر . ويقال نحو ذلك في دول اوربا الحالية فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت اولئك الجاهليين رأيت الشعر داخلاً في كل عمل من اعمالهم مرافقاً لكل حركة من حركاتهم حتى يخيل لك انهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر وكأن كل واحد منهم شاعر او يقول الشعر ولو قليلاً حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٢٠ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١
(٤) الشعر والشعراء ٤ (٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢

والنساء والوجهاء والحكماء والصعاليك والعبيد واللصوص والمجانين من النصارى واليهود والوثنيين وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة اجيال . فالنعمان بن بشير الانصاري من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف جده شاعر وابوه وعمه شاعران وهو شاعر واولاده شعراء (١) وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان ابوه شاعراً وعمه قيس شاعر وابناه كعب واحفاده كلهم شعراء (٢) وهكذا الكميت بن معروف وعبد يغوث بن صلاءة . وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير منهم بيت ابي سُلمى فقد كان ابو سلمي شاعراً وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر خاله بسامة بن الغدير شاعر . وكان ابناه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من ابنائهما شعراء . وحسان بن ثابت تسلسل الشعر في ابنائه بضعة اجيال . ومن العريقين في الشعر القاسم بن امية . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير فكان هو وابوه وجده شعراء وكذلك بنوه واحفاده . ومنهم بيت عطية بن رؤبة بن العجاج وبيت ابي حفصة وبيت ابي عيينة (٣) وغيرهم

على ان ما بلغ الينا من اسماء الشعراء هو دون الطفيف اذ لم ينقل الرواة من اخبار شعراء العشائر الا الاشهر فضلاً عمن ضاع خبره . اما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فاكثر من ان يحيط بهم الحصر او يقف من وراء عددهم واقف ولو انفد عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال . ولم يستطع احد من رواة الشعر ان يستوفي جمع اشعار قبيلة واحدة لم يفته منها شاعر لم يذكره (٤)

ثم ان الشعراء الذين وصلت الينا اخبارهم على قلتهم لم يصلنا من اشعارهم الا بعضها وضاع سائرها في اثناء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن روايته وذهاب اكثر الرواة والحفاظ في الجهاد فلما عادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب اخذوا في جمع الشعر فلم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك انك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وما له من الشهرة ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة . فطرَفَة بن العبد وعبيد بن الابرص مع مالهما من الشهرة الواسعة في الشعر لا نجد بين ما وجده الرواة من اشعارهما ما يوازي تلك المنزلة (٥)

(١) الاغاني ١٢٥ ج ١٤ (٢) الاغاني ٢٧ ج ١٥
(٣) العمدة ٢٣٥ ج ٢ (٤) الشعر والشعراء ٣ (٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢

٩ – طبقات شعراء الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع اكثر اخبار الشعراء الجاهليين ومعظم اشعارهم فان الذين عرفناهم يزيدون على مئة شاعر نبغوا في القرنين الاولين قبل الهجرة او في الخامس والسادس للميلاد واكثرهم من اهل القرن السادس. وبعضهم عاش اعواماً بعد الاسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالي بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم وبقي ان ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم واغراضهم واخلاقهم ومراتبهم

اما تقسيمهم الى طبقات فمن اصعب الامور وقد حاول ذلك غير واحد من ادباء المسلمين في ابان التمدن الاسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات فاعتبرها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء اربع طبقات (١) شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره (٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيذ (٣) شاعر (فقط) وهو فوق الرديء بدرجة (٤) شعرور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعرور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمن اربعة   فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر يخوض وسط المعمعة   وشاعر لا تشتهي ان تسمعه
وشاعر لا تستحي ان تصفعه

ورويت هذه الابيات هكذا ايضاً :

الشعراء فاعلمن اربعة   فشاعر لا يرتجي لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المعمعة   وشاعر آخر لا يجرى معه
وشاعر يقال خمر في دعه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المنتقاة فاستفردوا سبع طبقات اهل كل منها سبعة شعراء (تقريباً) في مجموع واحد وفيهم بضعة من شعراء صدر الاسلام . اولهم اصحاب المعلقات يليهم اصحاب المجمهرات فالمنتقيات فالمذهبات فالمراثي فالمشوبات فالملحمات . وهذه اسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة الشاعر وبلده و بعضهم من شعراء العصر الاموي :

(١) الزهر ٢٤٦ ج ٢

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
١ — اصحاب المعلقات		
امرؤ القيس	كندة	نجد
زهير بن ابي سلمى	مازن	نجد
النابغة الذبياني	ذبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	نجد
لبيد بن ربيعة	عامر	العراق
عمرو بن كلثوم	تغلب	«
طرفة بن العبد	بكر	البحرين
عنترة العبسي	عبس	نجد
٢ — اصحاب المجمهرات		
عبيد بن الابرص	اسد	نجد
عدي بن زيد	عبادي	الحيرة
بشر بن ابي حازم	اسد	نجد
امية بن ابي الصلت	ثقيف	الطائف
خداش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن تولب	عكل	«
٣ — اصحاب المنتقيات		
المسيب بن علس	بكر	العراق
المرقش الاصغر	ضبيعة	نجد
المتلمس	«	البحرين
عروة بن الورد	عبس	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	نجد
دريد بن الصمة	جشم	«
المتنخل الهذلي	هذيل	الحجاز
٤ — اصحاب المذهبات		
حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	«	«
مالك بن العجلان	«	«

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
قيس بن الخطيم	الانصار	يثرب
احيحة بن الجلاح	«	«
ابو قيس بن الاسلت	«	«
عمرو بن امرئ القيس		
٥ — اصحاب المراثي		
ابو ذؤيب الهذلي	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الغنوي	غنى	
اعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميري	حمير	
ابو زبيد الطائي	طي	نجد
متمم بن نويرة	يربوع	اليمن
مالك بن الريب	تميم	العراق
٦ — المشوبات		
نابغة جعدة	جعدة	نجد
كعب بن زهير	مازن	نجد
القطامي	تغلب	العراق
الحطيئة	عبس	نجد
الشماخ بن ضرار	ذبيان	الحجاز
عمرو بن احمر	باهلة	نجد
تميم بن مقبل		
٧ — اصحاب الملحمات		
الفرزدق	تميم	العراق
جرير	«	«
الاخطل	تغلب	«
عبيد الراعي	هوازن	الحجاز
ذو الرمة	عدي	«
الكميت	مضر	«
الطرماح بن حكيم	طي	نجد

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام وقد جمعها على هذا الترتيب ابو زيد القرشي في كتاب جمهرة اشعار العرب وقـد طبع بمصر مشروحاً . ولمحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع . ويظهر مما نقل عنه في الاغاني والمزهر وغيرهما انه اوفى كتاب في هذا الموضوع وقد رأينا في ما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته في ذلك التقسيم

تقسيمهم من حيث طبقاتهم

اما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فامر غير ميسور لان نقدة الشعر لم يتفقوا في بعض هذا الموضوع فضلاً عن كله كما سيأتي . على انا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكاريوس المطبوع في بيروت ولم يذكر على من كان معوَّله فيه . واليك ذلك في جدول وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب :

١ ـــ شعراء الطبقة الاولى

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
امرء القيس الكندي	كندي	من اهل نجد	٥٣٩ م
امية بن ابي الصلت	الثقفي	« الطائف	٢ هـ
بشر بن ابي حازم	الاسدي	« نجد	٥٣٠ م
الحارث بن حلّزه	اليشكري	« العراق	٥٦٠ «
زهير بن ابي سلمى	المزني	« نجد	٩ هـ
النابغة الذّبياني	الذبياني	« الحجاز	٠٠٠
طرَفة بن العبد	البكري	« البحرين	٥٥٢ م
عبيد بن الابرص	الاسدي	« نجد	٦٠٥ «
المهلهل عدي بن ربيعة	التغلبي	« نجد	٥٠٠ «
عدي بن زيد	العبادي	« الحيرة	٥٩٧ «
عمرو بن كلثوم	التغلبي	« الجزيرة	٥٧٠ «
عنترة بن شداد	العبسي	« نجد	٦١٥ «
لبيد بن ربيعة	العامري	« العراق	٤١ هـ
أعشى قيس	الاسدي	« اليمامة	٧ هـ

٢ ـــ شعراء الطبقة الثانية

اسم الشاعر	نسبه	وطنه	سنة الوفاة
احيحة بن الجلاح	الاوسي	من اهل يثرب	٥٦١ م
أوس بن حجر	التميمي	« اليمن	٦١٠ «
الاسود بن يعفر	الدارمي	« العراق	٦٠٠ «
البراق بن روحان	التميمي	« اليمن	٥٢٥ «
تماضر بنت عمر الخنساء	السلمية	« نجد	٠٠٠
تميم بن ابي مقبل	العامري	« نجد	ادرك الاسلام
تأبط شرًّا	الفهمي	« تهامة	٥٣٠ م
الشنفرى	الازدي	« اليمن	٥١٠ «
الحطيئة	العبسي	« نجد	٠٠٠
المتلمس	الضبعي	« البحرين	٥٥٠ «
حاتم	الطائي	« نجد	٦٩ هـ
الحارث بن عباد	البكري	« العراق	٥٧٠ م
حسان بن ثابت	الانصاري	« يثرب	٥٤ هـ
ابو دؤاد	الايادي	« العراق	٥٢٠ م
خداش بن زهير	العامري	« نجد	٥٧٠ «
خفاف بن ندبة	السلمي	« نجد	٥٩٥ «
خوَيلد بن خالد	الهذلي	« الحجاز	٢٦ هـ
دريد بن الصمة	الجشمي	« نجد	٨ هـ
الربيع بن زياد	العبسي	« نجد	٥٩٠ م
المرقش الاصغر	الضبعي	« نجد	٥٠٠ «
الخبَّل ربيعة بن مالك	السعدي	« اليمن	٠٠٠
ربيعة بن مقروم	الضبي	« نجد	٢٨ هـ
السموال بن غريض	الاوسي	« الحجاز	٥٦٠ م
سلامة بن جندل	التميمي	« اليمن	٥٢٠ «
ابو قيس بن الاسلت	الاوسي	« يثرب	٠٠٠
عامر بن حليس	الهذلي	« الحجاز	٥٠٠ «

عبد الله بن رواحة	الانصاري	من اهل يثرب	٨ هـ
النابغة الجعدي	الجعدي	« نجد	•••
عروة الصعاليك	العبسي	« نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	« نجد	٥٦١ «
عمرو بن احمر	الباهلي	« نجد	٤١ هـ
عمرو بن الاهتم	التميمي	« نجد	٥٧ هـ
عمرو بن قميئة	البكري	« العراق	٥٣٨ م
قيس بن الخطيم	الاوسي	« يثرب	٦١٢ «
كعب بن زهير	المزني	« نجد	٢٤ هـ
متمم بن نويرة	اليربوعي	« اليمن	•••
المتنخل بن عويمر	الهذلي	« الحجاز	٦٠٠ م
المثقب العبدي	العبدي	« العراق	٥٢٠ «
المسيب بن علس	البكري	« العراق	٥٨٠ «
الشماخ بن ضرار	السعدي	« نجد	١٨ هـ
معن بن اوس	المزني	« تهامة	٢٩ هـ
المنخل بن الحارث	اليشكري	« العراق	•••
النمر بن تولب	العكلي	« نجد	٢٥ هـ
٣ــ شعراء الطبقة الثالثة			
امية بن الاسكر	البكري	« الحجاز	•••
اياس بن قبيصة	الطائي	« العراق	٦١٠ م
حاجز بن عوف	الازدي	« الحجاز	٥٩٠ «
الحارث بن ظالم	المري	« نجد	٦٠٠ «
سليك بن السلكة	السعدي	« اليمن	٦٠٥ «
زهير بن جناب	الكابي	« «	٥٦٠ ؟
زيد الخيل	النبهاني	« نجد	•••
الممزق العبدي	العبدي	« العراق	٤٨٠ م
الفند الزماني	الزماني	« اليمامة	٥٣٠ «
عامر بن الطفيل	العامري	« نجد	١١ هـ

العباس بن مرداس	السلمي	من اهل نجد	١٦ هـ
عبد الله بن العجلان	النهدي	« اليمن	٥٦٦ م
عمرو بن معدي كرب	الزبيدي	« اليمن	٢١ هـ
قيس بن زهير	العبسي	« نجد	•••
لقيط بن زرارة	الدارمي	« اليمن	٥٨٢ م
مالك بن نويرة	اليربوعي	« اليمن	•••
المستوغر بن ربيعة	السعدي	« اليمن	٥٧٠ «
يزيد بن ورقاء	اليربوعي	« اليمن	١٧ هـ

ومجموع هؤلاء ٧٥ شاعراً وقد فات المؤلف نحو هذا العدد ذكرهم الاغاني وغيره

١٠ــ خصائص الشعر الجاهلي على الاجمال

١ ــ تمثيل الطبيعة

فطر العرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع او التعمل في كل شيء شأن اهل البادية لبعدهم عن شوائب المدنية فهم على الفطرة الطبيعية وعنوانها الصدق بكل معانيه ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الادبية والصراحة في القول والعمل . فلا يتكلفون في لباسهم ولا طعامهم او شرابهم ولا يتصنعون في كلامهم وانما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم بلا تنميق او تأنق ــ يدلك على ذلك ما ظهر من حريتهم في اقوالهم في صدر الاسلام يوم كان احدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس واذا رأى فيه عوجاً انتقده بوجهه والخليفة لا يرى غرابة في انتقاده

اضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية والادارية ونفورهم من التقييد بشيء حتى المكان فانهم لا يتوطنون صقعاً بل يجعلون منازلهم على ظهورهم لا يحملون ضيماً ولا يصبرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت في اقوالهم وافكارهم وفي اشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعري صوروه كما يتخيل لهم خلافاً لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في اقوال الشعراء بعد ان استبحر عمران الدولة وكثر المتملقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى ــ

اما الجاهليون فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن ابي سلمى وهو

وان أشعر بيت انك قائله … بيت يقال اذا انشدته صدقا (١)

وصف الحب

فالبدوي اذا تيمه الحب واراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماماً فاذا سمعه متيمٌ شعرَ مثل شعوره. فهو لا يبالغ بضعفه من الوجد حتى يزعم انه صار خيالاً او طيفاً كقول المتنبي « لولا مخاطبتي اياك لم ترني » او قول الفارض « ماله مما براه الشوق فيّ » ولا يبالغ ببكائه وزفيره حتى يزعم انه غرق في بحر دمعه او احترق بنار زفيره ولكنه يقول قول مجنون بني عامر — وهو معدود من شعراء صدر الاسلام لكنه بدوي في طباعه . وان لم يصح ان المجنون اسم على مسمى كما سيأتي – فالشعر يعبر عن تصور اهل البادية . ومما ينسب اليه قوله :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا … وايام لا اعدى على الدهر عاديا
فما اشرف الايفاع الا صبابة … ولا انشد الاشعار الا تداويا
وعهدي بليلى وهي ذات موصد … تردُّ علينا بالعشي المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها … واعلاق ليلى في فؤادي كما هيا
اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه … تواشوا بنا حتى امل مكانيا
خليلي لا والله لا املك الذى … قضى الله في ليلى ولا ماقضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها … فهلاً بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني ان تيماء منزل … لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت … فما للنوى ترمي بليلى المراميا
فيارب سوِّ الحب بيني وبينها … يكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا
فما سميت عندي لها من سمية … من الناس الا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها … من الليل الا بتُّ للريح جانيا
فاشهد عند الله اني احبها … فهذا لها عندي فما عندها ليا
اعد الليالي ليلة بعد ليلة … وقد عشت دهراً لا اعدُّ اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني … احدث عنك النفس بالليل خاليا

ومثل ذلك قول ابن الدمينة :

فديتك اعدائي كثير وشقتي … بعيد واشياعي اليك قليلُ

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

وكنت اذا ما جئت جئت بعلةٍ … فافنيت علاَّتي فماذا اقول
فما كل يوم لي بارضك حاجة … ولا كل يوم لي اليك وصول

فلا يسمع محب هذه الابيات وامثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور صحيح

في الرثاء

ويقال نحو ذلك في سائر اغراضهم من الشعر فاذا رثى الجاهليُّ ميتاً لايوهم القارىء ان السماء طبقت على الارض وان الشمس كسفت والدنيا لبست الحداد ونحو ذلك ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب ترثيه وقد قتله اخوها جساس :

ياقتيلاً قوَّض الدهرُ بهِ … سقفَ بيتيَّ جميعاً من علِ
ورماني فقده من كثب … رمية المصمى به المستأصل
هدمَ البيتَ الذي استحدثته … وسعى في هدم بيتي الاول
مسَّني فقدُ كليب بلظىً … من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن … انما يبكي ليوم ينجلي
دركُ الثائرِ شافيهِ وفي … دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمي فاحتلبوا … دركاً منه دمي من اكحلي

في الهجو

واذا اراد ان يهجو فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش وعندهم ان اشدُّ الهجاء اعفُّه واصدقه وما خرج عن ذلك فهو قذف والخاش . ومن اشد الهجاء عندهم قول زهير بن ابي سلمى في آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل :

وما ادري وسوف اخال ادري … اقوم آل حصن ام نساء
فان تكن النساء مخبئات … فحقٌّ لكل محصنة هداء (١)

وذكروا ان النابغة سأل قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما قالوه في عامر بن الطفيل فانشدوه . فقال الخشم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ولكنني ساقول — ثم قال :

فان يك عامرٌ قد قال جهلاً … فان مطية الجهل السبابُ
فكن كابيك اوكابي براء … تصادفك الحكومة والصوابُ
فلا يذهب بلبك طائشات … من الخيلاء ليس لهن باب

(١) العمدة ١٣٩ ج ٢

فانك سوف تحكم او تناهي　　اذا ماشبت او شاب الغراب
فان تكن الفوارس يوم حسي　　اصابوا من لقائك ما اصابوا
فما ان كان من سبب بعيد　　ولكن ادركوك وهم غضابُ

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال « ما هجاني احد حتى هجاني النابغة جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي »

ومن لطيف تجافيهم عن الهجو ما قاله صخر بن عمرو اخو الخنساء وقد اراد رثاء اخيه معاوية فقالوا له اهج قتلته فتعفف وقال :

وقالوا الا تهجو فوارس هاشم　　ومالي واهداء الخنى من شماليا

فعبر عن الهجو باهداء الخنى وهو تعبير جميل

واذا تحمس الجاهليُّ او تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم ابالسة وانما يقول قول قريط بن انيف من شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي　　بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذاً لقام بنصري معشرٌ خشنٌ　　عند الحفيظة ان ذو لونة لانا
قوم اذا الشرُّ ابدى ناجذيهِ لهم　　طاروا اليه زرافات ووحدانا
لايسألون اخاهم حين يندبهم　　في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد　　ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرةً　　ومن اساءة اهل السوء احسانا
كأنَّ ربك لم يخلق لخشيته　　سواهمُ من جميع الناس انسانا
فليت لي بهم قوماً اذا ركبوا　　شدوا الاغارة فرساناً وركبانا

في الوصف

وكانوا اذا وصفوا حادثة مثلوها بلا مغالاة في المجاز والكناية كما يفعل المتأخرون وهذا وصف ابي ذؤيب لحمر الوحش وصائدها كيف ترد الحمر وكيف يحتال الصياد في صيدها قال :

فوردن والعيوق مقعد رابىء الـ　　ضرباء خلف النجم لايتتلعُ
فشرعن في حجراة عذب بارد　　حصب البطاح تغيب فيه الاكرع
فشربن ثم سمعن حساً دونه　　شرف الحجاب وريب قرع يقرع
فنكرنه فنفرن فامترست له　　هوجاء هادية وهاد جُرشعُ

فرمى فأنفذ من نحوص عائط　　سهماً فخر وريشه متصمع
فبدا له اقراب هاد رائعاً　　عنه فعيَّث في الكنانة يرجعُ
فرمى فألحق صاعديا مطحراً　　بالكشح فاستملت عليه الاضاع
فأبدَّهنَّ حتوفهن فهارب　　بدمائه او باركٌ متجعجع

واذا وصف احدهم حيوانا أو مكاناً او امرأة تحدى تصوير الطبيعة كما هي ولو اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التي يعدُّ ذكرها من قبيل البذاء ـ يفعل ذلك لاتهتكاً وانما هو يصف الطبيعة كما هي على عادته في سائر الامور . واحسن الامثلة في وصف المرأة على النحو الذي تقدم قصيدة النابغة في المتجردة التي مطلعها :

امن آل مية رائح او مغتدي　　عجلان ذا زاد وغير مزوَّدِ

وقصيدة اليتيمة في دعد ومطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ　　ام هل لها بتكلم عهدُ (١)

وهما مثل قصيدة سليمان الحكيم في وصف ملكة سبا المعروفة بنشيد الاناشيد — وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه في اوربا يمثلون الطبيعة كما هي و يعرفون باصحاب الحقيقة Réalistes ومنهم زولا وطولستوي

على ان الجاهليين لا تخلو اشعارهم من التشبيه والمجاز أو الكناية ولكنهم يفعلون ذلك بلباقة كقول عنترة يصف ذباب الروض :

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ　　غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه　　قدح المكب على الزناد الاجذم

٢ — البلاغة في التركيب

ان لغة الجاهلية على الاجمال لا تزال مثال البلاغة حتى الآن لبعدها عن مفاسد العجمة وهي معروفة بخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف المدنية كالبديع والجناس ولا المجاز او الكناية الا بقدر الملح من الطعام . أما ما نجده في بعض اشعار الجاهلية من التعقيد فسببه غرابة بعض الالفاظ على مفهومنا وبعد بعض التراكيب عن مألوفنا ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار من تفهم الالفاظ والتعود على اساليبها فاذا فعل ذلك

(١) نشرت هذه القصيدة في السنة ١٤ من الهلال صفحة ١٧٤ مع سبب نظمها

هان عليه فهمها . فمن يقرأ قول امرىء القيس في قصيدته التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه فيصل الى قوله :

وانك لم تقطع لبانة طالبٍ بمثل غدوّ او رواح مؤوّبِ
بادماء حُرجوج كان قتودها على ابلق الكشحين ليس بمغرب

يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد لكنهُ متى علم ان الادماء الناقة البيضاء والحرجوج الطويلة على الارض وأبيض الكشحين حمار الوحش . والمغرب الابيض الوجه والاشفار وذلك عيب في اصطلاحهم أدرك مراد الشاعر من البيت الثاني وقس عليه سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعراً ونثراً . وكان العرب في صدر الاسلام يمثلون باقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز من السهل الممتنع . وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات بباب كلام الاعراب في الجزء الثاني من كتابه العقد الفريد فليراجع هناك وفي سائر كتب الادب . فاذا طالعتها رأيت نفوساً كبيرة وعقولاً راجحة لما فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على انك تجد في كلام الاعرابي جفاء واغراباً وخشونة في اللفظ لتعوده مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة في شعراء الجاهلية على الاجمال وانما هي تكثر في اهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا اهل الحضارة مطلقاً فيكون ذلك من تأثير البيئة . فان شعر عدي بن زيد وهو جاهلي اسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما اسلاميان لملازمة عدي الحضارة وايطانه الريف وبعده عن جلافة البادية وجناء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رقته وخشونته باختلاف الغرض منه فشعر العاشق ارق من شعر الفارس وشعر الحضارة الطف من شعر البداوة

٣— مذاهبهم و اساليبهم

لا يتقيد الجاهلي في نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء المدنية بعد الاسلام من استهلال القصائد بالنسيب والغزل ونحوها . لكنه يصدر القصائد الطويلة غالباً بذكر المنازل والاطلال ويبكي على الطلول وذلك طبيعي عندهم لانهم اهل رحلة لا

(١) البيان والتبيين ٥٢ ج ٢ (٢) يتيمة الدهر ٢٤١ ج ٣

يقيمون في المكان حيناً حتى ينزحوا عنه أما فراراً من عدو أو التماساً للمرعى أو الماء أو نحو ذلك كقول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقوله :

الا عم صباحاً ايها الطلل البالي

أما المولدون أو المحدثون فانهم يصدرون قصائد المدح أو غيرها بذكر الحبيب والشوق والوجد والوصل وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك

والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنترة الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والاعين النجل في بيتين ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لي برد الصبا واللهو والغزل هيهات ما فات من ايامك الاولِ
طوى الجديدان ماقدكنت انشره وانكرتني ذوات الاعين النجلِ
وما نفى الدهر عزمي عن مهاجة وخوض معمعة في السهل والجبل

ولكن هذه القصيدة يغلب انها موضوعة بعد الاسلام لواضع القصة

وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت او شطر ثم يستطرد الى الموضوع الذي يريده . أو يبدأ بطلب الاخبار بدون ان يذكر الخليل كقول امرىء القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسيب :

الا ابلغ بني حجر بن عمرو وابلغ ذلك الحي الحديدا
باني قد هلكت بارض قوم سحيقاً من دياركم بعيدا (١)

وقوله بمكان آخر :

الم يخبرك ان الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا (٢)

وقد يتكلم بالمثنى كانه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث :

ألالا تلوماني كفى اللوم ما بي فما لكما في اللوم نفع ولا لي
الم تعلما ان الملامة نفعها قليل وما لومي اخي من شمالي

ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ولكن طرفة بن العبد اول من طرقه فقال :

(١) شعراء النصرانية ٣٤ (٢) شعراء النصرانية ٦١

فقل لخيال الحنظلية ينقلب ... اليها فاني واصلٌ حبل من وصل [١]

وفي مقدمة ابن خلدون امثلة كثيرة من بدايات الجاهلية في النظم من اراد التوسع بالامثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب في نظمهم ان يبدأوا بالغرض المراد رأساً فان كان فخراً فبالفخر او حماسة فبالحماسة او غزلاً فبالغزل او رثاء فبالرثاء. ومن مراثي المُهَلهِل لاخيهِ كليب قصيدة مطلعها:

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها ... ان انت خليتها في من يخليها [٢]

ومرثاة أخرى مطلعها:

انَّ تحت الاحجار حزماً وعزماً ... وقتيلاً من الاراقم كهلا
قتلته ذهل فلستُ براض ... او نبيد الحيين قيساً وذهلا

وقس عليه غيره من الاغراض. على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص للمدح او الرثاء و بعضهم يتغزل او يشبب وهم قليلون ولهم اسماء اناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ — ابواب الشعر عندهم

ان ابواب الشعر اليوم تعد بالعشرات لم يكن منها في الجاهلية الا الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء. وتفرع من المديح الرثاء وهو مدح الميت. والاصل في المديح والهجاء الدفاع عن القبيلة والطعن في اعدائها — ذلك كان غرض الجاهليين من المديح والهجاء فاكثر مدحهم في قبائلهم وروءسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء الا قليلاً وكانت قصائدهم في ذلك قصيرة. وقلما رثَوا غير اخوتهم واخواتهم او ابنائهم او بعض اهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعي ولذلك كان لرثائهم وقع في النفس كقول تلك الاعرابية في رثاء ابنها:

من شاء بعدك فليمتْ ... فعليك كنت احاذرُ
كنتَ السواد لناظري ... فعمي عليك الناظرُ
ليت المنازل والديا ... ر حفائرٌ ومقابرُ
اني وغيري لا محا ... لة حيث صرت لصائرُ

(١) العمدة ١٠١ ج ٢ (٢) شعراء النصرانية ١٦٦

اما المدح فامدح الجاهليين زهير والاعشى فمن امثلة مدح زهير بالكرم قوله:

اخي ثقة لايهلك الخمر ما له ... ولكنه قد يهلك المال نائلهُ
تراه اذا ما جئته متهللاً ... كانك تعطيه الذي انت سائله
فمن مثل حصن للحروب ومثله ... لانكار ضيم او لخصم يجادلهُ

وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير:

لو كان يقعد فوق النجم من كرم ... قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
قومٌ سنانٌ ابوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انسٌ اذا امنوا جنٌ اذا فزعوا ... مرزّؤن بهاليلٌ اذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم ... لاينزع الله عنهم ما له حسدوا

وقس على ذلك سائر الاغراض

على ان في منظوماتهم كثيراً من الشعر الوصفي واكثره في وصف حيواناتهم ومنازلهم وادواتهم وفي وصف اخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم. وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش أو القطا أو غيرها وسنعود الى تفصيل ذلك في مكانه

٥ — التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور العرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وادواتهم في اشعارهم كما صورها المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم. وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الامم واخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة فالباحث في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وآدابهم واخلاقهم وطبائعهم وسائر احوالهم. ولذلك قال ابن خلدون « ان الشعر ديوان علوم العرب واخبارهم وشاهد صوابهم وخطاهم واصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم واخلاقهم وادواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجي افندي يني الطرابلسي صاحب المباحث ونشر فيه مقالة ضافية في المقتطف سنة ١٣ و١٥ بعنوان « العرب قبل التاريخ » ودرسه ايضاً محمد بك المويلحي وله مقالة في « رموز العرب وتخيلاتهم » نشرت في المقتطف سنة١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من اشعارهم

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها وخصوصاً الناقة والفرس والقطا والحمام و يغلب فيهم أن يذكروا الحمام في الغزل والناقة في السفر والخيل في الحرب

٦ — المفاخرة والمعاظلة والمقارعة

كان العرب في جاهليتهم اهل اباء واستقلال وفخر فقامت المفاخرة بين قبائلهم واحيائهم واصبحوا يتنافسون بكل شيء حتى في المصائب وهي المعاظلة. اشهرها معاظلة الخنساء وهند بنت عتبة فكانت الخنساء تأتي الموسم وتبكي اباها واخويها وقد سوَّمت هودجها براية وتقول « انا اعظم العرب مصيبة » فاصيبت هند بنت عتبة المذكورة في واقعة بدر فقتل ابوها وعمها واخوها فلما بلغها ما قالته الخنساء قالت « انا اعظم العرب مصيبة » وامرت بهودجها فسوّم براية وشهدت الموسم بعكاظ وقالت « اقرنوا جملي بجمل الخنساء » ففعلوا فلما تقاربتا تعارفتا وتعاظلتا نظماً ونثراً [١]

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس فاحر به ان يكون بين الشعراء. ومن انواعه المقارعة على الاحساب كالتي جرت بين عامر ولبيد والاعشى من جهة وعلقمة والحُطيئة وفتيان من بني الاحوص من جهة أخرى واخذوا يتناشدون في المقارعة في حديث طويل [٢]

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين ايهما اشعر كما جرى بين عمر بن أبي ربيعة والفضل بن العباس اللهبي في المسجد الحرام فاخذ كل منهما يورد اشعاراً لابناء قبيلته ويبرهن انها احسن مما قاله الشعراء من تلك القبيلة [٣]

ولما جاء الاسلام ذهبت عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين والانصار [٤] وعندهم ايضاً المراجزة [٥] وهي المقارعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

٧ — الانفة والعفة

كان العربي في الجاهلية صاحب انفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الى رهن في امر عظيم رهن قوسه — ولا قيمة للقوس بنفسها ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهن له مهما كلفه [٦]

ولم يكن اشد منهم غيرة على العرض وفي اخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها وكثيراً ما انتشبت الحرب في هذا السبيل. وقد كان سبب الحرب التي

(١) الاغاني ٣٥ ج ٤ (٢) طالعه في الاغاني ٥٥ ج ١٥ (٣) الاغاني ٨ ج ١٥
(٤) الاغاني ١١٣ ج ١٥ (٥) الاغاني ١٠٠ ج ٧
(٦) العقد الفريد ٥٢ ج ٣

قتل فيها زهير بن جذيمة العبسي انَّ ابنه شأساً اغتسل بجانب ابيات لبني غني بماء لبني عامر فناداه رجل غنوي ان يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله وجرَّ ذلك الى حرب قتل بها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافاً لما صارت اليه طبائعهم بعد ان استبحر عمرانهم من التهتك والقصف. وتمثيلاً للفرق بين الحالين قابل ما قاله عنترة بما قاله ابو نواس — قال عنترة:

واغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وقال أبو نواس:

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
والباعثي والناسُ قد رقدوا حتى اتيت حليلة البعل

ولذلك قلَّ التهتك في تغزلهم. و بعض القبائل تعد الغزل رذيلة [١] وتجد ذلك ظاهراً في اشعارهم فالجاهلي متعفف بالفاظه واخلاقه بعيد عن الفحش في القول او السباب الا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ — لا يستجدون

الجاهلي لا ينظم التماساً للعطاء وانما هو ينظم لداع يحركه اما دفاعاً عن عرض او تحمساً لحرب او تشكياً من الفراق او بكاء على فقيد او نحو ذلك. وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكراً على صنيع لا استدراراً لجائزة كما صار اليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف. وكان موضوع مدائح الجاهليين حكماءهم وامراءهم كهرم بن سنان وعامر بن الظرب والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره ليس للاستجداء. على ان بعضهم انتجع بشعره واول من فعل ذلك الاعشى وتمثل به بعض الجاهليين في مدح المناذرة او الغساسنة او بعض امرائهم واشهر المداحين في الجاهلية الاعشى والربيع بن زياد والنابغة الذبياني والمنخل اليشكري وابو زبيد الطائي ومعن بن اوس وزهير بن ابي سلمى والحُطيئة وسنأتي على اخبارهم في اما كنها

(١) الاغاني ١١١ ج ٧

٩ ـ منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء تقدم واحداً منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي تهتم باعداد الشاعر لها كما تهتم باعداد القائد والخطيب . فيقال ان قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان (١) لان الشعراء حماة الاعراض وحفظة الآثار ونقلة الاخبار . و ربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على نبوغ الفارس ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة اتت القبائل الاخرى فهنأتها به وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعنَ في الاعراس وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم انه حماية لاعراضهم ودفاع عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة لذكرهم (٢) وفي الواقع ان ما بقي لنا من اخبار العرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم واخلاقهم انما هو منقول عن اشعارهم

وكانوا يوسطون الشعراء في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم وسيلة لاثارة الحروب فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها و ينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم . فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولاً علم الناس ان الحكومة تريده . وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة . ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم يدلك على ذلك تعليق المعلقات باستار الكعبة اجلالاً لها (٣) وسنعود الى ذلك

١٠ ـ تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم شأن اهل الفروسية والنجدة المعبر عنها عند الافرنج بالشفاليري . وكان العرب على الاجمال اهل حافظة اذا اعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه فيشيع على السنتهم كباراً وصغاراً و يتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم . فاذا كان هجواً سقط المقول فيه واذا كان مدحاً رفع . ولكن الهجو كان غالباً في محفوظهم وقد وفق بعض الشعراء بشيوع اشعارهم لخفتها وشاعريتها . وكان الاعشى من اسير الناس شعراً وكذلك زهير والنابغة وامرؤ القيس

(١) الاغاني ١٤٦ ج ٤ (٢) المزهر ٢٣٦ ج ٢ (٣) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل حط الهجو منها خصوصاً اذا كان الهجو مطابقاً للواقع والا ردَّ شاعرها عنها فتعود الى مقامها . وليس في العرب قبيلة الا هجيت فمن التي لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم و بكر وائل واسد بن خزيمة وامثالها . ومن القبائل التي أثر فيها الهجاء مع مقامها من الشجاعة احياء من قيس منهم غني وباهلة ومحارب واحياء من اد بن طابخة منهم تيم وعكل وغيرهما . وهناك قبائل كان حظها من الشعراء الربح كبني مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مُدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير ابنائها . و يحكى أن شعراء تميم كانوا يذكرون قيساً بالمدح والاعجاب فافتخرت قيس على تميم . وما زالت تميم منكسة رؤوسها حتى قام لبيد العامري وهو من قيس فذكر تميم في شعره واطراها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس فتكلمت عند ذلك تميم وافتخرت (١)

ومن امثلة تأثير هجو الشعراء في القبائل شعر حط من قدر الحبطات وهم بطن من تميم فقال الشاعر فيهم :

رايت الحمر من شر المطايا ... كما الحبطات شر بني تميم

وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

ان ابانا فقحة لدارم ... كما الظليم فقحة البراجم

وقد أهلك بني العجلان قول الشاعر :

اذا الله عادى اهل لؤم ودقة ... فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قبيلتهُ لايغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء الا عشية ... اذا صدر الوراد عن كل منهل (٢)

و يشبه ذلك شعر جرير في بني نمير من عامر بن صعصعة في الدولة الاموية فانه جعل كل نميري اذا سئل عن نسبه قال انه عامري وهذا هو البيت :

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

و بعكس ذلك ما اصاب بني انف الناقة من الرفعة فقد كان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال من بني قريع وهو نسب آخر لهم حتى قال الحطيئة فيهم :

(١) العمدة ١٤٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٩ ج ٢

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا

فاصبحوا يفاخرون بقبيلتهم

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابهــة فسلمت القبائل الخاملة من هجوهم . وشأنهم في ذلك مثل شأن الصحف السياسية في البلاد الحية . فان الاحزاب يهمها انحياز احدى الصحف المهمة الى جانبها كما كان يهمُّ القبيلة او الجماعة في الجاهلية ان ينصرها شاعرٌ مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما وفد على النبي ومدحه فبلغ ابا سفيان عدوَّهُ ذلك فجمع رجال قريش وقال لهم « والله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرمنَّ عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده [١]

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير في النفوس ويحكى من هذا القبيل ان رجلاً من مكة اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن وهو معسر . وجاء الاعشى مكة فسمعت امرأة المحلق به فحثَّت زوجها ان يدعوه للضيافة قبل سواه ويذبح له لانه اذا قال شعراً شاع . فدعاه المحلق ونحر له الناقة وبالغت المرأة في اكرامه واكرام رفاقه وكان في عصابة قيسية . فلما جرى الشراب في عروقه سأل المحلق عن عياله فشكا له حال بناته . فاصبح في اليوم التالي وهو ينشد في عكاظ قصيدة مطالعها :

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشق

ثم تخلص الى مدح المحلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون فلما فرغ من الانشاد انسلَّ الناس الى المحلق يهنئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل افضل من ابيها الف ضعف [٢] وكذلك فعل مسكين الدارمي في انفاق الخمر السود [٣] ومن شدة تأثرهم من الشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من اشعاره كما لقب المرقش والنابغة والمخرق وافنون وغيرهم [٤] حتى في الغناء فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر اكثر من نغمه

(١) الاغاني ٨٦ ج ٨ (٢) العمدة ٢٥ ج ١
(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٨ ج ٣ (٤) لطائف المعارف ١٧

١١ — اشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب من صدر الاسلام مختلفين في من هو أشعر شعرائهم ولهم في ذلك اقوال كثيرة . على ان تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعدُّ حكماً اجماليًا على نظرهم فيهم . ويستدل منه ان اصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء في حكمهم واشعر هؤلاء ثلاثة امرؤُ القيس وزُهير بن ابي سُلمى والنابغة . وقدا جمعوا تقريباً على تفضيلهم وانما اختلفوا في من هو أشعرهم اختلافاً كثيراً : قال ابو عبيدة « أشعر الناس اهل الوبر خاصة وهم امرؤُ القيس وزهير والنابغة فان قال قائل ان امرأ القيس ليس من اهل نجد فلعمري ان هذه الديار التي ذكرها في شعره ديار بني اسد بن خزيمة . وفي الطبقة الثانية الاعشى ولبيد وطرفة » وقيل ان الفرزدق قال أمرؤُ القيس أشعر الناس وقال جرير النابغة أشعر الناس وقال الاخطل الاعشى أشعر الناس وقال ابن أحمر زهير أشعر الناس . وقال ذو الرمة لبيد أشعر الناس وقال ابن مقبل طرَفة أشعر الناس وقال الكُميت عمرو بن كُلثوم أشعر الناس . والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو وطَرَفة

على اننا نرى في الحكم على شاعر انه اشعر اهل زمانه على الاطلاق حيفاً اذ قد يتفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه فيجيد احدهم في الحماسة وآخر في المديح او الغزل او الفخر او غير ذلك من اغراض الشعر. وعلى ذلك قالوا « اشعر الشعراء اربعة زهير اذا طرب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا غضب وعنترة اذا كلب [١] (اي غضب)

والذي عليه الاكثرون في وصف اصحاب المعلقات ان امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر لان الشعر في تعبيرهم كان جملاً فنحر فاخذ امرؤُ القيس رأسه . وان زهيراً يمتاز بانه لا يعاظل بين كلامين ولا يتتبع وحشي الكلام ولا يمدح احداً بغير ما فيه ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب [٢] وان النابغة اوضح الشعراء معنى وابعدهم غاية واكثرهم فائدة . وان الاعشى امدحهم للملوك واوصفهم

(١) جمهرة اشعار العرب ٢٦ (٢) جمهرة اشعار العرب ٢٥

للخمر واقدرهم شعراً واحسنهم قريضاً . وان لبيد اقلهم لغواً وعمرو بن كلثوم اعزهم نفساً واكثرهم امتناعاً واجودهم واحدة . وطرفة اشعرهم اذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم في طول اعمارهم

١٢— رواة الشعر

من عادة العرب في رواية الشعر انهم كانوا في ايام الجاهلية اذا نبغ الشاعر صحبه رجل يروي له اشعاره و يتلوها أو يروي له اشعار غيره للشاهد أو نحوه . و يغلب في الراوية ان يكون مرشحاً للشاعرية كانه تلميذ يتدرب على يد استاذه يأخذ عنه . وكان عمدتهم في الجاهلية على الحفظ لانهم لم يكونوا يكتبون فكان كثيّر عزة راوية جميل بثينة وجميل راوية هدبة بن خشرم وهدبة كان راوية الحطيئة والحُطيئة راوية زُهير وابنه(١) وكان الراوية في الجاهلية واوائل الاسلام يروي للشاعر الواحد و يصحبه و ينشد له و يعجب به اعجاب التلميذ باستاذه و يناضل عنه و يفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب فان اليونان القدماء كان عندهم اناس يروون الشعر وغيره و يسمونهم Rhapsodist . اشهرهم في القديم رواة الالياذة وتاريخ هيرودوتس . على أن بعض الادباء واهل الذكاء من العرب كان يروي الشعر بغير التخصيص لشاعر دون آخر . وانما كان يفعل ذلك رغبة في الادب والعلم . فقد كان في الجاهلية اربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار وهم مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وابو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف . وحويطب بن عبد العزي . وعقيل بن ابي طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى الف بعض الاعداء فيه الاحاديث

١٣ — شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم

قد تقدم ما للشعر الجاهلي من الخصائص التي يمتاز بها على الاجمال ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف اغراض الشعراء . فينقسم الشعراء من هذا القبيل الى

(١) الاغاني ٧٨ ج ٧

مجاميع لكل منها غرض او اسلوب أو منحى خاص . وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء فنقسم الشعراء بالنظر الى اغراضهم في النظم

قد علمت أن الشعراء الجاهليين الذين بلغت الينا اخبارهم نحو مئة شاعر و بعض المئة من القبائل على اختلاف اصولها . وكلهم عرب الا واحداً كان عبداً لبني الحسحاس وهو اعجمي . فلا عجب اذا خلص الشعر الجاهلي من العجمة لفظاً وتركيباً خلافاً لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام اذ نبغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب كما سيجيء . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب واكثرهم من عدنان كما تقدم فمعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون باخلاقهم واغراضهم واهمها في القرنين الاخيرين قبل الاسلام الحرب فما بينهم يوم كان البدوي يبيت وسيفه او رمحه ضجيعه كانهُ يتحفز للنهوض في الصباح للغزو التماساً للرزق او الفخر او للثأر . فيقضي ايامه في الحرب أو يتأهب للحرب والشاعر لسان حال قبيلته او مرآة اخلاقها وآدابها . فلذلك كان اكثر شعراء الجاهلية من اهل الحرب الفرسان الشجعان وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة او الفخر . واذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مئة كان نصفهم من الفرسان واهل الحرب واكثر اشعارهم في الحماسة والفخر . و بينهم طائفة من الملوك والامراء اي كانت لهم الرئاسة في قبائلهم وهي اكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء واهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة اخرى من العشاق المتيمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان لكنهم يختصون بصفة مشتركة هي العدو والغزو و يسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو فيهم ميل الى المهاجاة والمعاظلة . وآخرون اختصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب واخيراً النساء الشواعر وهناك طائفة لا تدخل في احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث اغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم لكن علماء الشعر تعودوا تقديم اصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضاً ووجهة متشابهون قوة وشاعرية فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث اغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة وهذه هي مع عدد الشعراء من كل طبقة :

	عدد الشعراء		عدد الشعراء
اصحاب المعلقات	١٠	المغنون	١
الشعراء الامراء	١٤	النساء الشواعر	٤
الشعراء الفرسان	٢٨	الهجاؤون	٤
الشعراء الحكماء	٤	الوصاف للخيل	٤
العشاق	٨	الموالي	١
الصعاليك	٧	سائر الشعراء	٣٦
اليهود	٤	(الجملة)	١٢٥

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢٥ شاعراً وليس هم كل من قال شعراً في الجاهلية اذ لم ينبغ ذكي لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من اخبار اولئك نخبتهم واشعرهم ولم نذكر كل من وصلنا اخبارهم وانما اخترنا اكثرهم شعراً واقواهم شاعرية . والا ففي ديوان الحماسة وجمهرة العرب والمفضليات واشعار الهذليين والاغاني وسائر كتب الادب واللغة اسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من اقوالهم الا بيت او بضعة ابيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم من ادرك الاسلام وعاش في ايام الراشدين وقد عددناه جاهليًا لانه نشأ على طبائع الجاهلية واما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

لكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في اشعارهم حسب غرضها — فالشعراء الامراء او الملوك تمتاز اشعارهم بانفة الملك وعزه فيفتخرون بالسيادة اكثر مما بالسيف والرمح والقبيلة فمن اقوال أحدهم الافوه الاودي :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم   وان بنى غيرهم ما افسدوا عادوا

ويعدُّ هذا البيت من حكمة العرب . واذا مدحوا لا نجد في مدحهم تزلفاً او استجداء وانما يكون في سبيل الشكر على خدمة سلفت كقول امرىء القيس يمدح بني ثعل :

فابلغ معداً والعباد وطيئاً   وكندة اني شاكر لبني ثعل

وترى في تشابيهم عند الوصف ذكر آنية الترف التي يألفها الملوك والامراء فامرؤ

القيس لما اراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهي من آنية الترف عندهم قال :

وعين كمرآة الصناع تديرها   بمحجرها من النصيف المنقب

ووصف بعض حمر الوحش فشبه الوانها بانواع الوشي الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف والبقاء فيه ويشيرون الى مواليهم واعوانهم وغير ذلك مما ستراه في مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات فان كلاً منها تختص باسلوب او بشيء يميزها عن الطبقات الاخرى . فشعر العشاق المتيمين اكثره في التشبيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء اكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك ان يشترك الشاعر بغير غرض من هذه الاغراض اي ان يكون متحمساً وحكيماً وعاشقاً وغير ذلك فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا وانما جعلناهم من طبقة الفرسان لتغلب ذلك عليهم

وقد آن لنا ان نصف اشهر هؤلاء الشعراء واشعرهم وفيهم كثير الشعر وقليله وبعضهم نظموا كثيراً لم يصلنا من اشعارهم الا القليل فلا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من ايراد تراجم هؤلاء وانما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم او خلفوا آثاراً يمكن الحصول عليها ومطالعتها . ونكتفي في الآخرين بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة اخبارهم لمن اراد



اشهر شعراء الجاهلية

١ — اصحاب المعلقات

اختلف الرواة في عدد المعلقات واصحابها فابو زيد القرشي صاحب جمهرة اشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت . وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة وعنترة . ولكن الزوزني جعل المعلقات سبعاً ليس بين اصحابها النابغة ولا الاعشى واضاف الحارث بن حلّزة . واضاف ابو زكريا التبريزي فوق ذلك قصيدة عَبيد بن الأبرص فصارت المعلقات وملحقاتها عشرًا هذه اسماء اصحابها :

امرؤ القيس	عنترة
النابغة	عمرو بن كُلثوم
زُهير	الحارث بن حلّزة
طرَفة بن العبد	الاعشى
لبيد	عَبيد بن الابرص

وذكر ابو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ ﻫ وهو شارح المعلقات انها سبع وان بعضهم اضاف اليها قصيدتي النابغة والاعشى وان لم يعدهما من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من اصحاب المعلقات فيهم علقمة بن عبدة [١] لكنه لم يعين معلقته . وسنأتي هنا على ترجمة كل من نسبت اليه معلقة معينة فان الشاعرية تجمعهم جميعاً

هل علقت المعلقات بالكعبة ؟

واختلف اصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات في الجاهلية : فقال بعضهم ان العرب بلغ من تعظيمهم اياها حتى علقوها باستار الكعبة وانكر بعضهم ذلك وأكبروه. واقدم من انكره ابو جعفر النحاس النحوي المتقدم ذكره فقد قال في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان اكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الاشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها واثبتوها في خزائني . فاما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفه احد من الرواة . واصح ما قيل في هذا ان حماداً الراوية لما رأى

(١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضّهم عليها وقال لهم هـذه هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة » ونقل ذلك عنه الانباري فقال « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال هكذا ذكره ابو جعفر احمد بن محمد النحاس ولم يثبت ما ذكره الناس من انها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثرون يذهبون الى انها علقت في الكعبة وهذا ابن عبد ربه كان معاصراً للنحاس المذكور وتوفي قبـله (سنة ٣٢٨ ﻫ) قال « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في استار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات » [١] وايد ذلك كثيرون في اعصر مختلفة منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من اكبر نقدة الشعر قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لانها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت اجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته » [٢] فترى ان ابن رشيق اميل الى القول بتعليقها لانه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأي الآخر بقوله « وقيل »

اما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه وهذا قوله « حتى انتهوا (اي العرب) الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حُجر والنابغة الذُّبياني وزهير بن ابي سُلمى وعنترة بن شداد وطرَفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع » [٣]

وقد وافقهم اكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع — وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء واي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعد ما علمناه من تأثير الشعر في نفوس العرب

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ٦١ ج ١
(٣) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

وتعظيمهم لاصحابه ؟ أما الحجة التي اراد النحاس أن يضعف بها القول بتعليقها فهي غير وجيهة لانهُ قال « ان حماداً رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة ان الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في ايامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حماداً هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله او في ما قيل ؟ واليك تراجم اصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

١ — امرُؤُ القَيس بن حُجْر

توفي نحو سنة ٥٦٠ م

هو اشهر شعراء الجاهلية واشرفهم اصلاً وارفعهم منزلة يتصل نسبه بملوك كِندة وهم في قول العرب بطن من كهلان . وكانوا يقيمون في البحرين والمشقَّر ثم اجلوا عنها الى كِندة في حضرموت واليه ينسبون . اقاموا هناك دهراً يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين وقد ضاع اكثر اخبارهم . واقدم من عرفت اخباره منهم حُجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرىء القيس الشاعر . ونزح حُجر الى نجد ونزل بطن عاقل في اوائل القرن الخامس للميلاد وكان اللخميون (المناذرة) قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل وهم يومئذ بنجد فنهض البكريون معه لمحاربة اللخميين واستقلوا عن سلطانهم . فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفي باواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو وفي ايامه فتح الاحباش اليمن فضعف شأن دولته فوجه مطامعه نحو اللخميين في الحيرة وكان يحسدهم لتقربهم من الاكاسرة فاغتنم تغير كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء لسبب المزدكية وتقرب اليه فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون اليه بالطاعة وسألوه أن يولي عليهم من اراد . وكان له اربعة اولاد اقام كلاً منهم حاكماً على بعض القبائل ومنهم حُجر بن الحارث والد امرىء القيس تولى على بني اسد وغطفان

ثم انقلب الامر على الحارث بعد موت قباذ لان انو شروان ابنه وافق المنذر واخرج الحارث ففرَّ . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله وجعل يفسد بين اولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم و بقي اثنان هما حجر والد امرىء القيس ومعدي

كرب أمير قيس . ورأى بنو اسد تضعضع دولة كِندة فاجتمعوا على خلاف ملكهم حُجر وامسكوا عن اداء الاتاوة فحاربهم فقتلوه

وكان امرؤُ القيس عندمقتل ابيه غائباً فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الاخذ بثاره لان عدوه قوي . وعلم ايضاً ان ذلك العدو اذا عرف مقرَّه قبض عليه فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل فلم يجره احدٌ حتى اتى السموأل صاحب حصن الابلق فاستجاره فاجاره . فاستودعه ادراعه وامتعته وهو لا يرى من يستنصره على اعدائه الا قيصر الروم . لان ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا اعداءهُ على جاري عادة العرب في ذلك العهد — اذا تظلموا من احدى هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرىء القيس سبيل الى القيصر فوسط الحارث بن ابي شمر الغساني صاحب النفوذ عند قيصر الروم يومئذ وطلب اليه ان يوصله اليه فنفعل فسار امرؤُ القيس الى القيصر . ويقول العرب ان القيصر بعد ان اجاب دعوته وسمع مدائحه وشى به احد بني اسد اعدائه وقال للقيصر « ان امرأ القيس شتمك » فصدق الوشاية والبس الشاعر حلة مسمومة قتلته . ولا نعرف سما يفعل هذا الفعل . وفي كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل اربأ

وجاء في شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرىء القيس بالجدري ما نصهُ : « وذكر في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرىء القيس أمر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . ففعلوا وكان تمثال امرىء القيس هناك الى ايام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

شعر امرىء القيس

وكان امرؤُ القيس قويَّ الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر لان الملوك كانوا قبله يأنفون من قوله . ولكنه كان مطبوعاً عليه يقوله وابوه حيٌّ وكثيراً ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر ابوهُ ان يبعده عنه . فلم يبال بل جعل يجول في الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب و بكر بن وائل فاذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد اقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه . ولا يزال كذلك حتى ينفد

ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما اتاه نعيُ ابيه كان بدمون من ارض اليمن فغضب غضباً شديداً وغضبه هاج شاعريته واسفاره في البلاد زادت اختباره . ولعله جاء بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة والاسفار توسع الخيال الشعري واذا عاشر الناس وخالطهم اطلع على ادابهم واستفاد معاني جديدة أو تتفتق قريحته فتستنبط صوراً جديدة . وذلك من الاسباب التي جعلت امرأ القيس يسبق الى اشياء في الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعته الشعراء بها

واذا امعنت النظر في ما استنبطه من المعاني او الاساليب رأيتها من ثمار الاسفار وسعة الاطلاع فمنها استيقاف الصحب في الديار كقوله « قفا نبك الخ » فانه طبيعي في من قضى معظم حياته في توديع ديار واستقبال ديار . وقد كان الوفاً دقيق الشعور اذا اقام في المكان الفه واذا عاشر الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص في وصف الفرس والناقة وهذا طبعاً من ثمار الاسفار لانه كان يقضي الساعات والايام على فرسه لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به لانه اكبر مساعد له على النجاة في فراره من اعدائه . ولذلك فلا تكاد تقرأ له قصيدة الا وجدت فيها اياتاً يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعاني او اقتباسها — فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... سلكن ضحياً بين حزمي شعبعب

ولكن القارئ لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة وعند ذلك يرى وصفاً بديعاً لم يأت الشعراء باحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد اغتدي قبل الشروق بسابح ... اقبَّ كيعفور الفلاة محنَّب
بمنجرد قيد الاوابد لاحه ... طراد الهوادي كل شأو مغرّبِ
له ايطلا ظبي وساقا نعامة ... وصهوة عير قائم فوق مرقبِ
ويخطو على صم صلاب كانها ... حجارة غيل وارسات بطحلب
له كفل كالدعص لبّده الندى ... الى حارك مثل الغبيط المذأّب
وعينٌ كمرآة الصناع تديرها ... لمحجرها من النصيف المنقب
له اذنان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب

ووصف الفرس كثير في شعره فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر ضروب الوصف وله قصيدة في وصف المطر واخرى في الوصف على الاجمال مطلعها :

الا انعم صباحاً ايها الربع فانطق ... وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

ومع ما في شعره وسائر اشعار الجاهلية من اللفظ الغريب فقد امتاز امرؤ القيس برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله : كان عيون الوحش حول قبابنا ... وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله

كاني غداة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقد اجاد في صفة الفرس بقوله :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

له ابيات كثيرة جرت مجرى الامثال على السنة الناس واتخذ الشعراء بعضها قواعد لنظمهم . وهو اول من لطف المعاني . ومما بلغ حد النهاية في الرقة واللطف قوله :

وما ذرفت عيناك الا لتضربي ... بسهميك في اعشار قلب مقتلِ

وهو اول من وصف النساء بالظباء والمهى وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وسواه في القصيدة وقرب مآخذ الكلام فقيّد الاوابد واجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشبيهه قوله وهو مما يتغنى به :

وثغر اغر شتيت النبات ... لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظن به ... وبالظن يقضي عليك الحكم

ويقال ان امرأ القيس اول من شبب بالنساء بابيات مطلعها :

عهدتني ناشئاً ذا غرة ... رجل الجمة ذا بطن اقب (٢)

وله محاورة شعرية في اوابد العرب مع عَبيد بن الابرص اولها قول عَبيد :

ما حيّة ميتة قامت بميتها ... درداء ما انبتت سناً واضراسا

فاجابه امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها ... فاخرجت بعد طول المكث اكداسا

وهي طويلة

(١) المزهر ٢٣٩ ج ٢ (٢) الاغاني ٦٧ ج ٢

معلقته وسبب نظمها

اما معلقته فقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل وخظر عليه لقاءها واعلهم منعوه منها لما كان من رغبته في الشعر . اما هوفكان يسترق الفرص لملاقاتها . فاغتنم فرصة ظعن الحي وكانوا اذا ظعنوا مشى الرجال اولاً ثم النساء فتخلف امرؤ القيس عن الرجال وتربص حتى ظمنت النساء . وكان في طريق الظاعنين غدير يسمى دارة جلجل في منازل كندة بنجد . فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير وفيهن عنيزة فنزعن ثيابهن ونزلن في الماء فبرز هو من مخبأه وجمع الثياب وجلس عليها وحلف انه لا يعطي الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية

فخرجن وبقيت عنيزة واقسمت عليه أن يعدل عن شرطه فابى والح عليها بالخروج فخرجت ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة عليه واخذن يعنفنه وقلن له « انك اخرتنا عن الحي وجوعتنا » فقال « ساعقر لكنَّ راحلتي تأكلن منها » فعقرها واتين بالحطب وجعلن يشوين اللحم ويأكلن حتى شبعن . وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها . فلما ارتحلن احتملن امتعته على رواحلهن وبقي هو لامركب له فقال لعنيزة « لا بدَّ لك من ان تحمليني » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم هودجها فجعل يدخل رأسه من الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته ومطلعها :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

وصف بها ما تقدم احسن وصف وهي مدرجة مع سائر المعلقات في كتاب شرح عدة شروح

اما سائر اشعاره فانها جمعت في ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧ وفي غيرها . وقد شرحه البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ وللنحاس شرح للمعلقة طبع في هال سنة ١٨٧٦ وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربي في بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيراً من اشعار امرىء القيس واخباره في كتاب الاغاني ٦٢ ج ٨ و١٩ ج ٢ والشعر والشعراء (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ص ٣٧ وفي شرح المعلقات. وفي كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ وخزانة الادب ٥٣٢ ج٣ وفي شعراء النصرانية صفحة ٦ وفي جمهرة اشعار العرب ٣٩ وفي اكثر كتب الادب والتاريخ

٢ـ زُهير بن أبي سُلمى

توفي سنة ٦٣١ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزُهير والنابغة وانما اختلفوا في تقديم احد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعاني فقد امتاز زهير بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح وهو لا يعاظل في الكلام ويتجنب وحشيه ولا يمدح احداً الاَّ بما فيه وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ويقولون انه احسنهم شعراً وابعدهم عن سخف واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر وكان يقيم هو وابوه وولده في منازل بني عبدالله بن غطفان بالحاجز من نجد . واول من نزل هناك منهم ابوه ابو سُلمى لانه تزوج امرأة من بني فهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً واوساً وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ولذلك كان زهير يذكر في شعره بني مرة وغطفان ويمدحهم . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم وورع . فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً . وكثر ماله واتسعت ثروته وكان مع ذلك عريقاً في الشاعرية فكان ابوه شاعراً وكذلك خاله واخته وابناه . وكان لشعره تأثير كبير في نفوس العرب وكان مقرباً من امراء ذبيان وخصوصاً هرم بن سنان والحرث بن عوف . واول قصيدة نظمها في مدحهما معلقته المشهورة التي مطلعها :

امن امّ اوفى دمنة لم تكلمِ بحومانة الدرَّاج فالمتثلم

قالها على اثر مكرمة اتياها بحجب الدماء بين عبس وذبيان [1]

ثم مدح هرماً بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ان لا يمدحه زهير الاَّ اعطاه ولا يسأله الاَّ اعطاه ولا سلم عليه الا اعطاه عبداً أو وليدة أوفرساً. فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فاصبح اذا رآه في ملاء من الناس قال «عموا صباحاً غير هرم. وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم «انشدني بعض مدح زهير اباك» فانشده

(١) الاغاني ١٤٩ ج ٩

فقال عمر « انه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » فقال عمر « قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم » ومدح زهير ايضاً سنان بن ابي حارثة المري وحصن بن حذيفة بن بدر وغيرهم

وبما قاله في مدح هرم ولم يسبقه اليه احد قوله :

قد جعل المبتغون الخير من هرمٍ   والسائلون الى ابوابه طرُقا
من يلقَ يوماً على علاته هرماً   يلقَ السماحة منه والندى خُلقا
يطلب شأو امرأين قدَّما حسباً   بذَّا الملوك وبذَّا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما   على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل   فمثل ما قدَّما من صالحٍ سبقا

ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد ان استهل بوصف الصيد ثم تخلص الى المدح في قصيدة طويلة جئنا بمثال منها في صفحة ٨١ من هذا الكتاب وتجد امثلة من نظمه في اماكن اخرى منه

ويؤخذ من بعض اقواله انه كان مؤمناً بالبعث كقوله :

يؤخر فيودع في كتاب فيدَّخر   ليوم الحساب او يعجَّل فينقم

ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره قوله في معلقته التي نقلنا بعضها صفحة ٢٩ من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضي في بيت واحد وهو :

فان الحقَّ مقطعهُ ثلاثٌ   اداءٌ او نفارٌ او جلاء (١)

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت اشعاره في ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع سنة ١٣٢٣هـ وشرحه الشنتمري المعروف بالاعلم المتوفى سنة ٤٧٦ وقد طبع هذا الشرح في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ وله شروح اخرى ضاعت او لم نقف عليها . وكتب ديروف Dyroff الالماني كتاباً بالالمانية في زهير واشعاره . ومما لم ينشر منها طبع في منشن سنة ١٨٩٢

وقد جمعت اخباره واقواله في كتاب الاغاني ٤٨ و١٤٦ج ٩ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين . وخزانة الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ وجمعت معلقته الى سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره وهوامش شروحها وقد نشره الدكتور رهوسهير الالماني سنه ١٩٠٥ في برلين مع مقدمة المانية مفيدة

(١) العمدة ٣٠ ج ١

٣ ــ النابغة الذُّبياني

توفي سنة ٦٠٤م

هو احد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذُبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غضَّ الشعر منهم كما غض من امرئ القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر فوشى به الى النعمان فهرب النابغة الى بني غسان ونزل بعمرو بن الحارث الاصغر ملك الغساسنة فمدحه . وما زال مقيماً عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان اخوه فصار معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة ايضاً حسان بن ثابت الانصاري ولكن النابغة كان مقدماً على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره فاذا جاء عكاظ ضربوا له في سوقها قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون اشعارهم . واول من انشده الاعشى ثم حسان ثم الخنساء . وهذا شرف لم ينله احد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بانه احسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتاً فكأن شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر في كل اقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال واقتبس الشعراء كثيراً من اقواله منها :

نبئت ان ابا قابوس اوعدني   ولا قرار على زأر من الاسدِ

تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان وقوله :

فلو كفّي اليمين بغتك خوناً   لأفردت اليمين من الشمالِ

اخذه المثقب العبدي فقال :

ولو اني تخالفني شمالي   بنصر لم تصاحبها يميني

وقوله

لحملتني ذنب امرئ وتركته   كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع

اخذه الكميت فقال :

ولا اكوي الصحاح براتعات   بهن العرّ قبلي ما كوينا

وقوله :

واستبقِ ودّك للصديق ولاتكن قتباً يعضُّ بغاربٍ ملحاحا

اخذه ابن ميادة فقال :

ما ان أُلحّ على الاخوان اسألهم كما يلح بعضّ الغارب القتبُ

ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أَنها عرضت لاشمط راهب عبد الاله صرورة متعبّد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد

اخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال :

لو انها عرضت لاشمط راهب في راس مشرفة الذرى يتبتلُ
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولهمَّ من ناموسه يتنزل

ومما يتمثل به ايضاً من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولاتقعد على ضمدِ

وقال في العفة وهو احسن ما قيل فيه :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب

اخذه عدي بن زيد فقال :

اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكي بصلب وازار

فالصلب الحسب والازار العفاف وفي امثالهم اصدق من قطاة ـ قال النابغة :

تدعو القطا وبها تدعى اذا نسبت ياحسنها حين تدعوها فتنتسبُ

وذلك لانها تلفظ باسمها . اخذه ابو نواس فقال :

اصدق من قول قطاة قطا

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من اصحاب الحيرة . وعمرو بن الحارث الغساني واخاه النعمان و وائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة ورثى واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفي قليل في منظومه الا القصيدة التي نظمها في وصف المتجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم مطلعها . ومن قوله في وصفها :

نظرت بمقلة شادن متربب احوى احم المقلتين مقلدِ
والنظم في سلك يزيّن نحرها ذهب توقّد كالشهاب الموقد
صفراء كالسيراء أُكمل خلقُها كالغصن في غلوائه المتاود

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعدِ
او درة صدفية غوّاصُها بهج متى يرها يُهلّ ويسجدِ
او دميةٍ من مرمر مرفوعة بنيت بآجرّ تشادُ وقرمدِ
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتّقتنا باليدِ
بمخضّب رخص كان بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يعقدِ

وهي طويلة وفيها ابيات لا يليق نشرها ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هي عادة الجاهليين بتمثيل الواقع وكما فعل سليمان الحكيم في نشيد الاناشيد . ومن احسن شعره معلقته التي مطلعها :

عوجوا فحيوا لنعمٍ دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجارِ

وهي ستون بيتاً ذكرها صاحب جمهرة اشعار العرب من جملة المعلقات فصاروا ثمانية واما الزوزني فلم يذكرها

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة منها مع الشعراء الستة . وشرحٌ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد ترجمه الى الفرنساوية وطبعه مع الاصل العربي المسيو دير نبرج في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٦٨ وصدر بالامس كتاب اسمه التوضيح والبيان لاشعار نابغة ذبيان طبع بمصر

واخباره متفرقة في الاغاني ١٦٢ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفي دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفي شرح المعلقات وسائر كتب الادب

٤ — أَعْشَى قَيس

توفي سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل من ربيعة وهو احد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب[1] ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه اول من سأل بشعره وانتجع به اقاصي البلاد وكان يغني به فسموه صناجة العرب وقد تقدم

(١) الاغاني ٧٧ ج ٨

انه قدري المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبالـ عدل وولى الملامة الرجلا

ويظن انه اخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذي زوج بنات المحلق بابيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوماً الا رفعهم ولم يهج قوماً الا وضعهم لانه من اسير الناس شعراً واعظمهم فيه حظاً (١) وله منافرة مع علقمة الفحل . ويمتاز الاعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر اذ قلّ فيهم من ذكرها واما هو فقد وصفها بقوله :

واد كن عاتق جحل ربخل صبحت براحه شربا كراما
من اللائي حملن على المطايا كريح المسك تستلّ الزكاما

وقوله : من خمر عانة قد اتى لختامها حول تسلُّ غمامة المزكوم

وقد ادرك النبي ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

الم تغمض عيناك ليلة ارمدا وعادك ماعاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفىً حتى تزور محمدا
نبيٌّ يرى مالا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله يدا

فلما علم ابو سفيان بذلك حرض قومهُ على ارضائه بالرجوع خوفاً من ان يسلم فينصره بشعره عليه فجعلوا له مائة من الابل فاخذها ورجع — وله معلقة مطلعها :

ما بكاء الكبير في الاطلال وسؤالي وما تردُّ سؤالي (٢)

وللاعشى ديوان خط في المكتبة الخديوية . ولهُ قصيدتان ترجمتا الى الالمانيـة ترجمها المستشرق الالماني غاير Geyer الاولى الملعقة المتقدم ذكرها والثانية اولها « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد عني بشرحها مطولاً حتى بلغت صفحات شرح الاولى وحدها ٢٢٣ صفحة . والمستشرق المذكور ولع خاص في شعر الاعشى وهو يطبع ديوانه عن النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة في الاسكوريال

وتجد اخبار الاعشى واشعاره في الاغاني ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧ ج ٨ و١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفي سيرة الرسول ومعجم البلدان وفي سائر كتب الادب

(١) العمدة ١٤٦ ج ٢ (٢) جمهرة اشعار العرب ٥٦

٥ — لَبِيد بن رَبِيعة

توفي سنة ٦٧٥ م

هو لبيد بن ربيعة العامري (من قيس) وكان من اشراف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال انه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية وقد ادرك الاسلام واسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة ايام عمر بن الخطاب فاقام بها حتى مات في اواخر خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ في الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه — ذكروا ان النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان بن المنذر فتوسم فيه الشاعرية فسأل عنه فنسبوه فقال له « يا غلام ان عينيك لعينا شاعر افتقرض من الشعر شيئاً » قال « نعم ياعم » قال « فانشدني » فانشده قوله « الم ترجع على الدمن الخوالي الخ » . فقال له « يا غلام انت اشعر بني عامر زدني » فانشده قوله « طلل لخولة في الرسيس قديم » . فضرب بيده على جنبيه وقال « اذهب فانت اشعر من قيس كلها »

واكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن . وذكروا ان عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له « استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام » فارسل الى الاغلب الراجز العجلي فقال له انشدني فقال :

ارجزاً تريد ام قصيداً لقد طلبت هيناً موجوداً

ثم ارسل الى لبيد فقال « انشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها وقال « ابدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر فنقص من عطاء الاغلب خمسماية وجعلها في عطاء لبيد (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من اجواد العرب وقد آلى على نفسه في الجاهلية ان تهبَّ صبا الا اطعم وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في الكوفة فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال « انَّ اخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ان لا تهب

(١) الاغاني ٩٧ ج ١٤

صبا الا اطعم وهذا يوم من ايامه وقد هبت صبا فاعينوه وانا اول من فعل» ثم نزل عن المنبر فارسل اليه بمائة بكرة وكتب اليه بابيات قالها :

اری الجزار يشحذ شفرتيه اذا هبت رياح ابي عقيلِ
اشمّ الانف اصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيلِ
وفى ابن الجعفريّ بحلفتيه على العلات والمال القليلِ
بنحر الكوم اذ سحبت عليه ذيول صبا تجاذب بالاصيلِ

فلما بلغت اياته لبيد قال لابنته اجيبه فلعمري لقد عشت برهة وما اعيا بجواب شاعر فقالت ابنته :

اذا هبت رياح ابي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
اشم الانف اروع عبشميًّا اعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كان ركباً عليها من بني حام قعودا
ابا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فاطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد وظني لا ابا لك ان تعودا

فقال لها لبيد قد احسنت لولا انك استطعمته فقالت « ان الملوك لا يستحى من مسئلتهم» فقال « وانت يابنية في هذه اشعر »

ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتاً واحداً هو :

الحمد لله اذ لم يأتني اجلي حتى كساني من الاسلام سربالا

اما معلقته فمطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبَّد غولها فرجامها

وقد جمعت اشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية يوسف ضياء الدين الخالدي ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة الشاعر بعناية هوبر Huber وطبع في ليدن سنة ١٨٩١ . وله سيرة بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت في ليدن سنة ١٨٨٧ واخرى لكريمر Kremer طبعت في فينا سنة ١٨٨١ واخباره في الاغاني ٩٣ ج١٤ و١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢ والجمهرة ٦٣ وغيرها من كتب الادب

٦ – عَمرو بن كُلثُوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب وامه ليلى بنت مُهلهِل اخي كليب المشهور فهو حفيد مُهلهِل واشتهرت امه ليلى بالانفة وعظم النفس تفاخراً بابيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو في الخامسة عشرة وقد عمَّر طويلا وكان اعز الناس نفساً واكثرهم امتناعاً وانفة وكان شاعراً مطبوعاً اشتهر بمعلقته التي مطلعها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

وهي حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على الف بيت وانما وصل الينا بعضها . وقد نظمها غضباً لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجباً بنفسه فقال يوماً للندماء « هل تعلمون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي» فقالوا « نعم ام عمرو بن كُلثوم » قال « ولِمَ » قالوا « لان اباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل اعزّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه »

فارسل عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كُلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمَّهُ امه . فاقبل ابن كُلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو ابن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق وقد كان عمرو بن هند امر امه ان تنحي الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند « ناوليني يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فاعادت عليها وألحت فصاحت ليلى « وأذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به راس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبهُ وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمي غضبه واخذته الانفة والنخوة فنظم معلقته اولعله نظم بعضها في ذلك الحين ثم اتمها في حادثة اخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على اثر خلاف جرى بين قومه التغلبين واخوانهم البكريين وتقاضوا الى عمرو هذا . وكان قد اصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليها شروطاً اذا اختصما . فلما جاؤوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدي صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلب على بكر فطارد ابن هرم فنهض ابن كلثوم وانشد معلقته وكان حاضراً هناك الحارث بن حلّزة من بكر وائل فانشد معلقته كما سيجيء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة امه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها اشارة الى كلتيهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه المعلقة في سوق عكاظ فانشدها في موسم مكة وكان بنو تغلب يعظمونها ويرويها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلى نحو وصف النابغة المتجردة ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه واهله واشار الى ما اراده ابن هند من احتقار والدته وذكر واقعة لهم في ذي اراط فازوا بها وابدعوا ثم تخلص الى الفخر في ابيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير فخر   اذا قُببٌ بابطحها بنينا
باناً العاصمون اذا اطعنا   وانا العارمون اذا عُصينا
وانا المنعمون اذا قدرنا   وانا المهلكون اذا أُتينا
وانا الحاكمون بما اردنا   وانا النازلون بحيث شينا
وانا التاركون لما سخطنا   وانا الآخذون لما هوينا
وانا الطالبون اذا نقمنا   وانا الضاربون اذا ابتلينا
وانا النازلون بكل ثغر   يخاف النازلون به المنونا
ونشرب ان وردن الماء صفواً   ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن اشعاره متفرقة في الاغاني ١٨١ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح القصائد العشر ١٠٨ وفي معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها

٧ — الحَارِثُ بن حِلّزَة اليَشْكُرِي

توفي سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل وقد اشتهر بين اهل العراق وكان به وضح أي برص وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهي قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد الآتي ذكره . وقد تقدم ان الحارث كان في الوفد البكريين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه واوشك ان يقضي لبني تغلب قال الحارث بن حلزة لقومه « اني قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه . فروّاها اناساً منهم فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه انشادهم فقال اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي لكني اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور وينضح اثري بالماء اذا انصرفت عنه . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احد به سوء . ثم خاف ابن حلّزة على قومه وقال « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمرو بن هند « ان به وضحاً » فامر ان تمدّ بينه و بين الحارث سبعة ستور . فجعلت . فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك « أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته » فاجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التي مطلعها :

آذنتنا ببينها اسماء   ربَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثواء

وكانت هند ام عمرو صاحب الحيرة تسمع فقالت « تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك « ارفعوا ستراً وادنوا الحارث » حتى اذا ازيلت الستور السبعة اقعده الملك قريباً منه وبالغ في اكرامه وضرب بالحارث المثل بالفخر فقيل « افخر من الحارث بن حِلّزة » وخصوصاً لانهم يزعمون انه قالها ارتجالاً وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من ايام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحاً وعرض ببعضها لعمرو بن هند فهي من قبيل الملاحم في وصف الوقائع

وللحارث غير معلقته ابيات قليلة منشورة مع اخباره في الاغاني ١٧٧ ج ٩ وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ وفي سائر كتب الادب

٨ — طَرَفَةُ بن العَبْدِ

توفي سنة ٥٥٠م

هو ابو عمرو طَرَفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس وقد نبغ في الشعر من حداثته حتى صار يعدُّ من الطبقة الاولى وتوفي صغير السن . ومع كونه من المقلين فان اشعاره كانت معول اصحاب اللغة في الاستشهاد وكان في صباه عاكفاً على الملاهي يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ولكن حبه في قومه جعله جريئاً على الهجاء ومات ابوه وهو صغير فابى اعمامه ان يقسموا ماله وظلموا حقا لامه وردة فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها :

ما تنظرون بحق وردة فيكم صَغُر البنون ورهط وردة غُيَّبُ

واشتهر بالاكثر بمعلقته · ويقال في سبب نظمها ان اخاه معبداً كانت له ابل ضلت فذهب اخوه طَرَفة الى ابن عمه مالك ان يعينه في طلبها فلامه وانتهره وقال « فرطت فيها ثم اقبلت تتعب في طلبها » فهاجت قريحة طرفة فقال معلقته التي مطلعها :

لخولةَ اطلالٌ ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وفيها يشبه حدوج حبيبته بالسفن السابحة في الماء ثم يصف ناقته وصفاً جميلاً يوهمك لاول وهلة انه يصف حبيبته ولكنك لا تلبث ان ترى وصفه الدقيق لكل عضو من اعضائها حتى ذيلها وقلبها ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب عمه على تعنيفه ويأسف لانه لا يقدر ان يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطَرَفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان سبباً لقتله . وذلك : ان طرفة كان في صباه معجباً بنفسه يتخلج في مشيته فمشى تلك المشية مرة بين يدي عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبتلعه من مجلسه . وكان المتلمس حاضراً فلما قاما قال له المتلمس « يا طرفة اني اخاف عليك من نظرته اليك» فقال طرفة «كلاَّ » ثم انه كتب لهما كتابين الى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بارض قريبة من الحيرة رأيا فيها شيخاً دار بينهما وبينه كلام نبه المتلمس لى ما قد يكون في الكتاب الذي يحمله من الاذى . ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بغلام من اهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة فقال له المتلمس يا غلام اتقرأ قال نعم قال اقرأ هذه فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر اذا اتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً » فالقى المتلمس الصحيفة في النهر وقال « ياطَرَفة معك والله مثلها » فقال « كلاَّ ما كان ليكتب لي مثل ذلك » ثم اتى طرفة الى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى في حتفه بنفسه

وقد جمعت اشعار طرَفة في ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة فرنساوية بعناية الموسيو سلكسن . وتجد اخبار طرفة مع بعض اقواله متفرقة في الاغاني وفي شرح المعلقات وامثال الميداني وحياة الحيوان للدميري ٢٠٩ج ٢ والجمهرة ٨٣ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفي شرح القصائد العشر ٣٠ وفي الحماسة وغيرها . وفي المجلة الاسيوية الفرنساوية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة عنه وعن المتلمس

٩ — عَنْتَرَة بن شَدَّاد العَبْسي

توفي سنة ٦١٥م

هو عنترة بن شداد من قبيلة عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان الشجعان وعشق فهاجت شاعريته واتسع خياله . واخباره مدونة في قصته المشهورة لكن اكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنترة فلا شك في وجوده وله حروب واشعار. والصحيح من خبره أن أمه زبيبة كانت حبشية فلما انجب ابنها وظهرت مواهبه اعترف به ابوه والحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر

وهو احد اغربة العرب وامهاتهم اماء وهم ثلاثة عنترة وخفاف بن عمير والسليك بن السلكة . وشهد عنترة حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بني عبس في ابل اخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديله وثعل وكان عنترة مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكاه الثعليون الى غطفان . ووقائعه كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع وهم في اختلاف في سبب قتله . واحب

عبلة بنت عمه وهو يذكرها في اكثر اشعاره

ولعنترة اشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير والرواة مختلفون في ما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم   ام هل عرفت الدار بعد توهم

ويقال في سبب نظمها انه جلس يوماً في مجلس بعد ما كان قد ابلى واعترف به ابوه واعتقه فسابّه رجل من بني عبس ذكر سواده وامه واخوته . فسبه عنترة وفخر عليه وقال فيما قال له « اني لاحضر البأس واوفي المغنم واعف عند المسئلة واجود بما ملكت يدي وافضل الخطة الصماء » قال له الرجل « انا اشعر منك » . قال « ستعلم ذلك » فقال عنترة يذكر قتل معاوية بن نزال وهي اول كلمة قالها

فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ثم استأنف الى الفخر والحماسة . واكثر الرواة ينكرون ان يكون مطلع المعلقة له ومنهم الاصمعي وابن الاعرابي وكلهم يقولون ان اول المعلقة الحقيقي :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي   وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق مطلعها :

الا قاتل الله الطلول البواليا   وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وصف فيها الواقعة وافتخر . وله قصيدة فخيمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب   ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ

وفي هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن اقواله قصيدة يهدد بها عمارة والربيع بن زياد العبسي معرضاً بذكر قومهما مطلعها :

لغير العلى مني القلا والتجنب   ولولا العلى ما كنت للعيش ارغب

وغير هذه شيء كثير تراجع في ديوانه وفيه معان لم يسبق اليها منها قوله في التشبيه :

وخلا الذباب بها فليس ببارح   غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه   فعل المكبّ على الزناد الاجذم

وقوله :

واذا شربت فانني مستهلك   مالي وعرضي وافرٌ لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى   وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن ذلك قوله :

اني امرؤ من خير عبس منصبا   شطري واحمي سائري بالمنصل

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت   أُلفيت خيراً من مُعمٍ مخول

يقول النصف من نسبي في خير عبس واحمي النصف الآخر وهو نسبه في السودان بالسيف فاشرفه ايضاً ومن احسن شعره قوله :

بكرت تخوفني الحتوف كانني   اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل

فاجبتها ان المنية منهل   لابد ان اسقى بذاك المنهل

فاقني حياءك لا ابا لك واعلمي   اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

ان المنية لو تمثل مثلت   مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

ومن افراطه قوله :

وانا المنية في المواطن كلها   والطعن مني سابق الآجال

وفي هذه يفخر باخواله من السودان اذ يقول :

اني لتعرف في الحروب مواطني   في آل عبس مشهدي وفعالي

منهم ابي حقاً فهم لي والد   والام من حام فهم اخوالي

واشعار عنترة كلها واردة فى قصته وقد افردها بعضهم فى ديوان على حدة وطبع فى بيروت بغير تحقيق مما هو له وما ليس له . وقد وردت اخباره في الاغاني ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠ وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمناه في السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالماني توربكي Thorbecke كتاب بشأنه طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨

قصة عنتر

اما قصته فقد اختلفوا في واضعها . ويظهر لنا انها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك انها توسعوا بها واضافوا اليها رويداً رويداً حتى بلغت ماهي عليه الآن . وكان من عادة المسلمين في صدر الاسلام ان يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة اخبار الشجعان فرسانهم الجاهليين وقد رايناهم يفعلون ذلك في القرن الاول للهجرة في زمن الحجاج ابن يوسف سنة ٧٧ في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء وزهر بن حوبة

ذكر ابن الاثير ان عتاباً سار في اصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال « ابن القصاص » فلم يجبه احد فقال «اين من يروي شعر عنتر» فلم يجبه احد الخ

فكانو اولاً يروون اشعار عنترة للتحميس ثم صاروا يجمعون اخباره واحاديثه ويتناقلونها رواية عن الاصمعي وهي تتسع حتى جمعت بمصر في اواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلاً اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بباب العزيز بالله فاتفق ان حدثت ريبة في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك واشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه ان يشغلهم عن هذا الحديث وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث وكان قد اخذ روايات شتى عن ابي عبيدة ونجد بن هشام وجهينة الاخبار والاصمعي وغيرهم من الرواة فأخذ يكتب قصة عنتر ويوزعها في الناس فاعجبوا بها واشتغلوا عن سواها ومن تلطفه في الحيلة انه قسمها الى ٧٢ كتاباً والتزم في آخر كل كتاب ان يقطع الكلام عند معظم الامر الذي يشتاق القارىء والسامع الى الوقوف على تمامه . فلايفتر عن طلب الكتاب الذي يليه فاذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى في الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد اثبت في هذه الكتب ماورد من اشعار العرب المذكورين فيها ولكن تداول الناسخين افسد روايتها والقصة مشهورة ومطبوعة مراراً

١٠ـ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسَدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بني أسَد من مضر من شعراء الطبقة الاولى قديم الذكر عظيم الشهرة لكن الباقي من شعره اقل من شهرته وكان عَبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا في سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال فاقبل ذات يوم بغُنيمة له ومعه اخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من مالك وجبهه فانطلق حزيناً مهموماً ثم ابتهل الى الله ان كان فلاناً ظلمني ورماني بالبهتان فادلني منه وانصرني عليه . ووضع رأسه فنام فرأى في المنام ان رجلاً اتاه بكبة من شعر القاها في فيه ثم قال « قم فقام وهو يرتجز واستمر بعد ذلك على قول الشعر حتى صار شاعر بني أسد غير مدافع فنظم قصيدته البائية وهي التي تعد من المعلقات مطلعها

اقفر من اهله ملحوب فالقطَبيـاتُ فالذنوب

وهي ٤٨ بيتاً نشرها التبريزي ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتي الاعشى والنابغة في شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمهرات عند صاحب جمهرة اشعار العرب وجمهرته عنده هي نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير [1]

وفي ايامه حكم حُجر بن الحارث الكِندي والد امرىء القيس على بني اسَد كما تقدم وكان عَبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغنَّى بها مطلعها :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أمِّ عمرو ولم يلمم بميعاد

وابى بنو اسد مرة ان يدفعوا الاتاوة لحجر وقتلوا رسله فغضب وحاربهم واباح اموالهم واخرجهم الى تهامة وحبس بعض سادتهم وفيهم عبيد بن الابرص . فذهب منهم وفدٌ اليه وجاء عَبيد فوقف وانشد قصيدة جاء فيها :

ومنعتهمْ نجداً فقـد حلوا على وجل تهامهْ
برمت بنو اسد كما برمت بيبضتها الحمامه
جعلت لها عودين من نشم وآخر من ثمامه
مهما تركت تركت عفواً او قتلت فلا ملامه
انت المليكُ عليهـم وهم العبيد الى القيامه
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الاشيقرذو الخزامه

فاطلق حُجر سبيلهم . ثم ثارت أسَد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرناه في ترجمة امرىء القيس . وغضب امرؤُ القيس ولم يقبل منهم دية ابيه وتوعدهم فقال عَبيد قصيدة مطلعها :

يا ذا المخوِّفنـا بقتـ ـل ابيه اذلالاً وجبنـا
وزعمت انك قد قتلـ ـت سراتنـا كذباً ومينا

وعمر عبيد طويلاً حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث خلاصته ان المنذر قتل نديمين له من بني اسد وهو غضبان فلما اصبح ندم فبنى على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك احدهما يوم نعيم والاخر يوم بؤس . فاول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مئة من الابل واول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله و يطلي بدمه الغريين . فاتفق لعبيد انه اتاه في يوم بؤسه فقتله . وهذا

(١) الجمهرة ١٠٠

الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان لكن في حادثة حنظلة يمثل الوفاء احسن تمثيل اذ يطلق النعمان حنظلة بضمانةٍ على ان يغيب سنة ثم يعود ليقتل فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد ان نجا بنفسه فقال الوفاء

فلعلَّ الاصل فيها قصة عبيد فزاد عليها العرب وعد حنظلة ووفاءه ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كان يفعل اليونان في الروايات التمثيلية (درام) وقد اشرنا الى ذلك قبلا

ومن احاسن شعر عبيد قصيدته الدالية التي مطلعها :

امن دمنة اقوت بجوة صرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدَّد

وفيها حكم وحماسة وفخر

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكار جيب بانكلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall

وتجد اخبار عبيد في الاغاني ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة ومعجم البكري وغيرها

المعلقات والمستشرقون

وقد عني غير واحد في شرح المعلقات وان اختلفوا في عددها كما تقدم . وعني جماعة من علماء اوربا المستشرقين في ترجمتها وشرحها . اشهر من فعل ذلك منهم وليم جونس W. Jones الانكليزي فقد نشرها مع ترجمة وشرح في لندن سنة ١٧٨٣ وأبل Abel النمساوي ترجمها الى النمساوية ونشرها مع الاصل العربي في برلين سنة ١٨٩١ . ثم جنسن Johnson الانكليزي ترجمها الى الانكليزية ونشرها في لندن سنة ١٨٩٤ مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعر الجاهلية لايل Lyall المذكور كتاباً طبع في لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكي Nœldeke الالماني وغيرهما

اشهر شعراء الجاهلية بعد اصحاب المعلقات

١ — الشعراء الامراء

ان الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعراً منهم اثنان من اصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمناهما واليك من بقي :

١ — الأَفوَهُ الأَوْدِي

توفي سنة ٥٧٠ م

هو صلاءة بن عمرو من أود وينتهي نسبه الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله :

ان النجاء اذا ما كنت في نفر من اجّة الغي ابعاد فابعادُ
والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلَّ ما زادُ
والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتادُ
فان تجمَّع اوتادٌ واعمدة وساكنٌ بلغوا الامر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهّالهم سادوا
تهدا الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاشرار تنقاد
اذا تولى سراة الناس امرهم نما على ذاك امر القوم فازدادوا

ومن حماسياته قوله :

نقاتل اقواماً فنسبي نساءهم ولم يردوا غيراً لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى ان نقاد ولا نرى لقوم علينا في مكارمة فضلا
وانا بطاء المشي عند نسائنا كما قيّدت بالصيف نجدية بزلا

وقد جمعت اقواله في الاغاني ٤٤ ج ١١ وشعراء النصرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله ابيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس له ديوان مجموع

٢ — المُهَلهِل بن ربيعة

توفي سنة ٥٣١ م

هو عدي بن ربيعة التغلبي اخو كليب من نجد من الطبقة الاولى وهو خال امرىء

القيس الشاعر الملك . وكان المُهلهِل فصيحاً شديد البأس في الحروب وقد شهد حرب يوم السلان مع اخيه كليب وابلى بلاءً حسناً . وكان المهلهل في اول امره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء فسماه اخوه كليب « زير النساء » اي جليسهن ولم يكن يرجو منه خيراً . فلما قتل كليب في امر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر فهاجه مقتل اخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثار وجزَّ شعره وقصَّر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب ونهض للحرب — وما اشبه عمله هذا بعمل ابن اخته امرىء القيس. ولعل هذا ورث الشاعرية من خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو اربعين سنة كان النصر فيها سجالاً ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المُهلْهِل في اثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل اخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين فقال « استبقين للبكاء عيوناً الى آخر الابد » وقال وهو اول شعره :

كنَّا نغار على العواتق اذ ترى   بالامس خارجة عن الاوطانِ
فخرجن حين ثوى كليب حُسَّراً   مستيقنات بعدهُ بهوانِ
فترى الكواعب كالظباء عواطلاً   اذ حان مصرعهُ من الاكفانِ
يخمشن من ادم الوجوه حواسراً   من بعده ويعدن بالازمانِ
متسلبات نكدهن وقد ورى   اجوافهن بحرقة ورواني

ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالايثار . ومن مراثيه باخيه قوله من قصيدة :

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها   ان انت خليتها في من يخليها
كليب ايُّ فتى عزٍّ ومكرمة   تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم   مادت بنا الارض ام مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت   وحالت الارض فانجابت بمن فيها

ومن اقواله قصيدته المعدودة من المنتقيات ومطلعها :

حلَّت ركابُ البغي من وائلٍ   في رهط جساس ثقال الونوق

والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها المهلهل وتعرف

(١) اقرأ تفصيله في كتابنا « العرب قبل الاسلام » ٢٣٢ ج ١

بقصة الزير كما وضعوا قصة عنترة ولكنها متأخرة وعبارتها اقرب الى العامية . وللمهلهل ذكر في تاريخ الشعر العربي فانه اول من طوَّل قصائده كما تقدم

وقد جمعت اشعاره في ديوان وهو اقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل الينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع لهُ ديواناً اخذهُ من اقواله في كتب الادب وغيرها ولم نقف عليه . ولكنك تجد معظم اشعاره في الاغاني ١٤٨ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة ١٦٥ وفي تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكري وشعراء النصرانية ١٦٠ وفي ديوان الحماسة وغيرها

٣ – عَبْد يغُوث
توفي سنة ٥٨٠م

هو عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً سيداً لقومه وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بني تميم وقد اسر يومئذ وقتل . وهو عريق في الشاعرية ونبغ من اهله غير شاعر وكلهم فحول . واحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت وكان قد أسر وشد لسانه بنسعة وخيروه في الطريقة التي يريد ان يقتل عليها فقال « اسقوني الخمر ودعوني انح على نفسي » فسقره وقطعوا له عرق الاكحل وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه فجعلا يلومانه على ما اركبهما من المشاق فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا   فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

ومنها قوله :

اقول وقد شدُّوا لساني بنسعة   امعشر تيم اطلقوا لي لسانيا
امعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا   فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلونيَ سيداً   وان تطلقوني تحربوني بما ليا
احقا عباد الله ان لست سامعاً   نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
وقد كنت نحَّار الجزور ومعمل ا   لمطيّ وامضي حيث لا حيَّ ماضيا
وانحر للشَّرب الكرام مطيتي   واصدع بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها   بكفي وقد انحوا اليَّ العواليا
كأني لم اركب جواداً ولم اقل   لخيلي كرّي نفّسي عن رجاليا
ولم اسبأ الزّقّ الرّويّ ولم اقل   لايسار صدق اعظموا ضوء ناريا

واخباره في الاغاني ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وفي شعراء النصرانية ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها

٤ — زُهَيْر بن جَنَاب

توفي سنة ٥٠٠ م

هو زهير جناب الكلبي من قضاعة وهو من مشاهير امراء العرب في الجاهلية ولد في آخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلاً ربما بلغ عمره ١٥٠ سنة وله حروب كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغلب لصاحب اليمن وما زال عليهم حتى حاولوا الاستقلال من اليمن كما تقدم

ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره وظل مع ذلك مقدماً عند ملوك اليمن والشام . وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفي نحو سنة ٥٠٠ وهو من اقدم الشعراء واجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل هذه امثلة منه في الحماسة :

ابى قومنا ان يقبلوا الحق فانتهوا اليه وانيابٌ من الحرب تحرقُ
فجاؤا الى رجراجة مستبيرة يكادُ المرنّي نحوَها الطرْفَ يصعقُ
دروع وارماح بأيدي اعزَّة ومَوضونةٌ مما افاد محرّقُ
وخيلٌ جعلناها دخيلَ كرامةٍ عقاراً ليوم الحرب تحفى وتغبقُ
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفّرُ فيه المضرحيُّ المذلّقُ

ويقال انه صاحب البيت المشهور

اذا قالت حزام فصدقوها فان القول ما قالت حزام

وجاءت اخباره في الاغاني ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء النصرانية ٢٠٥ وامثال الميداني وغيرها

٥ — عامر بن الطُفَيل العامري

توفي سنة ٦٣٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيماً لا يولد له ومن جيد شعره في الحماسة قوله :

وما الارضُ الا قيسُ عيلانَ اهلها لهم ساحتاها سهلها وحزُومها
وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغيومها

ومن قوله في الفخر :

فاني وان كنت ابن فارس عامر وسيدها المشهور في كل موكبِ
فما سودتني عامر من وراثة ابى الله ان اسمو بأم ولا ابِ
ولكنني احمي حماها واتقي اذاها وارمي من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان اخذت في نشره لجنة تذكار جيب الانكليزية مع ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall • وله اخبار في الشعر والشعراء ١٩١ والاغاني ٤٦ ج ١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣

٦ — ابو قيس بن الأَسلَت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم اسندوا اليه حربهم وجعلوه رئيساً عليهم في حرب يوم بعاث فقام بها خير قيام . ومن شعره قوله في امرأة خفرة :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتلُّ عن اتيانهنَّ فتعذر
وليس لها ان تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهو من اصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

قالت ولم تقصد لقول الخنى مهلاً فقد ابلغت اسماعي

واخباره في الاغاني ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦

٧ — الحُصَين بن الحُمام

توفي سنة ٦٢١ م

هو الحُصين بن الحُمام بن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يعرف بمانع الضيم . واحسن ما وصل الينا من اقواله قصيدة حماسية فخرية قالها على اثر نصر في موضع يقال لهُ دارة موضوع مطلعها :

جزى الله افناء العشيرة كلها بدارة موضوع عقوقاً ومأثما

وهي من جملة المفضليات التي اختارها المفضل الضبي . اخباره في الاغاني ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة النبوية لابن هشام والحماسة والعمدة

٨ — قَيس بن عاصِم

من تميم ويكنى ابا علي وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الغارات مظفر في

غزواته ادرك الجاهلية والاسلام وساد فيهما . وهو احد من وأد بناته في الجاهلية وله حديث عن احدى بناته يؤثر في النفس (١) وكان مشهوراً بالكرم لا يستطيع الاكل وحده ومن نظمه في ذلك قوله وقد جاءته امرأته بالطعام :

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس والورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي لهُ ... اكيلاً فاني لست آكلهُ وحدي
اخاً طارقاً او جار بيت فانني ... اخاف ملامات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف من غير ذلة ... وما بي الا تلك من شيم العبد

وعنه يروون وصية اوصى بها اولاده وضرب لهم مثل الاتحاد ان الاسهم اذا ضمت معاً يعسر كسرها واذا تفرقت كسرت

واخبار قيس في الاغاني ١٤٩ ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف ٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١

ومن الشعراء الامراء ايضاً :

٩ ورقاء بن زهير الغطفاني سيد بني عبس ترجمته في الاغاني ٨ ج ١٠
١٠ حُجر بن عمرو والد امرئ القيس « شعراء النصرانية ص ١
١١ امية بن الاسكر التيمي (مضر) « الاغاني ١٥٦ ج ١٨
١٢ منظور بن زبان سيد فزارة وقائدهم « الاغاني ٥٥ ج ١١
١٣ الاخنس بن شهاب من سادات تغلب « شعراء النصرانية ١٨٤
١٤ دُريد بن الصمَّة (توفي سنة ٦٣٠) من هوازن سيد جشم وهو من اصحاب المنتقيات . ترجمته في الاغاني ٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٤٧٠ وشعراء النصرانية ٧٥٢ والجمهرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذي يمكن الرجوع اليه في مطالعة خبره او امثلة من شعره ولهم اخبار وأشعار ايضاً في سائر كتب الادب . وخصوصاً الشعر والشعراء والحماسة

(١) اقرأه في الاغاني ١٥٠ ج ١٢

٢ – الشعراء الفرسان

هم اكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع اهل البادية وقلَّ من الشعراء من لم يركب او يغزو . ولكننا اختصصنا في هذا الفصل من غلبت عليهم الفروسية وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين وهم نحو ٤٠ فارساً لو اردنا ايراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكاناً كبيراً مع قلة الحاجة الى التفصيل في هذا المقام فنكتفي بذكر الاشهر منهم او من كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه . ونكتفي في من بقي منهم بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة اخبارهم وهاك تراجم الاشهر

١ – ابو مِحْجَن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف وكان مولعاً بالشراب وقد أدرك الاسلام فهو مخضرم وحبسه سعد بن ابي وقاص لشرب الخمر . واتفق بعد قليل ان المسلمين اصابهم جهد في القادسية وكان عند ام ولد لسعد المذكور فهاجت حماسته ونظم هذه الابيات :

كفى حزناً ان تطعن الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا
اذا قمت عنَّاني الحديدُ وغُلّقت ... مغاليق من دوني تصمُّ المناديا
وقد كنت ذا اهل كثير واخوة ... فقد تركوني واحداً لا اخا ليا
هلمَّ سلاحي لا ابا لكَ انني ... ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

ثم احتالت ام ولد سعد المذكورة في اطلاق سراحه . ومن قوله في حب الخمر :

اذا متُّ فادفني الى جنب كرمةٍ ... تُروّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنيّ بالفلاة فانني ... اخاف اذا ما متُّ ان لا اذوقها

ولابي محجن ديوان شعر مطبوع في ليدن سنة ١٨٨٧ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . واخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ وفي الاغاني وغيره

٢ – الأَغْلَبُ العِجْليُّ

توفي سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بني عِجل من ربيعة . وهو احد المعمرين في الجاهلية وادرك الاسلام واسلم . وكان في جملة من توجه الى الكوفة مع سعد بن ابي وقاص ومات في واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ وهو اول من رجز الاراجيز الطوال فقد كان العرب ينشدون الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة فتأتي منه بابيات يسيرة فالاغلب اول من قصد الرجز واطاله ثم سلك الناس طريقته والاسلام لم يمنعه من النظم كما منع لبيداً وقد تقدم خبر ذلك في ترجمة لبيد . ولم نقف له على شعر او خبر غير ما في الاغاني ١٦٤ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨٩ وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

٣ – حَاتِمُ الطَائيُّ

توفي سنة ٦٠٥

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طي ويكنى ابا سفّانة . وهو من اجواد العرب وله اخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال فيقال « اجود من حاتم طي » وكانت والدته من اسخى الناس حتى اضطر اخوتها ان يحجروا على اموالها خوفاً من تبذيرها . وكانت ابنته سفّانة سخية ايضاً فكان ابوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس. وكان حاتم مع ذلك شاعراً وشجاعاً ويشبه جوده شعره . واذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سابق سبق . وكان اذا هلَّ الشهر الاصم الذي كانت مضر تعظمه بالجاهلية وتنحر له ينحر في كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالحطيئة وبشر بن ابي خازم . ويروون عن سخاء حاتم وقائع اشبه ان تكون موضوعة او مبالغاً فيها لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلي وقد اشرنا الى ذلك في كلامنا عن اقسام الشعر عند اليونان — ومن اقواله في السخاء :

اماوي قد طال التجنبُ والهجرُ   وقد غدرتني في طلابكم الغدر
اماوي ان المال غاد ورائح   ويبقى من المال الاحاديث والذكر
اماوي اني لا اقولُ لسائل   اذا جاء يوماً حلَّ في مالنا النذر
اماوي اما مانعٌ فبيّنٌ   واما عطاءٌ لا ينهنهُ الزجرُ

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى   اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

وقوله :

اذا كان بعض المال ربا لاهله   فاني بحمد الله مالي معبَّدُ

اخذه حطائط بن يعفر فقال:

ذريني اكن المال رباً ولا يكن   ليَ المال رباً تحمدي غبَّه غدا
اريني جواداً مات هزلاً لعاني   ارى ما ترين او بخيلاً مخلدا

ويستحسن له قوله :

الا ابلغا وهمَ بن عمرو رسالة   فانك انت المرء بالخير اجدرُ
رايتك ادنى من اناس قرابة   وغيرك منهم كنت احبوا نصر
اذا ما اتى يوم يفرق بيننا   بموت فكن انت الذي يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع في لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون وطبع ايضاً في بيروت . واخباره منثورة في الاغاني ٩٦ج ١٦ والشعر والشعراء ١٢٣ وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ والمستطرف ١٣٧ ج ١ والعقد الفريد ٨١ ج ١ وشعراء النصرانية ٩٨

٤ – زَيدُ الخَيلِ

هو زيد بن مهلهل من طي وكان رجلاً جسيماً طويلاً جميلاً فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية وادرك الاسلام ووفد على النبي فسرَّ به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقلٌّ لانه انما كان يقول الشعر في مفاخراته ومغازيه واياديه عند من مرَّ عليه واحسن في قراه اليه . وقد سمي زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من العرب الا الفرس والفرسان فكانت له خيل كثيرة . منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق . وله في كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر واكثر اشعاره في الحماسة والفخر وذكر المواقع والطعن والضرب كقوله :

انا لنكثر في قيس وقائعنا   وفي تميم وهذا الحي من اسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له   صدر القناة بماضي الحد مطرد
لما احس بان الورد مدركه   وصارماً وربيط الجأش ذا لبد

نادى اليَّ بسلمٍ بعد ما اخذت منهُ المنية بالحيزوم واللغدِ
ولو تصبر لي حتى اخالطهُ اسعرتهُ طعنة كالنار بالزندِ

وجرت بينه و بين بعض القبائل معركة أسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه وضيق عليه وقال في ذلك :

اقول لعبدي جرول اذ اسرته أثبني ولا يغررك انك شاعرُ
انا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات واللهى والمآثرُ
وقومي رؤوس الناس والراس قائد اذا الحرب شبتها الاكف المساعر
فلست اذا ما الموت حوذر ورده واترع حوضاه وحمّج ناظر
بوقّافة يخشى الحتوف تهيباً يباعدني عنها من القبّ ضامرُ
ولكنني اغشى الحتوف بصعدتي مجاهرةً ان الكريم يجاهر
واروي سناني من دماء عزيزة على اهلها اذ لا ترجّى الاياصر

ولا نعرف لزيد الخيل ديواناً مجموعاً ولكن اخباره منثورة في الاغاني ٤٧ ج ١٦ والشعر والشعراء ١٥٦ والدميري ٢٠١ ج ١ وخزانة الادب ٤٤٨ ج ٢

٥ — سَلَامَةُ بن جَنْدَل التميمي

توفي سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء وكان من فرسان تميم المعدودين واخوه احمر مثله . شعره سلس يستشهد به اهل اللغة لمتانته وكان معاصراً لعمرو بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابي قابوس وله فيهما اشعار ومن احسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دار اسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قوٍّ فمعصوبِ
كانت لنا مرَّة داراً فغيرها مرّ الرياح بسافي الترب مجلوبِ

وترى امثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧ وشعراء النصرانية ٤٨٦ وخزانة الادب ٨٦ ج ٢ ومعجم البلدان

٦ — عَلْقَمَةُ الفَحْل

توفي سنة ٥٦١ م

هو علقمة بن عَبَدَة من تميم وكان معاصراً لامرئ القيس وينازعه الشعر وتحاكما الى ام جندب زوجة امرئ القيس فقالت لهما انظما قصيدتين من وزن واحد وقافية

واحدة تصفان بها الخيل . فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليليَّ مرَّا بي على ام جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذبِ

ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وانشداها القصيدتين فحكمت لعلقمة لان امرأ القيس قال في وصف سرعة الفرس :

فللسوط الهوب وللساق درَّة وللزجر منهُ وقع اهوج منعب

وقال علقمة :

فادركهنَّ ثانياً من عنانه يمرُّ كمرّ الرائح المتحلّبِ

وحكمها ان امرأ القيس اجهد فرسه بسوطه وساقه اما علقمة فان فرسه ادرك طريدته وهو ثانٍ عنانه . فغضب امرؤ القيس وطلق امرأته فتزوجها علقمة

ومن جيد شعره قوله :

فان تسألوني بالنساء فانني بصيرٌ بادواء النساء طبيبُ
اذا شاب راس المرء او قل ماله فليس له في ودّهن نصيبُ
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيبُ

ولعلقمة ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعناية البرت سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة . وله اخبار متفرقة في خزانة الادب ٥٦٥ ج ١ والاغاني ١٢٨ ج ٧ وشعراء النصرانية ٤٩٨ والشعر والشعراء ١٠٧ والعمدة وسائر كتب الادب

٧ — عَمْرو بن مَعْدي كَرِب

توفي سنة ٦٤٣ م

هو من زبيد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن او هو فارس اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس وقد أدرك الاسلام وأسلم وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب وهو ممن يصدق عن نفسه في شعره فلا يفاخر بالمحال

ومن ذلك قوله :

ولقد اجمع رجليَّ بها … حذر الموت واني لفرورُ
ولقد اعطفها كارهة … حين للنفس من الموت هرير
كل ما ذلك مني خلق … وبكل انا في الروع جدير

ومن أشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ … وجاوزه الى ما تستطيعُ
وصله بالزماع فكل امر … سما لك اوسموت له ولوع

واخباره في الاغاني ٢٥ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢١٩ وخزانة الادب ٤٢٥ ج ١ والمستطرف ١٧٩ ج ١

٨ — قيس بن الخَطيم

توفي سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الأوس اعتدى رجل من الخزرج على ابيه وهو غلام فقتله وعلم ان جده قتله رجل من عبد القيس فلما عرف موضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل ابيه وجده في المواسم فظفر بقاتل ابيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذي المجاز ولكنه رآه في ركب عظيم فاستنجد خراش بن زهير فنهض معه بني عامر حتى اتوا القاتل فطعنه قيس بحربة قتلته وفرَّ فاراد رهط الرجل ان يتبعوه فمنعهم بنو عامر وبذلك يقول قيس :

ثأرت عدياً والخطيم فلم اضع … ولاية اشياخ جعلت ازاءها
ضربت بذي الزجين ربقة مالك … فأبتُ بنفس قد اصبت شفاءها
وسامحني فيها ابن عمرو بن عامر … خراشٌ فأدى نعمة وافادها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر … لها نفذٌ لولا الشعاع اضاءها
ملكت بها كفي فانهرت فتقها … يرى قائم من دونها ما وراءها

وهو معدود من اصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

اتعرف رسماً كالطراز المذهب … لعمرة وحشاً غير موقف راكب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ … بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومن اقواله في الفخر :

ونحن الفوارس يوم الربيـ … ـع قد علموا كيف فرسانها
حسان الوجوه حداد السيو … ف يبتدر المجد شبانها

ولقيس بن الخطيم ديوان منهُ نسخة خطية في المكتبة الخديوية . ولهُ اخبار متفرقة في كتب الادب وخصوصاً الاغاني ١٥٩ ج٢ والجمهرة ١٢٣

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان ايضاً طائفة اخبارهم قليلة او ليس لهم دواوين محفوظة فنكتفي بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تراجمهم واخبارهم :

	اسم الشاعر	اسماء المآخذ
٩	احيحة بن الجلاح (توفي سنة ٥٦١م) من الاوس ومن اصحاب المذهبات	الاغاني ١١٩ ج ١٣
١٠	جحدر بن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)	شعراء النصرانية ٢٦٨
١١	افنون هو صريم بن معشر من تغلب	« ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨
١٢	بسطام بن قيس الشيباني من بكر	« « ٢٥٦
١٣	جابر بن حُنَيّ التغلبي (٥٦٤)	« « ١٨٨
١٤	الحارث بن الطفيل وفد على كسرى	الاغاني ٥٣ ج ١٢
١٥	خُفاف بن نَدْبة السُلَمي من قيس	الاغاني ١٣٩ ج ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج٢
١٦	ذو الاصبع العدواني (٦٠٢)	الاغاني ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧	الربيع بن زياد العبسي (٥٩٠)	الاغاني ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨	زهير التميمي من اشراف مازن	الاغاني ١٥٦ ج ١٩
١٩	الحارث بن عباد من بكر بن وائل	شعراء النصرانية ٢٧٠
٢٠	صخر بن عبد الله من هذيل	الاغاني ٢٠ ج ٢٠
٢١	العباس بن مرداس واخوه سراقة	الشعر والشعراء ١٦٦ و٤٦٧ والاغاني ٦٤ ج ١٣ وخزانة الادب ٧٣ ج ١
٢٢	عَبْدة بن الطبيب تميم	الاغاني ١٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦
٢٣	سُوَيد بن ابي كاهل يشكر	الاغاني ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥ والشعر والشعراء ٢٥٠

٢٤	عمرو بن العجلان	هذيل	الاغاني ٢٢ ج ٢٠
٢٥	الفِند الزِّمّاني (٥٣٠)	بكر	الاغاني و١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١
٢٦	مُتمّم بن نُوَيْرَة من اصحاب المراثي		الاغاني ٦٦ج١٤وابن خلكان ١٧٢ ج ٢ والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١
٢٧	نُبَيه بن الحجاج	قريش	خزانة الادب ١٠١ج ٣
٢٨	كعب بن سعد الغنوي	قيس	الخزانة ٦٢١ج٣ وشعراء النصرانية٧٤٦

٣ ـ الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم حكمة وقد دخل بعضهم في طبقة الشعراء الامراء وفي اصحاب المعلقات كالافوه الاودي وزهير بن ابي سلمى ونحن ذاكرون في ما يلي من غلبت فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية :

١ ـ أُمَيَّة بن ابي الصَّلْت

توفي سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبهُ بثقيف وكان عالماً بغير العربية على ما يظهر فاطلع على كتب القدماء وخصوصاً التوراة وقد اورد في شعره الفاظاً غريبة لم تكن العرب تعرفها . وكان يسمي الله في بعض اشعاره « السلطيط » وفي بعضها « التغرور » فربما اقتبسهما من الحبشية أو صاغها على صيغ تلك اللغة . فالاحباش يسمون الله في اللغة الاحرية « اغزابهر » فلعلها كانت قبلاً اقرب الى لفظ التغرور . والسلطيط نظنها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها اسماً من السلطة (١)

وكان امية مفطوراً على التدين فلقي في تجارته الى الشام بعض اهل الدين فزهد

(١) راجع ترجمة اميه بن ابي الصلت مطولة في الهلال السنة التاسعة

في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ووصف الجنة والنار في شعره وحرَّم الخمر وشك في الاوثان وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبياً يهديهم فكان يرجو ان يكون هو . فلما ظهر النبي اسقط في يده وقال « انا كنت ارجو ان اكونه » ولكنه ما انفك يختلف الى الديور والكنائس يجالس الرهبان والقسوس حتى غلب على ظن البعض انه مسيحيٌ ومن قوله وفيه فلسفة :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها ... مملوءة طبَّق الآفاق سلطانا
ألا نبيٌّ لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس محيانا
بينا يربّينا آباؤنا هلكوا ... وبينا نقتني الاولاد افنانا
وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا ... ان سوف يلحق اخرانا باولانا

وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... فلا شيءٌ اعلى منك مجداً وامجدُ

و بعد ان يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكة اقدامهم تحت عرشه ... بكفيه لولا الله كلُّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانين تحتهُ ... فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوفٌ ينظرون قضاءه ... يصيخون بالاسماع للوحي ارُكَّد
امين لوحي القدس جبريل فيهم ... وميكال ذو الروح القوي المسدد
وحراس ابواب السماوات دونهم ... قيامٌ عليها بالمقاليد رصَّدُ

وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدوم وقصة اسحق وابراهيم . وله قصيدة معدودة من المجمهرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا ... لزينب اذ تحلُّ بها قطينا

وفي اشعاره معان واساليب لم تكن العرب تعرفها اخذها من كتب غيره وادخلها في شعره (١)

واخباره في الاغاني ١٨٦ ج ٣ و٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدميري ١٥٤ ج ٢ وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها

(١) الاغاني ١٨٧ ج ٣

٢ — وَرَقَةُ بن نَوْفَل

توفي سنة ٩٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى من قريش . وهو احد من اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرا الكتب وامتنع عن اكل ذبائح الاوثان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني وقد شاخ وكف بصره . وله ذكر في السيرة النبوية عند ما سمع النبي جبريل يكلمهُ وجاء خديجة امراته خائفاً فسألت ورقة وهو ابن عمها عما رآه النبي فقال « انه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانهُ لنبي هذه الامة »(١)

وله اشعار كان يغني بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوت الحي يخشى اهلهُ   بعد الهدوّ وبعد ما سقط الندى

فلتلك لذّات الشباب قضيتها   عني فسائل بعضهم ما قد قضى

ومن شعره في التوحيد والدين قصيدة مطلعها :

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم   انا النذير فلا يغررکم احد

وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدتَ وانعمتَ ابن عمرو وانما   تجنّبتَ تنوراً من الله حاميا

وتجد شيئاً من اخباره في السيرة النبوية لابن هشام ٧٦و٨٠ ج ١ والاغاني ١٣ ج ٣ وشعراء النصرانية ٦١٦ والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ومعجم البلدان

٣ — زَيْدُ بن عَمْرو

توفي سنة ٦٢٠ م

هو أيضاً من عبد العزى من قريش وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة وكان يقول « يا معشر قريش ايرسل الله قطر السماء وينبت بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغير الله ؟ » فاخرجه القرشيون من مكة ومنعوه ان يدخلها . وكان اشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان اربعة من قريش هم ورقة وزيد المذكوران وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث فاجتمع هؤلاء وتواطأوا على رفض الوثنية وعلى ان يضربوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فلما اجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على فراق دين آبائه . وكان قد

(١) ابن هشام ٨١ ج ١

وكل صفية به فقال زيد عند ذلك قصيدة مطلعها :

لا تحبسيني في الهوا   ن صفي ما دأبي ودأبه

ثم خرج سائحاً ويقال انه قتل في الشام وله اشعار في التدين منها :

واسلمتُ وجهي لمن اسلمتْ   له الارض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما رآها استوت   على الماء ارسى عليها الجبالا

واسلمت وجهي لمن اسلمت   لهُ المزن تحمل عذباً زلالا

اذا هي سيقت الى بلدة   اطاعت فصبّت عليها سجالا

وتجد اخباره في الاغاني ١٥ ج ٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٧٦ ج ١ وشعراء النصرانية ٦١٩ وخزانة الادب ٩٩ ج ٣

٤ — قِسّ بن ساعِدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من اياد يعدونهُ من الخطباء ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها وحكمها في عصره . وهو اسقف من نجران والمشهور انه اول من علا على شرف وخطب عليه واول من قال « اما بعد » وينسبون اليه قوله « البينة على المدعي واليمين على من انكر » وقد ادركه الرسول ورآه في عكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمعهُ . وكان فصيحاً يضرب المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمهُ ويعظمه ولكنه كان زاهداً في الدنيا ينظر اليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ من خطبته التي قالها في عكاظ ورواها ابو بكر الصديق وهي مشهورة ثم ختمها بقوله :

في الذاهبينَ الاولـ   ـين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا   للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها   تمضي الاصاغر والاكابر

لا يرجع الماضي ولا   يبقى من الباقين غابر

ايقنت اني لا محا   لة حيث صار القوم صائر

ولعلّ الذي زهدهُ في الدنيا وكرّهها اليهِ المصيبة التي انتابته بفقد اخوين كانا يعبدان الله معهُ فماتا ودفنهما معاً وشقّ عليه مصابه بهما فكان يتردد الى قبريهما ويندبهما . ومن قوله في قصيدة :

خليليَّ هبّا طالما قد رقدتما   اجدّكما لا تقضيان كراكما

الم تعلما اني بسمعان مفردٌ ... ومالِيَ فيها من خليل سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما ... كأن الذي يسقي العقار سقاكما

وله اشعار كثيرة ضاع معظمها وله اقوال جرت مجرى الامثال وجمعت في كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الاغاني ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ١ وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان

٤ — الشعراء العشاق

قلَّ من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب واذا لم يحركه كان شعره قاسياً حافياً ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة فعنترة عشق عبلة والمخبل السعدي عشق الميلاء وحاتم الطائي عشق ماوية والمرقّش الاكبر عشق اسماء والنمر بن تولب عشق ممزة وسحيم عبد بني الحسحاس عشق عميرة (١) غير الذين اشتهروا في صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم وسيأتي ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء في ايام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحذ القريحة وخصوصاً مع الغيرة ليس للشعر فقط بل في كل ما يفتقر الى خيال او شعر . فبين الشعراء الفرسان الذين ترجمناهم غير واحد من المحبين وكذلك في سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب في من لم يكن له باعث على النظم غير العشق وكان اكثر شعره او كله في معشوقه . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها . ولان بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسري وركان القوم الى الرخاء حتى اذا نضج التمدن الاسلامي تحول ذلك الى التهتك والتخنث كما سيجي . اما في الجاهلية فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع اشهرهم :

(١) الموشى ٤٣

١ — المُرَقِّشُ الأَكبر

توفي سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل وهو من الشعراء المقدمين ويمتاز عن اكثر شعراء الجاهلية انه كان يعرف الكتابة لان اباه دفعه واخاه حرملة الى نصراني من اهل الحيرة علمهما الخط ويندر في اهل الجاهلية من فعل ذلك وخصوصاً الشعراء فان معولهم في حفظ اشعارهم على الرواة . ويختلف عن اكثر شعراء الجاهلية انه مات متيماً . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها اسماء عشقها وهو غلام فقال له عمه « لا ازوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش في طلب العلى واصيب عمه في اثناء غيابه بضيق فتاه رجل من بني مراد اطمعه بالمال فزوجه اسماء على مائة من الابل . فلما عاد المرقش اخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره فركب في طلب ذلك المرادي مع صديق له من عقيلة فمرض في الطريق فنزلا كهفاً في اسفل نجران وهي ارض مراد ومعه صديقه العقيلي وامرأته . وسمعهما يتآمران على تركه يأساً من شفائه فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الابيات :

يا صاحبيَّ تلبَّثا لا تعجلا ... ان الرَّواح رهين ان لا تفعلا
يا راكباً اما عرضت فبلغنْ ... انَسَ بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودرُّ ابيكما ... ان افلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشاً ... اضحى على الاصحاب عبأً مثقلا
وكانما تردُ السباعُ بشلوهِ ... اذ غاب جمع بني ضُبيعة منهلا

ورأينا بعض هذه الابيات ينسب الى المهلهل ايضاً . وانطلق العقيلي حتى اتى اهله واخبرهم ان المرقش مات ولكن اخاه حرملة قرا ما على الرحل فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه فلما بلغ الكهف اخبر ان المرقش علم وهو هناك بوجود اسماء وزوجها فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعراً مطلعهُ :

سرى ليلاً خيالٌ من سليمى ... فارقني واصحابي هجود

وهو من اصحاب المنتقيات . وله اقوال في الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى في الفخر ومن احسن شعره في الحماسة قصيدته التي استهلها بذكر حبيبته :

امن آل اسماء الطلول الدوارس ... تخطط فيها الطير قفر بسابس

ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة أخرى في وصف الطلول ونجائب الابل وغيرها . واتصل المرقش الاكبر بالحارث ابي شمر الغساني ونادمه سنة ٥٢٤ ومدحه

وترى اشعاره واخباره في الاغاني ١٨٩ ج ٥ والشعر والشعراء ١٠٢ وشعراء النصرانية ٢٨٢ وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ والجمهرة ١١٢ وغيرها من كتب الادب

٢ – عبد الله بن العَجْلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاعة شاعر متيم قتله الحب وكان له زوجة يقال لها هند طلقها لانها لم تلد له فتزوجها غيره ثم ندم على ذلك ومات أسفاً عليها وكان سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان ابوه اكثر بني نهد مالاً وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب العشق عليه . ومن اقواله فيها :

فارقت هنداً طائعاً فندمت عند فراقها
بالعين تذري دمعة كالدر من آماقها
متحلباً فوق الردا ء يجول من رقراقها
خود رداح طفلة ما الفحش من اخلاقها
ولقد ألذ حديثها وأسر عند عناقها

وله اخبار واشعار جمعت في الاغاني ١٠٢ ج ١٩ والشعر والشعراء ٤٤٩

٣ – عُرْوَة بن حِزام العُذْري

توفي سنة ٣٠ هـ (١)

هو من الشعراء المتيمين الذين ادركوا الاسلام وقد قتلهم الهوى لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه وتشبيبه بها وكان قد خطبها من ابيها فوعده ثم زوجها لغيره فأثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى ظنوا فيه الخبل واصابه هزال فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه وسأله عما به وهل هو خبل او جنون فقال له عروة « هل لك علم بالاوجاع » قال « نعم » فانشأ يقول :

ما بي من خبل ولا بي جنة ولكن عمي يا اخيَّ كذوب

(١) فوات الوفيات ٣٣ ج ١

اقول لعراف اليمامة داوني فانك ان داويتني لطبيب
فوا كبدا امست رفاتاً كانما يلذعها بالموقدات طبيب
عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقبتها في الرياح جنوب
واني لتغشاني لذكراك هزة لها بين جلدي والعظام دبيب

وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفا عني القميص تبينا بي الضر من عفراء يا فتيان
اذاً تريا لحماً قليلاً وأعظماً بلين وقلباً دائم الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر ان هما شفياني
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة وقاما مع العواد يبتدراني
وقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وتجد اخباره في الاغاني ١٥٢ ج ٢٠ وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ والشعر والشعراء ٣٩٤ وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١

٤ – مالك بن الصمصامة

هو من جعدة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدي فمنعه اخوها منها وكان مالك شاعراً فارساً شجاعاً جميلاً فبلغه ان اخاها اقسم اذا تعرض مالك لاخته جز ناصيته فقال :

اذا شئت فاقرني الى جنب عيهب أجب ونضوي للقلوص نجيب
فما الحلق بعد الامر شر بقية من الصد والهجران وهي قريب
ألا أيها الساقي الذي بل دلوه بقربان يسقي هل عليك رقيب
اذا أنت لم تشرب بقربان شربة وجانبة الجدران ظلت تلوب

وله اشعار أخرى في الاغاني ٨٣ ج ١٩

٥ – مسافر بن ابي عمرو

هو من قريش كان سيداً جواداً احب هند بنت عتبة التي تزوجها ابو سفيان بعد ذلك وهي ام معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة فلم تقبله فلما بلغه تزوجها بابي سفيان اعتل ومات وله فيها اشعار . واخباره في الاغاني ٤٨ ج ٨

ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :
منظور بن زبان من فزارة كان عاشقاً وهو من الامراء ايضاً تقدم ذكره
ومسعود بن خراشة من تميم وهو من المخضرمين
وعنترة العبسي وقد تقدمت ترجمته

٥ — الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والغارة على القبائل للنهب اشهرهم :

١ – الشَّنْفَرَى

توفي سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من اهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمرو بن براق واسيد بن جابر وتأبط شراً. ويقال ان الشنفرى حلف ليقتلن مئة رجل من بني سلامان فقتل ٩٩ فاحتالوا عليه فامسكه رجل منهم عدَّاءٌ هو اسيد بن جابر ثم قتله فمرَّ به رجل منهم فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتلى مئة . وللشنفرى اشعار في الفخر والحماسة اشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها :

اقيموا بني أُمي صدور مطيكم   فاني الى قوم سواكم لأَميلُ

وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها :

الا ام عمرو اجمعت واستقلت   وما ودعت جيرانها اذ تولت

وقد عني الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse في ترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانكليزية وقد طبعت في المجلة الاسيوية الانكليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

واخبار الشنفرى مفرقة في الاغاني ٨٧ ج ٢١ والشعر والشعراء ١٨ وخزانة الادب ١٦ ج ٢ والمفضليات وغيرها

٢ – تأَبَّطَ شَرًّا

توفي سنة ٥٣٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان اسمع العرب وابصرهم واكيدهم وكان اعدى رجل ينظر الى الظباء فينتقي على نظره اسمنها ثم يعدو خلفه فلا يفوته . وله اخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان ومن شعره في وصف الغول :

الا من مبلغ فتيان فهم   بما لاقيت عند رحى بطان
باني قد لقيت الغول تهوي   بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أين   اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدَّة نحوي فاهوى   لها كفي بمصقول يماني
فاضربها بلا دهش فخرَّت   صريعاً لليدين وللجران
فقالت عُد فقلت لها رويداً   مكانك انني ثبت الجنان
فلم انفك متكئاً عليها   لانظر مصبحاً ماذا اتاني
اذا عينان في رأس قبيح   كرأس الهرّ مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب   وثوب من عباء او شنان

واخباره في الاغاني ٢٠٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ١٧٤ وخزانة الادب ٦٦ ج ١ وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة في سيرة حياته وشعره في المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦

٣ – السُّلَيْك بن السُّلَكَة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم امه امة سوداء وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار . وكان ادلَّ من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنه ذلك اغار على ربيعة . ويعدُّه المفضل الضبي من اشد رجال العرب وانكرهم واشعرهم . وكان ادل الناس بالارض واعلمهم بمسالكها . وله اخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره على أثر غزوة رابحة :

بكى صرد لما رأى الحي اعرضت   مهامه رمل دونهم وسهوبُ

فقلت له لا تبك عينك انها ... قضية ما يقضى لها فتنوب
سيكفيك فقد الحي لحم مغرض ... وماء قدور في الجفان مشوبُ
ألم ترَ ان الدهر لونان لونه ... وطوان بشر مرّة وكذوبُ
فما ذرَّ قرن الشمس حتى رايته ... مضاد المنايا والغبار يثوبُ

واخباره في الاغاني ١٣٣ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ — عُرْوَة بن الوَرْد

توفي سنة ٥٩٦م

هو من عبس وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً وكال يلقب عروة الصعاليك لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بامرهم اذا اخفقوا في غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم في حربكم قال «كنا الف حازم» فقيل وكيف ذلك قال «كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنترة ونأتم بشعر عروة بن الورد ونقاد لامر الربيع بن زياد» ومن شعر عروة قوله :

واني امرؤٌ عافي انائيَ شركة ... وانت امرو عافي انائك واحدُ
اتهزأ مني ان سمنتَ وان ترى ... بجسمي شحوب الحقّ والحقُّ جاهد
افرّق جسمي في جسوم كثيرة ... واحسو قراح الماء والماء بارد

ومن قوله في الاقدام :

دعيني للغنى اسعى فاني ... رأيت الناس شرهم الفقيرُ

ومن ذلك قوله :

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي ... وشدّي حياطيم المطية بالرجل
سيدفعني يوماً الى ربّ هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

ولهُ قصيدة تعدُّ من المنتقيات مطلعها :

اقلي عليَّ اللوم يا ابنة منذر ... ونامي فان لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني اطوّف في البلاد لعلني ... اخليك أو اغنيك عن سوء محضري

فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة في كل اقواله

ولعروة ديوان طبع في غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة المانية وشروح لنولدكي وطبع ايضاً في بيروت . ولهُ اشعار متفرقة في الاغاني ١٩٠ ج ٢ والشعر والشعراء

٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجهرة ١١٤ وكتب بوشر Boucher الفرنساوي مقالة عنهُ وعن ذي الاصبع العدواني في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك :

٥ حاجز الازدي (٥٧٠) كان يسبق الخيل ترجمته في الاغاني ٤٩ ج ١٢
٦ قيس بن الحدادية الازدي « « « ٢ ج ١٣
٧ ابو الطَّمَحان القيني من قضاعة مخضرم « « « ١٣٠ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٢٩ وخزانة الادب ٤٢٦ ج ٣

---

٦ — الشعراء اليهود

لا يتجاوز الشعراء اليهود في الجاهلية عدد اصابع اليد الواحدة اشهرهم :

١ — السَمَوْأَل بن غريض بن عاديا

توفي سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون اخي موسى . وهو صاحب حصن الابلق بتيماء يضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرئ القيس الشاعر والادراع اشهر من ان يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث او بالغوا فيه على سبيل التمثيل ترغيباً في الوفاء فان الطبيعة تأبى على الرجل ان يضحي ابنه في سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه بعيد الحدوث وقد اشرنا الى ذلك قبلاً . وكانت العرب تنزل بالسموال فيضيفها واشتهر بقصيدته الفخرية التي مطلعها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ ... فكلُّ رداء يرتديه جميلُ

وقد خمسها غير واحد اشهرهم صفي الدين الحلي

وللسموأل ديوان شعر طبع في بيروت سنة ١٩٠٩ ولهُ اخبار في الاغاني ٩٨ ج ١٩ و١٢ج ٣ و٨٧ج ٦ و٣٧ج ٩ والمستطرف ١٦٢ج ١ والشعر والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و١٠ و١٢

ومن الشعراء اليهود ايضاً :

٢ اوس بن دني من قريظة ترجمته في الاغاني ٩٤ ج ١٩

٣ الربيع بن الحقيق من رؤساء قريظة ترجمته في الاغاني ٦١ ج ٢١
٤ كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات « « « ١٠٦ ج ١٩

٧ — الشعراء المغنون

قلنا في صدرهذا الكتاب ان الشعر والغناء ولدا معاً او لعل الغناء بعث على الشعر ولذلك كان اكثر الشعراء القدماء في الامم الاخرى مغنين . اما العرب فلم يصلنا من اخبار امثال هؤلاء الا قليل واحسن مثال لذلك الاعشى وقد ترجمناه في جملة اصحاب المعلقات . ومنهم علس ذي جدن من حمير ترجمته في الاغاني ٣٧ج ٤

٨ — النساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقي المرأة في الجاهلية وعزة نفسها وذكائها والشعر لاينمو ويزهو الا في ظل العز والارتقاء ويندر نبوغ الشعراء البلغاء في أمة ذليلة . فظهر في الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها وذكرنا اسماء بعضهن في ما تقدم وهاك تراجم اشهرهن :

١ — الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من اهل نجد . وقد اجمع رواة الشعر على انه لم تقم امراة في العرب قبلها ولا بعدها اشعر منها . وقد انشدت شعرها على النابغة في عكاظ فأعجب به وقال لها « لولا ان هذا الاعمى انشدني قبلك (يعني الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر قولها في رثاء اخيها صخر وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من ايام العرب ودفن في ارض سليم فاخذت تنظم فيه المراثي كأن الحزن أثار شاعريتها . وقد ادركت الخنساء الاسلام وهي عجوز ولها اربعة اولاد فشهدت حرب القادسية وحرضت اولادها على الثبات في القتال فلما حمي الوطيس تقدموا واحداً واحداً ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

ومن اشعارها في رثاء صخر اخيها قولها :

الا اما لعينيك أم مالها ... لقد اخضل الدمع سربالها
ابعد ابن عمرو من آل الشـ ... ـريد حلت به الارض اثقالها
فان تك مرة اودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
سأحمل نفسي على خطة ... فاما عليها واما لها
فان تصبر النفس تلق السرور ... وان تجزع النفس اشقى لها

وللخنساء ديوان شعر كبير طبع في بيروت مشروحاً سنة ١٨٨٨ وفيه مراثي لستين شاعرة . وترجم الى الفرنساوية وطبع سنة ١٨٨٩ ولها اخبار كثيرة متفرقة بالاغاني ٦٤ و ١٣٦ ج ١٣ و ٣٤ ج ٤ وخزانة الادب ٢٠٨ ج ١ والشعر والشعراء ١٩٧

٢ — خرنق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هي اخت طرفة بن العبد لامه ولها اشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم يصلنا منها الا بضعة وخمسون بيتاً جمعت في ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبعت اخبارها واشعارها في شعراء النصرانية ٣٢١ وافردت في ديوان على حدة طبع في بيروت . ولها اخبار في خزانة الادب ٣٠٦ ج ٢

٣ — ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هي بنت لكيز من ربيعة من اقدم الشعراء وكانت تامة الحسن كثيرة الادب ولها شعر حسن نشر بعضه في كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ — جليلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٣٨ م

هي اخت جساس الشيباني قاتل كليب بن ربيعة . وهي ايضاً زوجة كليب المقتول فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمتت بها اخت كليب فاجابتها بشعر مطلعه :

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

وتجد اخبارها في شعراء النصرانية ٢٥٢ والاغاني ١٥١ ج ٤

٩ – الشعراء الهجاؤون

لا تكاد تجد في شعراء الجاهلية شاعراً يتوخّى الهجو فيفرد له قولاً وانما كان هجوهم يأتي في اثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من الهجائين في اواخر عصر الجاهلية واكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام . منهم الحُطيئة العبسي وحسّان ابن ثابت وابنه عبد الرحمن وعبد الرحمن بن الحكم وعبد الله بن الزبعري السهمي وكعب بن الاشرف اليهودي فافردنا لهم هذا الفصل

١ – الحُطيئة

مخضرم ادرك معاوية

هو جرول بن اوس من بني عبس من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متين الشعر شرود القافية متصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شرّ وسفه دنيء النفس لا رأي له وانما يساق الى ما يرجو منه مصلحة فينتمي الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بني عبس قال انه من بني ذهل والعكس بالعكس . لكنه كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفاً من شره . وكان يتعمد تخويف الناس بالهجو استدراراً لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم Chantage وذلك نادر في طباع اهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة او نجعاً دبّ الخوف في اهله وارصدوا له العطايا خوفاً من لسانه وهو يبالغ في الطمع كثيراً . ذكروا انه نزل المدينة مرة فمشى اشرافها بعضهم الى بعض فقالوا «قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق وهو يأتي الرجل من اشرافكم يسأله فان اعطاه جهد نفسه بهرها وان حرمه هجاه» فأجمع رايهم على ان يجعلوا له شيئاً معدّاً يجمعونه بينهم . فكان اهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا انهم قد اغنوه فأتوه فقالوا له «هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان» فأخذها فظنوا انهم قد كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلاً ينادي «من يحملني على بغلين» — هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل فيهم والا ساقهم بهجوه

واكثر هجوه الذي وصل الينا في الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فاحب ان يقربه فدعاه اليه وانزله في قومه

وضمن له مؤونة عياله على ان يستصفي له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بني انف الناقة واخوته واهله ينازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة ام حرزة امرأة الزبرقان مرة بالحُطيئة ودعوه اليهم وفي مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طنب من اطنابها حلة هجرية واراحوا عليه ابلهم واكثروا من التمر واللبن وبالغوا في اكرامه فمدحهم بالبيت المشهور الذي رفع رؤوسهم وهو :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم	ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

ثم جاء الزبرقان يطلب الحُطيئة منهم لانه جاره فابوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على ان يخيروه في الذهاب الى احد الحيين فاختار بغيضاً فرجع الزبرقان غضباً فحرض بغيض الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض :

والله ما معشر لاموا امرأً جنباً	في آل لاي بن شماس باكياس
ما كان ذنب بغيض لا ابا لكم	في بائس جاء يحدو آخر الناس
وقد مدحتكم عمداً لارشدكم	كيما يكون لكم متحي وامراسي
لما بدا لي منكم عيب انفسكم	ولم يكن لجراحي فيكم آسي
ازمعت يأساً متيناً من نوالكم	ولن يرى طارداً للحر كالياس
جار لقوم اطالوا هون منزله	وغادروه مقيماً بين ارماس
ملوا قراه وهرّته كلابهم	وجرّحوه بأنياب واضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها	واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس

وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه فكتب اليه من السجن ابياتاً يشكو اليه حال اهله بسبب سجنه منها :

ماذا أردت لافراخ بذي مرخ	حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
القيتَ كاسبهم في قعر مظلمة	فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

ثم اخرجه من السجن وهدده بقطع لسانه واذيته فتوسط له بعض الصحابة فاطلقه واوصاه ان يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف الحطيئة بالهجو حتى هجا امه واباه وهجا نفسه — فما هجا به امه قوله :

اغربالاً اذا استودعتِ سرّاً	وكانوناً على المتحدثينا
جزاكِ الله شرّاً من عجوزٍ	ولقاكِ العقوقَ من البنينا

وقال لابيه :

لحاك الله ثم لحاك حقاً   ابا ولحاك من عمٍ وخالِ
فنعم الشيخ انت لدى المخازي   وبئس الشيخ انت لدى المعالي
جمعت اللؤم لا حياك ربي   وابواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه :

ابت شفتاي اليوم الا تكلما   بسوء فما ادري لمن انا قائله
ارى لي وجهاً شوّه الله خلقه   فقبح من وجه وقبح حامله

وهو من اصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

نأتك امامة الا سؤالا   وابصرت منها بعين خيالا

وللحطيئة اشعار كثيرة جمعت في ديوان طبع في ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر وبيروت مع شروح . وله شرح خطي في المكتبة الخديوية . واخباره في الشعر والشعراء ١٨٠ وفي الاغاني ٤٣ ج ٢ و٣٩ ج ١٦ وفي العقد الفريد ٨٠ ج ١ و ١١١ ج ٣ وفي المستطرف ١٣٩ ج ١ وخزانة الادب ٤٠٩ ج ١ والجمهرة ١٥٣

٢ — حسَّان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج اهل المدينة وقد عاصر الجاهلية والاسلام فهو من المخضرمين واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني احاديث . واختص بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه وهو يُعدُّ اشعر اهل المدن في ذلك العصر وكان شديد الهجاء حتى قيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال ابو عبيدة « فضل حسان الشعراء بثلاثة كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي (صلعم) في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره في الجاهلية قوله يمدح جبلة بن الايهم الغساني :

اولاد جفنة عند قبر ابيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم   شمُّ الانوف من الطراز الاول

أما في الاسلام فكان حسان في جملة من اسلم واخذ بناصر المهاجرين . ولم يكن

هو رجل حرب فنصرهم بلسانه وكان النبي يسرُّ به ويستنشده الاشعار في الدفاع عن اعراض المسلمين اذا هجاهم هاجٍ من المشركين أو غيرهم . وقد حملهُ النبي على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين — فقد كان يهجو النبي ثلاثة من قريش هم عبد الله بن الزبعري وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن العاصي . فقال قائل لعلي بن ابي طالب « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال علي « ان اذن لي رسول الله فعلت » فقال رجل « يا رسول الله ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال « ليس هناك أو ليس عنده ذلك » ثم قال « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم » فقال حسان بن ثابت « انا لها » واخذ بطرف لسانه وقال « والله ما يسرُّني به مقول بين بصرى وصنعاء » قال « كيف تهجوهم وانا منهم » فقال « اني اسلُّك منهم كما تسلُّ الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان وكعب واهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما اسلموا وفقهوا الاسلام كان اشد القول عليهم قول ابن رواحة

ومن امثلة دفاعه عن النبي ان وفداً من تميم جاؤا النبي وهم سبعون أو ثمانون رجلاً فيهم خيرة الشعراء من تميم . وفيهم الزبرقان بن بدر فانشد الزبرقان قصيدة فخرية فامر الرسول حساناً ان يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فهر واخوتهم   قد بينوا سنَّة للناس تتبعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا
قومٌ اذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهم   أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة   ان الخلائق فاعلم شرُّها البدع
لا يرفع الناس ما اوهت اكفهم   عند الرقاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان في الناس سبَّاقون بعدهم   فكل سبق لادنى سبقهم تبع
اعفة ذكرت في الوحي عفتهم   لا يطمعون ولا يزري بهم طمع
يسمون للحرب تبدو وهي كالحة   اذا الزعانف من اظفارها خشع
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم   وان اصيبوا فلا فرٌّ ولا جزع

الى ان قال :

اكرم بقوم رسول الله قائدهم اذا تفرَّقت الاهواء والشيع
وانهم افضل الاحياء كلهم ان جدَّ بالناس جدُّ القول اوسمعوا

وهو من اصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

لعمر ابيك الخير حقاً لما نبا عليَّ لساني في الخطوب ولايدي

وقد جمعت اشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ثم طبعته لجنة تذكار جيب في انكلترا سنة ١٩١٠ وضبطته على النسخ الخطية الموجودة في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج بعد الاطلاع على النسخ المطبوعة المتقدم ذكرها

وتجد اخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ والاغاني ٢ ج ٤ و١٦٩ ج ٨ و١٦٩ ج ١٠ و١٥٠ ج ١٣ و٢ ج ١٤ وخزانة الادب ١١١ ج ١ والجمهرة ١٢١ وفي السنة السادسة من الهلال ٤٨٢

٣ — عبد الرحمن بن الحكم

هو اخو مروان بن الحكم الذي تولى الخلافة في الدولة الاموية وافضت بعده الى اولاده واحفاده — وكان عبد الرحمن هذا يهاجي عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . الاول يدافع عن قريش وبني امية والثاني عن الانصار . وقد هجا ابن الحكم اخاه الحرث لانه ذهب في غزوة ولم يفلح فقال فيه ابياتاً منها :

كفاك الغزو اذ احجمت عنه حديث السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالاً وليتك عند منقطع السحاب

وهجا اخاه مروان فضلاً عن هجوه الانصار وغيرهم

وتجد اخباره في ذلك مدوَّنة في الاغاني ٧٢ ج ١٢ و١٥٠ ج ١٣

٤ — عبد الله بن الزبعري

هو احد شعراء قريش المعدودين لكنه كان هجّاء فاكثر من هجو المسلمين حرض عليهم كفار قريش . ثم اسلم فقبل اسلامه وتجد اخباره في الاغاني ١١ ج ١٤

٥ — كعب بن الاشرف اليهودي

كان شاعراً فارساً وانما كان همه هجو النبي عند ظهوره بالدعوة فبعث النبي اليه نفراً قتلوه في داره وقد تقدم ذكره بين الشعراء اليهود واخباره في الاغاني ١٠٦ ج ١٩

١٠ — الشعراء الوصافون للخيل

قد رأيت وصفاً كثيراً في اشعار من تقدم ذكرهم وخصوصاً اصحاب المعلقات ولا سيما امروءُ القيس . ولكننا نريد بهذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها وهم ثلاثة نضيف اليهم شاعراً اشتهر بوصف الحمير وهم :

١ — ابو دُؤَاد الإِيادي

هو من أقدم شعراء الجاهلية واكثر اشعاره في وصف الخيل وله اشعار في المدح والفخر ومن قوله في وصف الفرس :

ولقد اغتدي يدافع ركني احوذي ذو ميعة اضريجُ
مخلط مزيلٌ مكرٌ مفرٌ منفحٌ مطرح سبوح خروج
سلهبٌ سرحب كأنّ رماحاً حملته وفي السراة دموج

وليس له ديوان معروف ولكن اخباره في الاغاني ٩٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢ والشعر والشعراء ١٢٠

٢ — الطُّفَيل الغَنَوِيُّ

هو الطفيل بن عوف شاعر جاهلي من الفحول المعدودين ومن اشعر شعراء قيس ومن اوصف العرب للخيل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره ومن قوله :

بخيل اذا قيل اركبوا لم يقل لهم عواوير يخشون الردى اين نركب

ولكن يجاب المستغيث وخيلهم عليها حُماة بالمنيَّة تضربُ

ومن قوله في وصف بيته :

واطنابه ارسان جردٍ كانها صدور القنى من بادئٍ ومعقبِ

نصبت على قوم تدرُّ رماحهم عروق الاعادي من عرين واشيب

وللطفيل الغنوي ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكار جيب الانكليزية مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow واخباره في الاغاني ٨٨ ج ١٤ والشعر والشعراء ٢٧٥

٣ — النَّابِغة الجَعْدي

هو غير النابغة الذبياني وهو من جَعدة (قيس) مخضرم قال الشعر في الجاهلية وسكت دهراً ثم نبغ في الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان اسن من الذبياني . وهو ممن فكر في الجاهلية وانكر الخمر والمسكر وهجر الازلام والاوثان . وكان مغلباً اذا هوجي غلب وله مهاجاة مع ليلى الاخيلية وغيرها ويقول علماء الشعر في وصف شعره « خمارٌ بوافٍ ومطرفٌ بآلاف » يريدون ان بين اشعاره تفاوتاً كبيراً ومن قوله في وصف الفرس

كأنَّ مقطَّ شراسيفه الى طرف القنبِ فالمنقب

لُطمن بترس شديد الصقا لمن خشب الجوز لم يُثقبِ

وله قصيدة جمعها ابو زيد مع المشوبات في جمهرة اشعار العرب يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي واسلم ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خليليَّ عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر اوذرا

وللنابغة الجعدي اخبار متفرقة في الاغاني ١٢٨ ج ٤ والشعر والشعراء ١٥٨ وجمهرة اشعار العرب ١٤٥ وفي خزانة الادب ٥١٢ ج ١

٤ — الشَّمَّاخ بن ضِرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضِرار الذبياني فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ويقولون ان الحُطيئة كتب في وصيته « ابلغوا الشماخ انه اشعر غطفان كلها » وقد اجمع علماء الشعر على انه اوصف الشعراء للحمير واوصفهم للقوس وارجزهم على البديهة .

وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه كان يهجو اهله وضيفه . وقد يصح عدُّه من الشعراء الهجائين ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه للقوس قوله :

وذاق فاعطته من اللين جانباً كفى ولها ان يغرق السهم حاجز

اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائز

وهذان البيتان من قصيدة عدَّها ابو زيد من المشوبات ومطلعها :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالز فذات الصفا فالمشرفات النواشز

وقد جمعت اشعار الشماخ في ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وله اخبار متفرقة في الاغاني ١٠١ ج ٨ والشعر والشعراء ١٧٧ وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ والجمهرة ١٥٤

ومن وصَّاف الخيل ايضاً سلامة بن جندل وقد ترجمناه مع الشعراء الفرسان وفاتنا ان نذكر هناك ان له ديواناً طبع في بيروت

١١ — الشعراء الموالي

عَبْد بني الحسحاس

ليس في من وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالي او العبيد الا عبد بني الحسحاس وهو حبشيٌّ واسمه سُهيم كان مطبوعاً على الشعر اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من اسد ومن نظمه قوله :

اشعار عبد بني الحسحاس قمن له عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنتُ عبداً فنفسي حرة كرماً أو اسود اللون اني ابيض الخلق

وذكروا ان صاحبه كان اسمه مالكاً جاء به ليبيعه لعثمان بن عفان فقال « لا حاجة لي به اذ الشاعر لا حريم له ان شبع تشبب بنساء اهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال في طريقه :

اشوقاً ولم تمض لي غير ليلة فكيف اذا سار المطيُّ بنا شهرا

وما كنت اخشى مالكاً ان يبيعني بشيءٍ ولو امست انامله صفرا

اخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قدنوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه فكان يشبب بنسائهم حتى قال :

ولقد تحدر من كريمة بعضكم عرق على متن الفراش وطيبُ

فقتلوه . واخباره في الاغاني ٢ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤١

١٢ — سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لايدخلون في باب من الابواب التي تقدمت — وان كانت تلك الابواب كثيراً ما تختلط اغراضها اذ لايتفق ان يستقلَّ شاعر او بضعة شعراء بالحِكَم او الفخر او الوصف او الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين في بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة . وبقي جماعة منهم لايجتمعون في باب وهم كثيرون نكتفي بذكر اشهرهم وخصوصاً الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

١ — ابن الدُّمَيْنَة

هو عبد الله بن عبيد الله احد بني عامر من خثعم وامه الدُّمينة من سلول . اشتهر بحديث امرأته حمادة — وذلك انه بلغه ان بعض اخواله من سلول يأتيها خلسة فرصده حتى اتاها فقتله وقتلها . على انهُ قبل ان يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها فغضب واراد ان ينتقم منه فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها فذهب ابن الدمينة الى امرأته وسألها « كيف عرف ذلك فيك » قالت « وصفته له النساء » فغضب وقال « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته وكان زوجها كامناً له فقام وقتله ضغطاً على كبده حتى يخفي جريمته . لكن اهله تحققوا فعله فاخذوا يراقبونه . وعشق في اثناء ذلك امرأة من قومه اسمها اميمة وهام بها فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابيات :

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني وأشمتَّ بي من كان فيك يلومُ

وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو ان قولاً يكلم الجسم قدبدا بجسميَ من قول الوشاة كلوم

فاجابها بمثل عتابها وهو من الطف اساليب العتاب :

وانتِ التي قطعت قلبي حرارة ومزقتِ قرح القلب فهو كليمُ

وانت التي كلفتني دلج السرى وجون القطا بالجهلتين جثوم

وانت التي أحفظت قومي فكلهم بعيد الرضى داني الصدود كظيم

ثم تزوجها بعد ذلك وقُتل وهي عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون اجيالا واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

ولابن الدمينة ديوان شعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وله اخبار في الاغاني ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨

٢ — أَوْس بن حَجَر

هو من نمير احد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين يقرنه بعضهم بالحطيئة و بنابغة جعدة — قلوا كان اوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه النابغة وزهير فاصبح شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان غزلاً مغرماً بالنساء فخرج في سفر و بينما هو في ارض بني اسد يسير على ناقته ليلاً صرعته فاندقت فخذه فظل في مكانه لايستطيع انتقالاً حتى خرجت بنات الحي يجتنين الكماة فبصرن بالناقة ورأين حجراً ملقًى ففزعن فنادى احداهن وسألها عمن هي فقالت « حليمة بنت فضالة » وهو يعرفه فدفع اليها حجراً وقال « اعطي هذا الى ابيك وقولي له ابن هذا يقريك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فاتى فضالة فاحتمله الى بيته وعالجه فنظم فيه اوس مدائح كثيرة واحب ابنته ونظم فيها ثم توفي فضالة فرثاه احسن الرثاء منه قوله :

ايتها النفس اجملي جزعاً ان الذي تكرهين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والنـ ـجدة والحزم والقوى جمعا

المخلف المتلف المرزأ لم يمتع بضعف ولم يمت طبعا

اودي وهل تنفع الاشاحة من شيءٌ قد يحاول النزعا

ولاوس بن حجر ديوان طبع في فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . واخباره في الاغاني ٦ ج ١٠ والشعر والشعراء ٩٩ وخزانة الادب ٢٣٥ ج ٢

٣ – المتلمّس

توفي سنة ٥٨٠ م

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد واليه تنسب صحيفة المتلمس كما مرّ في حديثه مع طرفة وعمرو بن هند صاحب الحيرة. ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفنت (١) فلما علم المتلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب الى الشام ولحق بملوك آل غسان ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته وكان قد استحث طرفة على رمي ورقته بقوله :

الق الصحيفة لا ابا لك انه　　يخشى عليك من الحباء النقرس

فلما بلغه انه قتل بها قال :

عصاني فما لاقى الرشاد وانما　　تبين من امر الغوي عواقبه
فاصبح محمولاً على آلة الردى　　تمج نجيع الجوف منه ترائبه

ونظم يهجو عمرو بن هند بقصيدة طويلة هي من خيرة شعره مطلعها :

يا آل بكر الا لله امكم　　طال الثواء وثوب الصخر ملبوس

واقام المتلمس في حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه افراط في الفخر من قصيدة هجا بها عمراً المذكور :

احارث انا لو تساط دماؤنا　　تزايلن حتى لا يمسّ دمٌ دما

يريد ان دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها — ومنها :

وكنا اذا الجبار صعّر خده　　اقمنا له من ميله فتقوما
لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا　　وما علّم الانسان الا ليعلما
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي　　جعلت لهم فوق العرانين ميسما

ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلم علمُ حق غير ظنّ　　وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال ايسر من بغاهُ　　وضرب في البلاد بغير زاد

(١) شعراء النصرانية ٣٣٠

واصلاح القليل يزيد فيه　　ولا يبقى الكثير على الفساد

وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع منتقيته :

كم دون مية من مستعمل قذف　　ومن فلاة بها تستودع العيس

وقد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في المكتبة الخديوية واخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٢١ والشعر والشعراء ٨٥ وحياة الحيوان للدميري ٢٠٩ ج ٢ وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ والجمهرة ١١٣ وشعراء النصرانية ٣٣٠ والحماسة وشرحها ومعجم البلدان ولسان العرب وغيرها

٤ – المُثقِّبُ العَبْدِيُّ

توفي سنة ٥٨٧ م

هو محصن بن ثعلبة من ربيعة وكان في جملة الذين كانوا يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله في وصف راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند غان لفؤاد صدِ　　من نهلة في اليوم او في غد

وله قصيدة يمدح بها عمراً المذكور مطلعها :

افاطم قبل بينك ودعيني　　ومنعك ما سألتك ان تبيني

ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة في وصف ناقته :

كأنّ مواقع الثفنات منها　　معرّس باكرات الورد جونِ

الباكرات القطا . فاخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرماح

وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسنٌ قول نعم من بعد لا　　وقبيحٌ قول لا بعد نعم

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . واخباره في الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ٤٣١ ج ٤ وشعراء النصرانية ٤٠٠

٥ – المُنَخَّلُ اليَشْكُرِيُّ

توفي سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عُبيد من يشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقلٌّ كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة على شعره فسعى المنخل بالنابغة واوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم

اتهمه النعمان بامرأته وأمر بقتله فقتل ويقال انه دفن حيًّا . والعرب تضرب المثل به كما تضرب به بن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره ابيات من قصيدة له في الفخر مطلعها :

ان كنتِ عاذلتي فسيري — نحو العراق ولا تحوري

الى ان يقول : ولقد شربت من المدا — مة بالصغير وبالكبير

فاذا انتشيت فانني — رب الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني — رب الشويهة والبعير

واخبار المنخّل في الاغاني ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ والشعر والشعراء ٢٣٨ وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ — كَعب بن زُهير

توفي سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن ابي سلمى ولكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام لانه من المخضرمين وكان من اكثر الشعراء هجواً للنبي ثم جاءه واسلم ومدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ — متيمٌ عندها لم يجزَ مكبولُ

وهي من المشوبات . ولما اقبل على النبي وطلب الامان انشده اياها والمجلس حافل بالصحابة من قريش وغيرهم فلما وصل الى قوله :

ان الرسول لسيف يستضاء به — مهند من سيوف الله مسلولُ

في فتية من قريش قال قائلهم — ببطن مكة لما اسلموا زولوا

زالوا فما زال انكاس ولا كشف — عند اللقاء ولا خور معازيل

اشار النبي الى الخلق ان يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد خلع النبي عليه بردته وهي التي تداول الخلفاء لبسها [١]

وقد طبعت مشوبة كعب مراراً بمصر واوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل والشروح نسخ كثيرة

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الاسلامي ٩٣ ج ١

في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها . وشطرها غير واحد مما يطول شرحه . واخبار كعب في الاغاني ١٤٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ٥٨ و٦٧ والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها

٧ — معن بن أَوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن اوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من المخضرمين وله مدائح في جماعة من الصحابة ووفد على عمر بن الخطاب مستعيناً به على امره وخاطبه بقصيدته التي اولها :

تأوبهُ طيفٌ بذات الجرائم — فنام رفيقاهُ وليس بنائمِ

ويقال انه لقي معاوية ايضاً وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان اشعر اهل الجاهلية منهم وهو زهير . واشعر اهل الاسلام منهم وهما ابنه كعب ومعن بن اوس . وكان معن مئناثاً ويحسن صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وذي رحمٍ قلمتُ اظفار ضغنهِ — بحلميَ عنهُ وهو ليس لهُ حلمُ

اذا سمتهُ وصل القرابة سامني — قطيعتها تلك السفاهة والظلمُ

فأسعى لكي ابني ويهدم صالحي — وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول رغمهُ — وكالموت عندي ان ينال له رغمُ

فما زلت في لين لهُ وتعطفٍ — عليه كما تحنو على الولد الأمُّ

لاستلَّ منه الضغن حتى سللتهُ — وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣ واخباره في الاغاني ١٦٤ ج ١٠ وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣

الباقي من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم وفيهم بضعة من الفحول . ولكن اكثرهم مقلّون فنكتفي باسمائهم مرتبة على الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة اخبارهم :

اسم الشاعر	المآخذ
٨ ابن الغريرة من تميم شاعر مخضرم	الاغاني ٩٧ ج ١٠
٩ ابو خراش الهذلي هذيل	« ٣٨ ج ٢١
١٠ ابو ذؤيب « « من اصحاب المراثي	« ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٣
١١ ابو زبيد الطائي كان يزور الملوك ايام عثمان	« ٢٤ ج ١١ « « ١٦٧
١٢ ابو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	« ١٦٧ ج ٢٠
١٣ الأسوَدُ بن يَعفر من تميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٣٤ والاغاني ١٣٤ ج ١١ والخزانة ١٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥
١٤ جران العود (١)	الشعر والشعراء ٤٥٠
١٥ الحادرة المازني (٢) شاعر مقل	الاغاني ٨٢ ج ٣
١٦ حنظلة الطائي صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ خزيمة بن نهد من قضاعة شاعر قديم	الاغاني ١٥٩ ج ١١
١٨ ربيعة بن مقروم من ضبة	« ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٠٦ ج ٣
١٩ سويد بن ابي كاهل من يشكر	« ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ عديّ بن زيد العِباديّ من تميم من اصحاب المجمهرات شاعر كاتب كسرى	« ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ١١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ عديّ بن نوفل من قريش شاعر مقل	« ١٣٥ ج ١٣
٢٢ عمرو بن شاس من أسد	« ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ عمرو بن سعيد من قريش	« ٨٧ ج ٨
٢٤ عمرو بن براق شاعر قديم	« ١٣٠ ج ٢١
٢٥ عمرو بن قميئة من ربيعة	« ١٦٣ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٢٢٢
٢٦ عيينة بن مرداس شاعر مقل	« ١٤٣ ج ١٩

(١) له ديوان مشروح في المكتبة الخديوية
(٢) له ديوان خط في المكتبة الخديوية وفي المتحف البريطاني وطبع شيء منه في ليدن سنة ١٨٥٨

٢٧ غيلان الثقفي من اهل الطائف	الاغاني ٤٥ ج ١٢
٢٨ فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن الزبير	« ١٧١ ج ١٠
٢٩ كعب بن مالك من الخزرج مخضرم	« ٢٦ ج ١٥ والخزانة ٢٠٠ ج ١
٣٠ لقيط بن معمّر الايادي شاعر جاهلي قديم (١)	« ٢٣ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٩٧
٣١ المتنخل من هذيل شاعر فحل	« ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢
٣٢ المخبَّل السعدي من تميم مات ايام عمر	« ٤٠ ج ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠ وخزانة الادب ٥٣٥ ج ٢
٣٣ الممزّق العبدي (٤٨٠) شاعر قديم	الشعر والشعراء ٢٣٥
٣٤ النمر بن تولب من عكل من اصحاب المجمهرات	الاغاني ١٥٧ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣ والجمهرة ١٠٩
٣٥ هدبة بن الخشرم (٢) من بادية الحجاز كان راوية الحطيئة	الاغاني ١٦٩ ج ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤ وخزانة الادب ٨٤ ج ٤
٣٦ يزيد بن عبد المدان	شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان اغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بابيات أو قصائد ومنهم كثيرون في كتب الادب والحماسة والجمهرات والمفضليات وغيرها

مآخذ الشعراء الجاهليين

يحسن بنا ان نأتي على ذكر الكتب التي يمكن لطلاب الشعر التوسع بها في معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين غير الدواوين التي تقدم ذكرها وغير المعاجم اللغوية . وهذه اهمها مما طبع ويقرب تناوله . ونذكر هنا الطبعات التي عولنا عليها في المآخذ التي بين ايدينا مرتبة على الابجدية لتسهل المراجعة على المطالع :

(١) له ديوان في مكتبة ايا صوفيا
(٢) عنه مقالة بالفرنساوية لدوجات في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٥٥

	اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه	
١	اشعار الهذليين رواية السكري	لندن	سنة ١٨٥٤
٢	الاصمعيات	ليبسك	« ١٩٠٢
٣	الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ٢١ جزءا	بولاق	« ١٢٨٥
٤	امالي القالي	مصر	« ١٣٢٦
٥	امثال العرب للضبي	الاستانة	« ١٣٠٠
٦	البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر	« ١٣١٣
٧	جمهرة اشعار العرب لابي زيد ابن ابى الخطاب	بولاق	« ١٣٠٨
٨	جمهرة الامثال لابي الحسن العسكري	بمباي	« ١٣٠٧
٩	الحماسة لابي تمام وشرحها للتبريزي ٤ اجزاء	بولاق	« ١٢٩٦
١٠	« للبحتري	بيروت	« ١٩٠٩
١١	خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ اجزاء	بولاق	« ١٢٩٩
١٢	سيرة الرسول لابن هشام ٣ اجزاء	بولاق	« ١٢٩٥
١٣	شرح القصائد العشر للتبريزي	كلكتة	« ١٨٩٤
١٤	شرح المقامات الحريرية للشريشي	بولاق	« ١٢٨٤
١٥	الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن	« ١٩٠٢
١٦	شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ اجزاء	بيروت	« ١٨٩٠
١٧	طبقات الشعراء للاسكندر ابكاريوس	بيروت	« ١٨٥٨
١٨	العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين	لندن	« ١٨٧٠
١٩	العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ اجزاء	مصر	« ١٣٠٥
٢٠	العمدة لابن رشيق جزءان	مصر	« ١٣٢٥
٢١	قواعد الشعر لثعلب	ليدن	« ١٨٩٠
٢٢	الكامل لابن الاثير ١٢ جزءا	مصر	« ١٣٠٢
٢٣	الكامل للمبرد	مصر	« ١٢٨٦
٢٤	الكشكول وعلى هامشه أدب الدنيا والدين	«	« ١٣٠٥
٢٥	مجمع الامثال للميداني مشروح	بيروت	« ١٣١٢
٢٦	مصارع العشاق للسراج	الاستانة	« ١٣٠١
٢٧	معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ اجزاء	ليبسك	« ١٨٧٠

٢٨	معجم ما استعجم للبكري جزءان	غوتنجن	سنة ١٨٧٧
٣٩	المعلقات وشروحها	مصر	« ١٣١٩
٣٠	المفضليات للمفضل الضبي	ليبسك	« ١٨٨٥
٣١	نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الاستانة	« ١٣٠٢

ولا يخفى ان للمستشرقين عناية كبرى في الشعر العربي ولهم فيه ابحاث وانتقادات واليك اشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القارىء يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت فيها مع مكان طبعها وسنته :

Ahlwardt., Ueber Pœsie und Pœtik der Araber; Gotha, 1856
Clouston, Arabian Pœtry for English readers, Glasgow, 1881
Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de consideration gen.sur le rhyme natural du langue, J. A. 1876
Muir, Ancient Arabic Pœtry; its genuinness & its Authentity, J. R. A. S. 1879
Nœldeke, Beiträge Zur Kenntness der Pœsie der alten Araber, Hanover; 1864
Slane, Le diwan d'Amrou'l'Kais précédé de la vie de ce poète, Paris, 1837
Lyall, Translation of Ancient Arabic pœtry, London, 1885

وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع في لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩



رابعاً — الخطابة

في الجاهلية

الخطابة تحتاج الى خيال و بلاغة ولذلك عددناها من قبيل الشعر او هي شعرٌ منثور وهو شعرٌ منظوم وان كان لكل منهما موقف . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ويغلب تأثيرها في ابناء عصر الفروسية واصحاب النفوس الابية طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه لان كليهما اهل شعر وخطابة واهل اباء واستقلال • ولذلك ايضاً كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الذل والضعف على طباعهم فتحول خيالهم الشعري الى الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراثي والحكم ......

اما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر اهل الخيال الشعري فاصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم فالعبارة البليغة تقعدهم او تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم ان يتفاخروا و يتنافروا فاحتاجوا الى الخطابة في الاقناع وتأليف الاحزاب ــ وان غلب في مواضيع خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العمومية والخصوصية وكانوا يخطبون وعليهم العمائم وهم وقوف في ايديهم المخاصر ويعتمدون على الارض بالقسي و يشيرون بالعصي والقنا وقد يخطبون وهم جلوس على رواحلهم (١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء ان ينظموا فيكون الواحد شاعراً وخطيباً فاذا غلب عليه الشعر سموه شاعراً او الخطابة سموه خطيباً . والقبائل التي كثر خطباؤها هي غالباً التي كثر شعراؤها . ومن اقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ان عبد القيس بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من اشعر القبائل ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية وفي معدن الفصاحة (٢) ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٣٩ ج ١ (٢) البيان ٤٢ ج ١

ايضاً في اليمن لاختلاطهم بالفرس وكان الفرس اهل خطابة مثل العرب

﴿ مواضيع الخطب ﴾ وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم أميون لا يقرأون ولايكتبون وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر وكانوا يدربون فتيانهم عليها من حداثتهم (١) لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية فلما جاء الاسلام صار الخطيب مقدماً لحاجتهم اليه في الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظراً لحاجة العرب الى الخطباء في ارسال الوفود فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها وهو واحدٌ يعدل قبيلة ولسانٌ يعرب عن ألسنة

أما ايفاد الوفود فقد كان شائعاً في تلك العصور فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة الملائق او للمفاخرة ولم يكن للعرب دولة تستوفد من قبلها ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق كانوا يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصاً كسرى انو شروان فكان يميل الى مشاهدتهم . فاتفق مرة ان النعمان خاطبه في ذلك فطلب اليه ان يريه واحداً منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين او ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهاؤها ومنهم اكثم ابن صيفي وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم والحرث بن ظالم وقيس بن مسعود من قبيلة بكر وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل من بني عامر وغيرهم . فقدموا على كسرى وخطب كل منهم بين يديه خطاباً ذكره ابن عبد ربه مفصلاً في الجزء الثالث من العقد الفريد

على ان عرب اليمن وشرقي جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى للشكوى من عماله هناك وكان غيرهم من العرب يفدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل أبو سفيان والد معاوية

وكانوا يفدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت على النعمان ابن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف بن ذي يزن في اليمن بعدقتله الحبشة ــ وفدوا عليه للتهنئة بالنصروكان في جملة خطباء ذلك الوفد

(١) البيان والتبيين ٥٨ و ٩٨ ج ١

عبد المطلب جد النبي . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي بعد ان استتبّ له الامر فقد جاءه من كل قبيلة وجهاؤُها وخيرة بلغائها للدخول في الاسلام او للاستفهام اوغير ذلك . ومن هذا القبيل أيضاً وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة كوفود جبلة بن الايهم وعمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب ووفود اهل اليمامة على ابي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

﴿ الخطباء ﴾ وجملة القول ان الخطباء كانوا عديدين في النهضة الجاهلية كالشعراء والغالب فيهم ان يكونوا أمراء القبائل أو وجهاءها اوحكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب او غير خطيب كما كان لها شاعر او غير شاعر . واشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة من بني اياد وقد ادركه النبي فرآه في سوق عكاظ على جمل احمر وهو يقول في خطابه « أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آتٍ آت »(١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلي الذي يضرب المثل بفصاحته فيقال « هو اخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقاً ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد بن زيد وزهير بن جناب ومرثد الخير وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المذحجي وقيس بن زهير العبسي وذي الاصبع العدواني واكثم بن صيفي التميمي وعمرو بن كلثوم غيرهم

وكانوا يتخيرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين الطوال والقصار . والقصار اكثر عدداً لانهم كانوا يفضلونها لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها باسماء خاصة كالعجوز خطبة لآل رقبة والعذراء خطبة قيس بن خارجة والشوهاء خطبة سحبان(٢)

وتجد امثلة من خطب الجاهلية او بأثناء الفتوح في كتب الادب ولاسيما العقد الفريد لابن عبد ربه . والبيان والتبيين للجاحظ والاغاني ونهج البلاغة (خطب علي) وفي كتب المغازي والفتوح كفتوح الشام لابي اسماعيل البصري وفتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري والسيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبري وابن الاثير وغيرها

(١) البيان والتبيين ١١٩ ج ١ (٢) البيان والتبيين ١٣٣ ج ١

خامساً — الانساب

في الجاهلية

﴿ الانساب ﴾ كان للانساب في عصور الجاهلية عند الامم القديمة شأن كبير وكان للناس عناية عظمى في حفظ انسابهم للتناصر على الاعداء او للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ثم نسبوا انفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان اسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطة الا وجعل نسبها يتصل ببعض تلك الآلهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان في اقدم اجيالهم فالطبقة التي تعرف عندهم بالبطارقة كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر . ومن هذا القبيل انتساب اليهود الى الآباء الاولين والانبياء وافتخارهم بذلك على سائر الامم وهم يمتازون في هذا عن اليونان والرومان انهم يرجعون جميعاً الى أب واحد — وهذا ايضاً من قبيل ميلهم الفطري الى التوحيد مثل سائر الامم السامية

﴿ نسب العرب ﴾ والعرب من حيث انسابهم فرع من العبران لان العدنانيين منهم يرجعون في أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم والقحطانيين ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب في الانساب رغبة في التناصر على الغرباء او بعضهم على بعض . وقد رتبت انساب العرب في ست مراتب او طبقات اولها الشعب ثم القبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة . فالشعب هو النسب الابعد مثل عدنان وقحطان ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ثم الفخذ وهو ما انقسمت فيه انساب البطن مثل بني هاشم وبني أمية ثم الفصيلة مثل بني أبي طالب وبني العباس(١)

وبالغ العرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا باسماء المدن الى اسماء بعض اجدادهم . والغالب ان ينتهي النسب باحد آباء التوراة — فاذا سئل احدهم مثلاً عن

(١) الماوردي الاحكام السلطانية ١٩٤

الاندلس من بناها قال « بناها اندلس بن يافث بن نوح » [1] وكان النسابون يحفظون اسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقاً فاذا عرض لهم رجل فقال انا من بني تميم مثلاً انسبني فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العمائر والبطون والافخاذ حتى ينتهي الى الفصيلة ومنها الى والد السائل او اليه هو نفسه

وكثر النسابون في الجاهلية ولم تخلُ قبيلة او عمارة او بطن من نسابة او غير نسابة ومن اشهرهم دغفل السدوسي من بني شيبان وعبيرة ابو ضمضم وابن لسان الحمرة من بني تيم اللات وزيد بن الكيس النمري والنخار بن أوس القضاعي وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم [2] وظل النسب محفوظاً في صدر الاسلام واشتهر كثير من النسابين فلما آلت الدولة الى الموالي والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليهم ومصطنعيهم

وقد دون المسلمون انساب العرب في صدر دولتهم وسنذكر ذلك في الكلام عن العلوم الاسلامية

سادساً — الاخبار او التاريخ

في الجاهلية

لم يكن عند العرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمهُ من هذه اللفظة اليوم ولكنهم كانوا يتناقلون اخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى . فمن امثال اخبارهم حروب القبائل المعروفة بايام العرب وقصة سد مأرب واستيلاء ابي كرب تبان اسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذي نواس وقصة اصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة اصحاب الفيل وقدومهم الكعبة وحرب ذي يزن الحميري الى آخر ما انتهى اليه امر الفرس في اليمن وقصة عمرو بن لحي واصنام العرب وحكاية جرهم ودفن زمزم وتاريخ الكعبة الى ايام قصي بن كلاب وولاية الحجج وامر عامر بن الظرب ثم ما كان من غلب قصي على امر مكة وقصة حلف المطيبين

(١) ابن خلكان ١٤ ج ١ (٢) بلوغ الارب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

وحلف الفضول وحفر بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة . غير اخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من اخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التي كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

سابعاً — اسواق العرب ومجالس الادب

في الجاهلية

١ — اسواق العرب

المراد بالسوق مكان يجتمع فيه اهل البلاد أو القرى في اوقات معينة يتبايعون ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال أمثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى أو في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث . على ان في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلاً اسواقاً تنعقد في بعض ايام الاسبوع وتعرف بها كسوق السبت أو السبتية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء . فيجتمع اليه الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر أو في السنة ومنها ما ينعقد مرة كل بضع سنين . فان للهنود سوقاً يقيمونها في هردوار على ضفاف الكنج كل سنة ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠٠٠٠ نفس . ويقيمون في ذلك المكان حجاً مرة كل ١٢ سنة يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس وهو اكبر اسواق العالم . وأمثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا و بلاد الدولة العلية وفي جرمانيا وفرنسا وانكلترا واميركا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكرود مرتين في السنة يبلغ عدد الذين يؤمونها ١٢٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقي اوربا . ويقدرون قيمة ما يباع من البضائع في اسواق روسيا بنحو ١٢٠٠٠٠٠٠ روبل في العام وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى

وقد كان كثير من امثال هذه الاسواق في العالم القديم . ولكن الاقدام لاتتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجاً دينيًا . فاذا اجتمع الناس في مكان الحج وتكاثروا احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية كذلك كان شأن العرب في سوق عكاظ وغيرها من اسواق الجاهلية

﴿ اسواق العرب ﴾ كان للعرب في الجاهلية اسواق يقيمونها في اشهر السنة وينتقلون من احداها الى الاخرى يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعُد . فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل في أعالي نجد اول يوم من شهر ربيع الاول فيقيمون اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء . ثم ينتقلون الى سوق هجر فيقمون هناك شهراً و يرتحلون منها الى عمان فيقيمون سوقهم ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن و بعضهم ينزل صنعاء فيقيمون اسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ في الاشهر الحرام . وكانت لهم اسواق أخرى في صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

﴿ سوق عكاظ ﴾ واشهر اسواق العرب الجاهلية سوق عكاظ وهي مكان بين الطائف ونخلة صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التي كانت لاهل الجاهلية وبها من دماء البدن كالارحاء العظام (٢) فكانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذه السوق من اول ذي القعدة يبيعون ويشترون الى عشرين منه ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى اوطانهم . . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا عكاظ فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية . ومن كان له اسير سعى في فدائه هناك ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بامر الحكومة في ايام المواسم وهم أناس من تميم . ومن كان له ثأر على احد ولم يعرف مكانه طلبه في الموسم . أو اراد احداً ان يعمل عملاً تعرفه العرب أو يستشهدها فيه عملهُ في عكاظ (٣) أو أراد ان يفاخر احداً على مشهدٍ من الناس فاخره هناك . وكانوا يتفاخرون حتى في كبر المصائب كما تقدم عن معاظلة الخنساء وهند بنت عتبة

وانما يهمنا في هذا المقام ان العرب كانوا يغتنمون وقت الموسم واجتماع القبائل ويقيمون مجالس البحث في كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة فينشد الشعراء ويخطب الخطباء فيختارون كبيراً من وجهائهم يجعلونه حكماً فيما يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا اتى عكاظ في الموسم ضربوا له قبة حمراء من ادم وتأتيه الشعراء فتعرض

(١) نهاية الارب (خط) (٢) معجم البكري ٦٦٠ (٣) الاغاني ٢ ج ١٣

عليه اشعارها (١) ليحكم فيها ويقال انهم كانوا اذا أقروا على فضل قصيدة علقوها هناك أو في الكعبة ومنها المعلقات السبع

وشأن العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجمناسيوم وهي ابنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٢) ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح فضلاً عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها . فان قريش كانوا يسمعون لغات القبائل في اثناء تلك الاجتماعات فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصاروا افصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والعنعنة والفخفخة والوكم والوهم والعجعجة والاستنطاء والشنشنة وغير ذلك من العيوب في لغات الامم الاخرى (٣)

٢ — مجالس الادب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث في بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ومنها نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (٤) ولكل قوم مجتمع عام في المضارب (٥) على انهم كانوا حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد اخبار اسواق العرب واماكنها في جملة التاريخ الجاهلي . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية وخصوصاً معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وصفة جزيرة العرب للهمداني وكلها مطبوعة . فضلاً عما جاء من اخبارها في الاغاني ٩ ج ١ و٦١ ج ٢ و٢٢ و١١٠ و١٣٦ ج ٤ و٩٢ ج ٦ و٤٦ ج ٧ و١٠ ج ٩ و١٢ و٢٩ و١٤٨ ج ١٠ و٥٤ ج ١٢ و١٤١ج ١٣ و٤١ ج ١٤ و٧٣ ج ١٩ وفي السيرة النبوية وغيرها

(١) الشعر والشعراء ١٩٧ (٢) Lit. Gr. 132 (٣) المزهر ١٠٩ ج ١
(٤) الاغاني ٥٢ ج ٢ (٥) الاغاني ١٢٩ ج ١١

ثامناً – العلوم الطبيعية

في الجاهلية

١ — الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ويقال انهم أول من بحث في علاج الامراض فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مرَّ بهم احد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسبب شفائه فيكتبون ذلك على الواح يعلقونها في الهياكل ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة اعمال الكهان . وعن الكلدان اخذت سائر الامم القديمة وفي جملتها العرب وهو متشابه عند تلك الامم في مصر وفينيقية واشور وكان لمصر شأن خاص فيه. ثم تناوله اليونان فاتقنوه ورتبوا ابوابه وعنهم اخذ الرومان والفرس . ونظراً لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئاً من طبها اضافوه الى ما جاءهم به الكلدان والى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية ولا يزال كثير منهم الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان الاولى طريقة الكهان والعرافين والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر او بذبح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها او بالتعزيم او نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقي شائعاً في الامم القديمة كلها وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيراً من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في اخبارهم ان كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان احدهما يحمل كتاب العزائم والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين معاً . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة او الرقية الى احد آلهتهم وخصوصاً ايزيس واوزيرس ورع . ولهم عبارات يقولونها عند صنع الادوية وعند مناولتها للمريض . فمن امثلة العزائم التي كانوا يتلونها عند تناول الدواء « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض فهل لايزيس ان تشفيني كما شفت حوريس من كل الم اصابه من اخيه ست حينما قتل اباه اوزيريس فيا ايزيس انت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر رديء شيطاني ومن امراض اللبسة والامراض القاتلة والخبيثة بانواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس ... » (١) وكان عندهم

(١) بغية الطالبين ٢٥٨

عزائم لاخراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاخراج الجان او الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمار يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء وان شرب دماء الملوك يشفي من الخبل

واما معالجاتهم العقارية فشبيهة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة او الاشربة وخصوصاً العسل فانه كان قاعدة العلاج في امراض البطن — على ان اعتمادهم في معالجة الامراض كان معظمه عائداً الى الجراحة كالحجامة والكي ومن اقوالهم « كل داء حسم بالكي آخر الامر . وآخر الطب الكي » وكثيراً ما كانوا يعالجون بالقطع او البتر والغالب ان يكون ذلك بالنار فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا ارادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو اخي الخنساء لما تأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة فاحموا له شفرة وقطعوها (١)

وكانوا يعالجون حول البصر بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه ويزعمون ان العين تستقيم به. ومن معالجاتهم التي نعدُّها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات (٢) واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماءاً حاراً (٣)

﴿ الاطباء ﴾ وأما الاطباء فقد كانوا في اول الامر من الكهنة ثم تعاطى الطب جماعة من العرب ممن خالطوا الروم والفرس واخذوا الطب عنهم فاشتهروا بهذه الصناعة واكثرهم من اهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالي القرن السادس للميلاد . على ان بعضهم اقدم من ذلك كثيراً واقدم اطبائهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم وفي اصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحذاقة في الطب فيقولون لمن ارادوا وصفه بذلك اطبُّ من ابن حزيم وفيه يقول اوس بن حجر :

فهل لكم فيها اليَّ فانني بصير بما اعيا النطاسي حزيما

ومن احدث اطباء الجاهلية الحرث بن كلدة توفي سنة ١٣ للهجرة وهو من بني

(١) الاغاني ١٣٧ ج ١٣ (٢) الاغاني ١٣١ ج ١٤ (٣) الاغاني ٣٢ ج ١٠

ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالاً ثم عاد الى بلاده واقام في الطائف ونال شهرة واسعة وقد ادرك الاسلام وكان النبي يأمر من كان به علة ان يأتيه فيستوصفه — ومنهم ابن ابي رومية التيمي والنضر بن الحرث بن كلدة

واكثر هؤلاء الاطباء تناولوا الطب من بلاد الفرس او الروم وبعضهم اخذه عن الكهان او الاحبار من الاديار ونحوها . وربما اخذوا عنهم شيئاً من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر ان بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح واشهر جراحي الجاهلية ابن ابي رومية التيمي المتقدم ذكره فقد كان جراحاً مزاولاً لاعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من اسماء العلل والامراض والعقاقير أن العرب عرفوا كثيراً من الامراض ومعالجتها . وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من احوال الاعضاء واوصافها وهو من قبيل علم التشريح . وهم يعبرون عنه بخلق الانسان وقد الف ادباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلاً عن العرب سيأتي ذكرها بين مؤلفات اهل اللغة . والمتأمل في ما حوته من اسماء الاعضاء واوصافها يتبين له ان اولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء لان عندهم لكل عضو اسماً ووصفاً من الرأس وما يتركب منه وماله من الصفات . الى الشعر واقسامه والوانه . فالاذن وما تركبت منه واقسامها . فالوجه وما تركب منه . فالحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم . والعين واصنافها وطبقاتها ومجاري دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تركب منه وبيان اقسامه . والفم وما تركب منه . والاسنان وعددها واسماء اصنافها واجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التي في اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللغاديد واللغانين والحنجرة والغلصمة والبلعوم والحلقوم . واللحيين وبيان محلها واسماء ما تركبا منه . واللحية واسماء اجزائها واقسامها والوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق وما وضع لذلك من الاسماء والاصابع واسمائها واجزائها . والظفر واقسامه واسمائه . والصدر وما تركب منه . والجنبين وعدد اضلاعها واسمائهما وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى . وهكذا في سائر الاعضاء . وقد توسعوا في بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة اسماء

وتجد نتفاً من الطب الجاهلي في العقد الفريد والاغاني والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ويستخرج شيء كثير من اشعارهم

٢ — البيطرة والخيل وعلوم طبيعية اخرى

وكان للعرب معرفة حسنة في شؤون الخيل واحوالها لم يسبقهم اليها سواهم لما تعلمه من عنايتهم بافراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من اطباء الحيوان منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في افراد منهم الى اليوم وهم يجولون في البادية يعالجون الخيل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ووضعوا الكتب في ما جمعوه من هذا العلم . وخصص الآلوسي صاحب بلوغ الارب فصلاً في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه جاء فيه على كثير من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلاً عن كتاب الخيل لابي عبد الله الاسكافي

وقد الف الادباء كثيراً من الكتب في الخيل وهي ترمي الى نحو هذا الغرض . وتعدّ من كتب اللغة سيأتي ذكرها

ومن المعارف الطبيعية التي توصلوا اليها : اولاً استنباط الماء ويسمونه الريافة فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب او برائحة بعض النباتات او نحو ذلك . ثانياً الاهتداء في البراري بامارات يعرفونها بالاتربة اوبالنجوم . ثالثاً نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية . رابعاً الملاحة وقد اضطروا الى معرفتها لاسفارهم الى الهند والحبشة للاتجار من عهد دول اليمن . وتجد امثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب في احوال العرب للالوسي وهو مطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

٣ — الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة الى طلوع الكواكب اوغروبها ولذلك كان علم الانواء فرعاً من علم النجوم وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها اي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحاً وتأثير السقوط نوءاً ومن طلوع كل واحدة منها الى طلوع التي تليها ثلاثة عشر يوماً سوى الجبهة فان بين طلوعها وطلوع التي تليها ١٤ يوماً . ومن اقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله ارباع لكل ربع واحد اسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ونوء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كل نجم يطلع الى طلوع ما يليه اربع
من الليالي ثم تسع تتبع

ثم اختلفوا فيها فزعم بعضهم ان كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى طلوع التي تتلوها فهو منسوب اليها وزعم آخرون ان لطلوع كل واحدة وسقوطها مقداراً من الزمن ينسب اليها ما يكون فيه فاذا انقضت تلك المدة لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه شيء في تلك الازمنة قالوا خوى النجم او خوت المنزلة يعنون بذلك مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر او حر او برد او ريح (١) ومن امثالهم « اخطأ نوءك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا امطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت فيقولون مثلاً مطرنا بنوء الجبهة او هذا نوء الخريف ومطرنا بالشعرى . وقالوا ان النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه في الشرق من انجم المنازل ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءا او نجماً كانوا يعتقدون انها هي علة الامطار والرياح والحر والبرد وفي اشعارهم امثلة كثيرة تدل على علاقة احوال الجو او فصول السنة باقترانات الكواكب او طلوعها وقد نظموها شعراً ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة عندهم ومن ذلك قولهم :

اذا ما قارن القمر الثريّا لثالثة فقد ذهب الشتاء

وقول الآخر :

اذا ما البدر تمَّ مع الثريا اتاك البرد اوله الشتاء

وقول الآخر :

اذا ما قارن الدبران يوماً لاربع عشرة قمر التمام
فقد حفَّ الشتاء بكل ارض فوارس مؤذنات باحتدام
وحلق في السماء البدر حتى يقاص ظل اعمدة الخيام
وذلك في انتصاف الليل شطراً ويصفو الجو من كدر الغمام

(١) الآثار الباقية للبيروني ٣٣٩ (٢) مجمع الامثال للميداني ٢٠٢ ج ١

وقول الآخر :

اذا ما هلال الشهر اول ليلة بدا لعيون الناس بين النعائم
اتتك رياح القر من كل وجهة وطاب قبيل الصبح كور العمائم

وقول الآخر :

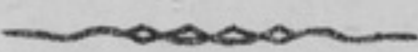
وقد برد الليل التمام باهله واصبحت العواء للشمس منزلا (١)

وكان عندهم لمطلع كل كوكب او منزل وصفٌ يدلُّ على تأثير ذلك في الطقس على اعتقادهم ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في اعمال البشر على ما كان عند الكلدان (٢) على انهم كثيراً ما كانوا يستدلون على المطر ايضا بالوان الغيوم واشكالها فاقلُّ الغيوم مطراً عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء ومن اقوالهم « السحابة البيضاء جفل والحمراء عارضٌ والسوداء هطلة » (٣)

وكان العرب في حاجة الى معرفة مهاب الرياح للاهتداء في اسفارهم ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة والبعض الآخر اربعة . فهي عند اصحاب القول الثاني ١ مهب الصبا من الشمال ٢ مهب الشمال من المغرب ٣ مهب الدبور من الجنوب ٤ مهب الجنوب من المشرق . ويزيد عليها اصحاب القول الاول النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب واليك قول ذي الرمة في ذلك

اهاضيب انواء وهيفان جرتا على الدار اعراف الجبال الاعافر
وثالثة تهوى من الشام حرجف لها سنن فوق الحصى بالاعاصر
ورابعة من مطلع الشمس اجفلت عليها بدقعاء المعا فقراقر
تحنّثها النكب السوافي فاكثرت حنين اللقاح القاريات العواشر (٤)

وتجد امثلة في هذا الموضوع في ما يأتي ذكره من الكتب التي تبحث في الفلك



(١) البيروني ٣٢٧ (٢) Rawlinson's Ancient Monarchies III. 425
(٣) الميداني ١٠٩ ج ١ (٤) البيروني ٣٤٠

تاسعاً – العلوم الرياضية

في الجاهلية

١ ـ الفلك او النجوم

معظم هذه العلوم دخيل على العرب اقتبسوه من الامم الاخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم أو التقوا بهم في اسفارهم واكثر اخذهم عن الكلدان . فقد اخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الابراج ومناطقها ومنازل القمر والشمس وربما كان لهم علمٌ بشيء من احكامها من عند انفسهم او مما وصل اليهم من طريق الهند أو غيرها ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدينون بعلم النجوم للكلدان وهم يسمونهم الصابئة — والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم فهم خلفاؤهم او تلامذتهم [١] وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ولهم مثل منزلة النصارى او اليهود . فاخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته واسمائه وان كان معظم اسماء السيارات لا يردُّ الى اصله الكلداني فربما كان له اسباب عارضة ضاعت أخبارها

على ان بعضها لا يزال أصله الكلداني ظاهراً فيه كالمريخ مثلاً فانهُ يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظاً ومعنى . ولكن معظم تلك الاسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الابراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظاً ومعنى — واليك اسماء الابراج عند كليهما :

اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية
الحمل او الكبش	امرا	الميزان	ماسانا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء او التوأمين	تامي	القوس او الرامي	قشتا
السرطان	سرطان	الجدي	كديا
الاسد	اريا	الدلو	دولا
السنبلة	شبلتا	الحوت او السمكة	نونا

(١) مختصر الدول ٢٦٦

واما منازل القمر والشمس فقد تبدل بعض اسمائها كما أصاب السيارت . ولكن العبرة بالاكثر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته فانها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماماً حتى لفظ « منازل القمر » و« منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد ابدلته الامم الاخرى التي اخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب واليهود

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة فقد رأيت انهم عرفوا السيارات والابراج وعرفوا عدداً كبيراً من الثوابت ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الامم الاخرى [١] وفي قدم اسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل بنات نعش الكبرى والصغرى والسها والظباء والربع والرابض والعوائذ والذئبين والنثرة والفرقد والقدر والراعي وكلب الراعي والاغنام والرامح والسماك وعصا الضباع واولاد الضباع والسماك الرامح وحارس السماء والاظفار والفوارس والكف الخضب والخباء والعيوق والعنز والجديين وغيرها

اما منازل القمر فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسماً خلافاً لما كان عند الهنود فانها ٢٧ قسماً عندهم . واراد العرب منها غير ما اراده اولئك اذ كان مرادهم منها معرفة احوال الهواء في الازمنة وحوادث الجو في فصول السنة لانهم كانوا اميين فلم تمكنهم معرفتها الا بشيء يعاين فعلموا عليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الانواء واليك اسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقعة	الصرفة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنعة	العواء	النعائم	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الغفر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

(١) القزويني على هامش الدميري ٥٠ ج ١

وكان العرب اذا عدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقدبالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم . ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة فقد قال في كتابه تفضيل العرب على العجم ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها [1] ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة فاننا نستدل على توسع العرب في هذا العلم

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها فانها كانت دليلهم في اسفارهم واكثر احوالهم فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي الى البلد الفلاني قالوا « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير في جهته حتى يجد المكان وربما استعانوا على ذلك ايضاً بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن امثلة ذلك ان سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي ان يصف له منازل قومه ثم هو يصف له منازل قومه فتواقفا وتعاهدا ان لا يتكاذبا فقال قيس بن مكشوح « حدَّ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدري ابن ظل الشجرة فاذا انقطعت المياه فسر اربعاً حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وخثعم » فقال السليك « خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء فثم منازل قومي بني سعد ابن زيد مناة » واشتهر في جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم بنو مارية ابن كلب وبنو مرة بن همام الشيباني [2]

وقد الف الادباء في صدر الاسلام كتباً في الانواء ضاعت . وتجد اشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني والامثال للميداني وعجائب المخلوقات للقزويني وحياة الحيوان للدميري وكلها مطبوع ومتداول

٢ ـ الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضاً ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب أو هي الآلهة عندهم من الحروب أو الزواج أو نحو ذلك من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان . فالعرب ألهوا الاجرام وعبدوها وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه . على اننا نستدل عليه من بعض ما وصل

(١) البيروني ٢٣٨ (٢) البيروني ٣٤١

الينا من اسماء أصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات اسم للزهرة وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعرى . وكانوا يتناظرون في افضلية بعضها على بعض قالوا « وأبو كبشة أول من عبد الشعرى وكان يقول الشعرى تقطع السماء عرضاً ولا أرى في السماء شمساً ولا قمراً ولا نجماً يقطع السماء عرضاً غيرها » [1]

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر فقد كان معروفاً عند العرب . ومن الاقاصيص الميثولوجية التي كانوا يتناقلونها ان الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها فابت عليه وولت عنه وقالت للقمر ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامة يعنون القلاص . وان الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به تريده . وان سهيلاً ركض الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها . وان الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور فلما رأت الشعرى اليمانية فراقها اياها بكت عليها حتى غمصت عينها فسميت الشعرى الغميصاء [2]

ومن هذا القبيل تأليههم بعض المشاهير من الملوك او القواد أو الاسلاف واعتبار البعض الآخر من نتاج الملائكة أو الجان . فعندهم مثلاً ان بلقيس كانت امها جنية وان جرهماً كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان ذو القرنين عندهم امه ادمية وابوه من الملائكة [3] وأما اصل هذه الاعتقادات فاما هندي أو يوناني او مصري أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية بامثال ذلك

٣ — التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه امر مشهور . واشهر الحوادث التي وصلت الينا اخبارها مما ارخوا منها عام الفيل اي هجوم الاحباش على مكة وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى انوشروان . وارخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن الفطحل » وهو اقدم ازمنتهم وفيه اقوال لا محل لها هنا [4] وكانت سنتهم قمرية واشهرها ١٢ شهراً كما هي الآن وكانوا يكبسون اي يزيدون

(١) الخميس ٦٥ جزء ١ (٢) الميداني ٣١٢ جزء ٢ (٣) الدميري ١٨ ج ٢
(٤) بلوغ الارب في احوال العرب ٢١٩ جزء ٣

اياماً كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالي الفصول ولهم في الكبس طريقة ذكرها البيروني قال :

« وكذلك كانت العرب تفعل في جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة ايام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة بالجليل من الحساب فيلحقون بها شهراً كلما تم منها ما يستوفي أيام شهر. ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة أيام وعشرون ساعة وتتولى ذلك النسأة من كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير. وهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع بن حذيفة وكانوا كلهم نسأة. وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة وهو ابن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر من فعله ابو ثمامة

« وكان اخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتي سنة غير انهم كانوا يكبسون كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى ان حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وانزل عليه « انما النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً » فخطب عليه الصلاة والسلام وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وتلا عليهم الآية في تحريم النسيء وهو الكبس فاهملوه حينئذ وزالت شهورهم عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير مؤدية لمعانيها » اه

وكان للعرب الجاهلية اشهر تعرف باسماء غيرها اليوم فيقولون انه كان لهم اشهر هذه اسماؤها : المؤتمر. ناجر. اخوان. صوان. حنتم. زباء. الاصم. العادل. النافق. الواغل. الهواع. البرك. وكان لايام الاسبوع اسماء غير المعروفة الآن وهي: اول. اهون. جبار. دبار. مؤنس. عروبة. شبار. وعندهم لكل ساعة من ساعات النار اسم وكذلك لايام الشهر وغيره وقد تقدمت الاشارة اليه

وتجد اخبار ذلك مفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني وفي الاغاني والعقد الفريد والكشكول وامثال الميداني وغيرها من كتب الادب. وفي مروج الذهب للمسعودي وابن خلدون وابي الفداء وغيرها في عرض الكلام عن العرب الجاهلية

عاشراً — ما وراء الطبيعة

١ — الكهانة والعرافة

هما لفظان لمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الكهانة مختصة بالامور المستقبلة والعرافة بالامور الماضية. وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب. على ان العرب كانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل شيء فكانوا يستشيرونه في حوائجهم ويتقاضون اليه في خصوماتهم ويستطبونه في امراضهم ويستفتونه في ما اشكل عليهم ويستفسرون منه رؤاهم ويستنبئونه عن مستقبلهم. وبالجملة فالكهان عندهم هم اهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين شأن تلك الطبقة من البشر عند سائر الامم القديمة في بابل وفينيقية ومصر وغيرها

والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب جاءتهم من بعض الامم المجاورة لهم. والغالب في اعتقادنا ان الكلدان حملوها اليهم مع علم النجوم. ويؤيد ذلك ان الكاهن يسمى في العربية أيضاً « حازي » او « حزاء » وهو لفظ كلداني (ܚܙܝܐ) معناه الاشتقاقي الناظر أو الرائي أو البصير وهو يدل عندهم على الحكيم والنبي. واما لفظ « الكاهن » فقد اقتبسه العرب بعدئذ من اليهود الذين نزحوا اليهم على أثر ما اصابهم من النكبات في اورشليم وخصوصاً بعد خرابها على يد طيطس سنة ٧٠ للميلاد وقد أخذ عنهم العرب كثيراً من الاداب والعادات مما لا يدخل في بحثنا

وأما الكهانة فاصلها من عند الكلدان ولعل الذين حملوا علم النجوم الى العرب هم الكهنة الكلدانيون انفسهم فكانت الكهانة في جملة ما حملوه اليهم. ويؤيد ذلك ان العرب كانوا يطلقون لفظ الحزاء على الكاهن والمنجم [1] على ان اهل بابل ما زالوا يتواردون الى بلاد العرب الى ما بعد الاسلام والعرب يجلونهم لعلمهم وتعقلهم

فالعرب كانوا يعتقدون في الكهنة العلم بكل شيء وان ذلك يأتيهم بواسطة الارواح فمن كان منهم يعتقد التوحيد نسب ذلك الى استطلاع الغيب عن افواه الملائكة. واذا كان من عبدة الاصنام اعتقد احتلال الارواح في الاصنام واباحتها اسرار الطبيعة

(١) السيرة الحلبية ٤٨ ج ١

للكهان والسدنة . فيقول العرب ان الأصنام تدخلها الجن (اي الارواح) وتخاطب الكهان وان الكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن اقوالهم « الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب فاذا استطبه مريض من ريح او صداع عالجه بالرقي واذا استشاره في معضلة خط له في الرمل أو نفث في العقد . واذ حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح واذا استطلعه سرقة أخذ قمقمة جعلها بين يديه ونفث فيها ونحو ذلك من الحركات الوهمية ـ واذا استفسره برؤيا تمتم وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة اتت العرب من بين النهرين فالكهان القدماء كانوا في الغالب كلدانيين (أو صابئة في قولهم) وكان العلم كله عندهم ثم تعدد الكهنة من اليهود وغيرهم ثم ما لبث العرب انفسهم ان أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على ان بعض العرب اقتصروا في ما تناولوه على علم دون آخر فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط و بعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

﴿ الكهان ﴾ واشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن اقدمهم شق وسطيح وحكاياتها اشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان شق انسان (اي نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وان سطيحاً كان لحماً يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره . ويزعمون ان هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون الى غير ذلك من الاوهام . ومن الكهان الذين نبغوا في النهضة العربية قبل الاسلام خنافر بن التوأم الحميري وسواد بن قارب الدوسي . وفيهم من يعرفون بما ينسبون اليه من البلاد او القبائل كقولهم كاهن قريش وكاهن اليمن وكاهن حضرموت وغيرهم

ويقال نحو ذلك في العرافين واكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم كعراف هذيل وعراف نجد واشهرهم عراف اليمامة شهرهُ عروة بن حزام ببيت قاله فيه ـ وكذلك الشعراء يشهرون ممدوحيهم ـ وهو قوله :

اقول لعراف اليمامة داوني … فانك ان داويتني لطبيبُ

واما الكواهن من النساء فانهنَّ عديدات منهن طريفة كاهنة اليمن وهي اقدمهن واليها ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم . وزبراء بين الشحر

وحضرموت وسلمى الهمدانية الحميرية وعفيراء الحميرية وفاطمة الخثعمية بمكة وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبن الى القبيلة اوالمدينة ككاهنة بني سعد يزعمون انها اقدم عهداً من شق وسطيح وانها استخلفتهما [1] وما زالت الكهانة في العرب حتى جاء الحديث بابطالها وهو « لا كهانة بعد النبوة » [2]

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصي يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلهم كانوا يتوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ التنجيم في هذه الايام حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس في فهم قول الكاهن . ومن امثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف اهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى اقول وما علمني ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها « ما شأنك يا طريفة » قالت « خذوا البعير الشدقم فخضبوه بالدم تكن لكم ارض جرهم جيران بيته المحرم » [3]

٢ — القيافة وغيرها

ومن قبيل الكهانة أيضاً القيافة لكنها تختص بتتبع الآثار والاستدلال منها على الاعيان وهي قسمان قيافة الاثر وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من آثارها في الرمال او التراب على اصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفارّ من الناس او الضال من الحيوان وقد اتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . واما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات اعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وسائر احوالها وهي من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة في العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الآخر واشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج و بنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة الى اليوم في بعض قبائل نجد ويقال انهم بنو مرة وهم اعلم الناس بها حتى لقد يعرف احدهم الانسان من اثره وربما نظر الى اثر بعير فقال هذا بعير فلان وكثيرون منهم يميزون بين العراقي والشامي والمصري والمدني

(١) السيرة الحلبية ٣٦ ج ١ (٢) كشف الظنون ٣٣٩ ج ٢

(٣) الاغاني ١١٠ ج ١٣

والفراسة كانت شائعة في العرب وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان واشكاله وأقواله على اخلاقه ومناقبه وهي من قبيل الذكاء وسرعة الخاطروسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا وكان معروفاً عند العرب وكانوا يفزعون الى الكهان في تفسير الاحلام على ان كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها اشهرهم ابو بكر الصديق (١)

ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل وقد أغضينا عنهما لضيق المقام

ونجد اخبار كهانهم في كتب التاريخ القديم وكتب الادب وخصوصاً الاغاني والعقد الفريد وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من مروج الذهب للمسعودي والاول من ابي الفداء وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وحياة الحيوان للدميري وفي كتب الادب وغيرها



(١) السيرة الحلبية ٢٩١ ج ١

عصر الراشدين

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام في جزيرة العرب فشغل اهلها في اثناء حياة النبي ومعظم ايام الراشدين بالفتوح والجهاد والاسفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فاخذا بمجامع قلوبهم واستقرَّا في المكان الاول من اذهانهم وغيرا من عاداتهم واخلاقهم وسائر احوالهم فظهر أثر ذلك في علومهم وآدابهم

اولاً — التغيير الذي احدثه الاسلام في العرب

١ — اجتماع كلمة القبائل

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب فلما جاء الاسلام كان في جملة ما بدَّله من احوالهم انه جمع كلمتهم وصاروا يداً واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم . وبعد ان كان اليمني يفاخر الحجازي والمضري يفاخر الحميري ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال النبي « المسلمون اخوة » وقال من خطبة القاها يوم فتح مكة « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع « ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وا كرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » (٢)

واقتدى بالنبي خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد ان اسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة ان فزاريًّا وطىء ازاره فانحل فرفع جبلة يده وهشم الفزاري فشكاه الى عمر فأراد عمر ان يهشم انف جبلة فقال « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك » فاجابه عمر « ان الاسلام جمعك واياه ولست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

٢ — انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة وهم اهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي او الفارسي فيعظمون قدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلاً . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب نهضوا للفتح واوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يكن زجر عمر ليوقف تيارهم فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقاً وشواطيء البحر الاتلانتيكي غرباً وضفاف نهر لوار شمالاً واواسط افريقيا جنوباً وملأوا الارض فتحاً ونصراً واحتلوا مدائن كسرى وقيصر واقاموا في المدن واركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالي الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وانصارها من العدنانية والقحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ولكنهم هاجروا ايضاً باهلهم وخيامهم وانعامهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام لان ارضهم اجدبت فمشوا يطلبون الغيث والمرعى وكذلك كانت تفعل العرب كلما اصابها جدب حتى كانت لهم اعوام خاصة يجلون بها الى مصر والشام يسمونها اعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام اذا اجدبت ارضهم يمموا العراق وفارس فيعطيهم الفرس التمر والشعير ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفاً من الذل في سلطان دولة اعجمية . اما بعد الاسلام فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم واعمامهم او اخوالهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فيئاً لهم

ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

٣ — انتشار القرآن

بعد ان كان همُّ العرب الجاهليـة اذا اجتمعوا في ناد أو سوق مناشدة الاشعار والتفاخر أو التفاضل اصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء واذا بعث الخليفة عاملاً الى بلده امره ان يحكم بالعدل وان يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث ايضاً

ثانياً — تأثير ذلك التغيير في آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسي اجتماعي . ولابد لكل انقلاب من اثار يخلفها في نفوس اصحابه وعقولهم فيحدث تغييراً في آدابهم وعلومهم . فالتغيير الذي احدثه الاسلام في آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة اوجه : اولاً انه ابطل بعض تلك الاداب . ثانياً انه نوع البعض الاخر . ثالثاً انه احدث آداباً جديدة لم تكن من قبل . فالاداب التي أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والاداب التي احدثها فبعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية و بعضها نقل عن الامم الاخرى كالفلسفة والطبيعيات والطب وسيأتي الكلام عليها في حينه

أما التنوع الذي احدثه الاسلام في آداب الجاهلية فاكثره في الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً . لكن الخطابة سبقت الشعر في الرقي لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات والعرب لا يزالون على بداوتهم تأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت في قالب الخطابة او في الشعر . والخطابة اقرب تناولاً اذ لم يرد في القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد في الشعر والشعراء — فكما كان الشاعر في الجاهلية يقدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر في تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم اصبح الخطيب في الاسلام مقدماً على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة (٢) في استنهاض الهمم وجمع الاحزاب وارهاب الاعداء

الخطابة والخطباء في عصر الراشدين

والفرق بين الخطابة في الجاهلية وفي الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تحدي اسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر ايضاً ولكن الخطابة اوسع مجالاً للاقتباس . فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلاً او اشارة او تهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق واراد ان يحرض اهله على

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢ (٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١

الطاعة لاخيه عبد الله فصعد المنبر وقال « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إنَّ فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يُذبّحُ ابناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (واشار بيده نحو الشام) ونريد ان نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلَهم ائمةً ونجعلهمُ الوارثين (واشار بيده نحو الحجاز) ونمكّن لهم في الارض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (واشار بيده نحو العراق) »[1]

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعاً في النفوس بنهضة العرب للحروب وانتصارهم في اكثر مواقعها فازدادوا انفة وسمت نفوسهم فسما بها ذوقهم في البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه من البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنة الجديدة فبلغت الخطابة عندهم مبلغاً قلما سبقهم فيه احدٌ من الامم التي تقدمتهم بلاغة وايقاعاً وتأثيراً حتى اليونان والرومان — لا ننكر ما كان من تبرز هاتين الامتين في الخطابة ومانبغ بين رجالها من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار كديموستنيس واشينس وهيبريدس من خطباء اليونان وشيشرون ويوليوس قيصر وسالوستس ولوكيرتس من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا باقل مما اتى به أولئك بلاغة ووقعاً . وربما كان الخطباء في الاسلام اكثر عدداً وخطبهم اوفر وابلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقاً وادباً

فقد ذكروا لديموستنيس اخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفها منسوب اليه خطأً وهذه خطب الامام علي تعد بالمئات . وأما في كثرة الخطباء فالعرب كانوا في صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وامراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد[2] ولا غرابة في ذلك لان العرب اهل خيال وذوو نفوس حساسة وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم — وكثيراً ما توقف فتح البلد او الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسري في عروقهم الحماسة فيستبسلون في الدفاع أو الهجوم . وفي اخبار الفتوح ادلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . ونعرف قواداً انما ساعدهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم في نفوس رجالهم

(١) البيان ٢٩ ج٢ (٢) البيان ١٣٥ ج ١

واذا رجعت لحوادث الفتح أو جمع الاحزاب أو اخماد الثورات رأيت عجباً . واول ثورة كادت تهبُّ في الاسلام لما بلغ اهل المدينة موت النبي فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة فقام ابو بكر خطيباً فقال « ايها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حيٌّ لم يمت .. وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم . . ؟ وقد علمتم اني اكثركم قتباً في برّ وجارية في بحر فاقروا اميركم وانا ضامن إن لم يتم الامر ان اردها عليكم »[1] فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لاخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطبه في السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

واعظم الخطباء في عصر الراشدين النبي والخلفاء والقواد وترى امثلة من اقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح والتاريخ وفي العقد الفريد وغيره من كتب الادب وكلها مطبوعة ومشهورة . واشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن ابي طالب فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ولا نظن كل ما حواه من الخطب له . وقد شرح نهج البلاغة غير واحد وطبع مراراً في الشام ومصر ومنها شرح مطول لعبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي طبع في طهران في عشرين جزءاً وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

الشعر في عصر الراشدين

١ — الشعر والنبي

علمت مما تقدم ان اكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء واهل الحرب واكثر اشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ومرجع ذلك كله الى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر او الشعراء — ناهيك باشتغال اهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام و بالاسفار . وقد ادهشتهم اساليب القرآن

(١) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستاني ٩ ج ١.

واخذتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد وهي شعر منثور . وقد جاء الطعن على الشعراء في القرآن وهو قوله « والشعراء يتَّبعهمُ الغاوُون ألم ترَ أنهمْ في كل وادٍ يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك ان النبي لم يكن راغباً في الشعر لانه من عوامل التفريق وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شعراً لا يلتفت الى وزنه [1] ومن اقواله «لان يمتلئ جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير من ان يمتلئ شعراً » [2] ولم يكن مع ذلك يبخس الشعر حقه ويرى ان الآية التي نزلت عن الشعراء انما يراد منها شعراء قريش الذين تناولوه بالهجاء والاذى . وقد اراد تقبيح الشعر في الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضه ـ وليس الشعر على اطلاقه . ولذلك فقد ابدى اعجابه به بقوله « ان من الشعر لحكمة » يشير الى الاشعار التي فيها تدين أو دفاع عن الحق . ومن اقواله « اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد (الا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل) وكثيراً ما كان يحب ان يسمع شعر امية بن ابي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث [3]

اما سائر اغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل ان الطفيل بن عمرو السدوسي اتى النبي فعرض عليه الاسلام فقال له « اني رجل شاعر فاسمع ما اقول » فقال « هات » فانشد :

لا واله النـاس نالم حربهم   ولو حاربتنا منهب وبنو فهم
ولما يكن يوم تزول نجومه   تطير به الركبان ذو نباً ضخم
اسلماً على خسف ولستُ بخالد   ومالي من واق اذا جاءني حتمي
فلا سلم حتى تحفز الناس خيفةً   ويصبح طير كانسات على لحم

فاجابه النبي « وانا اقول: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفُواً احد » وقرأ غيرها فاسلم الرجل [4] . وكان النبي مع ذلك يرى مداراة الشعراء لتأثيرهم في الاذهان فكان يأمر ان يقطع لسان الشاعر بالعطاء [5]

(١) الاغاني ٦٧ ج ١٣   (٢) العمدة ١٢ ج ١   (٣) مشكاة المصابيح ٤٠٩
(٤) الاغاني ٥٣ ج ١٢   (٥) الاغاني ٦٧ ج ١٣

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي وهو يطوف وكان قد قتل اباها فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وانشدته ابياتاً مطلعها :

يا راكباً ان الاثيل مظنـةٌ   من صبح خامسةٍ وانت موفقُ

الى ان قالت :

امحمد ها انت نجل نجيبـةٍ   من قومها والفحل فحلٌ معرقُ
ما كان ضرَّك لو مننتَ وربما   منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر اقرب من قتلتَ وسيلة   واحقهم ان كان عتقٌ يعتقُ

فقال النبي « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » [1] . ولذلك لم يكن يرى بأساً من انتصار الشعراء له يدفعون عنه اقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية بالطعن عليهم فتوعدهم النبي ففرَّ بعضهم من وجهه وقتل البعض الآخر [2] وقد تقدم في ترجمة حسان ابن ثابت ان اشهر من هجاه ثلاثة : عبد الله بن الزِبَعْري وابو سفيان وعمرو بن العاص وان النبي قال للانصار « ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وكان يرى لاشعارهم تأثيراً في اعدائه ومن اقواله « هؤلاء النفر (الشعراء) أشدُّ على قريش من نضح النبل » وقال لحسان مرة « اهجهم (يعني قريشاً) فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس والقَ أبا بكر يعلمك تلك الهنات » [3]

٢ — الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الراشدون على خطة النبي في تحريض الناس على حفظ القرآن — ذكروا ان غالباً ابا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى علي بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له « ان بني هذا من شعراء مضر فاسمع له » فاجابه علي « علمهُ القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبة ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك في ترجمة لبيد . على انهم اقتدوا بالنبي في التمييز بين شعر وشعر وشاعر وشاعر .

(١) العمدة ٣٠ ج ١   (٢) العمدة ٧ ج ١   (٣) العمدة ١٢ ج ١

وحرّض عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال « رووا اولادكم ماسار من المثل وحسنَ من الشعر » [(١)] وقد اراد احسنه ويؤيد ذلك قوله « اُرووا من الشعر اعفه » [(٢)]

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب » [(٣)] وفي مقدمة جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي امثلة كثيرة من هذا القبيل [(٤)]

ولم يكن الراشدون يرون بأساً من ان يقولوا الشعر هم انفسهم فقد رووا لابي بكر قصيدة حماسية قالها في غزوة عبيدة بن الحارث . ورووا لعمر ابياتاً في الحكم ونحوه وكذلك لعثمان . اما علي فالمروي من شعره كثير بعضهُ قالهُ في صفين [(٥)] ولم يبقَ من الصحابة من لم يقل الشعر او يتمثل بهِ [(٦)]

على انهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين واشدهم وطأة في ذلك عمر فقد اخذ عهداً على الحطيئة ان لا يهجو رجلاً مسلماً [(٧)] . ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالجهاد الا ما كان منه من قبيل الجهاد كاقوال حسان واصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام

واما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمناهم مع شعراء الجاهلية لانهم نشأوا فيها وتطبعوا بطبائع اهلها

اللغة والانشاء

في عصر الراشدين

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية واساليبها والفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعي ان الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من اشعارها وامثالها واساليبها . فلا غرو اذا ظهرت اساليب القرآن والفاظه في لغة المسلمين شعراً ونثراً كتابة وخطابة . ويرجع ذلك التغيير الى قسمين : تغيير في الاسلوب وتغيير في الالفاظ

(١) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١ (٢) الجمهرة ١٥ (٣) العمدة ١١ ج ١
(٤) الجمهرة ٥ (٥) العمدة ١٢ ج ١ (٦) الجمهرة ١٦
(٧) العقد الفريد ١١١ ج ٣

١ — التغيير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذي اصابه لان ما وصلنا من انشاء الجاهليين لا يخلو من صبغة اسلامية الا سجع الكهّان فالغالب انه بقي على حاله والفرق بينه وبين اسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والثرى — اين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف اهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر فانها قالت لهم « لا تؤموا مكة حتى اقول وما علمني ما اقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من اساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء في ابلغ ما يكون . واحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد وكلها من السهل الممتنع ككتاب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب لما بعث به لفتح مصر ثم تخوف فكتب اليهِ « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . اما بعد فان ادركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئاً من ارضها فامض واعلم اني ممدُّك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده في مجاعة بقولهِ « من عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . اما بعد فلعمري يا عمرو ما تبالي اذا شبعت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم يا غوثاه » فكتب اليهِ عمرو « الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . اما بعد فيا لبيك ثم يا لبيك قد بعثت اليك بعير اولها عندك وآخرها عندي والسلام »

ذلك اسلوبهم فيما يكتبونه او يقولونه من المخابرات السياسية او الخطب الحماسية او العهود او العقود . حتى انك اذا قرأت لهم رسالة تبينت اسلوب صدر الاسلام فيها فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها . ومما يطعن في صحته من العهود ما يسمونه « العهدة النبوية » فانها بعيدة عن عصر الراشدين باسلوبها والفاظها فضلاً عن مخالفة بعض نصوصها للتاريخ

وتجد امثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على اسلوب صدر الاسلام في كتب الفتوح والغزوات كفتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري ومنها جانب كبير في خطط المقريزي عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعاً في كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري من اهل اواسط القرن الثاني

للهجرة طبع في كلكتة سنة ١٨٥٤ وقد شاهدنا فيه ما لم نشاهده في غيره مما وصل الينا من كتب الفتح فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية او الاوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم او ما تكاتب به القواد او ما كتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . او ما عقدوه من العهود في اثناء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح اجنادها . كأنها الاصول التي اخذت اخبار الفتح عنها

٢ — التأثير في الالفاظ

اما تأثير القرآن في الفاظ اللغة فضلاً عن الاسلوب فظاهرٌ في ما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصطلاح الديني او الشرعي . واكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام لكنها كانت تدل على معان اخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلاً كان معروفاً في الجاهلية ولكنه كان يدلُّ عندهم على الامان او الايمان وهو التصديق فاصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر وله في الشريعة شروط معينه لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة واصلها في العربية الدعاء وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة والنكاح فقد كان لهذه الالفاظ واشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت

وقس على ذلك المصطلحات الفقهية كالايلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والآبق والوديعة والعارية والشفعة والمناسخة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الفاظاً وتراكيب نطق بها النبي ولم تسمع من العرب قبله كقوله « مات حتف انفه » و « حمي الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » [١]

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضافٍ في ما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

---

(١) المزهر ١٠٣ ج ١

العلوم التي حدثت في عصر الراشدين

جمع القرآن وتدوينه

لم يحدث في عصر الراشدين علم ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم يظهر مرة واحدة وانما ظهر تدريجاً في اثناء ٢٠ سنة على مقتضى الاحوال من اول ظهور الدعوة الى وفاة النبي بعضه في مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبوها على محف الكتابة في تلك الايام وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالاكتاف والاضلاع . وعلى العسب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . فتوفي النبي سنة ١١ﻫ والقرآن اما مدوَّن على امثال هذه الصحف أو محفوظ في صدور الرجال وكانوا يسمون حفظته « القراء »

وكان اكثر الناس عناية في تدوينه على عهد النبي علي بن ابي طالب وسعد بن عبيد بن النعمان وابو الدرداء ومعاذ بن جبل وثابت بن زيد وابي بن كعب وغيرهم [١] . فلما قام ابو بكر بالامر وارتد اهل جزيرة العرب عن الاسلام بعث جنداً لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة وخصوصاً في غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك اهل المدينة فزعوا فزعاً شديداً وخصوصاً عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين . فاشار على ابي بكر بجمع القرآن لئلاً يذهب منه شيء بموت اهله فتوقف ابو بكر وقال « كيف افعل امراً لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهداً » فما زال عليه عمر حتى اقنعه بجمعه . فاحضر ابو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحي فجمع ما كان مدوَّناً عند الصحابة وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة او اكثر . وقد لا يوجد من السورة الاخرى الا نسخة واحدة كسورة التوبة فانه لم يجد منها الا نسخة واحدة عند ابي خزيمة الانصاري [٢] فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى ابي بكر فظلت الصحف عنده حتى توفي سنة ١٣ ﻫ فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى تولى عثمان سنة ٢٣ ﻫ فانتقلت الى عند ابنته حفصة من ازواج النبي

وفي ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس

---

(١) الفهرست ٢٧ (٢) الفهرست ٢٤

وافريقية وفيهم القراء وعند بعضهم نسخ من القرآن وقد رتبها كل منهم ترتيباً خاصا فعوّل اهل كل مصر على من قام بينهم من القراء . فاهل دمشق وحمص مثلاً اخذوا عن المقداد بن الاسود واهل الكوفة اخذوا عن ابن مسعود واهل البصرة عن ابي موسى الاشعري[١] – ومع شدة عناية القراء في حفظ القرآن وضبطه لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

واتفق في اثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة ارمينيا واذربيجان فرأى في اثناء سفره اختلافاً بين المسلمين في قراءة بعض الآيات وسمع بعضهم يقول لبعض « قراءتي خير من قراءتك » فلما رجع الى المدينة انبأ عثمان بذلك وانذره بسوء العقبى ان لم يتلافَ الامر الى ان قال « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها اليك » فارسلتها . فدعا عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وامرهم ان ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء وقال لهم « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ففعلوا ذلك[٢] سنة ٣٠ هجرية وكتبوا اربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة مكة والبصرة والكوفة والشام[٣] واثنين ابقاهما في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه . وهو الذي يسمونه « الامام » ثم امر بجمع كل ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف[٤] وامر باحراقه

فاصبح المعوَّل في المصاحف على ما كتبه عثمان واشتغل المسلمون في الامصار باستنساخ تلك المصاحف فنسخوا منها شيئاً كثيراً في مدة قليلة – ذكر المسعودي في عرض كلامه عن واقعة صفين بين علي ومعاوية وما كان من ظهور علي وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف »[٥] وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين ٧ سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه فقد ظلَّ عند

(١) ابو الفداء ١٧٦ ج ١ (٢) الفهرست ٢٤
(٣) نفح الطيب ٢٨٧ ج ١ (٤) ابو الفداء ١٧٦ ج ١
(٥) المسعودي ٢٠ ج ٢

بعض المسلمين نسخ من مصاحف اخرى اشهرها مصحف علي . ويعتقد الشيعة ان علياً اول من خط المصاحف عند وفاة النبي وتنوقل مصحفه في شيعته وبقي عند اهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست انه رأى عند ابي يعلى حمزة الحسني مصحفاً بخط علي يتوارثه بنو حسن[١] – ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وابيّ بن كعب ولكل منها ترتيب خاص في سوره[٢]

الخط العربي وتاريخه

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن في زمن الراشدين نأتي بتاريخ الخط وان تجاوزنا في تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام في موضع واحد فنقول :

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدلُّ على انهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام مع انهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بامم من العرب خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة . واشهر تلك الامم حمير في اليمن كتبوا بالحرف المسند والانباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي وآثارهم باقية الى هذه الغاية في ضواحي حوران والبلقاء . وقد عثر النقابون على آثار كتابية في الحجاز لكنها حميرية . والسبب في ذلك ان الحجازيين أو عرب مضر كانت البداوة غالبة على طباعهم والكتابة من الصنائع الحضرية

على ان بعض الذين رحلوا منهم الى العراق او الشام قبل الاسلام تخلقوا باخلاق الحضر واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطي او العبراني او السرياني . ولكن النبطي والسرياني ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية فتخلف عن الاول الخط النسخي (الدارج) وعن الثاني الخط الكوفي نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفي يسمى قبل الاسلام الحيري نسبة الى الحيرة وهي مدينة عرب العراق قبل الاسلام وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها ومعنى ذلك ان السريان في العراق كانوا يكتبون ببضعة اقلام من الخط السرياني في جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلي » كانوا يكتبون به اسفار الكتاب المقدس[٣]

(١) الفهرست ٢٨ (٢) الفهرست ٢٦ (٣) اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ١٧

فاقتبسه العرب في القرن الاول قبل الاسلام وكان من اسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفي وهما متشابهان حتى الآن

واختلفوا في من نقله الى بلاد العرب والاشهر ان اهل الانبار نقلوه ـ وذلك ان رجلاً منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندي اخو اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلّم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان فعلَّم جماعة من اهل مكة فكثر من يكتبهُ من قريش [1] عند ظهور الاسلام . أما الخط النبطي فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون [2]

والخلاصة في كل حال ان العرب تعلموا الخط النبطي من حوران في اثناء تجارتهم الى الشام وتعلموا الخط الكوفي من العراق قبيل الاسلام بقليل وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح انهم كانوا يستخدمون القلمين معاً الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الاسفار المقدسة النصرانية . والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدلُّ على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي فضلاً عن شكله ان الالف اذا جاءت حرف مدّ في وسط الكلمة تحذف ـ وتلك قاعدة مضطردة في الكتابة السريانية وكان ذلك شائعاً في اوائل الاسلام وخصوصاً في القرآن فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة فلم يكن يعرف الكتابة الا بضعة عشر انساناً اكثرهم من كبار الصحابة وهم : علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان وابان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ويزيد بن ابي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وابو سلمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وحويطب بن عبد العزى وابو سفيان بن حرب وولده معاوية وجهيم بن الصلت بن مخرمة . ثم تعلم غيرهم من الصحابة ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفي ايام الراشدين وايام بني امية . وفي ايامهم تفرع الخط المذكور الى اربعة

(١) المزهر ١٧٧ ج ٢ (٢) راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب

اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان اكتب اهل زمانه وكان يكتب لبني امية المصاحف . ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية فزاد على قطبة ثم زاد اسحق بن حمادة وغيره فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً . وهي ١ قلم الجليل ٢ قلم السجلات ٣ قلم الديباج ٤ قلم اسطورمار الكبير ٥ قلم الثلاثين ٦ قلم الزنبور ٧ قلم المفتح ٨ قلم الحرم ٩ قلم المدامرات ١٠ قلم العهود ١١ قلم القصص ١٢ قلم الحرفاج . وفي ايام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرئاسي نسبة الى مخترعه ذي الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلية [1]

فزادت الخطوط على عشرين شكلاً وكلها تعدُّ من الكوفي . وأما الخط النسخي أو النبطي فقد كان شائعاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ ﻫ فادخل في الخط المذكور تحسيناً جعله على ما هو عليه الآن وادخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخي والغالب في اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معاً من اول الاسلام الكوفي للمصاحف ونحوها والنسخي (أو النبطي) للرسائل ونحوها كما تقدم . وأن ابن مقلة انما جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب الخديوية رقوقاً وقطعاً من البردي عليها كتابات بالخط النسخي بعضها من اواخر القرن الاول للهجرة . ورأينا عقد نكاح مكتوباً في اواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ ﻫ على رق مستطيل في اعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال — فابن مقلة حسن هذا الخط تحسيناً وادخله في كتابة المصاحف

ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة . واصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنين الكوفي والنسخي ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة اقلام وهي : الثلث والنسخي والتعليقي والريحاني والمحقق والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة الفوا فيه الكتب والرسائل بعضها في

(١) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

دوات الخط كالاقلام وطرق بريها واحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك وما زال الخط يتفرع الى اليوم وان يزال الى ما شاء الله عملاً بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي طبع المكتبة الخديوية بمصر بابٌ خاصٌ في الكتابة وادواتها وتوابعها يدخل في ٣٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ ـ ٥٧٦) وتجد اقوالاً تتعلق بالخط العربي في كشف الظنون ٤٦٦ ج ١ وابن خلكان ٣٤٦ ج ١ والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ وابن خلدون ٢٠٥ و٣٤٨ ج ١ والاغاني ١٩ ج ٢ و١٠٦ ج ٤ و٥٠ ج ٧ وفي المزهر ١٧٧ ج ٢

أما ما يلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات فسيأتي الكلام عليها في العصر الاموي



العصر الاموي

من سنة ٤١ ـ ١٣٢ هـ

مميزات العصر الاموي

نريد بالعصر الاموي العصر الذي كانت الدولة الاسلامية فيه في حوزة الامويين بالشام منذ بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ الى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ويختلف العصر الاموي عن عصر الراشدين اختلافاً كبيراً من أوجه كثيرة . ويعدُّ انتقال الدولة الاسلامية الى بني أمية انقلاباً عظيماً في تاريخ الاسلام . لانها كانت في في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكاً عضوداً وكانت شوروية فصارت ارثية . وقام معاوية يطالبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وان معاوية طليق لا تحل له الخلافة وانه لم يعتنق الاسلام الا مكرهاً . ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعاً فاسس الدولة الاموية . وقد فصلنا الاسباب التي ساعدته على ذلك في الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي

وانما يهمنا في هذا المقام ما نجم عن مساعي بني أمية في تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والرجوع الى عصبية الجاهلية كما كان العرب قبل الاسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك في الآداب واليك هي :

التفريق بين القبائل واحياء العصبيات

قد علمت ان العصبية العربية كانت في الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب فلما جاء الاسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الاسلام او الجامعة الاسلامية . وما زالت الجامعة الاسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين . حتى اذا طمع بنو أمية بالملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها فظلت خشونة البادية غالبة على حكومتهم وظاهرة في سياستهم مع ذهاب اكثر مناقب البدو الأخرى .

وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وايثار أهلهم على سواهم . فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الاسلام وخصوصاً أهل البصرة والكوفة والشام لان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبتهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم في قبضة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب . فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

أسباب التفريق

كان التفريق أولاً بين قريش وسائر العرب فتعصب العرب كافة على قريش حسداً لاستبدادهم في السلطة دون سائر الصحابة أو التابعين ـ الا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعدنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان على يد سعيد بن العاص [1] وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصاً بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في أول الاسلام اذ جاءهم النبي مهاجراً فراراً من أهله . ولما جرت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال في تلك الوقعة قال رجل يمنيٌّ من أنصار علي « أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع من هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة علي وأنصاره . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه أن اكتفاءه بقريش ونحوهم لا يجديه نفعاً فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما فاز في حروبه ورسخت قدمهُ في الخلافة تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصرة يزيد ابنه بعده لانهم اخواله

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامي ص ٥٥ ج ٤

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد او مروان بن الحكم (وكلاهما من امية) وقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني امية وكان انصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير وانصار بني أمية من كلب (يمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن اختهم . ونهض اناس من بني امية فاعترضوا على صغر سن خالد واجمعوا على بيعة مروان لشيخوخته على أن تكون الخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين أصحاب مروان وأصحاب ابن الزبير أي بين كلب وقيس وفاز مروان وثبتت قدمه في الخلافة . ثم توفي مروان ولم يف لخالد فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان الشديد الوطأة وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر انحاء المملكة الاسلامية بين هذين الحزبين قيسية وكلبية أو مضرية ويمنية أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وافريقيا والاندلس . وفي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان مضري ويمني تختلف قوة احدهما او الآخر باختلاف الخلفاء او الامراء أو العمال . فالعامل المضري يقدم المضرية والعامل اليمني يقدم اليمنية ويختلف ذلك باختلاف الاحوال وله تأثير في كل شيء من تصاريف احوالهم حتى في تولية الخلفاء والامراء وعزلهم وكثيراً ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصرة أحد هذين الحزبين غير الانقسام الذي وقع بين بطون قريش واهم احزابهم بنو امية وبنو هاشم فكان الناس يتعصبون لاحدهما على الآخر . وناهيك بالتخاصم بين العرب وغير العرب

وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الاموي على سائر العرب فالعرب على الاجمال كانوا مقدمين على سائر الامم التي دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك بل كانوا يعتقدون فضل العرب في اقامة هذا الدين وانهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب أسيادهم ويعدوا انفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم وحبهم فرضاً واجباً عليهم

فكان العرب في اثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الامم من الموالي واهل الذمة وكان العربي يعدُّ نفسه سيداً على سواه ويعتقد انه خلق للسيادة وذاك للخدمة فاقتصر العرب على الاشتغال بالسياسة ولم يكونوا يعتنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لانه

لازم للسياسة . واما الحساب والكتابة فقد كانا من صنائع الموالي — حتى الشعر فان الموالي نالوا منه حظاً في اثناء العصر الاموي

و بالجملة ان انتقال الدولة الى الامويين انقلاب سياسي عظيم هو طبيعي في نواميس العمران لان القواعد التي وضعها الامام عمر للدولة تنافي سياسة الملك ولم يكن يرجى بقاؤها لان من شروطها ان لا تختزن الاموال في بيت المال وان لا يشتغل المسلمون بالزرع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ويخالف السياسة والملك فانتقالها الى الملك في أيام بني امية وانتقال كرسي الخلافة الى الشام اوجب احتكاكها بالدول الاخرى فاقيمت على دعائم سياسية واقتبس أهلها تمدن الامم المجاورة وعلومهم وانشأوا تمدناً من عند انفسهم ووضعوا العلوم والآداب التي اقتضاها ذلك التمدن كما سيجيء

حال الشرق عند الفتح الاسلامي

نعني بالشرق البلاد التي فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس والبعض الآخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم بآدابهما وعلومهما والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية واكثر أهلهما من المجوس . وكان التنازع قائماً بين النصرانية والمجوسية وانتشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلب الامتين جميعاً فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندري الروماني لان آداب اليونان القدماء هي القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومَن تشعبت اليه دولتهم من الامم . وللآداب اليونانية اطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من اثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل

اليها من جالية اليونان على اثر فتوح الاسكندر في الشرق من القرن الرابع قبل الميلاد وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى فزهت الاسكندرية بهم وبعلومهم

وينقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثاني بعد دخولها في سيطرة الروم قبل الميلاد وهو العصر الاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام

فلما فتح المسلمون مصر والشام كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندري الثاني او الروماني يبدا قبل الفتح الروماني بنصف قرن اي يوم دخول أثينا في حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احمالاً من كتب العلم والفلسفة الى رومية فانتقل العلم من أثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفاً . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة . لان الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من اليهود نزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فراراً من الاضطهاد فآنسوا في الاسكندرية ترحاباً وراحة فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغيرٌ مهمٌ في الفلسفة والدين لان اليهود اهل توحيد ووحي وتقليد واليونان اهل فلسفة ومنطق وخرافات دينية فأدى التمازج الى التقارب وزاد ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان اخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين فتولد من ذلك ما يسمونه الفلسفة الافلاطونية الجديدة (Neo-Platonic) والفلسفة الفيثاغورية الجديدة (Neo-Pythagoric)

وجملة القول ان العصر الاسكندري الثاني قلما افاد العلم لان ابحاثه كانت غايتها دينية هذه هي الفلسفة التي كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الاسلامي.

وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية يتفاخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفاخر متخرجو جامعات اكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة في برغاموس وطرسوس ورودس وانطاكية وبيروت . وكان في بيروت مدرسة للحقوق طارت شهرتها في الآفاق (١)

فلما جاء الاسلام كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها وأهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها في نظرهم عثرة في سبيل الدين

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩

آداب مملكة الفرس

كان للفرس آداب قديمة أضافوا اليها كثيراً من علوم الهند والصين واشور وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ماكان في عاصمتها من كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعضعت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى ايام سابور ابن أزدشير في الدولة الساسانية باواسط القرن الثالث للميلاد محارب الروم ونقل جماعة من اسراهم الى الاهواز وانشأ لهم مدينة سماها جندي سابور وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية [1] واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انوشروان العادل (من سنة ٥٣١ ـ ٥٧٨م) فُتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرَّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب [2] والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انوشروان انه من تلامذة افلاطون

وانشأ انوشروان في جندي سابور مدرسة للطب والفلسفة اشتهرت في بلاد الفرس اشتهار مدرسة الاسكندرية في مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى ان آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان والعالم المتمدن في ذلك العهد مدين لليونان في أكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي نضجت في ايام العباسيين

ومما يحسن استطراده ان آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على ايدي السوريين نقلوها اولاً الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربي في التمدن الاسلامي لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

اما الدولة الاموية فالهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١

(٢) E. Browne, Literary Hist. of Persia, I 167

الجاهلية لان الامويين كانوا شديدي الحرص على منزلة العرب كثيري العناية في حفظ الانساب وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من القبطية والرومية والفارسية الى العربية . وبعد ان كانت مصر قبطية والشام رومية والعراق كلدانية او نبطية اصبحت هذه البلاد بتوالي الاجيال عربية النزعة وتنوسيت لغاتها الاصلية وهي تعدُّ الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي او الافرنجي او غيرهما من اي امة كانت وتوالد فيها عدَّ نسله عربيا

وظل العرب في ايام بني امية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم . وظل كثير من عادات الجاهلية شائعة في ايامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار في الاندية العمومية فكان اشراف اهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار ويتحادثون ويتذاكرون ايام الناس. واهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجيء. كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ماكانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في ايام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا في ممالك الارض

اقسام آداب اللغة العربية

في العصر الاموي

تقسم آداب اللغة في هذا العصر الى قسمين :

اولاً ـ الآداب الحادثة ويدخل تحتها (١) ما حدث من العلوم او الآداب مما اقتضاه الاسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسميها العلوم الاسلامية (٢) ما اقتضاه التمدن الاسلامي من العلوم التي نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسميها الآداب الدخيلة

ثانياً ـ الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً في عصر الراشدين كاللغة والشعر والخطابة والامثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال ان في العصر الاموي نضجت الآداب الجاهلية وولدت الآداب الاسلامية وبدا النقل من اللغات الاجنبية فلننظر في كل منها على حدة ونبدأ بالعلوم الحادثة في الاسلام ثم نعود الى الآداب التي كانت في الجاهلية لينجلي لنا تأثير تلك فيها

اعمار العلوم

ولكل من العلوم على اختلاف مواضيعها ادوار يمرُّ بها العلم كما يمرُّ الحي بادوار الحياة لان العلوم من توابع الاحياء فتخضع لنواميس النشوء مثل خضوعهم . فالادوار التي تمرُّ بها العلوم هي :

١ دور التكون (الولادة)
٢ « النمو او النشؤ (الصبا)
٣ « البلوغ (الشباب)
٤ « النضج (الكهولة)
٥ « التفرع او التشعب أو الانحلال (الشيخوخة)

وسترى ان بعض العلوم يتكون في عصر وينمو في آخر ويبلغ في آخر وينضج في آخر وقد يتخطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الاموي فاتحة عصور التمدن الاسلامي أو الدولة الاسلامية لان الاسلام قبله كان ديناً لا دولة . وفي هذا العصر بدأ تكون اكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت في ما يليه . وقد تقدم ان العلوم الحادثة في الاسلام قسمان كبيران العلوم الاسلامية والعلوم الدخيلة فنبدأ بالاولى

العلوم الاسلامية

هي العلوم التي اقتضاها الاسلام وتقسم الى ثلاثة اقسام (١) العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الاسلامية (٢) العلوم اللسانية وهي التي اقتضاها الاسلام ضمناً فاحتاجوا اليها في ضبط قراءة القرآن او تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث (٣) التاريخ والجغرافيا فلنبحث في كل منها على حدة

اولاً — العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث اهمها علوم القرآن والحديث والفقه ولكل منها فروع تولدت بتوالي الاجيال وكانت في العصر الاموي في

دور تكونها وهي يومئذ القراءة (قراءة القرآن) والحديث (ضبط الحديث) والفقه وقبل التقدم اليها نمهد الكلام في البصرة والكوفة

البصرة والكوفة

هما من المدن الاسلامية التي اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام اهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة ضمن الاسوار وينفرون من الانحصار في المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام ومصر كانوا في بادىء الرأي اذا ساروا الى غزو أو فتح أصطحبوا نساءهم وعيالهم فاذا فتحوا بلداً اقاموا في ضواحيه بخيامهم واخبيتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار ان لا يقيموا في مكانٍ يحول الماء فيه بينهم وبينه حتى أذا اراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص في الفسطاط وسعد بن ابي وقاص في الكوفة والبصرة وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرابطة أو المعسكر فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على انهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدها فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب فكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءها كما كان واعتبر ذلك بالكوفة أيضاً

فاول من عمَّر البصرة والكوفة الفاتحون واهلهم ثم اتسعت الفتوح الاسلامية شرقاً وغرباً ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب باهلهم وخيلهم التماساً لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة وهم يختارون اقربها الى البادية بلدهم القديم فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانها على الحدود بين جزيرتهم والشام والعراق

المربد او عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية واخلاقهم العربية فانقسموا فيها قبائل وبطوناً — عرب اليمن في أحد طرفي البلد وعرب الحجاز في الطرف الآخر وانقسمت قبائل كل جانب حسب بطونها وافخاذها . واقاموا فيهما أسواقاً أدبية

وتكاثر فيها المخنثون واهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك ان اعداءه هناك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملاذهم ولا سيما بعد ان غلبهم في العراق فجعل همه صرف اذهان اهل الادب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم وكانت في ايامهم لا تزال كالبادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل و بطوناً فاصبحت الشام في ايامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر او خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقدام فيهما و بعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من اهل الادب الا اليمامة وبعض الحجاز

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة ايضاً اهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة او الصناعة أو غيرهما . فاجتمع في تلك البقعة لفيف من امم شتى مصيرهم الى التعريب . لان العربية كانت قد اصبحت لغة الدولة والدين ولابد منها لمن اقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع الفاظها — غير مابعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظراً لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبداوة نشطوا آداب الجاهلية على الخصوص فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فاصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموي و بعده بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون في المسجد أو المربد أو غيرهما للمفاخرة أو المناظرة أو المناضلة أو المناشدة واهل البصرة اعرف في اللغة والادب يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن أهل الكوفة . أما الشعر فكان في الكوفة اكثر منه في البصرة. ووقف المختار في اثناء حروبه بالعراق على اشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر [1] لكن اكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله [2]

فبعد أن مهدنا الكلام بوصف البصرة والكوفة نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية واساسها القرآن وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه في عصر الراشدين

(١) الخصائص لابن جني (خط) ١١٨ (٢) المزهر ٢٠٦—٢٠٨ ج ٢

مثل أسواقهم في الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والمناشدة : اشهرها « المربد » في البصرة وكانت سوقاً من اسواقها يعرف بسوق الابل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس واقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ويدلك على سعتها وسعة البصرة أن المربد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس للهجرة بعد انحطاط دولة العرب كالبلد المنفرد وبينه و بين البصرة ثلاثة أميال وكان ما بين ذلك عامراً فتأمل

وكان المربد في الدولة الاموية عكاظ الاسلام تألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة [1] ومجالس العلم والادب [2] فكان الشعراء يؤمونه ومعهم رواتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكة وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعي الابل [3]

وكان الاشراف يخرجون أيضاً الى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض . لكن المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

في عصر الراشدين كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة ثم أفضت الدولة الى بني أمية وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن ابن الزبير في مكة وأخرج بنو أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز . وقد علمت رغبة الامويين في استبقاء الطبائع العربية البدوية فنشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر لاسباب سيأتي تفصيلها فوجدوا في البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل وان ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر النبي وسائر مناسك الحج

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من ابناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة كما فعل احدهم عبد الله بن الزبير فاعماهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فاركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهي تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد اصبحت مرسحاً للهو والغناء ونبغ فيها طائفة من المغنين

(١) الاغاني ١٨٢ ج ٢ (٢) الاغاني ٥١ ج ٣ (٣) الاغاني ١٦٩ ج ٢٠

١ — قراءة القرآن

في العصر الاموي

هي أقدم العلوم الشرعية الاسلامية وكان للقراءة شأن في صدر الاسلام لقلة الذين يقرأون يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزاً لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا اميين . وقد تقدم ان السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على انه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير حتى اصبح لاهل كل مصر قراء خاصة يتبعون فيها قارئاً يثقون بصحة قراءته وتتوقل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها باداتها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراة ويعدُّها بعضهم عشراً

واصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالي و بعضهم تجاوز العصر الاموي وهم :

١ — عبد الله بن كثير توفي سنة ١٢٠ ﻫ في مكة وهو من الموالي اصله من ابناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً كبيراً ابيض الراس واللحية طويلاً جسيماً اسمر اشهل العينين يغير شيبته بالحناء [1]

٢ — عاصم بن ابي النجود توفي سنة ١٢٨ ﻫ في الكوفة وهو مولى بني جذيمة أخذ القراءة عن ابي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش [2]

٣ ـ عبد الله بن عامر اليحصبي من الطبقة الاولى من التابعين توفي بدمشق سنة ١١٨ ﻫ

٤ ـ يزيد بن القعقاع توفي سنة ١٣٢ ﻫ في المدينة وهو مولى عبد الله بن عياش المذكور واخذ القراءة عنه وعن غيره [2]

٥ ـ حمزة بن حبيب الزيات توفي بحلوان العراق سنة ١٥٦ ﻫ وهو مولى آل عكرمة

٦ ـ ابو عمر بن العلاء من تميم توفي سنة ١٥٥ ﻫ بالكوفة وهو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وسيأتي ذكره مراراً في تاريخ آداب اللغة

٧ ـ نافع بن عبد الرحمن توفي سنة ١٦٩ ﻫ بالمدينة وهو مولى جعونة بن شعوب الشجعي كان اسود شديد السواد واصله من اصبهان ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان في العصر الاموي صغيراً [4]

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٩ (٣) المعارف ١٧٩
(٤) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

القراءات الشاذه

واشتهر غير هؤلاء كثيرون في اقطار العالم الاسلامي وفيهم من يقرأ قراءات غريبة وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ ذكر في فهرسته (صفحة ٣٠) جماعة منهم في المدينة وآخرين في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثر قراء الشواذ على الخصوص بعد ان ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الاراء في التفسير والفقه والخلفاء يشددون في مقاصة اولئك الشاذين خوف التفرقة كما كان يفعل رؤساء النصرانية في القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصاً في اوائله فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة [1] وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى اواسط الدولة العباسية وفي جملتهم يعقوب العطار المتوفي سنة ٣٥٤ ﻫ فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته واشهد عليه من حضر [2]

واشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ ﻫ فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب ذكرها ابن النديم وابن خلكان فعلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ ﻫ فقبض عليه واعتقله اياماً فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته فامر بجلده واستتابه فتاب وقال انه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس وكتب محضراً بذلك [3]

والقراءات السبع التي ذكرنا اصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الائمة ان الجميع على صواب فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو اكثر وقد تقرأ كل القراءات في اقليم واحد [4] . وكانوا يرجعون في اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم قرأ يعقوب بن اسحق على سلام وقرأ سلام على عاصم وقرأ عاصم على ابي عبد الرحمن وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن ابي طالب وقرأ علي على النبي [5]

(١) الشهرستاني ٧٣ ج ١ (٢) طبقات الادباء ٣٦١ (٣) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١
(٤) المقدسي ٣٩ ونفح الطيب ١٠٤ ج ١ (٥) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

كتب القراءة

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم في الكتب لكنها تنوقلت بالاسناد فالف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي في بغداد وقرطبة وغيرهما من مدائن ذلك التمدن ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك — واشهر ما وصلنا من كتبهم في هذا الفن :

١ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانباري المتوفى سنة ٣٢٨ منه مجلد ناقص في المكتبة الخديوية بخط قديم يشبه ان يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة . ومنه نسخة في المتحف البريطاني وفي مكتبة كوبربلي بالاستانة

٢ كتاب التيسير في القراءات السبع لابن الصيرفي من اهل دانية بالاندلس توفي سنة ٤٤٤ه ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ٣ جامع البيان في القراءات السبع لهُ

٤ مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور اتى فيه على الاختلاف بين اصحاب نافع الاربعة الذين اخذوا عنه القراءات وبين غيرهم من اصحاب الائمة السبعة ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٥ حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع وهو منظومة لمحمد بن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ وتعرف بمتن الشاطبية وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية

٦ المقدمة الجزرية في علم التجويد منظومة لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ ه منها عدة نسخ في المكتبة الخديوية

٢ – التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وادركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى اساليب بلاغتهم ولان اكثرها قيلت في احوال كانت كالقرائن تسهل فهمها واذا اشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فكان يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ . فحفظ اصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم وعنهم اخذ من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها فزادت العناية في تفسيره واصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الاحكام أو هم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى اواخر القرن الاول

والمشهوران اول من دونه مجاهد المتوفى سنة ١٠٤ ه ولكننا وجدنا في المكتبة الخديوية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابي المشهور المتوفى سنة ٦٨ ه ابن عم النبي . والمتواتر انه اول من فسر القرآن ولم نكن نظن له تفسيراً مدوناً ولكن يؤخذ مما ذكر في مقدمة هذا التفسير انه نقل بالرواية والاسناد ولم يدون في ايام صاحبه . وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن علي بن الحسين . اما تفسير مجاهد المذكور فغير موجود ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد [1]

ولم ينضج التفسير الا في العصر العباسي كما سيأتي

٣ – الحديث

لما اشتغل المسلمون في تفهم معاني القرآن كان في جملة ما افتقروا اليه في تفهمها اقوال النبي وهو ما عبروا عنه بالاحاديث النبوية . واقدم من سمعها الصحابة وحفظوها فكانوا اذا اشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها او حكم من احكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة في الارض وعند كل منهم بعض الاحاديث وقد يتفرد بعضهم باحاديث لم يسمعها سواه فاصبح طالب الحديث اذا كان من اهل دمشق مثلاً لا يستوفيه الا اذا رحل في طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والري ومصر وغيرها . وكذلك المقيم في احد هذه البلاد فانه لا يستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الأُخرى وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة في طلب العلم . على ان الارتحال في طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات واسباب النشر في تلك العصور فكان المؤرخ والجغرافي مثلاً يرحل في طلب التاريخ او الجغرافيا الى اقاصي البلاد كما فعل هيرودوتس واسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون في طلب العلوم غير الحديث ايضاً . وكان النصارى في العصر الاسلامي يرحلون الى بلاد الروم لاتقان دياناتهم [2]

وضع الاحاديث

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون في الخلافة وادعاها غير واحد فانصرفت عناية كل حزب من احزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم فكان بعضهم اذا اعوزهم حديث يؤيدون به قولاً او يفحمون به حجة اختلقوا حديثاً من عند انفسهم . وتكاثر ذلك في اثناء تلك الفوضى فكان المهلب بن ابي صفرة مثلاً يضع الاحاديث ليشدّ بها امر المسلمين ويضعف امر الخوارج [3] وهو

(١) الفهرست ٣٣ (٢) طبقات الاطباء ١٧٥ ج٢ (٣) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢

مع ذلك معدود من الاتقياء والنبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة في الحرب وامثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لاغراض مختلفة

فلما هدأت الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت فاشتغلوا في التفريق بينها وبين الصحيح فألفوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم في ذلك الفاظ اصطلحوا عليها لهذه المراتب كقولهم الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من الفاظ المتداولة بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة مع تفاوت رتبها [1] واشهر المحدثين في زمن بني أمية وبعضهم تجاوزه :

١ ـ شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الاشاقر ويكنى ابا بسطام توفي سنة ١٦٠ هـ وكان الثغ ويقول « والله لانا في الشعر اسلم مني في الحديث ولو اردت الله ما خرجت اليكم ولو اردتم الله ما جئتموني ولكننا نرغب في المدح ونكره الذم »

٢ — خالد الحذاء : هو خالد بن مهران مولى قريش توفي سنة ١٤١

٣ — ابو المهزم : وهو يزيد بن سفيان وقد طعن شعبة في تحديثه [2]

٤ ـ عاصم : هو عاصم بن سليمان مولى بني تميم توفي بالكوفة سنة ١٤١ هـ

واكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسي الاول وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف صفحة ١٧٢ ـ ١٧٩ فليراجع هناك

وليس بين هؤلاء من دون كتاباً واقدم من دون الاحاديث مالك بن انس الامام المشهور في كتاب الموطأ رتبه على ابواب الفقه وهو مطبوع ومشروح وسيذكر في باب الفقه . وذكر بعضهم ان ابن جريج دون الحديث لكن لم يصلنا منه شيء

وفي العصر العباسي نضج علم الحديث وضبطت كتبه على ايدي الائمة المحدثين

٤ — الفقه

لما صار الاسلام دولة احتاج امراؤهم الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا الى القرآن والحديث . فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . وذلك طبيعي في الدول الكبرى . فاليونان لما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية او القضائية لانهم لم يكونوا اهل دولة كبرى الا زمناً قصيراً فانصرفت قرائحهم الا الفلسفة وفرعها . واما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع

(١) ابن خلدون ٣٦٨ ج ١ (٢) المعارف ١٧٢

لكنها لم يتم نضجها عندهم الابعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرناً على يد يوستنيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٣٣ م وهي عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالي الاحقاب من الشعب اللاتيني والصابني وغيرهما ممن دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور

واما المسلمون فانهم استخرجوا احكامهم من القرآن والحديث . ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم وهو من افضل شرائع العالم . وقد اسرعوا في ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم

قلنا ان القرآن اساس الفقه الاسلامي وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاهاً لم يكن ذلك يحتاج الى نظر او قياس . فلما توفي رجع الصحابة الى القرآن والسنة فاصبح القراء اول فقهاء المسلمين او حاملي شريعتهم وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقلة الذين يقراون في الصدر الاول . فلما عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه واصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء

الفقهاء

فاول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون واولهم الخلفاء الراشدون ثم عبد الرحمن بن عوف وابيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمارة بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وابو الدرداء وابو موسى الاشعري [1] ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين واشتهر منهم سبعة وهم سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن وقاسم وعبيدالله وعروة وسليمان وخارجة وقد جمعهم بعض العلماء في هذين البيتين :

الا كل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضئزي عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان ابو بكر خارجه [2]

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء [3] وعنهم انتقل الفقه والفتيا في العالم الاسلامي . وفي اوائل الاسلام كان الفقه والقراءة والتفسير والحديث علماً واحداً ثم اخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملاً بناموس الارتقاء فلما استقل الفقه سموا اصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تاثير كبير في الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففي ايام بني امية كان المرجع في الفقه والفتيا الى اهل المدينة وكان الخلفاء لا يقطعون امراً دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموي آثاراً مكتوبة لان الفقه نضج وتكيف بعد نبوغ الائمة الاربعة في العصر العباسي

(١) الدميري ٥١ ج ١ (٢) ابن خلكان ٩٢ ج ١ (٣) ابو الفداء ٢٠٩ ج ١

ثانياً ـ العلوم اللسانية

في العصر الاموي

ونريد بها العلوم التي ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها. وهذه بدأت بالتكون في العصر الاموي ولم يتكون منها في هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام وسنتكلم عن كل منها :

١ ـ النحو

النحو بمعناه الحقيقي طبيعيٌّ على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه . لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق اذ بدونه لا يحسن التعبير عن افكاره . اما اذا اراد ان يتعلم لساناً غير لسانه فدرس قواعد النحو يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضي قروناً متطاولة وهي تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل ان تدون قواعد النحو وتجعله علماً . فاليونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا في القرن الخامس قبل الميلاد واول من بدا بذلك منهم بروتغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م . فتكلم في المذكر والمؤنث وبعض الاسماء . ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم في المترادفات ثم جاء ارسطو وغيره واتموا علم النحو اليوناني وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربي . وكذلك فعل الرومان في نحو اللغة اللاتينية فانهم لم يدونوا قواعده الا في القرن الاول قبل الميلاد في زمن بومبيوس وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو في لسانهم . فنظم هوميروس الياذته واوذيسته وهو لم يتعلم قواعد النحو فلم يضره ذلك شيئاً لان اللغة كانت ملكة فيه والف اشيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ونبغ الفلاسفة فريسيدس وانا كسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه الشهير قبل وضع النحو . وكذلك الرومان فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وضع النحو العربي وواضعه

وهكذا العرب فقد نظموا الشعر والقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لان ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم . على انهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها باسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان التماساً للدقة في ضبط معاني القرآن .

فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى النحو . ويغلب على ظننا انهم نسجوا في تبويبه على منوال السريان لان السريان دونوا نحوهم والفوا فيه الكتب في اواسط القرن الخامس للميلاد . واول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٤٦٠ م [١] فالظاهر ان العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو فأعجبهم فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك ان العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . واقسام الكلام في العربية هي نفس اقسامه في السريانية

اما استعجال العرب في تدوين النحو فانه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين لان الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم والاختلاط دعا الى فساد اللغة فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن — الا من خالطهم من الموالي والمتعربين فان هؤلاء كانوا حتى في أيام النبي يخطئون الاعراب وقد ذكروا رجلاً لحن بحضرة النبي فقال « ارشدوا اخاكم فقد ضل » وقال ابوبكر « لان اقرأ فاسقط احب الي من ان اقرأ فالحن » [٢] ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق فتذمر العمال مما كانوا يسمعونه من اللحن وخصوصاً في قراءة القرآن فاحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

اما واضع علم النحو او مدوّنه فهو بالاجماع ابو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ وكان من سادات التابعين صحب علي بن ابي طالب وشهد معه واقعة صفين ثم أقام في البصرة . وكانه تعلم لغة السريان واطلع على نحوها فرغب في النسج على منواله فعرض ذلك على والي العراقين يومئذ زياد بن ابيه فأبى [٣] . حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه امراً فسمعه يقول « اصلح الله الامير توفي ابانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن فبعث الى ابي الاسود ان يصنع ماكان قد نهاه عنه

واختلف الرواة في مابعث ابا الاسود على وضع النحو لكنهم مجمعون على انه واضعه كما قدمنا وهو يقول انه تلقى ذلك عن علي بن ابي طالب

فوضع علم النحو او الشروع فيه على الاقل ثابت لابي الاسود ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه في عرض كلامه عن خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعي الكتب فكان في جملة مافيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود

(١) شعراء السريان للقرداحي ١٨ (٢) المزهر ١٩٩ ج ٢ (٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

مثل قولهم «كتب» فيمكن ان تكون اسماً جمع كتاب أو فعلاً ماضياً معلوماً أو مجهولاً. وكان عندهم أيضاً نقط هي حركات وضعها يعقوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن [1] وهي عبارة عن نقط كانت ترسم في حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث وما زالت عندهم الى اليوم

فالظاهر ان ابا الاسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك انه لما اراد التنقيط اتوه بكاتب فقال له ابو الاسود « اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على اعلاه وان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف [2] فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب الخديوية مصحفاً كوفياً منطقاً على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة وهو من اقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة وتحته كسرة و بين يدي الحرف ضمة كما وصفها ابو الاسود

صور الحركات

اما صور الحركات التي وصلت الينا نعني الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه ولكن الغالب انها وضعت في القرون الاولى للاسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان . لان هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم في القرن الثامن للميلاد نقطاً كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ أما في العربية فهي ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون السنتهم بلا حركات من اقدم ازمنة التاريخ في اشور و بابل وفينيقية واليمن والحجاز ولم يفطنوا لوضع الحركات الا بعد الميلاد المسيحي . واقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس في القراءة النقطة الكبيرة التي استخدمها السريان كما تقدم . والغالب انها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة اخرى فاتخذوا لكل حركة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته وهي عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينها كالامالة والاشمام ونحوهما

(١) اللمعة الشهية ٢٠ (٢) الفهرست ٤٠

فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود ادم وورق خراساني وبينها اربع اوراق قال « احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » [1]

على ان ما وضعه ابو الاسود من القواعد لم يكن ليسدّ الحاجة المستعجلة لضبط القراءة فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع او الاسم من الفعل فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على الرفع والنصب والجر او يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجيء

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاعاجم واسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن فاضطروا الى ضبطها وكانوا اكثر المسلمين اشتغالاً في ذلك . بدا بعلم النحو ابو الاسود واتمه من جاء بعده من اهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا في العصر العباسي وسيأتي الكلام عليه هناك

٢ — الحركات

ونعني بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها اضطروا الى وضعها في اوائل الاسلام لضبط الاعراب في قراءة القرآن . وكان القرآن في اول الاسلام محفوظاً في صدور القراء لا خوف من الاختلاف في قراءته لكثرة عنايتهم في تناقله وضبط الفاظه حتى دونوه وكثر اهل الاسلام . فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون القرآن بلا حركات ولا اعجام . واول ما افتقروا اليه الحركات واول من رسمها ابو الاسود الدوءلي المتقدم ذكره فانه وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ولذلك توهم بعضهم انه وضع نقط الاعجام . والحقيقة انه وضع نقطاً لتمييز الاسم من الفعل من الحرف وليس لتمييز الباء من التاء او الجيم من الحاء . والارجح انه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه في العراق وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها اسم هي ام فعل أم حرف.

(١) الفهرست ٤٠

أما السريان الغربيون فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية وأخذوا منها خمسة أحرف صوتية هي A, O, H, E, Y عبروا بها عن الحركات كل حرف يجانس الحركة التي يدل عليها في اليونانية . وقد تم ذلك في المئة الثامنة للميلاد اذ نهض السريان لتحرير الفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد هموا بضبط لسانهم نحو قيام السريان فاقتدوا بهم أولاً بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت الينا . لكنهم لم يقتبسوها من احراف الالسنة الاخرى كما فعل السريان بل اخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتدل على الحركات . والحركات العربية لا تقلُّ عدداً عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ولكن الاحرف الصوتية في العربية ثلاث فقط (الواو والالف والياء) فاستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية وتركوا سائر الحركات المختلسة كالاشمام والرَوْم والامالة لفطنة القارىء . واذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماماً والفتحة تشبه الالف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء فاما انها كانت عند اول استخدامها اقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال أو انهم قلدوا بها حركة الكسر عند السريان الشرقيين وهي نقطتان اسفل الحرف فرسمها العرب معاً فجاءتا كالكسرة . أو لعلهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها كالكسرة العربية وهي « ــِ » وقد قال الامام الرازي الحركات ابعاض المصوتات

المدة والشدة والوصلة

وفي الكتابة العربية علامات اخرى لضبط التلفظ بالمد أو الوصل أو الادغام وهي احدث في استنباطها من الحركات التي تقدم ذكرها . ولكنها وضعت قبل القرن الخامس للهجرة واشهرها المدة « ~ » والشدة « ّ » والوصلة « ٱ » وكلها مقتطعة من الفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمدة مقطوعة من « مد » والشدة من « شد » والوصلة من « صل » ـ وذلك أن الكاتب كان اذا اراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذي يريد مدَّه قوله « مد » بصيغة الامر وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط وفوق الالف المراد وصلها كلمة « صل » وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما يفعلون

حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن فيكتبون فوق الكلمة « قف » أو « ج » أو « س » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به تعيين درجة الوقف أو الوصل وظلوا دهراً يكتبون علامات المد والشد والوصل بصورها الاصلية ثم اختصروها . فكانوا يعبرون عن حركة المدّ اولاً بكتابة لفظ « مـد » وعن التشديد بلفظ « سـد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صورها بالاستعمال فصارت المدة « ~ » والشدة « ّ » والوصلة « صـ » ثم اختصرت في الكتابة الى ما هي عليه الآن . وقد اطلعنا في معرض المكتبة الخديوية على كتاب مخطوط في اوائل القرن الخامس للهجرة وفيه هذه العلامات قريبة جدًّا من الفاظها الاصلية — وهذه صورتها في ذلك الكتاب « ~ » للمدة و « ّ » للشدة و « صـ » للوصلة

اما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة « ء » ولعلهم يرمزون عنها بالعين لتقارب لفظيها وكثير ما تتبادلان أو انهم رسموا العين مقتطعة من لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد

ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي « ؟ » او نحوها والغالب في أعتقادنا أنها بقية لفظ « صح » التي كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣— الاعجام

كان الخط لما اقتبسه العرب من السريان والانباط خالياً من النقط — ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم ـ فالاعجام حادث في العربية وهو قديم فيها . والظاهر ان المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر والتبس الناس في القراءة لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء فانتبه لذلك الحجاج امير العراق في ايام عبد الملك بن مروان ـ قال ابن خلكان « ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اما كنها فعبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون الا منقوطا فكان مع استعمال

النقط ايضاً يقع التصحيف فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » (١) وفي عبارة ابن خلكان هذه التباس لا يفهم المراد بها ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف أي اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر أن النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ولكن نصراً هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لاتضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب الخديوية كتابة عربيـة على صحيفة من البردي « البابيروس » مؤرخة سنة ٩١ هـ وفيها اعجام لكنه قاصرٌ على الصور المشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد — وشاهدنا اجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليهـا نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام . وقد تجد خطوطاً قديمة منقطة ومحركة وخطوطاً حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ولكنهم تدرجوا في ذلك حسب الحاجة في أزمنة مختلفة ويتضح ذلك لمن يتأمل في المخطوطات العربية القديمة فانك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الآن الا بتوالي الاجيال . وآخر حرف اعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة . واول من فعل ذلك المرسلون الاميركان في بيروت في اوائل القرن الماضي

ثالثاً — التاريخ والجغرافية

في زمن بني امية

لم يكن عند العرب الجاهلية من التاريخ الا اخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب لهم الامر ونزعوا الى الجهاد تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية . وهو قسمان (١) تاريخ المسلمين واعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخرجها العرب من اعمالهم . (٢) تاريخ

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج١

الامم الاخرى . فهذه بدأوا بتعرفها ونقلها من زمن بني امية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من ارغب الناس في معرفة اخبار مشاهير الامم الاخرى

فمعاوية بن ابي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل فيقصون عليه اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل و يقوم فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك واخبار الحروب ومكايدها وانواع السياسات(١) والغالب في اعتقادنا ان تلك الكتب في اليونانية او اللاتينية وفيها اخبار ابطال اليونان والرومان كالاسكندر و يوليوس قيصر وهنيبال وان الغلمان كانوا يفسرونها له بالعربية

وسماع اخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان اكثر القواد العظام الراغبين في العلى من العرب وغير العرب يستتلون اخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة

اما تدوين التاريخ في اللغة العربية فبدأ بزمن بني امية مع رغبـة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لاسباب بيناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اختصوا عدم التدوين في الفقه والتفسير فلم يدوَّن الا في القرن الثاني . واما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس فانه مروي عنهُ سماعاً

ويظهر انهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبي قبل تدوين حروبهم وفتوحهم اذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ وانما فعلوه خدمة لاغراض الخلفاء في الاطلاع على احوال الامم الاخرى . واول من فعل ذلك عبيد بن شرية الف كتاب الملوك واخبار الماضين لمعاوية بن ابي سفيان ذكره صاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون ابحاث هذا العلم « علم اخبار الماضين » . وذكر ابن النديم كتباً في مواضيع مختلفة الفها ابو مخنف الازدي من اصحاب علي فيها تراجم المشاهير ونحوهم وكتاباً الفه عوانة بن الحكم الكلبي في التاريخ وآخر في سيرة معاوية وبني امية في القرن الثاني للهجرة ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب والتاريخ او غيره مما كتب في زمن بني امية

ومن العلوم التاريخية التي ولدت في العصر الاموي علم الانساب وقد علمت ان الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون في صدر الاسلام لاثبات انسابهم وعليها يتوقف مقدار العطاء او منزلته من الدولة او المنصب فجعلوها علماً . واول من

(١) المسعودي ٥٢ ج ٢

احتاج الى ذلك زياد بن ابيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على اعدائه فعمل في نسبه كتاباً دفعهُ الى ابنه — ذكر ذلك ابن النديم ايضاً ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر ايضاً من اقدم النسابين في الاسلام دغفل والحجر بن الحارث والبكري ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً

وبالاجمال ان التاريخ ولد في زمن بني امية ولم ينضج الا في العصر العباسي . وفي كل حال فان العرب من اسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد ان تمدنوا . لان الرومان لم يؤلفوا فيهِ الابعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون واول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) اي بعد استقرار الدولة . واليونان بدا التاريخ عندهم بمواضيع خصوصية ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس اي بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

اما الجغرافيا فلفظها يدل على انها دخيلة لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجيء

العلوم الدخيلة

في العصر الاموي

نريد بالعلوم الدخيلة التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية من الالسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم وهذه نقلت في العصر العباسي كما هو مشهور لكن العرب بدأوا بنقلها من ايام بني امية وان لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

خالد بن يزيد

واول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ ﻫ حفيد معاوية الاكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعاً في الخلافة بعد وفاة اخيه معاوية الثاني فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت به الخلافة من بيت ابي سفيان الى بيت مروان . فلما يئس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء انصرف ذهنه الى اكتساب العلى بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ في مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه مريانوس طلب اليه ان يعلمه صناعة الكيمياء فلما تعلمها امر بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (٢) وهذا اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة

(١) Lit. Anc. 259 & 232 (٢) الفهرست ٢٤٢ و٢٤٤

وكان خالد راغباً في علم النجوم ايضاً وانفق الاموال في طلبه واستحضار آلاته ولعلهم ترجموا له شيئاً منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ولكنه كان شديد الولع بالعلم الطبيعي وخصوصاً الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطي في ترجمة ابن السنبدي انه شاهد في خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس وعليها مكتوب « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (١)

واشتغل بنقل العلم في هذا العصر بعض اهل الشام نقلوا بعض كتب الطب . وممن وصلنا خبرهم من النقلة طبيب كان معاصراً لمروان بن الحكم اسمه ماسرجويه سرياني الجنس يهودي المذهب كان يقيم في البصرة وظهر في ايامه كتاب في الطب هو كناش (حاوي) من افضل الكنانيش الفه القس اهرون بن اعين في اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية . فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فاستخار الله في ذلك ٤٠ يوماً ثم اخرجه الى الناس وبثه في ايديهم وبدلك ذلك على التردد الذي استولى على الخليفة في اخراج هذا الكتاب مع انه من كتب الطب وليس الفلسفة

وذكر ابن النديم ان سالماً كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو الى الاسكندر . وفي كل حال لم يبقَ شيء من منقولات هذا العصر



(١) اخبار الحكماء لابن القفطي ٢٨٦

الآداب الجاهلية

في العصر الاموي

نريد بالآداب الجاهلية الاداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تولدت عندهم اهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء وننظر في كل منها على حدة

١ ـ اللغة

اللغة مرآة عقول اهلها ومعرض آدابهم واخلاقهم وسائر احوالهم تتبعهم في ما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير. وقد تتبدل احوال الامة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى آثار ذلك في الفاظها وتراكيبها . وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية فاقتضى ذلك طبعاً ان يحدث فيها الفاظ جديدة أو تتنوع بعض الفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من اسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف وهي كثيرة جدًّا ولها فروع واشتقاقات — حتى لقد اصبح للفظ الواحد معنًى فقهيّ وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصرهُ . اما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر الراشدين فليقس عليها

ودخل اللغة في هذا العصر وقبله بعض المصطلحات الادارية كالخلافة والوزارة والحجابة والامامة وغيرها من مصطلحات الجند كالسترزقة والمتطوعة والعلوفة والعسكر . وضروب الحرب وابواب الهجوم كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة . وصنوف الاسلحة كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها . ناهيك بمصطلحات الدواوين على اجمالها كقولهم الثغور والعواصم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضياع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالي والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخرائط والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعة والدعوة والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جدًّا

واكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة لكن مدلولاتها تغيرت بتغير احوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغيير (١)

٢ ـ الشعر

في العصر الاموي

لم يكن للشعر العربي تأثير في النفوس ومنزلة في الدولة في عصر من اعصر العرب مثل ما كان له في العصر الاموي ولا غرابة في ذلك بعد ما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين ولا بأس من ذكر الاسباب التي بعثت على زهو الشعر في هذا العصر ومنزلته في الدولة وتأثيره في النفوس بالايجاز ثم نأتي على مميزاته

اولاً — اسباب رواجه

١ ـ انقسام القبائل بالعصبية

اقتضت سياسة بني امية استنصار القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية واول من فعل ذلك معاوية في الخلاف بينه و بين علي وابنائه . ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بني امية وانتشبت الحرب في مرج راهط وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . واخيراً قام طلاب الخلافة من غير العلويين في زمن عبد الملك بن مروان وهم آل الزبير والازارقة وسعيد بن الاشدق وغيرهم كما تقدم . ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير في نفوس عشيرته لانه لسان حالها فازداد الشعراء بذلك نفوذاً وتقرباً من الخلفاء أو الامراء . وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلاً على رضى قبيلته عن اغراضه لانه لسان حالها والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراماً لها

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٢٣ وما بعدها

٢— سخاء بني امية بالاموال

واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلاً عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفاً من قطع العطاء عنهم. والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين وكان المسلمون في صدر الاسلام كلهم جنداً ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة في الديوان [١] فمن قبض على بيت المـال قبض على رقاب المسلمين ويجدر بهم ان يتقربوا منه ويتزلفوا اليه فاذا كان القابض عليه حكيماً يعرف كيف يعطي ولمن يعطي اغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء او ينقصه أو يقطعهُ على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بني امية وقدوتهم معاوية بن ابي سفيان اكبر دهاة العرب. فقد جعل تصرفه في العطاء وسيلة لاكتساب قلوب المسلمين حتى اشياع العلويين وغيرهم من ابناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك. فاحر به ان يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب في بيت المـال مثل سائر المسلمين فلم يكن الشعراء يرون بدًّا من استرضاء بني امية خوفاً من قطع اعطيتهم فضلاً عما يرجونه من الجوائز اذا احسنوا ارضاءهم

٣— رغبة بني امية في الشعر

كان لبني امية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا. وكان الخلفاء انفسهم من اهل الادب نفوسهم شعرية حساسة. حدث معاوية عن نفسه قال « اجعلوا الشعر اكبر همكم واكثر دأبكم فلقد رايتني ليلة الهرير بصفين وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض وانا اريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الاقامة الا ابيات عمرو بن الاطنابة :

ابت لي همّتي وأبى بلائي واخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ
واقحامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطل المشيحِ
وقولي كلما جشأتْ وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
لأدفعَ عن مآثرَ صالحات واحمي بعدُ عن عرض صحيحِ [٢]

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٢٥ ج ١ (٢) العمدة ١٠ ج ١

ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر لهُ غنته فيهِ جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذي اقرت لهُ بالملك كهلاً وامردا

فطرب يزيد وقال « ويحكِ مَن كريم قريش هذا؟ » قالت « انت وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب بردّه وانفذ له حلالاً سنية وادناه وقربه. وقال له يوماً « لولم تمتّ الينا بحقٍ ولاصهر ولا رحم الا بقولك :

واني لاستحييكم اذ يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمعُ

لكفاك ذلك عندنا » [١]

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله [٢] وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيـال وحساسة مثلهم. فالحجاج وهو اشدُّهم وطأة جيء بالاسرى الى ما بين يديه بعد حرب الاشعث فاخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل « والله يا حجاج لئن كنا قد اسأنا بالذنب فما احسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته » فقال له « وكيف ويلك » قال « لان الله تعالى يقول (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشُدُّوا الوثاق فامّا منا بعدُ واَمّا فداء حتى تضع الحرب اوزارها) وقد قتلت فاثخنت حتى تجـاوزت الحد فأْسرْ ولا تقتل » ثم قال « اوامنن » فقال الحجاج « ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف وامن الناس

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يقترحون عليهم ان يصفوا شيئاً ويجيزون الجيد كما فعل هشام بن عبد الملك [٣] او يجمعونهم ليتفاخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثير وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من فخركم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل [٤]

وقد يخطر لاحدهم شعر لايعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة مستعجلة من دمشق الى عامله بالبصرة ان يشخص اليه حماداً الراوية على البـريد فقضى حماد اثنتي عشرة ليـلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة المستعجلة فاذا هو يقول له « بعثت اليك لبيت خطر ببالي لم ادر من قائله »

(١) الاغاني ٥٧ ج ٨ (٢) الاغاني ٦٨ ج ١٣ (٣) الاغاني ٨٠ ج ٩
(٤) الاغاني ٢٣ ج ١٩

فهدأ روعه وقال وما هو ؟ » فقال :

فدعوا الصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد « هذا يقوله عدي بن زيد من قصيدة » وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا في استقدامه مما يطول بنا ذكره [1]

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وسيأتي خبر ذلك — وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت عَلَى يدها ما لم تنله يدي نقشاً عَلَى معصم اوهت به جلدي

وربما كانت لغيره لكنه كان من اصحاب الشاعرية

وكان لبعض خلفائهم الدهاة شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصاً عبد الملك . والادب لاينمو ويورق ويثمر الافي ظل محبيه من الملوك اوالامراء واذاتدبرت النهضات التي مر بها الادب في اثناء التمدن الاسلامي رأيت لكل نهضة اميراً او ملكاً اخذ بناصرها واحيا الادب بتقديم اهله او تنشيطهم وسترى ادلة كثيرة من ذلك في ما يأتي من هذا الكتاب

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو اشعر شعراء الجاهلية او الاسلام، وكان الرائج من شعراء الجاهلية في عصرهم امرأ القيس وزهير والنابغة يفضلونهم عَلَى سواهم ويفضلون جريراً والفرزدق والاخطل على سائر الشعراء المسلمين في ايامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في اي هؤلاء اشعر وكثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع اصواتهم . وربما اهتم الخليفة او الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في اشعر الشعراء كما فعل الحجاج اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك [2] وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ — الحركة الادبية في البصرة والكوفة

قدعلمت ما كان من حال هذين البلدين في العصر الاموي وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتمدنة وفيهما اشتغل المسلمون بجمع اخبار العرب واشعارهم وامثالهم وفيهما ولد النحو وغيره من الآداب اللسانية فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا

(١) الاغاني ٤٣ ج ٧ (٢) المزهر ٢٤٠ ج ٢

سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على زهو الشعر في العصر الاموي

على ان الشرق كله كان يومئذ في نهضة ادبية حتى الهند والصين واليابان فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد [1] على اثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت اعصاب الشرق الى اقصاه فحدثت فيه تلك النهضة

ثانياً — مميزات الشعر

في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم فتتغير اطواره واحواله بتغير البيئة المحيطة به ويظهر اثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته وقد رأيت ان العرب اختلفت احوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن الراشدين فظهر اثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصاً الشعر واليك اهم مميزاته في ذلك العصر :

١ — خلوه من وحشي الكلام

ان قرب العصر الاموي من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتحديهم العرب الجاهلية في ادابهم واشعارهم ابقت للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة . لكن الاسلام اكسبه اسلوب القرآن والحديث فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشي . فهو من حيث البلاغة احسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ — كثرة التشبيب

كان الشاعر الجاهلي يقول الابيات تغزلاً في حبيبته يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنّه جوارحه من الغرام أو الشوق ولا يشبب في غير حبيبته أو خطيبته وقد يسميها بغير اسمها . والغالب ان يكني عنها باحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها . لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى ان احدهم اذا سطا عليه عدوٌّ

(١) Lit. Comp. 107

وخاف على حياته منه عمد الى امرأته او حبيبته فيقتلها غيرة عليها من ان يمسها سواه بعد موته [١] ويندر في الجاهليين ان يشبب شاعرهم بغير حبيبته . واذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى اخاه بقصيدة صدرها بابيات غزلية [٢] وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع فاصبحوا في العصر الاموي اضعاف ذلك واكثروا من وصف الحب واعراضه واحواله

وذلك طبيعي في الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصاً اذا كان ذلك على اثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية او بضع جوار في كل معركة ملكاً حلالاً له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات واكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهنَّ أو يستخدمونهن في حاجات المنزل ويستبقون الجميلات منهن للتسري . فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشببون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجاً عن حرمة الادب فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الاَّ جلده [٣]

فلما افضت الدولة الى بني امية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالاعاجم واخذ العرب باسباب الحضارة وذهبت هيبة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فاكثروا منه ولاسيما في المدينة لان اهلها من اسبق المسلمين الى القصف واللهو لقيام بعض ابناء الصحابة بين اظهرهم وقد اغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال في المغنين ونحوهم فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين اهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير احبائهم

امام اهل النسيب

على ان امام اهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن مَعْمر الشاعر العاشق كان معاصراً لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء فاكثر منه وتفنن فيه لكنه كان يشبب بحبيبته بُثينة وهو في عرف اهل الادب « امام المحبين » [٤]

(١) الاغاني ١٤٥ ج ١٢ (٢) العمدة ١٢٢ ج ٢
(٣) الاغاني ٩٨ ج ٤ (٤) الاغاني ٨٠ ج ٧

فاستحسن الناس تشبيبه لانه طبيعي صادر عن شعور صادق فاخذوا يقلدونه فيه فينظم الشاعر ابيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي . واستعار بعضهم اسماء حبيبات الشعراء العاشقين كليلى ودعد وهند وشببوا بهن تقليداً . وبعد ان كانت بثينة مثلاً معشوقة جميل بن معمر صارت عروساً للشعر يباح التغزل بها لمن اراد وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبته ولا حرج عليه واراد الشعراء تحديه والتغزل بجميلات النساء وهن في الغالب بحوزة الامراء أو الخلفاء فخافوا غضب بعولتهن او ابائهن . فلم يكن يجرأ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع به . ولذلك كان اسبق الشعراء الى التشبيب من قريش نظراً لما كان للقرشي من المنزلة الرفيعة والهيبة في العصر الاموي . ولأن القرشيين اقرب الى الحضارة لنزولهم في مكة واليها يحج الناس من اقطار العالم ومعهم اجمل النساء

شعراء قريش والتشبيب

واول من تجرأ على التشبب منهم ابن ابي عتيق وهو ابن حفيد ابي بكر الصديق ويقولون انه كان طاهراً عفيفاً يتشبب عن غير ريبة . ثم عمر بن ابي ربيعة من قريش والعرجي وهو من قريش ايضاً وغيرهم وكلهم من شعراء العصر الاموي . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب وصاروا يعتقدون ان الشعر لا يحسن الا به لما فيه من عطف القلوب . فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصدود والهجران كما يبدا البدوي بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم تأت اواخر بني امية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحاً او فخراً الا صدره بابيات في الغزل قد تكون اكثر من ابيات المديح — ذكروا شاعراً اتى نصر بن سيار عامل بني امية على خراسان بارجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة ابيات مديحاً فقال له نصر « والله ما ابقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك » [١] ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصاً بالشعر العربي فان في شعر اليونان شيئاً من ذلك [٢]

على ان شعراء العرب كثيراً ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنها او زوجها [٣] . وقد

(١) العمدة ٩٩ ج ٢ (٢) جويدي في المشرق ٢٧ ؛ سنة ١٠ (٣) الاغاني ١٥٤ ج ١

يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل نُصَيب مولى عبدالعزيز بن مروان وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبناً وطلبت اليه ان يشبب بها فقال « ما اسمك » قالت « هند » قال « وما اسم هذا الجبل » قالت « قبا » فانشأ يقول :

احب قبا من حب هند ولم اكن ابالي اقرباً زاده الله ام بعدا
الا انَّ بالقيعان من بطن ذي قبا لنا حاجة مالت اليه بنا عمدا
اروني قبا انظر اليه فانني احبُّ قبا اني رايت به هندا

وشاعت هذه الابيات وخطبت هذه الجارية من اجلها (١)

الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يغضبون لنسائهم اذا شبب بهنَّ احد لغلبة طبائع البدو عليهم . وينقمون على المشبب ويعيبونه حتى عدُّوا شعر ابن ابي ربيعة عصياناً لله (٢) وقد يكبر على الخليفة ان يظهر غضبه على الشاعر اذا شبب ببعض اهله فينتقم منه بالاهمال — كذلك كان يفعل معاوية (٣) وهو اوسع الناس صدراً . واقتدى به عبد الملك ابن مروان (٤) اما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسع صدره ذلك الكظم فاخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا وبلغه ان وضاح اليمن شبب بامراته فقتله (٥) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن ابي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء او يعملون باوامرهم في ذلك فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نسائها (٦)

ولكن المرأة كان يسرُّها أن يشبب بها شاعرٌ مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ولكن يسرُّها ما في التشبيب من الاعجاب بجمالها (والغواني يغرُّهنَّ الثناء) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا ان زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وضاح اليمن ان يشبب بها فلما فعل قتله زوجها واقترحت ام محمد بنت مروان بن الحكم اخت عبد الملك على عمر بن ابي ربيعة ان يشهرها بشعره وبعث اليه الف دينار فابى ان يؤجر على التشبيب . فابتاع بالجائزة حللاً وطيباً واهداه اليها فردته فقال فيها ابياتاً مطلعها :

(١) الاغاني ١٤١ ج ١ (٢) الاغاني ٣٦ ج ١ (٣) الاغاني ١٤٨ ج ١٣
(٤) الاغاني ٢٦ ج ٦ (٥) الاغاني ٣٦ ج ٦ (٦) الاغاني ٤٨ ج ٤

ايها الراكب المجدُّ ابتكارا قد قضى من تهامة الاوطارا (١)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما وهو عليه الآن نشأ في العصر الاموي

٣ ـ المهاجاة بين الشعراء

كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر احدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما اوتوه من النصر او الغلبة او ما هو عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . واكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته في العصر الاموي واجاد الشعراء فيه . ولبعضهم مهاجاة ونقائض تدخل في كتاب ضخم

الهجو السياسي

وقد راج الهجو في العصر الاموي لاحتياج ولاة الامر اليه بسبب الانقسام الذي قام بين الاحزاب المختلفة — وهو الهجو السياسي . وكان اكثر الشعراء يأخذون بناصر الامويين لانهم اهل السيادة وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بالسنتهم على اعدائهم لتأثير الهجاء في نفوس العرب لشدة حساسيتها ونخوة اهلها

وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي واعدائه القرشيين . ثم صارت بين المهاجرين والانصار اوهي بين قريش واليمن . وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء باشد منه وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . وكان المسلمون يحفظون ما يقولهُ هؤلاء من المهاجاة وينشدونه كل طائفة تنتصر لاصحابها . وبلغ ذلك عمر بن الخطاب فنهى عنه وقال « في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن » (٢)

فلما افضى الامر الى معاوية اقتضت سياسته ومصلحته ان يجدد تلك الضغائن فجعل يغري الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب علي بن ابي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الخفاء — ومن الذين اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر التغلبي المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانهُ نصراني واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشدهُ قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوي الاَّ تعطنا الحق تعترف لحى الازد مشدوداً عليها العمائم
ويشتمنا عبد الاراقم خلة وما ذا الذي تجري عليك الاراقم
فما لي ثأرٌ دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم

(١) الاغاني ٦٩ ج ١ (٢) الاغاني ٥ ج ٤

ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى ان قال : (١)

واني لاغني عن امور كثيرة ستُرقى بها يوماً اليك السلالمُ
اصانع فيها عبد شمس وانني لتلك التي في النفس مني اكاتمُ
فما انت والامر الذي لستَ اهله ولكن وليَّ الحق والامر هاشمُ

فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامر ان يدفع اليه ليقطع لسانه . واوشك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بيزيد بن معاوية فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك بن مروان شاعر الدولة — وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بني هاشم وبني امية وانتشر ذلك في اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج في جماعة من موالي بني هاشم في مكة وشبيب يخرج في جماعة من موالي بني امية فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشبيبية . وكان اهل مكة منقسمين بينهما في العصبية

الهجو الادبي

على ان التهاجي السياسي جرَّ الى التهاجي بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاظلة ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان المقدرة على الهجو ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطنة العذري وتنافسا في ايهما افضل اباً وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (٢)

واشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموي المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاخطل وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادىء في ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخطل شهرة كبيرة حتى اصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشاتهم في اي الشاعرين افضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين نسب احدهما الى جرير سمي جريرياً والآخر الى الفرزدق سمي فرزدقياً وكثيراً ما احتدم الجدال بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام — وسيأتي تفصيل ذلك في الكلام عن

(١) الاغاني ١٢٦ ج ١٤ (٢) الاغاني ١١٢ ج ١٩

شعراء بني امية . وقد يكون الباعث على الهجو تخويف المهجو ليسترضي الهاجي بالمال او غيره كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسي فاشتهرت مهاجاة بشار بن برد وحماد (١) ومهاجاة ابي العتاهية وابي والبة (٢) . على ان اشتغال الناس في المناقشة على الشعراء وتفاضلهم طبيعي في كل عصر وليس هو خاص بالعرب . فقد كان اليونان ايضاً يفعلون ذلك (٣)

٤ — نبوغ الموالي في الشعر

قد رايت انه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالي الا عبد بني الحسحاس . واما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالي وهم المسلمون غير العرب (٤) وفيهم الفرس والروم ممن دخل في حوزة العرب في اثناء الفتح ثم اسلموا . واكثرهم من موالي بني اسد وقريش . وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقيد القوم باساليب الجاهلية لادخلوا كثيراً من المعاني الشعرية نقلاً عن لغاتهم الاصلية

٥ — الشعر السياسي او المدح للاستجداء

قد علمت مما تقدم ان الشعراء الجاهليين نظموا المدح لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم وانما كانوا يمدحون شكراً لصنيع . واما في العصر الاموي فاصبح الغرض الاول من المدح التماس العطاء وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببذل الاموال للاسباب التي قدمناها

فاصبح الاستجداء عادة مألوفة ونبغت طائفة كبيرة من المداحين وكانوا يتذبذبون في مدحهم تبعاً لما يرجونه من العطاء او يخافونه من النقمة . ولذلك كان اكثر مديحهم في الامويين اصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح احدهم بني هاشم او آل الزبير او غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماساً لعطائهم او خوفاً من غضبهم لان الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح في الامويين . ومن الشعراء من مدح بني هاشم وبني امية او ابن الزبير وبني امية

(١) الاغاني ٧٤ — ٨٦ ج ١٣ (٢) الاغاني ١٥٠ ج ١٦
(٣) نكلسن ٢٤٠ (٤) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ٢١ و ٨٦ ج ٤

٦ ـ وصف الخمر

لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بداوا بذلك في العصر الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف والسكر باواخر الدولة واول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليع السكير . وقد ذكر الخمر في الجاهلية عدي بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجة بقوله :

وتظل تحفنا بها قروية   ابريقها برقاعه ملثومُ
فاذا تعاودت الاكفُّ زجاجها   نفحت فشمَّ رياحها المزكوم (١)

ثم اجاد في ووصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوةٍ زانها تقادمها   فهي عجوزٌ تعلو على الحقبِ
اشهى الى الشرب يوم جلوتها   من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلَّت ورقَّ جوهرها   حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر   وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قبسٌ   تذكو ضياء في عين مرتقب

وله في وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء في اشعارهم ساخوا معانيها ولا سيما ابو نواس فانه سلخ معاني الوليد كلها وجاءها في شعره (٢) واخذ ابو نواس ايضاً من حسين بن الضحاك (٣) وكان معاصراً له واخذ من والبة وكان استاذه (٤)



(١) الاغاني ٨٤ ج ٨   (٢) الاغاني ١١٠ ج ٦
(٣) الاغاني ١٧٠ و ١٧٥ ج ٦

الشعراء في العصر الاموي

تكاثر الشعراء في العصر الاموي للاسباب التي قدمناها فزاد عددهم في اثنائه (وهي تسعون سنة) على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في اثناء قرنين و بعض القرن . فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعراً على اختلاف القبائل والبطون وزاد عدد شعر العصر الاموي على ذلك — نعني الذين اشتهروا بالشعر ووصلتنا اخبارهم وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم الاَّ ابيات أو قصائد ذكرت في كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب او ضاعت اخبارهم كما ضاعت اخبار اكثر الجاهليين

شعراء العصر الاموي بالنظر الى قبائلهم

اذا نظرنا في شعراء العصر الاموي من حيث قبائلهم وانسابهم رأينا اكثر شعراء العرب من قيس ثم قريش فاليمن فتميم فربيعة فمضر فقضاعة . وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذا القبيل اختلافاً كثيراً وان اتفقوا معهم بان الاكثرية في قيس . فشعراء قريش كانوا في الجاهلية عشرة فصاروا في العصر الاموي ٢٣ وسبب ذلك بديهي لان القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . و بعكس ذلك شعراء ربيعة فقد كانوا في الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الاموي ١١ والسبب طبيعي ايضاً لان ربيعة كان لها الشأن الاكبر في الجاهلية لانها قامت باستقلال الحجازيين من سلطة اليمن وكثرت حروبهم وايامهم

واعتبر ذلك في القحطانية أو شعراء اليمن فقد كانوا في الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الاموي ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . واما تميم فعدد شعرائها في العصرين واحد لان حالهم لم تختلف فيهما . أما اياد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الاموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ على ان طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر لم يكن منها في الجاهلية الا واحد نعني الموالي أو العبيد فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعراً — وهذا جدول في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بني امية من حيث انسابهم على وجه التقريب :

اسم القبيلة	شعراؤه في الجاهلية	شعراؤها في العصر الاموي
قيس	٢٧	٢٦
ربيعة	٢٠	١١
تميم	١٢	١٣
مضر (غير قيس وقريش وتميم)	١٦	٩
قريش	١٠	٢٣
القحطانية (اليمن)	٢٢	١٦
قضاعة	٤	٨
اياد	٢	٠٠
اليهود	٤	٠٠
الموالي	١	٢١

شعراء العصر الاموي بالنظر الى اغراضهم

واذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى اغراضهم رأيناها تختلف عن اغراض الشعراء الجاهليين اختلافاً كثيراً . فقد كانت الاكثرية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين وكان عددهم بضعة واربعين شاعراً فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء باعمال الدولة ولذهاب بعض الاريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق واهل الغزل وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين واهل الخلاعة عددهم ٦ ولم يكن منهم في الجاهلية الا واحد او اثنان

على ان الاكثرية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم شعراء السياسة لاشتغالهم في الدفاع على الاحزاب التي قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر واكثرهم طبعاً بجانب الامويين لانهم اقوى الاحزاب . ويليهم الخوارج والعلويون وغيرهم

ويقسم العصر الاموي بالنظر الى اغراض شعرائه الى ثلاثة ادوار :

الدور الاول : من اول الدولة الاموية (سنة ٤١ هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ومعظمه في زمن معاوية ويجوز ان نسمية « دور معاوية » وشعراء هذا الدور لاتجاوز عددهم عدد اصابع اليدين وكانت الدولة الاموية في ايامهم لم ترسخ قدمها بعـد . فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه وبعضهم يجاهرون بعداوته انتصاراً للانصار او العلويين

الدور الثاني : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور مروان وابنه عبد الملك فالوليد فسليمان فعمر بن عبد العزيز . ولكن معظمه في زمن عبد الملك بن مروان صقر قريش بحيث يصح ان ينسب اليه فيقال « دور عبـد الملك » وفي ايامه اختلفت الاحزاب وتعدد طلاب الخلافة وانتشبت الحروب وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب او تفريقها . واكثر شعراء العصر الاموي نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيـه نحو المئة وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبـد الملك (سنة ١٠١ هـ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ هـ) وفيه تضعضت الدولة واركن اهلها الى الترف والقصف ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المتيم صاحب حبابه وابنه الوليد بن يزيد الخليع المفتون — والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول واكثرهم من عشراء السوء واهل الرخاء والترف

الدور الاول من الشعر في العصر الاموي

من سنة ٤١ — ٦٤ هـ

هو اقرب سائر الادوار الى الجاهلية وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل وكانوا لا يرون الحق لمعاوية بالخلافة بل يعتقدون انه اخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى اهله بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل علي أو غيرهم من ابناء الصحابة بالانتخاب ولذلك كانت لهم جرأة عليه . واهمُّ الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم اهل المدينة شيعة علي والمهاجرون هم قريش من اهل مكة شيعة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراءَ الذين يطعنون في

الانصار ويندر أن يجرأ احد منهم على ذلك احتراماً للامام علي فكان اكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياد خوفاً من معاوية أو ينصرون العلويين عليه و بعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . واكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسية إما مع الامويين أو عليهم أو على الحياد . واهم الذين كانوا مع الامويين ابن ارطاة المحاربي كان سيد قومه والحارث بن بدر من يربوع والمتوكل الليثي من كنانة والوليد بن عقبة من قريش والذين كانوا ضد الامويين اشهرهم النعمان بن بشير الانصاري وابن مُفرّغ من حمير وابو الاسود الدئلي واضع علم النحو . وممن كان على الحياد القتّال الكلابي وسيأتي ذكرهم

ولا نعني بقسمة العصر الاموي الى ادوار أن شعراء الدور الاول لم يدركوا الدور الثاني وان شعراءَ الثاني لم يدركوا الاول فان اكثرهم عاصروا الدولة الاموية في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها ولكننا نعني بشعراء الدور الفلاني الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه او عنه

١ — انصار علي

١ — النعمان بن بشير الأنصاري

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج اهل يثرب لكنه ساير معاوية فكان معه في واقعة صفين ولم يكن مع معاوية في تلك الواقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه وكان يراعي جانبه وكثيراً ما سمع توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى حمص فلما افضت الخلافة الى مروان دعا الى ابن الزبير وخالف على مروان بعد قتل الضحاك فلم يجبه أهل حمص الى ذلك فهرب منهم فتبعوه وادركوه وقتلوه ومع مسايرته بني امية فانه كان شديد التعصب للانصار ولذلك فلما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم ردَّ عليه كما تقدم . والنعمان بن بشير من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف فان جده واباه وعمه واولاده واحفاده كلهم شعراء (١)

(١) الاغاني ١٢٥ ج ١٤

ومن احفاده شبيب بن زيد بن النعمان كان يرى فساد امر بني امية على ايام الوليد ابن يزيد فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا ايها الراكب المزجي مطيته ... لقيت حيث توجهت الثنا الحسنا
ابلغ اميّة اعلاها واسفلها ... قولاً ينفّر عن نوّامها الوسنا
ان الخلافة امرٌ كان يعظمه ... خيار اوّلكم قدماً واولنا
فقد بقرتم بايديكم بطونكم ... وقد وعظم فما احسنتم الاذنا
لما سفكتم بايديكم دماءكم ... بغياً وغشيتم ابوابكم درنا

وترى اخبار النعمان بن بشير في الاغاني ١١٩ ج ١٤ والعقد الفريد ١١٢ ج ٣ وفي سيرة ابن هشام وابن خلكان وابن الاثير وغيرها

٢ — ابن مُفرّغ الحميريّ

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري وكان شاعراً غزلاً محسناً وكان قلبه مع علي لكنه ساير الامويين لانه من حلفائهم وكان مقرباً من آل زياد بن ابيه . صحب عباد بن زياد الى سجستان فلم يحسن صحبته فهجاه سرًّا يهزأ بلحيته وكانت كبيرة فقال فيها :

الا ليت اللحى كانت حشيشاً ... فنعلفها خيول المسلمين

فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسه فهرب الى العراق وأخذ يطعن في آل زياد يهجوهم لان اباهم زياد بن ابيه مجهول النسب وانما استلحقه معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١) فعلم عبيدالله بن زياد وهو امير البصرة فقبض على ابن مفرغ واستأذن معاوية في قتله فنهاه عن ذلك لانه حليفه ولكنه أذن بتعذيبه فعذبه تعذيباً شديداً (٢)

ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه وفيه اشارة الى ضعف انسابهم :

الا ابلغ معاوية بن صخر ... مغلغلة عن الرجل اليماني
اتغضب ان يقال ابوك عفٌّ ... وترضى ان يقال ابوك زاني
فاشهد ان رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الاتان

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٧ ج ٤ (٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

واشهد انها ولدت زياداً   وصخرٌ من سمية غير دان

وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف
وتجد اشعاره واخباره متفرقة في الاغاني ٥١ ج ١٧ والشعر والشعراء ٢٠٩ وابن خلكان ٢٨٩ ج ٢ وسيرة ابن هشام وفي تاريخ ابن الاثير

٣ — ابو الأَسوَد الدؤَلي

توفي سنة ٦٩ هـ

اسمه ظالم بن عمرو هو من الدئل بطن من كنانة معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين وهو واضع علم النحو . وكان من اكثر الناس تعلقاً بعلي وعنه اخذ علم النحو كما تقدم . اما من حيث الشعر فقد كان من نصراء الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل اكثر امثاله . وكان معاوية لايتعمد اذاه ولكنه كان يضايقه فلم يروَ له طعن في بني امية واكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قولهُ :

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضياً   عن القوم حتى تأخذ النصف واغضبِ
وقارب بذي جهلٍ وباعد بعالم   جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا   ليستمكنوا مما وراءك فاحدب
ولا تدعني للجور واصبر على التي   بها كنت اقضي للبعيد على ابي
فاني امرؤٌ اخشى الهي واتقي   معادي وقد جرَّبت مالم تجرب

ومن قوله :

احبب اذا احببت حباً مقارباً   فانك لا تدري متى انت نازع
وابغض اذا ابغضت بغضاً مقارباً   فانك لا تدري متى انت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا   فانك راءٍ ما عملت وسامع

وعاش ابو الاسود فقيراً وكان متهماً بالبخل وكان يقيم بجوار البصرة . وتجد ترجمته في الاغاني ١٠٥ ج ١١ وفي ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥٧ والمستطرف ١٣٩ ج١ والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ والدميري ٣١٧ ج١ وطبقات الادباء ٤ وفي المجلة الشرقية الالمانية مقالة عن شعره وشعر علي سنة ١٨٦٤

٢ - انصار معاوية

١ - مِسكِينُ الدَّارِميُّ

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم وكان شاعراً شريفاً من سادات قومه وعمَّر الى اواخر الدور الثاني من العصر الاموي . لكننا وضعناه هنا لغلبة شعره في معاوية على سواه . وله معه شأن في تاريخ العطاء ايام معاوية وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحاربوا معه وينحرفوا عن علي فجاء مسكين وطلب من معاوية ان يفرض له العطاء فابى فقال ابياتاً يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهي :

اخاك اخاك ان من لا اخا له   كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه   وهل ينهض البازي بغير جناح
وما طالب الحاجات الا مغرَّرٌ   وما نال شيئاً طالبٌ كجناح

فلم يجبه معاوية يومئذ لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد اخذهم الغرور وزادت دالتهم على الدولة فعمد معاوية الى استرضاء القيسيين ففرض لاربعة الاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم وغيرهم من مضر . وصار يغزي اليمنيين في البحر والقيسيين في البر وفرض طبعاً لمسكين وقربه حتى استعان بشعره في مبايعة ابنه يزيد

وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد ان يغضب المسلمون لان توارث الملك لم يكن معروفاً في الاسلام . فاحب ان يجسَّ نبض الرأي العام قبل اعلان فكره نحو ما يفعله بعض دهاة السياسة في هذه الايام اذ — يوعزون الى الصحف التي تدافع عن ارائهم ان تذكر عزمهم على العمل الفلاني وينظرون الى ما يكون من وقعه عند الناس ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطراً . فاوعز معاوية الى مسكين ان يقول ابياتاً في معنى المبايعة ليزيد وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف ففعل وانشأ قصيدة قال فيها :

الا ليت شعري مايقول ابن عامر   ومروان امَّا ذا يقول سعيدُ
بني خلفاء الله مهلاً فانما   يبوئها الرحمن حيث يريدُ
اذا المنبر الغربيُّ خلاَّه ربُّهُ   فان امير المؤمنين يزيدُ

ومآل القصيدة انه يقترح عليه ان يولي يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده قال له معاوية « ننظر في ما قلت يامسكين ونستخير الله » ولم يتكلم احد من الحضور بذلك الا بالموافقة فاغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن ابيه رثاه مسكين بقوله :

رايت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

وكان الفرزدق منحرفاً عن زياد فعارضه فاجابه مسكين ثم تكافا . وترى اخبار مسكين في الاغاني ٦٨ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٤٧ وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١

سائر شعراء الدور الاول

اما سائر شعراء هذا الدور فنكتفي بالاشارة الى اماكن تراجمهم ليطالعها من شاء :

٢	ابن ارطاة	ترجمته في الاغاني ٧٩ ج ٢
٣	المتوكل الليثي (توفي سنة ٦٠)	« « « ٣٩ ج ١١
٤	الوليد بن عقبة (« ٧٠)	« « « ١٧٥ ج ٤
٥	القتال الكلابي (« ٦٤)	« « « ١٥٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٤٣

الدور الثاني من الشعر

في العصر الاموي

من سنة ٦٤ — ١٠١ هـ

في هذا الدور نبغ معظم شعراء بني امية وابلغهم وعددهم يناهز مئة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب اغراضهم واول تلك الفئات شعراء السياسة وعددهم نحو ٤٠ شاعراً واهمهم واكثرهم عدداً انصار بني امية وهم نحو العشرين وثمانية من انصار آل المهلب والباقون من انصار سائر الاحزاب . على ان شعراء السياسة اكثر من ذلك اذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لاحد الاحزاب التي كانت شائعة يومئذ . لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الاخرى لتغلب بعض تلك الاغراض على خواطرهم . واهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعراً والباقون من شعراء الادب الذين لا يعرف لهم غرض خاص . غير الشعراء السكيرين والمغنين

ويقدّم النقادون ستة من شعراء العصر الاموي يعدونهم في مقدمة سائر الشعراء الامويين من سائر الطبقات . وهم الاخطل وجرير والفرزدق والراعي وابو النجم العجلي

والاحوص يسمونهم الفحول . واكثرهم من شعراء السياسة . ويقدمون الثلاثة الاول على سائرهم فهم اشعر شعراء بني امية على الاطلاق نعني جريراً والفرزدق والاخطل . واختلف الناس في من هو اشعرهم فالذين يقدمون جريراً يقولون انه اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظاً واقلهم تكلفاً وارقهم نسيباً . والذين يقدمون الاخطل يقولون انه اكثرهم قصائد طوالاً جياداً ليس فيها سقط ولا فحش واكثرهم تهذيباً لشعره . وقد تقدمهم الاخطل في الزمن ثم نبغ جرير والفرزدق فدخل الاخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان ابو عمرو بن العلاء يشبه جريراً بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة . ولم يجتمع اديبان من ادباء ذلك العصر الا جرى بينهما البحث في اي الشاعرين اشعر جرير او الفرزدق فيحتدم الجدال وينفض المجلس واهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

فحول شعراء العصر الاموي

١ — الأَخْطَل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى أبا مالك واسمه غِياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب وهو نصراني مثل اكثر تلك القبيلة . والاخطل لقب غلب عليه لسبب اختلفوا فيه . وظهرت الشاعرية في الاخطل منذ حداثته وكان يقيم في الحيرة فدارت مهاجاة بينه و بين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله فغلبه الاخطل وافحمه فصار هو المقدَّم في شعرائها . وكان ينقي شعره فينظم تسعين بيتاً ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل فقال « وما تسألونني عن رجل حبَّب شعره اليَّ النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعراً تستحي العذراء من سماعه

وكان السبب في تقربه الى بني امية ان معاوية اراد ان يهجو الانصار لاسباب تقدم بيانها فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المشار اليه ان يهجوهم وكان مسلماً فابى وقال « ادلك على غلام منا نصراني لا يبالي ان يهجوهم كان لسانه لسان ثور » قال « ومن هو ؟ » قال « الاخطل » فدعاه معاوية وامره بهجائهم فقال « على ان تمنعني » قال « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله ..

واذا نسبت ابن الفريعة خاته ... كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرار
قوم اذا هدر العصير رايتهم ... حمراً عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستمو من اهلها ... وخذوا مساحكم بنو النجار
ان الفوارس يعلمون ظهوركم ... اولاد كل مقبح اكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الانصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن مميزات شعر العصر الاموي

ثم أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وكان ناقماً على قبائل قيس لانهم نصروا اعداءه كما تقدم فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب احزابهم . وعلم ان الاخطل شاعر تغلب وله يدٌ في نصرة الامويين على الانصار فقربه واكرمه . وكان عبد الملك بصيراً بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب لما يقوله حتى سماه « شاعر بني امية » وبعث بمولى له ينادي على رؤوس الملأ « هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرماً بالخمر وحملته الدالة على عبد الملك ان يطلب منه ان يسقيه خمراً [1] فغضب عليه وقال « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى اتى خماراً شرب عنده وعاد فجاءت قريحته فدخل على عبد الملك ومدحه بقصيدة مطلعها:

خفَّ القطين فراحوا منك وابتكروا ... وازعجتهم نوى في صرفها غيرُ

وقال له عبد الملك مرة « الا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف » فقال « وكيف الخمر » قال « وماتصنع بها وان اولها لمرٌّ وان آخرها لسكرٌ » فقال « اما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلةً ما ملكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وتركه على نصرانيته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان يجيء وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بغير اذن .

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الادلة على ذلك ان عبد الملك لما انزل زفر بن الحرث الكلابي عن قرقيسيا استقدمه اليه واقعده على سريره . فعاتبه بعضهم على تقديم رجل كان في الامس من الدّ اعدائه وسيفه يقطر

(1) الاغاني ١٧٥ ج ٧

من دماء قومه فلم ينفع العتاب . فبلغ ذلك الاخطل وهو يشرب فمضى حتى دخل على عبد الملك وانشد :

وكأس مثل عين الديك صرف ... تنسي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماء حاول ان يطولا
مشى قرشيةً لا شك فيها ... وارخى من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك « ما اخرج هذا منك يا ابا مالك الا خطة في رأسك » قال « اجل والله يا امير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال « أذهب الله حزازات تلك الصدور »

ومن قوله في النسيب :

من الخفرات البيض أما وشاحها ... فيجري وأما القلب منها فلا يجري
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي ... بمطرد المتنين منتبر الخصر

ومن قوله في المديح :

نفسي فداء امير المؤمنين اذا ... ابدى النواجذ يوماً عارم ذكرُ
الخائض الغمرة الميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر

ومن قوله في الهجاء :

وكنت اذا لقيت عبيد تيم ... وتيماً قلت ايهم العبيدُ
لئيم العالمين يسود تيماً ... وسيدهم وان كرهوا مسودُ

أما دخوله في الهجاء بين جرير والفرزدق فسببه انه كان مرة عند بشر بن مروان اخي الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة ان يغري بين الشعراء فقال للاخطل « احكم بين الفرزدق وجرير » فقال « اعفني ايها الامير » قال « احكم بينهما » فقال « الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر » وبلغ ذلك جريراً فلم يعجبه وهجاه بقوله :

يا ذا الغباوة ان بشراً قد قضى ... ان لا تجوز حكومة النشوان

فردَّ عليه الاخطل ثم ردَّ عليه جرير مما يطول ذكره [1] . وكان الاخطل اشهب

(1) الاغاني ١٨٦ ج ٧

اللحية له ضفيرتان ومن احاسن شعره قوله في وصف السكران :

صريع مدامٍ يرفع الشرب راسه ليحيا وقد ماتت عظام ومفصلُ
نهاديه احياناً وحيناً نجرُّهُ وما كاد الا بالحشاشة يعقلُ
اذا رفعوا صدراً تحامل صدرهُ وآخر مما نال منها محمَّلُ

وهو من اصحاب الملحمات ولهُ ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سلمى باقفار واقفرت من سليمى دمنة الدار

وتفنن الاخطل في النظم من حيث الوزن تفنناً قلدوه بهِ بعد اجيال وذلك قوله :

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا
انا نعجل بالعبيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الابطالا

ولو قال : ولقد علمت اذا الريا ح تناوحت هوج الرئال

لكان شعراً واذا زدت فيهِ « تكبهنَّ شمالاً » كان ايضاً شعراً من روي آخر

وللاخطل ديوان مطبوع في بيروت للمرة الاولى بعناية الاب صالحاني عن نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في نيف وخمسمائة صفحة . وللاب المذكور طبعة بالفوتوغراف عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور غريفيني طبعة بالحجر عن نسخة وجدت في اليمن . وعثروا في مكتبة بيازيد بالاستانة على نسخة خطية من كتاب نقائض جرير والاخطل (١)

وله اخبار متفرقة في الاغاني ١٦٩ج ٧ و٤٦ ج٩ و٢ ج ١٠ و١٤٨ و١٥٤ج ١٣ والجمهرة١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد١٣٣ ج٣ وخزانة الادب ٢٢٠ج١ وللمستشرق دي برسفال مقالة عنه وعن جرير والفرزدق في المجلة الاسيوية الفرنساوية سنة ١٨٣٤ وكتب عنه الاب لامنس مقالة في المجلة الاسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤

٢ — جرير

توفي سنة ١١٠ هـ

هو جرير بن عطية بن الخَطَفى من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية أيام معاوية وهو واسع الخيال قوي الشاعرية مع ميل الى الهجو وكان يفد الى الشام مع من يفد على الخلفاء للاستجداء بالمديح فعرَّفه احدهم الى يزيد بن معاوية وهو اميرٌ وجعل يختلف اليه وهو شاب . فاستلطف يزيد نظمه . واتفق ان يزيد اراد ان يعاتب اباه بشعر فاقتبس ابياتاً

(١) راجع وصفها في المشرق ٩٧ مجلد ٨

من قصيدة لجرير فرفعها الى ابيه عن لسانه وفيها قوله :

باي سنان تطعنُ القوم بعد ما نزعت سناناً من قناتك ماضيا

فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما صارت الخلافة الى يزيد وفد اليه جرير فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب « ان امير المؤمنين يقول لا يصل الينا شاعرٌ لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير « قولوا له انا القائل (وذكر الابيات) » فامر بادخاله فلما انشده القصيدة قال يزيد « لقد فارق ابي الدنيا وما يحسب الاَّ اني قائلها » وأمر له بجائزة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود عليه لعلمه بغضب عبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحون آل الزبير اعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو امير العراقين على يد بعض عماله . فاعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته فاحب ان يقدمه للخليفة وعلم ان عبد الملك سينكر ذلك فانفذ معه ابنه محمد بن الحجاج فاستقبله عبد الملك بعد الجهد ثم اقبل يعاتبه قائلاً « ماذا عسى ان تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

من سدَّ مطَّلع النفاق عليكم او من يصول كصولة الحجاج

أن الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب في وجه عبد الملك . فتوسط ابن الحجاج في الرضا فاستأذن جرير في الانشاد وانشد القصيدة التي يقول منها :

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راحِ

فتبسم عبد الملك وقال « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وامر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء . وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين ويأخذ الجوائز وكانت جائزته اربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقاً من العطاء وفد عليه بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفي جرير سنة ١١٠ بعد الفرزدق ببضعة اشهر ودفن في اليمامة حيث قبر الاعشى (١) وكان يخنخن في لفظه فيخرج الكلام من انفه أو كأن فيها نوناً

(١) الاغاني ٤٦ ج ١٩

مهاجاة جرير والفرزدق

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالهجاء أن رجلاً من عشيرته اسمه غسان بن ذهيل بن سليط هجاه بابيات منها :

لعمري لئن كانت بجينة زانها   جرير لقد اخزى كليباً جريرها

يريد ان جريراً اخزى كليباً وهو البطن الذي هو منه . فاجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام منها قوله :

الا ليت شعري عن سليط الم تجد   سليط سوى غسان جاراً يجيرها
فقدضمنوا الاحساب صاحب سوأة   يناجي بها نفساً خبيثاً ضميرها

فاستنصر غسان رجلاً اسمه البعيث فنصره وهجا جريراً وقال فيه :

كليب لئام الناس قد يعلمونه   وانت اذا عدّت كليب لئيمها

فاجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريراً فانتصر للبعيث فاحتدم الهجاء بينهما على الخصوص . وانقسم الادباء في الانتصار لهما الى حزبين كما تقدم . وبلغ من احد المشغوفين بالفرزدق انهُ عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير [1] وقد جمعت مناقضاتهما في كتاب يعرف بمناقضات جرير والفرزدق طبع في لندن في جزئين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخطل لسبب ذكرناه في ترجمة الاخطل . وهاجاه أيضاً عمر بن لجأ التميمي وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سيرة العنبري لانه اعان عليه ابن لجأ . ثم هاجى راعي الابل وهو من الفحول لانه فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل والراعي من بني نُمَير فهجا جريراً بابيات منها :

رايت الجحش جحش بني كليب   تيمَّم حوض دجلة ثم آبا

فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقيه في المربد نادي الادباء والشعراء بالبصرة على بغلة و بجانبه ابنه جندل على مهر . فاقترب منه جرير وحياه وقال « يا أبا جندل ان قولك يستمع وأنك تفضل الفرزدق عليَّ تفضيلاً قبيحاً وأنا امدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي و يكفيك من ذاك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم ولا تحمل مني ولا

(١) الاغاني ٦٧ ج ٧

منه لائمة » . فلم يجبه الراعي ولكنه لحق ابنه ورفع عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب ابنه قائلاً « لااراك واقفا على كلب من بني كليب كانك تخشى منه شرًّا او ترجو خيراً » ففرست البغلة جريراً فوقعت قلنسوته عن رأسه . فانصرف مغضباً حتى اذا صلى العشاء بمنزله في علية له قال « ارفعوا لي باطية من نبيذ واسرجوا لي » فاسرجوا له واتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب و يستحث قريحته و ينظم حتى كان السحر وقد نظم ٨٠ بيتاً ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نُمَير   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

ثم جاء المربد وانشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعي فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارئ قوة الهجاء اذا لم يعلم ان كعباً وكلاباً ونُميراً ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة من قيس . فجرير فضَّل كعباً وكلاباً على نُمير مع انهما اخواه . ولم يسمع ذلك البيت احد من العرب يومئذٍ الا قال « لايفلح النُميري بعد ذلك ابداً »

ومن هذه القصيدة ابيات في ابلغ ما يكون كقوله :

اذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

وهو احسن بيت في الفخر و بسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس بن يزيد الكندي وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضهُ بقولهِ :

الا رغمت انوف بني تميم   قساة التمر ان كانوا غضابا
لقد غضبت عليك بنو تميم   فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم   وما فيها من السوءات شابا

فاغتنم جرير سقطة من العباس وهجاهُ بابيات على نفس الوزن والقافية اولها :

اذا جهل الشقي ولم يقدّر   لبعض الامر اوشك ان يصابا

وممن هاجاهم جرير أيضاً جفنة الهزاني والمراد بن منقذ وحكيم بن ميعة والاشهب ابن ميلة وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبل ان يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم و بينهما الوف من الاميال

وتجد اخبار هذه المهاجاة في الاغاني ج ٧ وفي كتاب نقائض جرير والفرزدق وفي الشعر والشعراء

واحسن اقوال جرير في النسيب قوله :

ان العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لا يحيين قتلانا

ومن أحسن شعره قوله يرثي ابنه :

قالوا نصيبك من اجرٍ فقلت لهم   كيف العزاء وقد فارقت اشبالي
فارقتني حين كف الدهر من بصري   وحين صرت كعظم الرمَّة البالي

ومن قوله يرثي امرأته :

لولا الحياء لعادني استعبار   ولزرت قبركِ والحبيب يُزار
ولهتِ قلبي اذ علتني كبرةٌ   وذوو التمائم من بنيك صغارُ
لا يلبث الاحباب ان يتفرقوا   ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
صلى الملائكة الذين تخيروا   والطيبون عليكِ والابرارُ

وهو من اصحاب الملحات ومطلع ملحمته :

حيّ الغداة برامة الاطلالا   رسماً تقادم عهده فاحالا

وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ومنها ايضاً قوله في هجو التيم :

وفي الاصلاب ينزل لؤم تيم   وفي الارحام يخلقُ والمشيم

وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة ونظراً لاشتغال الناس بهما أهمل ذكر من عاصرهما من الشعراء ولجرير ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع في القاهرة سنة ١٨٩٥ وفي غيرها . وترى اخباره في الاغاني ٣٨ و١٧٢ ج ٧ و ٢ ج ١٠ و ٤٦ ج ٩ والجمهرة ١٦٨ والشعر والشعراء ٢٨٣ وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ وابن خلكان ١٠٢ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ والعقد الفريد ١١٤ ج ١

٣ — الفَرَزْدَقُ

توفي سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة وكان جده صعصعة وجيهاً يعرف بمحيي المؤودات وابوه غالب كان رئيساً في قومه وله مناقب مشهورة . ولد الفرزدق في البصرة واقام في باديتها مع ابيه وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام فجاء به ابوه الى علي بن ابي طالب بعد واقعة الجمل واخبره أنه شاعرٌ فقال «علمه

القرآن» كما تقدم . فلم ينظم شعراً حتى حفظ القرآن ولم يكد ينبغ حتى قامت المهاجاة بينه وبين جرير ولا شك انها نفعتهما لان الانتقاد يشحذ القريحة والضغط والمقاومة يظهران القول الكامنة . وانما نأتي بمثال من ذلك — نظم الفرزدق قصيدة وهو في المدينة قال فيها :

هما دلتاني من ثمانين قامة   كما انقضَّ باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا   احيٌّ فيرجى ام قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الامراس لا يشعروا بنا   وافلتُّ في اعجاز ليل ابادره
احاذر بوابين قد وكلا بنا   واسود من ساج تصرُّ مسامره

فلما بلغت هذه الابيات جريراً نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت ام الفرزدق فاجراً   فجاءت بوزَّار قصير القوادم
يوصّل حبليه اذا جن ليلهُ   ليرقى الى جاراته بالسلالم
تدليتَ تزني من ثمانين قامة   وقصَّرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس يا اهل المدينة فاحذروا   مداخل رجس بالخبيثات عالم
لقد كان اخراج الفرزدق عنكم   طهوراً لما بين المصلى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في جملتها :

وان حراماً ان اسبَّ مقاعساً   بآبائي الشمّ الكرام الخضارم
ولكن نصفا ان سببت وسبني   بنو عبد شمس من مناف وهاشم
اولئك ابائي فجئني بمثلهم   واعتدّ ان اهجو كليباً بدارم

وغضب اهل المدينة لذلك وشكوه الى مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة وطلبوا اليه أن يحده فامر بنفيه فغضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة وكان الفرزدق يتشيع لعلي وأهله . والتقى في اواخر ايامه بهشام بن عبد الملك في الحج ورأى هشام هناك علي بن الحسين في غمار الناس فقال «من هذا الشاب الذي تبرق اسرة وجهه كانه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها» فقالوا «هذا علي بن الحسين» فنظم الفرزدق قصيدة في مدح علي المذكور مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفهُ والحل والحرمُ

وبلغ هشاماً خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة فغضب وحبسه هناك فقال :

أتحبسني بين المدينة والتي   اليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد   وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها

فلما بلغ ذلك هشاماً امر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بني امية لانه كان يتشيع لعلي كما رأيت وقد هجا بعضهم ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصاً آل المهلب والحجاج خوفاً منهم

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من اساليب العرب والفاظهم حتى قالوا لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب وكان له على الحجاج دالّة . وكان من اقرب شعراء ذلك العصر الى الثبات في الرأي فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجو يزيد المذكور فابى الفرزدق وقال « امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها احداً وانما يقبح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفني امير المؤمنين » فاعفاه (١)

ومن اقوال الفرزدق التي تجري مجرى الامثال قوله :

فيا عجباً حتى كليب تسبني   كأن اباها نهشل ومجاشع

وقوله   وكنا اذا الجبار صعَّر خدَّه   ضربناه حتى تستقيم الاخادع

«   وكنت كذئب السوء لما رأى دماً   بصاحبه يوماً احال على الدم

«   احلامنا تزن الجبال رزانة   وتخالنا جناً اذا ما نجهل

«   فان تنج مني تنج من ذي عظيمة   والا فاني لا اخالك ناجيا

«   ترى الناس ماسرنا يسيرون حولنا   وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

وهو من اصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

عزفت باعشاش وما كدت تعزف   وانكرت من حدراء ماكنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع في جملة الدواوين الخمسة (النابغة وعروة وحاتم وعلقمة والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ وطبع على حدة في باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنساوية للموسيو بوشر عن نسخة خطية نقلوها بالفوتوغراف من مكتبة اياصوفيا في الاستانة . وطبعت تتمتها في مونيخ سنة ١٩٠١ وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة . ومنه نسخ خطية ايضاً في اوكسفورد وليدن وغوطا وبرلين ولندن . وله طبعات اخرى

وترى اخباره في الاغاني ٢ ج ١٩ و١٨٦ ج ٨ و٦٥ ج ١ و ٦ ج ٦ و ١٧ ج ٧ و٤٦ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و١٠٣

(١) الاغاني ٥٣ ج ٤

و١٨٥ ج ١ والمستطرف ٥٣ ج ١ و١٤٢ ج ٢ والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ والجمهرة ١٦٣ وخزانة الادب ١٠٥ ج ١ والدميري ٩ ج ١

٤ــ الرَّاعي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو عبيد بن حصين النُميري من قبيلة نُمَير التي هجاها جرير في بيته المشهور وقد تقدم سبب نظمه . وقد سمي الراعي لكثرة وصفه الابل وجودة نعته اياها . وهو شاعر فحل وكان مقدماً مفضلاً على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فابى ان يكف فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه ولذلك كان الراعي يقضي للفرزدق على جرير وهو السبب في هجو جرير له ومما سبق اليه من المعاني وقد اخذت عنه :

كأن العيون المرسلات عشية   شآبيبُ دمع لم تجد مترددا

مزايد خرقاء اليدين مسيفة   اخبَّ بهن المخلفان واحفدا

ومن شعره في النساء قوله :

تحدثهنَّ المذمرات وفوقنا   ظلالُ الخدور والمطي جوانحُ

يناجيننا بالطرف دون حديثنا   ويقضين حاجات وهن موازح

وقوله :   طاف الخيال باصحابي فقلت لهم   أامُّ شذرة زارتنا امْ الغول

لا مرحباً بابنة الاقيان اذ طرقت   كأن محجرها بالقار مكحول

سودٌ معاصمها جعدٌ معاقصها   قد مسها من عقيد القار تفصيل

وهو معدود من اصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ما بال دفك بالفراش مذيلا   اقذى بعينك ام اردت رحيلا

وتجد اخباره في الاغاني ١٦٨ ج ٢٠ والشعر والشعراء ٢٤٦ وخزانة الادب ٥٠٤ ج ١ والجمهرة ١٧٢

٥ – ابو النَّجم الرَّاجز

توفي سنة ١٣٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بني عجل من بكر وائل من رجاز الاسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الاولى منهم . وكان ابلغ من العجاج في النعت ولم يكن الشعراء يعتدون بالرجاز حتى نبغ العجاج ورؤبة وابو النجم هذا . وقد عاصر العجاج وجرى بينهما

مراجزة . وذلك ان العجاج خرج محتفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد اجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فانشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجبر »

فذكر فيها ربيعة وهجاهم فجاء رجل من بكر بن وائل الى ابي النجم وهو في بيته فقال « له انت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس » قال « صف لي حاله وزيّه الذي هو فيه » فوصف له فقال « ابغني جملاً طحاناً قد اكثر عليه من الهناء » فجاء بالجمل اليه فاخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالاخرى وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى اتى المربد . فلما دنا من العجاج قال « اخلع خطامه » فخلعه وانشد : « تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله : « شيطانه أنثى وشيطاني ذكر » تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه

وكان ابو النجم يحضر مجلس عبدالملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق اوغيره من الشعراء المعاصرين . وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك وسأل الشعراء مرة ان يصفوا ابلاً تعطر وترد وتصدر فقال ابو النجم ارجوزته التي مطلعها « الحمد لله الوهوب المجزل » وهي من افخر نظمه حتى اتى الى شطر يصف به الشمس فقال « فهي في الافق كعين ... » واراد ان يقول « الاحول » فتذكر ان هشاماً أحول فلم يتم البيت واتم الارجوزة فغضب عليه هشام وامر بوجء عنقه ونفيه . فتوسط له وجوه القوم فاقره هناك لكنه عاش مرذولاً يأكل فضلات الناس حتى اذا اصاب هشاماً ارق فطلب اعرابياً يحدثه واشترط ان يكون اهوج ويروي الشعر . فخرج الخادم فلقي ابا النجم في المسجد بلباس رث فاخذه الى هشام فلما عرفه سأله عن حاله فقال « اني اتغدى عند هذا واتعشى عند هذا » فقال « وما عندك من الولد » قال « ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين » فسأله عما اوصاها عند الزفاف فقال « قلت للاولى واسمها برة

اوصيت من برة قلباً حرًّا ... بالكلب خيراً والحماة شرًّا
لا تسأمي ضرباً لها وجرًّا ... حتى ترى حلو الحياة مرًّا
وان كستك ذهباً ودرًّا ... والحيّ عميهم بشرّ طر

فضحك هشام وقال « فما قلت للاخرى » قال قلت :

سبي الحماة وابهتي عليها ... وان دنت فازدلفي اليها
واوجعي بالفهر ركبتيها ... ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهري النذر لها عليها ... لا تخبر الدهر به ابنتيها

فضحك هشام واجازه . وكان قوي البديهة ومن شعره ارجوزة وصف بها فهود عبد الملك فقال منها :

فهي ضوارٍ من مضرّيات ... تريك آماقاً مخططات
سوداً على الأشداق سائلات ... تلوي باذناب موقّفات

وترى امثلة من الرجز في كتاب اراجيز العرب طبع مصر سنة ١٣١٢هـ وديوان العجاج منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع في فينا سنة ١٨٩٦ وديوان رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وسنعود اليه

واخبار ابي النجم في الاغاني ٧٧ج ٩ والشعر والشعراء ٣٨١ وخزانة الادب ٤٩ج ١

٦ — الأحوَص : وهو من الفحول لكننا نظراً لتغلب التشبيب عليه سنترجمه مع المشببين

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموي

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على انفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو اديباً كثر الشعراء في ايامه وتقربوا اليه بمدحه والطعن على اعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من انصارهم . على ان اكثر شعراء السياسة من انصار بني امية وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول واشهر من بقي منهم بضعة عشر شاعراً اكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلاً على الشعراء وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجمهم ونجمع انصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ – انصار بني امية

١ – ابو العبّاس الأعمى

اسمه السائب بن فروخ مولى بني الدئل فهو عربي بالولاء وليس بالنسب . واصله من اذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالي الذين تكاثروا في الاسلام بمن اسلم من غير العرب . وهو من شعراء بني امية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم . وكان يقيم في مكة وله اشعار كثيرة في مدح بني امية وهجاء ابن الزبير ومن قوله يحرضهم على حربه :

أبني امية لا ارى لكمُ ... شبهاً اذا ما التفَّت الشيعُ
سعة واحلاماً اذا نزعت ... اهل الحلوم فضرَّها النزع
ابني امية غير انكم ... والناس فيما اطمعوا طمعوا
اطمعتمُ فيكم عدوكم ... فسما بهم في ذاكم الطمع
فلو انكم كنتم كقومكمو ... مثل الذي كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم او لردَّهمُ ... حذر العقوبة انها نزع

وكان بنوامية يحسنون جزاءه فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة . وكانت قريش كلها تبرُّه للسانه وتقرباً الى بني امية ببره . ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ﻫ رثاه بابيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجاً في بعض السنين دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ودخل ابو العباس الاعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعباً فاستعفاه وقال « انما رثيته لانه كان صديقي وقد علمت ان هواي امويٌّ » قال « صدقت ولكن انشدني قولك فيه » فانشده :

رحم الله مصعباً فلقد ... مات كريماً ورام امراً جسيما

فقال عبد الملك « أجل لقد مات كريماً

ولكنه رام التي لا يرومها ... من الناس الا كلُّ حرٍّ معمم »

و كان ابن الزبير لما غاب على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني امية فينفيهم عن المدينة ومكة فبلغه ان ابا العباس الاعمى يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وانه ضرير فعفا عنه ونفاه الى الطائف فهجاه وهجا سائر بني اسد (عشيرة آل الزبير) بابيات منها قوله :

بني اسد لا تذكروا الفخر انكم ... متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا
متى تسألوا فضلاً تضنوا وتبخلوا ... ونيرانكم في الشر فيها تحرق
اذا استبقتْ يوماً قريش خرجتم ... بني اسد سكاً وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم ... اذا ما قريش للاضاميم اصفقوا
وما ذاك الا ان للؤم طابعاً ... يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن ابي ربيعة ثم بلغه ان عمر يرامي جارية له بينادق الغالية فقال لقائده اوقفني على باب بني مخزوم فاذا مرَّ ابن ابي ربيعة ضع يدي عليه » ففعل فقبض على حجزته وقال :

الا من يشتري جاراً نؤوماً ... بجارٍ لا ينامُ ولا ينيم
ويلبس بالنهار ثياب ناسٍ ... وشطر الليل شيطان رجيم

واخباره في الاغاني ٥٩ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٦

٢ – أعْشَى رَبيعة

توفي سنة ٨٥ ﻫ

اسمه عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة وهو مرواني المذهب يتعصب لبني امية تعصباً شديداً . ومن قوله في آل مروان قصيدة انشدها لعبد الملك بن مروان منها :

وما انا في امري ولا في خصومتي ... بمهتضمٍ حقي ولا قارعٍ سنّي
ولا مسلم مولاي عند جناية ... ولا خائف مولاي من شرِّ ما اجني
وان فؤاداً بين جنبيَّ عالم ... بما ابصرت عيني وما سمعت اذني
وفضلني في الشعر واللب انني ... اقول على علم واعرف من اعني
فاصبحت اذ فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير ابٍ وابن

فقال عبد الملك « من يلومني على هذا » وامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعه الف جريب وقال له « امض الى زيد الكاتب يكتب لك بها » واجرى له على ثلاثين عيلاً

وهذه عطايا تفسد الابن على ابيه . ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير فقال له « يا امير المؤمنين مالي اراك متلوماً ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهمُّ بالاقدام وتجنح الى الاحجام انفذ لبصرتك وامض رايك وتوجه

الى عدوك لجدك مقبل وجده مدبر واصحابه له ماقتون ونحن لك محبون وكلمتهم مفترقة وكلمتنا عليك مجتمعة والله ماتؤتى من ضعف جنان ولا قلة اعوان ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش وقد قلت في ذلك ابياتاً » فقال « هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال

آل الزبير من الخلافة كالتي ... عجل النتاج بحملها فاحالها
اوكالضعاف من الحمولة حملت ... ما لا تطيق فضيعت احمالها
قوموا اليهم لا تناموا عنهم ... كم للغواة اطلتمو امهالها
ان الخلافة فيكمو لا فيهم ... ما زلتمو اركانها وثمالها
امسوا على الخيرات قفلاً مغلقا ... فانهض بيمنك فافتتح اقفالها

فضحك عبد الملك وقال « صدقت يا أبا عبد الله ان ابا خبيب لقفل دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل » وامر له بصلة سنية . واخباره في الاغاني ١٦٠ ج ١٦

٣ — نابغة بني شيبان

هو ايضاً من ربيعة كالاعشى واسمه عبدالله بن المخارق وكان بدويا يقيم في البادية ويفد على خلفاء بني امية في الشام فيمدحهم ويجزلون عطاءه . وكان نصرانيًا وفي شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما وقد مدح عبدالملك ودخل عليه يوماً وقد عزم على عزل اخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد وكان المجلس حافلاً بالناس على أثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته فدخل النابغة وانشده قصيدة لعل عبد الملك اوعز اليه ان يفعل ليجس الراى العام كما فعل معاوية قبله — ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهداً وصادق قسمي ... لرب عبد الله ينتصحوا
يظل يتلو الانجيل يدرسه ... من خشية الله قلبه طفح
لابنك اولى بملك والده ... ونجم من قد عصاك مطرح
داود عدل فاحكم بسيرته ... ثم ابن حرب فانهم نصحوا
وهم خيار فاعمل بسنتهم ... واحي بخير واكدح كما كدحوا

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع فعلم الناس ان رايه خلع عبد العزيز . وادرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر ببني شيبان

واخباره في الاغاني ١٥١ ج ٦ وله ديوان خطي في المكتبة الخديوية

٤ — عديُّ بن الرَّقاع

هو عدي بن زيد من عاملة حي من قضاعة كان شاعراً مقدماً عند بني امية مداحاً خاصاً بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى وكان منزله في دمشق فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد المذكور ولم يجسر جرير على هجائه خوفاً من الوليد لانه هدده بالاذى اذا فعل . ومن شعره في وصف ظبية قوله :

كالظبية البكر الفريدة ترتعي ... من ارضها قفراتها وعهادها
خضبت لها عقد البراق جبينها ... من عركها علجانها وعرادها
كالزين في وجه العروس تبذلت ... بعد الحياء فلاعبت ارآدها
تزجي اغن كأن ابرة روقه ... قلم اصاب من الدواة مدادها

وفي هذه القصيدة يذكر شعره وعلمه وحنكته :

ولقد اصبت من المعيشة لذة ... ولقيت من شظف الخطوب شدادها
وعمرت حتى لست أسأل عالماً ... عن حرف واحدة لكي ازدادها
صلى المليك على امرئ ودعته ... واتم نعمته عليه وزادها

ومن هذا البيت اقتبس الكتاب قولهم « واتم نعمته عليك »

ومن قوله في مدح عمر بن الوليد وفيه حكم :

واذا نظرت الى اميري زادني ... ضناً به نظري الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه ... كالبدر فرج بهمة الظلماء
والاصل ينبت فرعه متأثلاً ... والكف ليس بنانها بسواء

واخباره في الاغاني ١٧٩ ج ٨ والشعر والشعراء ٣٩١

٥ — أبو صخر الهذلي

واسمه عبد الله بن سلم من هذيل وكان متعصباً لآل مروان مدح عبد الملك واخاه عبد العزيز وهجا ابن الزبير فحبسه ابن الزبير حتى مات وله نسيب في امراة من قضاعة احبها

وتزوجها سواه وتجد اخباره في الاغاني ٩٤ ج ٢١ وخزانة الادب ٥٥٥ ج ١

وهناك طائفة من انصار بني امية اضطروا لمدح آل الزبير لقيامهم بين اظهرهم ولان اكثرهم كانوا يمدحون بعض امراء بني امية وليس خلفائهم — ولو كانوا من شعراء الخلفاء ربما كانوا اثبت في مدحهم منهم :

٦ — عبدالله بن الزبير الأَسَدي

هو غير ابن الزبير القائم بالدعوة في الحجاز . وهو شاعر هجّاء يرهب شره نشأ في الكوفة واقام فيها وكان متشيعاً لبني امية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم . وما زال كذلك حتى غلب مصعب بن الزبير على الكوفة فاتى به مسرّاً فمنّ عليه ووصله واحسن اليه فمدحه واكثر وانقطع اليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب سنة ٧١ ثم عمي عبد الله ابن الزبير بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك . واكثر مدائحه في بشر بن مروان الاموي ومن قوله يمدحه :

كأن بني امية حول بشر نجومٌ وسطها قمرٌ منير
هو الفرع المقدم من قريش اذا اخذت مآخذها الامورُ
لقد عمت نوافله فاضحى غنيًا من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائس الكلُّ الفقير
فانت الغيث قد علمت قريش لنا والواكف الجون المطير

ومن مديحه في اسماء بن خارجة قوله :

تراه اذا ما جئته متهللاً كانك تعطيه الذي انت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ومن هجائه قصيدة يهاجي بها عبد الرحمن بن ام الحكم مطلعها :

ابى الليل بالمران ان يتصرما كاني اسوم العين نوماً محرما

واخباره في الاغاني ٣٢ ج ١٣

٧ — ابو قَطِيفَة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة من بني امية وكان يقيم في المدينة وهواه مع بني امية . فلما تمكن ابن الزبير من الحجاز نفاه مع من نفاه من بني امية الى الشام فلما طال مقامه فيها قال :

الا ليت شعري هل تغير بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضره

وهل برحت بطحاء قبر محمد اراهط غرٌ من قريش تباكره
لهم منتهى حبي وصفو مودتي ومحض الهوى مني وللناس سائره

واكثر من ذكر المدينة والحجاز في شعره وشوقه الى الوطن فلم يعجب ذلك عبد الملك وتنقصه لرغبته في الحجاز عن الشام و بلغ ذلك ابا قطيفة فقال :

نبئتُ ان ابن العملس عابني ومن ذا من الناس البريءُ المسلم
فمن انتم من انتم خبروا فمن فقد جعلت اشياء تبدو وتكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال « ما ظننت انا نُجهل . والله لولا رعايتي لحرمته لألحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط »

و بلغ ابن الزبير ما يقاسيه ابو قطيفة في سبيل حبه المدينة فبعث اليه ان يعود الى بلده وهو آمن . فانكفأ الى المدينة فلم يصل اليها حتى مات . وتجد اخباره في الاغاني ٧ ج ١

سائر انصار بني امية

وهناك طائفة من انصار بني امية وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء او مدح الاثنين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للاسباب التي تقدمت رايتنا ذكر تراجمهم يطول بنا فنكتفي بالاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليه لمن اراد الاطلاع على اخبارهم وليس لاحد منهم ديوان معروف وهم :

٨ امية بن ابي عائذ الهذلي : مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان . ترجمته في الاغاني ١١٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ٤٢١ ج ١

٩ جبها الاشجعي : شاعر بدوي ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم . ترجمته في الاغاني ١٤٦ ج ١٦

١٠ الحكم بن عبدل الاسدي : كان اعرج احدب شاعراً هجاء خبيث اللسان مدح بعض آل مروان ترجمته في الاغاني ١٤٩ ج ٢ وفوات الوفيات ١٤٥ ج ١

١١ شيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدوياً لم يحضر الا وافداً او منتجعاً ترجمته في الاغاني ٩٣ ج ١١

١٢ عبد الله بن جحش : من الصعاليك كان يعجب بني امية . الاغاني ١١٨ ج ١٧

١٣ العجير السلولي : هو شاعر مقل عاصر عبد الملك وسليمان وهشاماً ترجمته في الاغاني ١٥٢ ج ١١ وخزانة الادب ٣٩٩ ج ٢

١٤ عويف القوافي الفزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة و بيته من البيوتات الفاخرة في العرب ترجمته في الاغاني ١٠٥ ج ١٧ وخزانة الادب ٨٧ ج ٣

١٥ الفضل بن العباس : من قريش عاصر الوليد بن عبد الملك في الاغاني ٢ ج ١٥

١٦ مومى شهوات : مولي قريش واصله من اذربيجان ترجمته في الاغاني ١١٨ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٦٦

٢ — انصار آل المهلب

من هم آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوتات الاسلام من الازد اشتهروا بالكرم في ايام بني امية مثل اشتهار آل برمك في الدولة العباسية ونكبوا مثل نكبتهم وهم ينتسبون الى كبيرهم المهلب بن ابي صفرة . عمل المهلب لبني امية وحارب عنهم الازارقة وآخر ما تولى من الاعمال بلاد خراسان تولاها من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة ٨٣ ﻫ وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريماً التماساً لحسن الاحدوثة ومن اقواله « الحياة خير من الموت والثناء الحسن خير من الحياة ولو اعطيت ما لم يعطه احد لاحببت أن تكون لي اذن اسمع بها ما يقال فيَّ غداً اذا متُّ » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابناؤه على خطواته فكثر الشعراء الذين مدحوهم . واشهر اولاده يزيد بن المهلب والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع مأثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء الممدوحين توفي سنة ١٠٠ ﻫ وحبيب بن المهلب وغيرهم . أما الشعراء الذين مدحوهم فهاك اشهرهم :

١ — زِياد الأَعْجَمُ

توفي سنة ١٠٠ ﻫ

هو من موالي عبد القيس من بني عامر بن الحرث وكان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعاجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح على الخصوص المغيرة بن المهلب وله فيه قصيدة يرثيه بها تزيد على خمسين بيتاً مطلعها :

قل للقوافل والقريّ اذ اقروا ... والباكرين وللمجدّ الرائح
ان المروأة والسماحة ضمنا ... قبرًا بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررتَ بقبره فاعقر بهِ ... كوم الهجان وكل طرف سابح

من لطيف اخباره مع حبيب بن المهلب انه جاء مرة الى المهلب في اصبهان ومدحه

فامر له بجائزة فاقام عنده اياماً . و بينما هو جالس في عشية مع حبيب المذكور في داره وفيها حمامة تسجع قال زياد يخاطب الحمامة :

تغنّـي انت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي ان لم تطاري
وبيتـكِ فاصلحيهِ ولا تخافي ... على صفر مزغبـةٍ صغار
فانك كلما غنيت صوتاً ... ذكرتُ احبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبتُ ثاراً ... له نبأ لانك في جواري

فقال حبيب « يا غلام هات القوس » فقال له زياد « وما تصنع بها » قال « ارمي جارتك هذه » قال « والله لئن رميتها لاستعدينَّ عليك الامير » فاتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلها فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه الحديث وانشده الشعر فقال المهلب « عليَّ بابي بسطام » فاتي بحبيب فقال له « اعط ابا امامة دية جارته الف دينار » فقال « أطال الله بقاء الامير انما كنت العب » قال « اعطه كما آمرك » فاعطاه

وهمَّ الفرزدق ان يهاجي عبد القيس موالي زياد فبعث اليه زياد « لا تعجل حتى اهدي اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول :

ما ترك الهاجون لي ان هجوته ... مَصحاً اراه في اديم الفرزدقِ
ولا تركوا عظماً يُرى تحت لحمه ... لكاسره ابقوهُ للمتعرّق
سأ كسر ما ابقوه لي من عظامه ... وانكت مخ الساق منه وانتقي
وأنَّا وما تهدي لنا ان هجوتنا ... لكالبحر مهما يلقَ في البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال « ليس لي الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد » ومع شاعريته كان كثير اللحن في نظمه — ومن قولهِ يخاطب يزيد بن المهلب :

هل لك في حاجتي حاجةٌ ... ام انت لها تارك طارحُ
أمِتْها لك الخير ام أحيها ... كما يفعل الرجل الصالحُ
اذا قلتُ قداقبلتْ ادبرتْ ... كمَن ليس غادٍ ولا رائحُ

ومن خبيث هجائه قوله يهجو الاشاقر :

قبيِّلة خـيرها شرُّها ... واصدقها الكاذبُ الآثم
وضيفهم وسط ابياتهم ... وان لم يكن صائماً صائم

ومن مأثور حكمه قوله :

وكائن ترى من صامت لك معجب   زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم تبقَ الا صورة اللحم والدم

ونجد اخباره في الاغاني ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ والشعر والشعراء ٢٥٧ وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١

٢ — ثابتُ قُطْنَة

هو مولى بني اسد بن الحرث واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس شجاع كان في صحابة يزيد بن المهلب وكان يوليه اعمالاً من اعمال الثغور فيحمد فيه مكانه لكتابته وشجاعته فضلاً عن شاعريته . ومن لطيف خبره ان يزيد ولاه عملاً في خراسان فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر فقال «سيجعل الله بعد عسر يسرا أو بعد عيّ بياناً وانتم الى امير فعّال احوج منكم الى امير قوّال

وان لم اكن فيكم خطيباً فانني   بسيفيَ اذ جدَّ الوغى لخطيب»

وجالس ثابت قوماً من الشراة وقوماً من المرجئة وكانوا يجتمعون فيتجادلون في خراسان فمال الى قول المرجئة ونظم في هذا المذهب قصيدة وصفهُ فيها من جملتها قوله :

يا هند فاستمعي لي ان سيرتنا   ان نعبد الله لا نشرك به احدا
نرجي الامور اذا كانت مشبهة   ونصدق القول فيمن جار اوعندا
المسلمون على الاسلام كلهم   والمشركون استووا في دينهم قددا
ولا ارى ان ذنباً بالغ احداً   م الناس شركاً اذا ماوحدوا الصمدا
لا نسفك الدم الا ان يراد بنا   سفك الدماء طريقاً واحداً جددا

ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب [1] ولما قتل يزيد قال ثابت يرثيه :

كل القبائل تابعوك على الذي   تدعو اليه وبايعوك وساروا
حتى اذا حمس الوغى وجعلتهم   نصب الاسنة سلموك وطاروا
ان يقتلوك فانَّ قتلك لم يكن   عاراً عليك وبعض قتل عارُ

(١) الاغاني ٥٤ ج ١٣

ومن نخرياته قوله :

تعففتُ عن شتم العشيرة انني   وجدت ابي قد كفَّ عن شتمها قبلي
حليماً اذا ما الحلم كان مروأة   واجهل احياناً ان الفسوا جهلي

واخباره في الاغاني ٤٩ ج ١٣ والشعر والشعراء ٤٠٠ وخزانة الادب ١٨٥ ج ٤

٣ — حَمزةُ بن بِيَض

توفي سنة ١٢٠ ه

هو حنفي من بكر وائل (ربيعة) من أهل الكوفة خليع ماجن من فحول طبقته وكان منقطعاً لآل المهلب وولده ثم الى ابان بن الوليد و بلال بن أبي بردة واكتسب بالسفر الى هؤلاء مالاً كثيراً — ذكروا انه اكتسب نحو مليون درهم — فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم . ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت :

اتيناك في حاجة فاقضها   وقل مرحباً يجب المرحبُ
ولا تتكلنا الى معشر   متى يعدوا عدة يكذبوا
فانك في الفرع من اسرة   لهم خضع الشرق والمغرب
وفي ادب منهم ما نشأت   ونعم لعمرك ما ادبوا

فأمر له بمائة الف درهم . ولما سجن يزيد بن المهلب دخل عليه حمزة وأنشده أبياتاً مطلعها :

اغلق دون السماح والجود والنجـ   ـدة بابٌ حديده اشب

فدفع اليه يزيد فص ياقوت أحمر باعه بثلاثين الف درهم

ولحمزة اخبار طويلة حسنة اكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد . وله في عبد الملك وابنه سليمان اقوال واخبار تجدها في الاغاني ١٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٤٧ ج ١

٤ — كعب الأَشْقَري

هو كعب بن معدان من الاشاقر قبيلة من الازد . شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان من اصحاب المهلب وله ذكر في حروبه للازارقة وأوفده المهلب الى

الحجاج وأوفده الحجاج الى عبد الملك . وكان الفرزدق شديد الاعجاب به يعدُّه رابع الثلاثة الفحول (الفرزدق وجرير والاخطل) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع الازارقة فأنشده قصيدة مطلعها :

يا حفص اني عداني عنكم السفر   وقد سهرت فآذى عيني السهر

ثم وصف المعركة الى أن قال :

خبوا كمينهم بالسفح اذ نزلوا   بكازرون فما عزوا ولا نصروا
بانت كتائبنا تردي مسوَّمة   حول المهلب حتى نوَّر القمر
هناك ولوا جراحاً بعد ماهربوا   وحال دونهم الانهار والجدر
تأبى علينا حزازات النفوس كما   تبقي عليهم ولايبقون انقدروا

وهجاه زياد الاعجم وقد عامت انه ينتمي لعبد القيس فقال كعب يهجو عبد القيس

اني وان كنت فرع الازدقدعاموا   اخزى اذا قيل عبدالقيس اخوالي
فيهم ابو مالك بالمجد شرفني   ودنس العبد عبد القيس سربالي

فرد عليه زياد يهجو الاشاقر واشتد اللجاج فشكاه الى المهلب . فاستقدم زياداً وعاتبه وصالحهما . واخبار كعب كثيرة تراها في الاغاني ٥٦ ج ١٣

٥ — بَيْهس الجَرْمي

هو بيهس بن صهيب من جرم (قضاعة) شاعر فارس شجاع كان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ويحضر معهم في اجناد الشام . وقد صحب المهلب ابن صفرة في حربه للازارقة وكانت له مواقف مشهورة . أول ماهاج شاعريته انه ُهوي امرأة من قومه اسمها صفراء وكان يتحدث اليها ويكتم وجده لها ولا يخطبها لابيها لانه كان صعلوكاً لامال له وكان ينتظر أن يثري . وكان من أحسن الشباب وجهاً وبشرة وحديثاً وشعراً فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحي مرة فهجرته . وعرض له سفر فخرج اليه فعاد وقد زوجها ابوها رجلاً من بني أسد فذكرها في قصيدة ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها فقال يرثيها بقصيدة عبر بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين من ذلك قوله :

هل بالديار التي بالقـاع من احد   باق فيسمع صوت المدلج الساري

تلك المنازل من صفراء ليس بها   نارٌ تضيء ولا اصوات سمار
عفت معارفهـا هوجا مغبـرة   تسفي عليها تراب الابطح الهاري
حتى تنكرت منها كل معرفة   الا الرماد نحيلاً بين احجار
طال الوقوف بها والعين تسبقني   فوق الرداء بوادي دمعها الجاري
ان اصبح اليوم لا اهل ذوو لطف   الهو لديهم ولا صفراء في الدار

وله قصيدة في مدح محمد بن مروان لانه اجاره من تهمة كانت عليه منها :

وان محمداً سيعود يوماً   ويرجع عن مراجعة العتاب
فيجبر صيبتي ويحوط جاري   ويؤمن بعدها ابداً محابي
هو الفرع الذي بنيت عليه   بيوت الاطيبين ذوي الحجاب

وتجد اخباره في الاغاني ١٦١ ج ١٠ و١٠٧ ج ١٩

وممن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

٦ العُدَيْل بن الفرخ بن ربيعة ترجمته في الاغاني ١١ج ٢٠ وفي الشعر والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢

٧ المغيرة بن حبناء من تميم ترجمته في الاغاني ١٦٢ ج ١١ وخزانة الادب ٦٠١ ج ٣

٨ يزيد بن الحكم من ثقيف « « « ١٠٠ ج ١١

٣ — أنصار العلويين أو الهاشميين

كان أنصار العلويين من الشعراء كثيرين لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفاً من الامويين وهم أهل السيادة وربما مدحهم احدهم ثم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميت بن زيد وغيره وهاك أشهر أنصار العلويين :

١ — الكُمَيت بن زَيد

المتوفى سنة ١٢٦ هـ

هو الكميت بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بآياتها . من شعراء مضر والسنتها المتعصبين على القحطانية القارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها . وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم وقصائده فيهم تسمى الهاشميات وهي

من جيد شعره وكانت أول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بني هاشم رهط النبي فانني   بهم ولهم ارضى مراراً واغضبُ
خفضت لهم مني جناحي مودة   الى كنفٍ عطفاه اهل ومرحبُ
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا   ءِ مجباً على اني اذم واغضبُ
وارمى وارمي بالعداوة اهلها   واني لاؤذى فيهم واؤنب

فقال له الفرزدق « يا ابن اخي اذع ثم اذع فانت والله اشعر من مضى واشعر من بقي » ويقال في سبب توسعه بعلم لغة العرب وأخبارهم أنه كان له جدتان أدركتا الجاهلية فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه باخبار الناس في الجاهلية فاذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه فمن هناك كان علمه وهو من اصحاب الملحات ومطام ملحمته :

الا لا ارى الايام يقضى عجيبها   بطول ولا الاحداث تفنى خطوبها

وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن . وأراد القسري أن يسيء به الى بني أمية فروّى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدها ليهديها الى هشام بن عبد الملك وكتب اليهِ باخبار الكميت وأنفذ قصيدته التي يقول فيها :

فيارب هل الا بك النصر يتقى   ويا رب هل الا عليك المعوَّلُ

وهي طويلة يرثي بها زيد بن علي (الهاشمي) ويمدح بني هاشم فاكبرها هشام فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده فنبهه الى ذلك بعض أصدقائه ففرَّ وقضى زماناً مختفياً ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام ومدحه بقصيدة أنشده اياها مطلعها :

ما ذا عليك من الوقو   ف بها وانك غير صاغر

الى أن قال :

فالآن صرت الى امي   ة والامور الى المصائر
يا ابن العقائل للعقا   ئل والجحاجحة الاخاير
من عبد شمس والاكا   بر من امية فالاكابر
ان الخلافة والالا   ف برغم ذي حسد وواغر

وأنشده غيرها وغيرها فاجازه . ومما سبق اليه في وصف الفرس قوله :

يحث الترب عن كواسر في الشـ   ـرب لا يجشم السقاة الصفيرا

ومن جيد شعره قوله :

الا لا ارى الايام يقضى عجيبها   لطول ولا الاحداث تفنى خطوبها
ولا عبر الايام يعرف بعضها   ببعض من الاقوام الا لبيبها
ولم ارَ قول المرء الا كنبله   لهُ وبه محرومها ومصيبها

وتوفي سنة ١٢٦ ولهُ ستون سنة وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتاً . والهاشميات مطبوعة بمصر وفي ليدن سنة ١٩٠٤ ولها شرح منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وللكميت ترجمة مطولة في الاغاني ١١٣ ج ١٥ والشعر والشعراء ٣٦٨ وخزانة الادب ٦٩ ج ١ والجمهرة ١٨٧

٢ – أيمنُ بن الاخُرَيم سدي

هو من بني أسد كان شديد التشيع لعلي وقد مدح بنى هاشم ومن قوله فيهم :

نهارُكم مكابدة وصومٌ   وليلتكم صلاة واقتراءُ
اجعلكم واقواماً سواءً   وبينكم وبينهم الهواءُ
وهم ارض لارجلكم وانتم   لارؤسهم واعينهم سماءُ

على انه اضطر الى مسايرة بن امية ومدح عبد الملك . وله في وصف النساء قصيدة بديعة تجدها مع سائر اخباره في الاغاني ٥ ج ٢١ والشعر والشعراء ٣٤٥

٤ – أنصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون الظهور ويندر ظهور أحدهم وهاك اشهرهم :

١ – الطِرِمَّاح بن حكيم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من طي من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم نشأ في الشام وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام واعتقد مذهب الشراة والازارقة

وكان معاصراً للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين . وسئل كميت مرة « لاشيء أعجب من صفاء مابينك وبين الطرِمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد وهو شامي قحطاني وأنت كوفي نزاري شيعي فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية» فقال « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرمّاح والكميت رغبة في الغريب يدخلانه في اشعارهما . ومن قول الطرماح يمدح نفسه :

اذا قُبضت نفس الطرِمّاح اخلقت   عرى المجد واسترخى عنان القصائد

ومن قوله في الفخر :

وما انا بالراضي بما غـيره الرضى   ولا المظهر الشكوى ببعض الاماكن
ولا اعرف النعمى عليَّ ولم تكن   واعرف فصل المنطق المتغابن

وله قصائد كثيرة في هجو بني تميم ومن لطيف ما قاله فيهم :

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا   ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو ان برغوثاً على ظهر قملة   يكرُّ على صفَّي تميم لولت
ولو ان حرقوصاً يزقق مسكه   اذاً نهلت منـه تميم وعلت
ولو جمعت يوماً تميمٌ جموعهـا   على ذرة معقولة لاستقلت
ولوان ام العنكبوت بنت لهـا   مظلتها يوم الندى لأكنت

وهو من اصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

قلَّ في شط نهروان اغتماضي   ودعاني هوى العيون المراض

ومن قوله ويدل على مذهبه في الشراة :

لقد شقيتُ شقاء لا انقطاع له   ان لم افز فوزة تنجي من النار
والنار لم ينج من روعاتها احد   الا المنيب بقلب المخلص الشاري
او الذي سبقت من قبل مولده   له السعادة من خلاقها الباري

وكان الاصمعيُّ يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمره البلاد كانه   سيف على شرف يسل ويغمد

وللطرّماح ديوان تحت الطبع في انكلترا على يد لجنة تذكار جيب مع ديوان الطفيل بن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw . واخباره في الاغاني ١٥٦ ج ١٠ والشعر والشعراء ٣٧١ وخزانة الادب ٤١٨ ج ٣ والجمهرة ١٩٠

٢ – عمران بن حطان

توفي سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم المقدمين في مذاهبهم وكان من القعدة لان عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه وهومغال في التعصب على علي يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل علي وهو :

لله درُّ المرادي الذي سفكت   كفاه مهجة شرّ الخلق انسانا
أمسى عشية غشاه بضربته   مما جناهُ من الآثام عريانا

واخذ هذا المذهب عن امرأته لانها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به الى رأيهم وكان الحجاج يلج في طلب عمران بن حطان . وبلغه ان غزالة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها واغلق عليه قصره فكتب اليه عمران :

اسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة   ربداء تجفل من صفير الصافر
هلاّ برزت الى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس   تركت مدابره كامس الدابر

ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول احد من الشعراء شعراً الا نسب اليه لشهرته الا من كان مثله في الشهرة ومرَّ بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه انه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

ايها المادح العباد ليعطى   ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم   وارج فضل المقسم العواد
لا تقل بالجواد ماليس فيه   وتسمي البخيل باسم الجواد

وكان عمران يفتخر انه لم يكذب في شعره ومن ذلك قوله يخاطب امرأته حمزة :

ياحمزاني على ماكان من خلقي   مثن بخلات صدق كلها فيك
الله يعلم اني لم اقل كذباً   فيما علمت واني لا ازكيك

واخباره في الاغاني ١٥٢ ج ١٦ وخزانة الادب ٤٣٦ ج ٢

٣ـ عبد الله بن الحجاج الذبياني

توفي سنة ٩٥ هـ

هو عبدالله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى ابا الاقرع . شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه الى ان قتل . ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى امنه في حديث طويل

وعاش الى زمن الوليد بن عبد الملك ووشي به فحبسه فقال وهو في الحبس قصيدة من جملتها :

فان يعرض ابو العباس عني وبركب بي عروضاً عن عروض
ويجعل عرفه يوماً لغيري ويبغضني فاني من بغيض
فاني ذو غنى وكريم قوم وفي الاكفاء ذووجه عريض

واخباره في الاغاني ٢٥ ج ١٢

٤ — اسماعيل بن يسار النسائي

توفي سنة ١١٠ هـ

هو مولى بني تيم (من قريش) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر لعبد الملك بن مروان وفد اليه ومدحه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غير ولكنهم كانوا يضمرون الكره لهم ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد وفد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً فحجبه ساعة ثم اذن له فدخل يبكي فقال له الغمر « مالك يا أبا فائد تبكي» فقال« و كيف لا ابكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي احجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له« اخبرني ويلك يا اسماعيل أي مروانية كانت لك أو لابيك » قال « بغضنا اياهم امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح وان لم

يكن ابوه حضره الموت فقيل له قل لا اله الا الله فقال لعن الله مروان تقرباً بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمراً طويلاً وكان شعوبياً يفخر على العرب بالعجم ومن قوله :

انما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الانساب
فاتركي الفخر يا امام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاهاً بناتكم في التراب

ومن اقواله في الغزل من قصيدة :

حتى دخلت البيت فاستذرفت من شفق عيناك لي تسجم
ثم انجلى الحزن وروعاته وغيب الكاشح والمبرم
فبتُّ فيما شئت من نعمة يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفيٌّ كما ينساب من مكمنه الارقم

واخباره في الاغاني ١١٩ ج ٤

سائر انصار اعداء بني امية

ومن انصار اعداء بني امية غير من تقدم جماعة نكتفي بذكر مآخذ تراجمهم وهم :

٥ ابو وجزة السعدي من هوازن توفي سنة ١٣٠ مدح آل الزبير اخباره في الاغاني ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢

٦ ابو حزابة من انصار ابن الاشعث اخباره في الاغاني ١٥٢ ج ١٩

٧ ابو كلدة اليشكري من بكر من انصار ابن الاشعث سكن الكوفة وقتله الحجاج اخباره في الاغاني ١١٠ ج ١٠



شعراء الغزل والتشبيب

في العصر الاموي

قلنا في كلامنا عن التشبيب أن امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر مام المحبين وكان يشبب بحبيبته عن شعور حقيقي بالحب فقلده الشعراء بذلك وان لم يكونوا محبين . على ان اكثرهم ابتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشببين بضعة وعشرين شاعراً منهم خمسة من قريش هم عمر بن ابي ربيعة والعرجي والحارث بن خالد وابو دهبل وابن قيس الرقيات وعروة بن أذينة وامامهم عمر بن ابي ربيعة وهو اول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجيء فنبدأ بجميل ثم نذكر الشعرا القرشيين وغيرهم :

جَمِيلْ بن مَعْمَر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبدالله بن معمر من عذرة وكان شاعراً فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ولذلك عرف بجميل بثينة وكانا يقيمان في وادي القرى وكان اول عهده بها وهي صغيرة ومن اوائل نظمه فيها قوله :

وأول ماقاد المودة بيننا بوادي بغيض يابثين سباب
وقلت لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلام يابثين جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة فاخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر امره واتفق مرة ان توبة بن الحمير صاحب ليلى مرَّ ببني عذرة فراته بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر فثارت الغيرة في قلب جميل فقال لتوبة من انت قال انا توبة بن الحمير قال هل لك في الصراع قال ذلك اليك . فاعطته بثينة ملاءة حمراء فاتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل . ثم قال هل لك في النضال قال نعم فناضله فنضله جميل . ثم قال هل لك في السباق قال نعم فسابقه فسبقه جميل . فقال له توبة « ياهذا انما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادي » فهبط فصرعه توبة ونضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ما عند جميل ولما رأت مناضلته عنها زادت شغفاً به ولكنهما لم

يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل يخلو من الرقباء لكنهم لم يستطيعوا رميه بريبة واخباره معها كثيرة لا يسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سراً عن اهلها فالحوا بالشكوى عليه الى العامل ففر الى اليمن حتى عزل العامل وانتجع اهل بثينة الشام فرحل جميل اليهم فترصدوه وشكوه الى عشيرته فعنفه اهله وهددوه فانقطع عنها واخيراً لجأ الى مصر وعاملها عبد العزيز بن مروان فاحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة ومن قوله فيها :

واني لارضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرّت بلابله
بلا وبان لا استطيع وبالمنى وبالامل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي اواخره لا نلتقي واوائله

ومن قوله ابيات ينسبونها الى مجنون ليلى :

وما زلتم يا بثن حتى لو انني من الشوق استبكي الحمام بكى ليا
اذا خدرت رجلي وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت انت دعائيا
وما زادني النأي المفرق بعدكم سلوّاً ولا طول التلاقي تقاليا
ولا زادني الواشون الا صبابة ولا كثرة الناهين الا تماديا
لقد خفت ان القى المنية بغتة وفي النفس حاجات اليك كما هيا

ومن بديع قوله في النسيب :

لها في سواد القلب بالحب منعة هي الموت اوكادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يابثن مرة من الدهر الا كادت النفس تتلف
وما استطرفت نفسي حديثاً لخلة اسرُّ به الا حديثك اطرف

واكثر شعره فيها وله ابيات في الفخر بليغة منها :

يحبُّ الغواني البيض ظلُّ لوائنا اذا ماآتانا الصارخ المتلهف
نسير امام الناس والناس خلفنا فان نحن اومأنا الى الناس وقفوا
وكنا اذا مامعشر نصبوا لنا ومرت جواري طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها اذا الناس طففوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهوراً في ايام ابن خلكان ولم نقف على خبره ولكن منه اشعاراً مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين

وترى ترجمة جميل في الاغاني ٧٧ ج ٧ و٨٠ ج ١٠ و١٣٤ و١٤٢ ج ٢ وابن خلكان ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ١٩١ ج ١ والشعر والشعراء ٢٦٠ وفي الهلال ٢٤٢ سنة ٦

شعراء قريش الغزليين

١ — عُمَرُ بن ابي ربيعة

توفي سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تقرّ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الا الشعر حتى ظهر عمر بن ابي ربيعة فاقرت لها به واختص عمر المذكور شعره بوصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال في اوائله والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجرأ ابن ابي ربيعة على ذلك الا لمنزلته في قريش ومع ذلك فقد عدوا شعره ضرراً على الآداب فقد قال ابن جريج « ما دخل العواتق في حجالهن شيء اضرّ عليهن من شعر ابن ابي ربيعة » وقال هشام بن عروة « لا ترووا فتيانكم شعر عمر بن ابي ربيعة لا يتورطوا في الزنا تورطاً »(١) وكان اخوه الحارث يمنعه من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشبب بحبيبته أما عمر فكان يشبب بكل جميلة ولو لم يكن بينه وبينها مودة . وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه تحداها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيبه قال « هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فاخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » وكانوا لذلك يعدونه انسب الناس واوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقيم بمكة فاذا آن الحج اعتمر في ذي القعدة ولبس الحلل الفاخرة وركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج وسبل لمته ولقي العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ويتلقى المدنيات الى مر ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشبب بشهيرات النساء اللواتي يقدمن الى مكة وهن في مشاعر الحج أو ينظر اليهن وهن في الطواف فيرى منهن ما لا يراه في الخارج فيصفهن . فتعرض لاشهر نساء العرب واجملهن وفيهن جماعة من كبار القوم وفي جملتهن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ولكنه لم يكن يذكر اسمها خوفاً من ابيها ومن الحجاج . وكان ابوها قد بعث اليه يتوعده اذا ذكرها فلما عادت من الحج قال فيها :

(١) الاغاني ٣٥ ج ١

كدت يوم الرحيل اقضي حياتي   ليتني متُّ قبل يوم الرحيل
لا اطيق الكلام من شدة الخو   ف ودمعي يسيل كل مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعي   وكلانا يلقى بلب اصيل

وممن شبب بهنَّ عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل وكان قد رآها تطوف فعلمت انه لا يبرح ان يشبب فيها فبعثت اليه مع جاريتها تقول « اتق الله ولا تقل هجراً » فاجابها « اقرئيها السلام وقولي لها ابن عمك لا يقول الا حسناً » وقال ابياتاً منها :

لعائشة ابنة التيمي عندي   حمى في القلب ما يرعى حماها
يذكرني ابنة التيمي ظبي   يرود بروضة سهل رباها
فقلت له وكاد يراع قلبي   فلم ار قط كاليوم اشتباها
سوى حمش بساقك مستبين   وان شوك لم يشبه شواها
وانك عاطلٌ عارٍ وليست   بعارية ولا عطل يداها

وشبب ايضاً بلبابة بنت عبد الله بن عباس بابيات مطلعها :

ودع لبابة قبل ان ترحلا   واسأل فان قلالة ان تسألا

وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

اسكين ما ماء الفرات وطيبه   منا على ظمأ وحب شراب
بألذَّ منكِ وان نأيت وقلما   ترعى النساء امانة الغياب

وشبب بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفي ذلك يقول عمر :

ايها المنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يجتمعان
هي شآمية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقلَّ يماني

وشبب ايضاً برملة بنت عبد الله بن خلف اخت طلحة الطلحات وغيرها وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يغنونها . ومما يستحسن من شعره قوله في نحول البدن :

رات رجلاً اما اذا الشمس عارضت   فيضحى واما بالعشيّ فيخصر
قليلاً على ظهر المطية شخصه   خلا ما نبى عنه الرداء المحبر

واخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغاني مطولة من ٣٠ ج ١ والشعر والشعراء ٣٤٨ وابن خلكان ٣٧٨ ج ١ والدميري ٣٢٦ ج ١ والعقد الفريد ١٣٢ ج ٣

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٩٣ وفي مصر سنة ١٣١١ ومنه نسختان خطيتان في المكتبة الخديوية

٢ — العَرْجيُّ

هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة كان من شعراء قريش وقد شهر بالغزل وتشبه بعمر بن ابي ربيعة وكان مشغوفاً باللهو والصيد قليل المحاشاة لاحد فيها ولم يكن له نباهة في اهله . وكان اشقر ازرق جميل الوجه وقد شبب بوحيداء ام محمد بن هشام المخزومي ليفضح ابنها لالمحبة بينهما . فقضى عليه محمد وضربه وحبسه حتى مات في السجن

وكان يشبب ايضاً بشهيرات النساء بالجمال نحو ما كان يفعل ابن ابي ربيعة لكنه كان مقلداً فلم يبلغ مبلغه وكان يقلده بالبذخ فيستقي على ابله في شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار . ومما قاله في حبسه :

اضاعوني واي فتىً اضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا   وقد شرعت استها بنحري
اجرّر في الجوامع كل يوم   فيالله مظلمتي وصبري
كاني لم اكن فيهم وسيطاً   ولم تك نسبتي في آل عمرو

واخباره كثيرة منشورة في الاغاني ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٧ والشعر والشعراء ٣٦٥

٣ — الحَارث بن خَالد المَخْزُومي

هو ايضاً من مخزوم مثل عمر بن ابي ربيعة وقد اتبع مذهبه في الغزل لا يتجاوزه الى المديح او الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش واخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعاً من حزب ابن الزبير الا الحارث فكان منحازاً لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن ابي ربيعة ويشبب بمن يستحسنها من النساء وهن في الطواف ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها الى العراق :

ظعن الامير باحسن الخلق   وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن   اهل التقى والبر والصدق

فظللت كالمقهور مهجته   هذا الجنون وليس بالعشق
اترجة عبق العبير بها   عبق الدهان بجانب الحق
ما صبحت احداً برؤيتها   الا غدا بكواكب الطلق

وله اقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغاني ١٠٠ ج ٣ وخزانة الادب ٢١٧ ج ١

٤ — أَبُو دَهْبَل الجُمَحِيُّ

اسمه وهب بن زمعة من اشراف بني جمح من قريش وكان رجلاً جميلا له جمة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفاً قال الشعر في آخر خلافة علي بن ابي طالب ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاه بعض اعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوي امرأة من قومه اسمها عمرة وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار فكان ابو دهبل لا يفارق مجلسها وكانت هي ايضاً تحبه فغارت امرأة منها فبعثت اليها عجوزاً داهية وشت به حتى احتجبت عنه فقال :

وبتُّ كئيباً ما انام كانما   خلال ضلوعي جمرة تتوهجُ
فطوراً امنّي النفس من عمرة المنى   وطوراً اذا مالجَّ بي الحزن انشجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا   ونحن الى ان يوصل الحبل احوج

وقد شبب في غيرها من شهيرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن ابي سفيان وقد جاءت للحج فنزلت بذي طوى من مكة وقد اشتد الحر فأمرت جواريها فرفعن الستر فر ابو دهبل فرآها وهي لا تعلم فلما رأته ينظر اليها غضبت وشتمته وامرت بارخاء الستر فقال ابو دهبل في ذلك :

اني دعاني الحين فاقتادني   حتى رايت الظبي بالبابِ
يا حسنه اذ سبَّني مدبراً   مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة   صبت على القلب باوصاب
يذود عنها ان تطلبها   ابٌ لها ليس بوهاب
احلها قصراً منيع الذرا   يحمى بابواب وحجاب

وانشد ابو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون فبلغت عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما . فلما صدرت عن مكة خرج معها الى

الشام فلما دخلت دمشق انقطعت عن لقائه في دمشق فنظم في ذلك قصيدة مطلعها :

طال ليلي وبت كالمحزون   ومللت الثواء في جيرون

وبلغ معاوية تشبيبه بابنته فاحب ان يتمه باسلوب من اساليبه الناعمة فدعاه اليه واخبره انه اطلع على ما قاله . فاراد ابو دهبل ان يتنصل ويزعم انها قيلت عن لسانه فاكد له معاوية انها له ولكنه قال « لا خوف عليك من جهتي ولكنني اخاف عليك من يزيد فان له سورة الشباب وانفة الملوك » فخاف ابو دهبل وخرج الى مكة هارباً . لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة وبلغ ذلك معاوية فحج . ولما انقضت ايام الحج دعا ابا دهبل في جملة الشعراء والاشراف واجازه وسأله عن احب بنات عمه اليه فقال فلانة فقال « قد زوجتكها واصدقتها الفي دينار وامرت لك بالف دينار » فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة فسر معاوية من ذلك . واكثر شعره غير الغزل في عبد الله بن عبد الرحمن الازرق والي اليمن

ولابي دهبل اخبار طويلة ذكرها صاحب الاغاني ١٥٤ ج ٦ وله اشعار في الشعر والشعراء ٣٨٩

٥ — ابن قَيْس الرُّقَيَّات

توفي سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس من قريش وكان ممن انحاز الى ابن الزبير وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطعن في بني اميه ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فامنه . فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغر الذي ابوهُ ابو الـ   ـعاصي عليه الوقار والحجبُ
يعتدل التاج فوق مفرقه   على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك « يا ابن قيس تمدحني بالتاج كاني من العجم وتقول في مصعب

انما مصعب شهاب من الله   تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه   جبروت منه ولا كبرياء

اما الامان فقد سبق لك ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء ابداً »

اما تغزله فقد كان في امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة وله في اخرى اسمها رقية . على ان غزله اقل من غزل سائر من تقدم من الشعراء القرشيين ولكن طائفة من شعره يغنونها . ومن شعره في رقية ويغنى به :

رقيَّ بعيشكم لا تهجرينا   ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا في غدٍ ما شئت انا   نحبُّ وان مطلت الواعدينا
فاما تنجزي عدتي واما   نعيش بما نؤمل منك حينا

وله فيها ايضاً :

وترى في البيت صورتها   مثل ما في البيعة السرجُ
خبروني هل على رجل   عاشق في قبلة حرج

وترى اخباره في الاغاني ١٥٥ ج ٤ وفي الشعر والشعراء ٣٤٣ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ٣ وله ديوان طبع في فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة المانية . وقد شرحه السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وفي الكتبخانة الخديوية نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزليين

يكاد لا يخلو شاعر من ابيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ولكن المراد بشعراء الغزل الذين اكثر قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليك الباقون

١ — مجنون لَيْلَى

هو قيس بن الملوّح ويقال بن مُعاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ويعرف بمجنون ليلى نسبة الى ليلى التي كان يتعشقها وهو مشهور ولكن بعض اهل النقد من علماء الشعر يرون ان قصته موضوعة وضعها رجل من بني امية كان يحب ابنة عم له يكره ان يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذٍ . ويؤيد ذلك ان كثيراً مما ينسب اليه من الاشعار رويت لغيره . فقصتهُ اذاً من قبيل الشعر التمثيلي (درام) الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف او لعلَّ لها اصلاً قليلاً وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنترة التي تمثل الشجاعة والعشق

وفي كل حال فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل شعائر المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلى شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

واني لينسيني لقاؤك كلما   لقيتك يوماً ان ابثك ما بيا
وقالوا به داء عياء اصابه   وقد علمت نفسي مكان دوائيا

وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب   افكر ماذنبي اليها واعجب
ووالله ما ادري علام قتلتني   واي اموري فيك ياليل اركب
االقطع حبل الوصل والموت دونه   ام اشرب رنقاً منكم ليس يشرب
ام اهرب حتى لاارى لي مجاوراً   ام اصنع ماذا ام ابوح فاغاب
فايهما يا ليل ما ترتضينه   فاني لمظلوم واني لمعتب

واخبار المجنون في الاغاني ١٦٧ ج ١ والشعر والشعراء ٣٥٥ وخزانة الادب ١٧٠ ج ٢ . ولهُ ديوان مطبوع في القاهرة سنة ١٣٠٠ ﻫ وفي بيروت سنة ١٨٨٢ م ثم طبع مراراً ومنه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي مكاتب تونس وبرلين وباريس واياصوفيا وغيرها

٢ — كُثَيِّر عزَّة

توفي سنة ١٠٥ ﻫ

هو كثيّر بن عبد الرحمن من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التي كان يشبب بها وكان يدخل على عبد الملك وينشده وكان رافضياً شديد التعصب لآل ابي طالب. وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره فاذا اراد ان يصدقه بشيء حلفه بعلي وكان له صديق اسمه خندق الاسدي شديد التشيع مثله وبلغ من جرأة خندق هذا انه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال « ايها الناس انكم على غير حق قد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الائمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودفن خندق بقنونا فقال اذ ذاك كثير يرثيه :

اصادرة حجاج كعب ومالك   على كل عجلي ضامر البطن محنق
برثيـة فيهـا ثنـاء مخبر   لازهر من اولاد مرة معرق

والقصيدة طويلة . اما معشوقته عزة فهي بنت حميد بن وقاص من ضمرة وكانت من اجمل النساء وآدبهن واعقلهن ويقال انه لم يرَ لها وجهاً الا انه استهيم بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض اهلها فقالوا « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » فقال « اني لا ذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر في عام الجلاء فتبعهم على راحلته فزجروه فابى الا

ان يلحقهم فتربص لهُ بعضهم في بعض الطريق وقبضوا عليهِ وجعلوهُ في جيفة حمار وربطوها عليه فمرَّ بهِ صديقه خندق فاطلقه والحقه ببلاده . وكان كثيّر دميماً قليلا احمر اقيشر عظيم الهامة قبيحاً . واكثر اشعاره في عزة هذه . من ذلك قوله فيها لما اخرجت الى مصر :

وقال خليلي ما لها اذ لقيتها   غداة السنا فيها عليك وجوم
فقلت له ان المودة بيننا   على غير فحش والصفاء قديم
واني وان اعرضت عنها تجلداً   على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً فرَّق الدهر بيننا   وبينكم في صرفه لمشوم

وقوله ويغني به :

وكنت اذا ماجئت اجللن مجلسي   واظهرن مني هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرة قد عرفنها   قديماً فما يضحكن الا تبسما

ومن احاسن شعره قوله :

اغاضر لو شهدت غداة بنتم   حنوَّ العائدات على وسادي
اويتِ لوامق لم تشكميه   نوافذهُ تلذّعُ بالزناد

ومن قوله في الحكم :

ومن لا يغمّض عينه عن صديقه   وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبع جاهداً كلَّ عثرة   يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

ويختار من قوله :

واجمع هجراناً لاسماء ان دنت   بها الدار لا من زهدة في وصالها
فان شحطت يوماً بكيت وان دنت   تذللت واستكثرتها باعتزالها

ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وقوله وفيه افراط :

ومشى اليَّ بعيب عزة نسوةٌ   جعل الاله خدودهن نعالها
ولوان عزة خاصمت شمس الضحى   في الحسن عند موفَّق لقضى لها

واخباره كثيرة تجدها في الاغاني ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ والشعر والشعراء ٣١٦ وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ والعقد الفريد ١١٥ و ٢٠٣ ج ١ وخزانة الادب ٣٨١ ج ٢ . وله ديوان شرحه ابو عبد الله الرشيدي منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ ـ ابن ميَّادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان من ذبيان وكان احمر سبطاً عظيم الخلق طويلاً طويل اللحية وكان لباسه عطراً وذكروا انه اشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة يمدح اليمن (القحطانية) ومما يؤثر من قوله في الشعر وقد قيل له مرة « لو اصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير من السقط » فقال « انما الشعر كنبل في جفيرك ترمي به الغرض فطالع وواقع وعاصد وقاصد »

وعاصر ابن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه وادرك اول الدولة العباسية فمدح المنصور وجعفر بن سليمان فهو من اهل الدور الثالث وانما ذكرناه هنا لانه من الشعراء الغزليين واحب امرأة من بني مرة اسمها ام حجدر وكان يختلف اليها فعلم ابوها وغضب واقسم ان لا يزوجها رجلاً من ذلك البلد فزوجها رجلاً من الشام فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

خليلي من افناء عذرة بلغا ... رسائل منا لا تزيدكما وقرا
الما على تيماء نسأل يهودها ... فان لدى تيماء من ركبها خبرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها ... عليه فسل عن ذاك نبان فالغمرا
ويا ليت شعري هل يحلنَّ اهلها ... واهلك روضات ببطن اللوى خضرا

ولابن ميادة مواقفات مع الحكم الخضري واراجيز طوال ومفاخرات مع عقال ابن هاشم ذكر صاحب الاغاني بعضها وهي منتقيات وله في مدح الوليد قصيدة مطلعها:

يا اطيب الناس ريقا بعد هجعتها ... واملح الناس عينا حين تنتقب

ولما مات الوليد رثاه . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور

واخبار ابن ميادة كثيرة في الاغاني ٨٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨٤

٤ — الأحوص

توفي سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من اهل المدينة وكان مثل سائر شبان يثرب في تلك الايام ميالاً الى الرخاء وكان قليل المروأة والدين مع ميل الى هجو الناس وقد جعله ابن سلام في طبقة ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل ولكن اهل

الحجاز يفضلونه عليهم وهو اسمح طبعاً واسهل كلاماً واصح معنى منهم . ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة وبه الفاظ ليست لواحد منهم . وكان متهتكاً فبلغ سليمان بن عبد الملك عنه اقوال فنفاه . ويقال في سبب ذلك ان سكينة بنت الحسين فخرت يوماً بالرسول ففاخرها الاحوص بقصيدته التي يقول فيها « ليس جهل اتيته ببديع » فبلغ ذلك سليمان فنفاه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيبه بام جعفر وهي امرأة من الانصار وتوعده اخوها وهدده فلم ينته فاستعدى عليه والي المدينة وهو يومئذ عمر بن عبدالعزيز فربط الاحوص واخاها بحبل ودفع اليهما سوطين وقال « تجالدا » فغلب اخوها ومن شعره فيها :

ازور البيوت اللاصقات بيتها ... وقلبي الى البيت الذي لا ازور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى ... اذا لم يزر لا بد ان سيزور
ازور على ان لست انفك كلما ... اتيت عدواً بالبنان يشير

ومن شعره الجيد قوله :

الا لا تلمه اليوم ان يتبلّدا ... فقد غلب المحزون ان يتجلدا
وما العيش الا ما تلذ وتشتهي ... وان لام فيه ذو الشنان وفنَّدا
بكيت الصبا جهداً فمن شاء لامني ... ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان عيرت في طلب الصبا ... لأعلم اني لست في الحب اوحدا

وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشتغلاً عن الخلافة بجاريته حبابه فلامه عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقلع عن زيارتها فأرادت ان تسترجعه فلاقته وهو خارج الى المسجد بعودها وغنتة بيت الاحوص : وما العيش الا ما تلذ وتشتهي الخ

فضرب يزيد بخيزرانته الارض وقال صدقت وعاد الى حالته معها

ومن غزله قوله وهو وصف حقيقة :

فما هو الاَّ ان أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما اكاد اجيب

وقوله :

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة حب يوم تبلى السرائر

وترى ترجمة الاحوص واقواله في الاغاني ٤٠ ج ٤ و٥٣ ج ٦ و١١٧ ج ١ وفي الشعر والشعراء ٣٢٩ والعقد الفريد ١١٥ ج ١ وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ وفي سائر كتب الادب . وله قصيدة محفوظ في مكتبة برلين

٥ – قَيْس بن ذَرِيح

هو قيس بن ذريح من كنانة وكان رضيع الحسين بن علي لان ام قيس ارضعت الحسين . كان منزل قومه في ظاهر المدينة وكان هو وابوه من حاضرة المدينة واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية وهي التي جعلته ينطق الشعرفانه رآها مرة واستسقاها فسقته وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه فعشقها وجعل ينطق بالشعروشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله فطلب الى ابيه ان يخطبها له فابى لانه كان غنياً فاراد له احدى بنات عمه . فشكا الى امه فلم تسعفه فاتى الحسين بن علي فتوسط له فزوجوه لان اشارته لا تردُّ فاقامت زوجته عنده مدة لا ينكر احد من صاحبه شيئاً

ثم دخلت الحماة بين الابن والكنة . وذلك ان قيساً كان ابرَّ الناس بامه فالهته لبنى عنها فغضبت واخذت تتحين الفرص للانتقام فمضى على الزواج زمن ولم تلد لبنى لقيس ولداً فخاطبت امه اباه بذلك وقالت « انت ذو مال فيصير المال الى الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله ان يرزقه ولداً » والحت عليه فاستمهلها وسأل ابنه في ذلك فابى ان يتزوج غيرها فعرض عليه ان يتسرى فابى فقال طلقها فلم يرضَ فالح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى . فكان يخرج فيقف في حرالشمس ويجيء ابوهُ فيقف الى جانبه فيظله بردائه ويصلي هو بحرالشمس حتى يفيء الفيء فينصرف ويدخل قيس الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له « يا قيس لا تطلع اباك فتهلك وتهلكني » فيقول « ما كنت لاطيع احداً فيك أبداً » . فيقال انه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ولم يلبث حتى استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكي كالطفل ثم اتى ابوها ليحملها الى اهله فلما رأى قيس هودجها وعلم انها مسافرة بعد ليلة سقط مغشياً عليه وهو يقول :

وانى لمفنٍ دمع عيني بالبكا حذار الذي قدكان اوهوكائنُ
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائنُ
وما كنتاخشى ان تكون منيتي بكفيك الا ان ماحان حائنُ

ولما غاب هودجها اكبَّ على اثر خف بعيرها يقبله ورجع يقبل موقع مجلسها واثر

قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما احببت ارضكمُ ولكن اقبّل اثر من وطيء الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى بلاءً ما اسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادي باسم لبنى عييت فما اطيق له جوابا

ثم زوجوها رجلاً من غطفان وعاود قيس زيارتها فشكوه الى معاوية فهدر دمه فقال في ذلك :

فان يحجبوها اويحل دون وصلها مقالة واش او وعيد امير
فلم يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ماقد اجنَّ ضميري

واخبار قيس بن ذريح كثيرة في الاغاني ١١٢ ج ٨ وفي الشعر والشعراء ٣٩٩ وله ديوان مشروح ومنه نسخة في مكتبة الاسكوريال وغيرها في برلين

٦ – المُخَبَّل القَيْسي

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه وقد راها مرة فعشقها ولقيها فشكى اليها حبه فوعدته فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه وكان منزله في الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار من ذلك قصيدة مطلعها :

خليليَّ قد قست الامور ورمتها بنفسي وبالفتيان كل زمان
فلم اخف سوءاً للصديق ولم اجد خلياً ولا ذا البث يستويان

الى ان قال يصف غرامه :

بلينا بهجران ولم ار مثلنا من الناس انسانين يهتجران
اشد مصافاة وابعد من قلى واعصى لواش حين يكتنفيان
فوالله ما ادري اكل ذوي الهوى على ما بنا او نحن مبتليان

وهي طويلة ومنها :

احقاً عباد الله ان لست ماشياً برصاب حتى يحشر الثقلان

وتجد اخباره في الاغاني ٢٠٩ ج ٢١ وهو غير المخبل السعدي الذي تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من شعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا بعد انقضاء الدور الثاني وقد اتينا على تراجمهم هنا كما أتينا على آخرين قد يعدُّون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع في مكان واحد

٧ — ذُو الرُّمَّة

توفي سنة ١١٧ ﻫ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ويعدُّ من الشعراء المتيمين وصاحبته ميّة بنت مقاتل المنقري وكانت جميلة وكان هو دميماً اسود وسمعت تشبيبه بها ولم تره ثم رأته فقالت واسوأتاه فغضب وقال يهجوها :

على وجه ميٍّ مسحة من ملاحة — وتحت الثياب العار لو كان باديا
ألم تر ان الماء يخبث طعمه — وان كان لون الماء ابيض صافيا
فواضيعة الشعر الذي لج فانقضى — بميٍّ ولم املك ضلال فؤاديا

وكان يشبب بخرقاء ايضاً وهي من عامر بن صعصعة ومن قوله فيها وهو مما يتغنى به :

لقد ارسلت خرقاء نحوي جديها — لتجعلني خرقاء فيمن اضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة — ولو عمرت تعمير نوح وجلت

وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء امثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري وكان له ثلاثة اخوة كلهم شعراء وكان مدور الوجه حسن الشعر جعده أقنى أنزع خفيف العارضين اكحل حسن الضحك مفوّهاً اذا كلمك كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء . وهو من اصحاب الملحات ومطلع ملحمته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب — كانه من كلى مفرية سرب

ويمتاز في شعره انه احسن شعراء عصره تشبيهاً كما كان امرؤ القيس احسن شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا فكان مع الفرزدق على جرير . واخباره كثيرة في الاغاني ١١٠ ج ١٦ والشعر والشعراء ٣٣٣ وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ومصارع العشاق ٧٨ والجمهرة ١٧٧ وخزانة الادب ٥١ ج ١ وله ديوان خطي في المكتبة الخديوية ومثله في مكاتب لندن وليدن

٨ — يزيد بن الطَّثَرِيَّة

توفي سنة ١٢٦ ﻫ

اسمه يزيد بن الصمة من قشير من عامر ويكنى ابا مكشوح وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلاً آخذاً بقلوب النساء وكان الغزل في القشيريين نادراً ولهم في

ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الاغاني لا بأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية واشتد وجده بها حتى اشرف على الموت ونظم فيها الشعر ومن قوله فيها :

بنفسي من لو مرَّ بردُ بنانه — على كبدي كانت شفاء انامله
ومن هابني في كل امر وهبته — فلا هو يعطيني ولا انا سائله

وكتب اليها هذين البيتين :

احبك اطراف النهار بشاشة — وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن اصبحت ريح المودة بيننا — شمالاً لقدماً كنت وهي جنوب

فاجابته بقولها :

احبك حب اليأس ان نفع الحيا — وان لم يكن لي من هواك طبيب

وقد قاسى في حبها كما قاسى غيره من العشاق والمتيمين ونظم فيها كثيراً ومن قوله :

هبيني امرءًا اما بريئاً ظلمته — واما مسيئاً تاب منه واعتبا
وكنت كذي داء تبغَّى لدائه — طبيباً فلما لم يجده تطببا

ولابن الطثرية اخبار كثيرة في الاغاني ١١٠ ج ٧ وفي ابن خلكان ٢٩٩ ج ٢ وفي الشعر والشعراء ٢٥٥

سائر الشعراء العشاق

ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم فنكتفي بالاشارة الى المآخذ وهم :

٩ الابيرد الرياحي : من تميم كان يهوى امراة ولم يفد على الخلفاء . واخباره في الاغاني ١٠ ج ١٢

١٠ ابن رهيمة : شاعر مشبب ايام عبد الملك اخباره في الاغاني ١١٨ ج ٤

١١ توبة بن الحُمَيِّر : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية اخباره في الاغاني ٦٧ ج ١٠ وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ والشعر والشعراء ٢٦٩ وسيأتي ذكره مع ليلى الاخيلية

١٢ مرة بن عبد الله النهدي : من قضاعة شاعر بدوي واخباره في الاغاني ٦١ ج ٢٠

١٣ مزاحم العقيلي : من هوازن شاعر بدوي صاحب قصيد ورجز عاصر

الفرزدق احب امراة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . واخباره في الاغاني ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣

١٤ مسعدة بن البختري : من اقرباء المهلب بالعراق اخباره في الاغاني ٧٧ ج ١٢

١٥ النميري : من ثقيف [1] واخباره في الاغاني ٢٤ ج ٦

١٦ وضاح اليمن : شبب بامراة الوليد فقتله واخباره في الاغاني ٣٢ ج ٦ وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١

١٧ عبد الله بن علقمة : من زرارة اخباره في مصارع العشاق

١٨ حميد بن ثور الهلالي : اخباره في الاغاني ٩٨ ج ٤ والشعر والشعراء ٢٣٠

الشعراء الخلعاء والسكيرون

قد رأيت الخلاعة والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء وانما نعني بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون اشهرهم :

١— الأُقيشر الاسدي

هو المغيرة بن عبد الله من بني اسد من مضر وكان احمر الوجه اقشر فسمي الاقيشر ويكنى ابا معرض كان كوفيا خليعاً ماجناً مدمناً في شرب الخمر ومن شعره :

فان ابا معرض اذ حسا ... من الراح كاساً على المنبر
خطيب لبيب ابو معرض ... فان ليم في الخمر لم يصبر
احل الحرام ابو معرض ... فصار خليعاً على المكبر

وكان شديد الهجو قبيحه ومن لطائفه انه شرب مرة في الحيرة في بيت فيه خياط مقعد ورجل اعمى وعندهم رجل مغنٍّ مطرب فطرب الاقيشر فسقاهم من شرابه فلما انتشوا وثب الاعمى يسعى في حوائجهم وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد في ذلك كل جهده فقال الاقيشر :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا ... واعمى سقيناهُ ثلاثاً فأبصرا
شراباً كريح العنبر الورد ريحه ... ومسحوق هندي من المسك اذفرا

وترى اخباره في الاغاني ٨٤ ج ١٠ وفي الشعر والشعراء ٣٥٢

(١) له ديوان منه نسخة خطية في مكتبة اياصوفيا بالاستانة

٢— الحزين الكناني

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة وقيل انه مولى . وهو حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. وكان هجاءً خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس ذرب اللسان لم يخدم الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان اشعر ذا بطين عظيم الانف على انه مدح بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رثاه قالها في عبد العزيز بن مروان منها :

قالوا دمشق ينبيك الخبيرُ بها ... ثم ائت مصر فثم النائل العممُ
لما وقفت عليها في الجموع ضحى ... وقد تعرَّضتِ الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق ... وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحها عبق ... من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلَّم الا حين يبتسم

وترى اخباره في الاغاني ٧٦ ج ١٤ و٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلعاء جماعة نكتفي بذكر مآخذ تراجمهم :

٣ بكر بن خارجة : مولى بني اسد سكير ماجن سكن الحيرة (الاغاني ٨٧ ج ٢٠)

٤ الشمردل بن شريك : من يربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير الهجو اخباره في الاغاني ١١٧ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ الوليد بن يزيد الخليفة : اول من وصف الخمر (اغاني ١٠١ ج ٦ و٩٨ ج ٣ والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٢ وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١)

الشعراء المغنون

لم يكن في شعراء الجاهلية من المغنين الا الاعشى وعلس ولكن اقتراب الامويين من الحضارة وتزايد العلائق بين الحجاز والشام والعراق اولدت الموسيقى ونبغ كثيرون من المغنين اكثرهم في المدينة اشهرهم :

١ حنين الحيري : شاعر نصراني كان يغني ايام هشام اخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٢

٢ سعيد الدارمي : (تميم) شاعر ظريف من اهل مكة ايام عمر بن عبد العزيز اخباره في الاغاني ١٧٨ ج ٢

٣ عبادل : مولى قريش في الحجاز لم يفارقها كان نبيلاً محترماً وكان يغني اخباره في الاغاني ١٧٥ ج ٥

٤ محمد بن الاشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان اهل الكوفة ظريفاً ينظم ويغني احب سلامة الزرقاء ونظم فيها واخباره في الاغاني ١٢٧ ج١٣

٥ نصَيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء واخباره في الاغاني ١٢٩ج ١ والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ ابن عائشة : من موالي المطلب كان يغني للوليد بن يزيد واخباره في الاغاني ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم نستطع ادخالهم في احدى الطبقات المتقدم ذكرها فلا هم من شعراء السياسة ولا العشاق ولا السكر ولا الغناء وهم بضعة وعشرون شاعرا يطول بنا ذكر تراجمهم وخصوصاً بعد ان طال بنا الكلام في شعراء هذا العصر فنكتفي بترجمة اثنين منهم مع الاشارة الى المآخذ التي يرجع اليها من اراد التوسع في الباقين

١ – القُطَاميُّ

هو عمير بن شييم من بني تغلب وكان نصرانيا عاصر الاخطل وله شعر من الطبقة الاولى في التشبيب والحماسة والفخر . اما في التشبيب فقوله :

وفي الخدور غمامات برقن لنا حتى تصيدننا من كل مصطاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابي واسماء بن خارجة الفزاري . وكان زفر قد اسره ثم اطلقه ووهب له مائة ناقة فقال وفيه من كبر النفس ما فيه :

من مبلغ زُفر القيسيَّ مدحته عن القطامي قولاً غير افناد
اني وان كان قومي ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادي
مثنٍ عليك بما اوليت من حسن وقد تعرَّض مني مقتلٌ باد
فان قدرت على يوم جزَيتُ به والله يجعل اقواماً بمرصاد

وله هجاء شديد نحا فيه نحواً خاصاً يدلُّ على تفننه كقوله يريد هجاء قيس بالبخل

من قصيدة استهلها انه مسافر ونزل ضيفاً على امراة من قيس وانها ارتاعت لما علمت انه ضيف سينزل عليها ووصف ماجرى بينهما على اسلوب جميل . وهو القائل :

والناس من يلقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ولام المخطئ الهبلُ
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومن قوله في الفخر يصف حرباً مع كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هارب حذار المنايا او قتيل مجدلِ
وافلتنا لما التقينا بعاقد على سابح عند الجراء ابن بجدلِ
واقسم لو لاقيته لعلونه بابيض قطاع الضريبة مقصلِ

وهو من اصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطول

وتجد اخبار القطامي في الاغاني ١١٨ج ٢٠والشعر والشعراء ٤٥٣والجمهرة ١٥١ وله ديوان طبع في ليدن سنة ١٩٠٢ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي مكتبة برلين

٢ – ليلى الأخيليَّة وتَوبة بن الحُمَيِّر

توفيت ليلى سنة ٨٠ ﻫ

هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال من بني الاخيل من عامر . وهي من النساء المتقدمات في الشعر وكان توبة بن الحميّر يهواها وهو من بني عقيل من عامر ايضاً فعشقها وقال فيها الشعر فخطبها الى ابيها فابى ان يزوجه اياها وزوجها في بني الادلع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها فاذا هي سافرة ولم يرَ منها الا بشاشة فعلم ان ذلك لامر ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بني الادلع انه اتاها فتبعوه ففاتهم فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمرَّ مريرها

وهي طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمرَّ ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الافرنج اليوم في الطلب للمبارزة في مثل هذه الحال فتصارعا وبثينة حاضرة فغلبه جميل فقال توبة « انما صرعتني بريح هذه . انزل بنا الوادي » فنزلا فغلبه توبة . ومن لطيف شعره في ليلى قوله :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت   عليَّ ودوني تربةٌ وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة اوزقى   اليها صدى من جانب القبر صائحُ
ولو ان ليلى في السماء لاصعدت   بطرفي الى ليلى العيون اللوامحُ

وكان توبة كثير الغارات فقتل في احدى غاراته في حديث طويل ذكره صاحب الاغاني . وكانت ليلى تفد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه . واراد الحجاج ان يداعبها فقال لها « ان شبابك قد ذهب واضمحلَّ امرك وامر توبة فاقسم عليك الا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط او خاطبك في ذلك ؟ » فقالت « لا والله ايها الامير الا انه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الامر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها   فليس اليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه   وانت لاخرى فارغ وحليلُ

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت » قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك قالت وجه صاحباً له الى حاضرنا فقال « اذا اتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعلُ شرفاً ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل ابيتنَّ ليلة   من الدهر لا يسري اليَّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له :

وعنه عفا ربي واحسن حفظه   عزيز علينا حاجة لا ينالها »

ومن شعرها قولها في مدح الحجاج :

احجاج لا يفلل سلاحك انما ال   منايا بكفّ الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج ارضاً مريضة   تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها   غلامٌ اذا هزَّ القناة سقاها

واخبار ليلى وتوبة في الاغاني ٦٧ج ١٠ و١٣٢ج ٤ و ١٦١ج ٧ والشعر والشعراء ٢٧١ وفوات الوفيات ١٤١ ج ٢ والمستطرف ٣٤ ج ١

سائر شعراء الدور الثاني

وهاك اسماء من بقي من شعراء الدور الثاني

٣ ارطاة بن سُهيَّة : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد واخباره في الاغاني ١٣٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ اعشى تغلب : نصراني يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي الموصل اذا بدا واخباره في الاغاني ٩٨ ج ١٠

٥ الجحاف السلمي : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة قتل فيها ابن الاخطل

فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك واخباره في الاغاني ٥٧ ج ١١

٦ جعفر بن الزبير : شاعر مقل اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ١٣

٧ جُحية بن المضرب : (كندة) شاعر اموي واخباره في الاغاني ٩ج ٢١

٨ سراقة بن مرداس البارقي : (١) اخباره في الاغاني ٤٤و٦٧ ج٧ و٣١ ج ٨

٩ سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس اخباره في الاغاني ١٢٧ ج ١١

١٠ عبدالله بن ابي معقل من : الخزرج حجازي « « ١١٦ ج ٢٠

١١ « « الحشرج الجعدي : سيد من سادات قيس ولي الولايات ومدحه زياد الاعجم ترجمته في الاغاني ١٥١ ج ١٠

١٢ العجاج الراجز (٢) : اخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ والاغاني ١٢٤ ج١٨

١٣ عروة بن اذينة : من كنانة اخباره في الاغاني ١٠٥ ج ٢١ وابن خلكان ٢١٢ ج ١ والشعر والشعراء ٣٦٧

١٤ عقيل بن علفة : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والعجرفة والبذخ من بيت شرف في قومه اخباره في الاغاني ٨٥ ج ١١ و٩٩ ج ٢

١٥ ليلى بنت طريف الشيباني : راس الخوارج اخبارها في الاغاني ٩ج ١١

١٥ مالك بن اسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة الحجاج اخباره في الاغاني ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢

١٦ مالك بن الرَّيب : من مازن نشأ في بادية البصرة وهو من اصحاب المراني واخباره في الاغاني ١٦٣ ج ١٩ والشعر والشعراء ٢٠٥

١٧ محمد بن بشير الخارجي : من قيس شاعر حجازي من اهل المدينة كان منقطعاً الى ابي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي . قدم البصرة وخطب امراة اشترطت عليه الاقامة بها فأبى واخباره في الاغاني ١٤٨ ج ١٤

١٨ مرة بن محكان السعدي : من تميم عاصر الفرزدق وجريراً واخملا ذكره كان شريفاً جواداً اخباره في الاغاني ٩ج ٢٠ والشعر والشعراء ٤٣١

١٩ المقنع الكندي : شاعر جميل الخلقة شريف واخباره في الاغاني ١٥٧ج ١٥

٢٠ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي : واخباره في الاغاني ١١ ج ١٥

٢١ يعلي الاحول : من القحطانية لص كان يقطع السابلة اخباره في الاغاني ١١١ ج ١٩

(١) له ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية (٢) له ديوان مشروح في المكتبة الخديوية . وفيها كتاب خطي اسمه رجز العجاج

الدور الثالث من الشعر

في العصر الاموي

من ١٠١ — ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في اواخر الدولة الاموية وهو دور انحطاطها وفسادها بعد ان تولاها يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد والناس على دين ملوكهم . فاكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف من سائر العصر الاموي اشهرهم يزيد بن الطثرية وابن ميادة وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهاك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموي مرتبة على الابجدية وبجانب كل منهم المكان الذي يرجع اليه في مطالعة اخباره :

١ ابو حية النميري : من عاصر مدح الخلفاء في الدولتين وكان ساكناً في البصرة وكان جباناً اهوج بخيلاً اخباره في الاغاني ٦٤ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٨٦

٢ ابو العطاء السندي : عاصر الدولتين اخباره في الاغاني ٨١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٨٢

٣ ابو نخيلة الراجز الحماني : (تميم) نفاه ابوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين ولقي المنصور واخباره في الاغاني ١٣٩ ج ١٨ والشعر والشعراء ٣٨١

٤ جعفر بن علبة الحارثي : (كهلان) شاعر غزل وفارس واخباره في الاغاني ١٤٦ ج ١١ وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤

٥ حريث بن عناب : من طيء بدوي مقل لم يتصدَّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء اخباره في الاغاني ١٠٢ ج ١٣

٦ الحسين بن مطير : مولى بني اسد شاعر فصيح مدح الدولتين اخباره في الاغاني ١١٤ ج ١٤ وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢

٧ رؤبة بن العجاج الراجز [1] : اخباره بالاغاني ٥٠ ج ٢١ والشعر والشعراء ٣٧٦

٨ سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٧

٩ يزيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم في الطائف مدح الوليد بن يزيد. اخباره في الاغاني ١٤٦ ج ٦

(١) له ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣

خاتمة

اما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الاموي فقد راينا ان نختم المقال ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماماً للفائدة

كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم

مهما بلغ المرء من سموّ المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فانه لا يستغني احياناً عن شحذ قريحته او ذهنه او استحثاث خاطره وخصوصاً في الشعر اذ كثيراً ما تعرض للشعراء فترة في خواطرهم لا يجدون معها قدرة على النظم . قال الفرزدق « قد تمرُّ عليَّ الساعة وقلع ضرس من اضراسي اهون عليَّ من عمل بيت من الشعر » ويرى آخرون ان الشعر مثل عين الماء ان تركتها اندفنت وان استهتنتها هتنت يريدون انه لا بد للشاعر من استحثاث قريحته من وقت الى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثاث قرائحهم تختلف باختلاف امزجتهم وعاداتهم وطبائعهم . سئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر فقال « كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحه » قيل له وعنه سألناك ما هو قال « الخلوة بذكر الاحباب » فهذا لانه عاشق . وسئل كثير عزة « كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر » قال « اطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل علي قرصنه ويسرع الى احسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها كما فعل الفرزدق وقد افحم عند سماع قصيدة حسان التي مطلعها :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقد امهله قائلها ثلاثة ايام حتى يجيب عليها وكانت ساعة جمود على قريحته فاضطر الى استحثاثها — قال « اتيت منزلي فاقبلت اصعد واصوب في كل فن من الشعر فكاني مفحم او لم اقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادي بالفجر فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى اتيت رياناً وهو جبل بالمدينة ثم ناديت باعلى صوتي أخاكم اخاكم ابا لبنى يعني شيطانه فجاش صدري كما يجيش المرجل ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتاً » على انه كانت عادته اذا خانته قريحته وصعب عليه الشعر

ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده

وكان الابيرد الرياحي اذا خانته القريحة اخذ عصاه وانحدر في الوادي وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأتيه المعاني . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ ويتمرَّغ بالرمل او على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عرياناً حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجنة . وسئل نُصَيب مرة أتطلب القريض احياناً فيعسر عليك فقال « اي والله ربما فعلت فآمر براحلتي فيشد بها رحلي ثم أسير في الشعاب الخالية وأقف في الرباع المقوية فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر »

ويقال نحو ذلك في احوال الشعراء في سائر الاعصر. وكان ابو تمام اذا اعيته القريحة غطس في صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على ان لاستحثاث القريحة قواعد عامة يجري عليها كثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجاري او الاشراف عن الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية او التجول في الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة او قريحته بالاستلقاء على الظهر ولعلهم مجمعون بالاكثر على مباكرة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطاناً يوحي اليه المعاني حتى لقد يتوهم الشاعر منهم انه رأى شيطانه وخاطبه واوحى اليه . ولهم في ذلك اخبار طويلة ذكر بعضها في جمهرة اشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك مبني على اعتقادهم بوجود الجن طوائف وينسبون اليها اشعاراً واقوالاً لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم في شياطين الشعراء ان للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره [1] وزاد ادعاؤهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » [2]

وفي كتب الادب اخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر

(١) جمهرة اشعار العرب ٢٤ (٢) رسائل ابي العلاء ١٠٧

من ذلك ان رسولاً من عند بشر بن مروان جاء جريراً فدفع اليه كتاباً وقال له « انه قد أمرني ان اوصله اليك ولا ابرح حتى تجيب عن الشعر في يومك ان لقيتك نهاراً او ليلتك ان لقيتك ليلاً » واخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها . فأخذها ومكث ليله يجتهد ان يقول شيئاً فلا يمكنه (قالوا) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له « ازعمت انك تقول الشعر ما هو الا ان غبت عنك ليلة حتى لم تحسن ان تقول شيئاً فهلا قلت :

يا بشر حق لوجهك التبشير هلاَّ قضيت لنا وانت امير »

فقال له جرير « حسبك كفيتك » وما زال حتى أتم القصيدة

وذكروا عن كثير عزة انه قال ما قلت الشعر حتى قوّلته قيل له وكيف ذلك قال: بينا انا يوماً نصف النهار اسير على بعير لي بالغميم او بقاع حمدان اذا راكب قد دنا مني حتى صار الى جنبي فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الارض جرًّا فقال لي « قل الشعر » والقاه عليَّ قلت « من انت قال انا قرينك من الجن » فقلت الشعر

الشعراء والقراءة

وكانت القراءة في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس اهمهم حفظة القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . اما اهل البادية فيظهر انهم ظل معولهم على الذاكرة وخصوصاً الشعراء فقد كانت طائفة من فحولهم لا يقرأون وخصوصاً في الجاهلية فاكثرهم كانوا أميين . أما في الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لا يقرأون وخصوصاً اهل البادية فلعلهم كانوا يعولون على الرواة أو على الحفظ . ومن شعراء العصر الاموي الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق وقد وقفنا حيناً عند ما تبين لنا انه لا يقرأ لعلمنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضاً في سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم — وذلك انه قال شعراً اساء مروان بن الحكم وهو والي المدينة فدعاه اليه وتوعده واجله ثلاثاً وقال « اخرج عني » فانشأ يقول الفرزدق :

دعانا ثم اجلنا ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عني اني اجبته فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما امرتك فاجلس
ودع المدينة انها محظورة والحق بمكة او ببيت المقدس

فعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله مابين مكة والمدينة بمائتي دينار . فارتاب (الفرزدق) بكتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروان ان مطيتي معقولة ترجو الحباء وربها لم ييأس
آتيتني بصحيفة مختومة يخشى عليَّ بها حباء النقرس
الق الصحيفة يافرزدق لا تكن نكداً كمثل صحيفة المتلمس

ورمى بها الى مروان. فضحك وقال «ويحك انك أميّ لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرأها ثم ردها حتى اختمها» فذهب بها فلما قرئت اذا فيها جائزة فردها الى مروان فختمها وامر له الحسين بن علي بمائتي دينار (١)

فتبين لنا من ذلك انه لا يقرأ فاذا صح ذلك بالفرزدق فكيف بسواه ويقال ان ذا الرمة ايضا كان لا يقرأ

الخطابة والخطباء

في العصر الاموي

ظلت الخطابة على جلالة قدرها في العصر الاموي لحاجة القوم الى استنهاض الهمم في جمع الاحزاب أوتفريقها أوالتحريض على النهوض لحرب ونحوها فكان اكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من ابلغ رجال الخطابة . فالحجاج بن يوسف كان خطيباً بليغاً زادته الخطابة عظمة وسطوة — كان العراق متمرداً على عبد الملك فلما اعجزه امره ولى الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر متلثماً متنكباً قوسه واضعاً ابهامه على فمه فاحتقره الناس وكادوا يرمونه بالحصى كما كانوا يفعلون في الولاة قبله . فوقف وازاح لثامه عن وجهه ولفظ خطبته التي قال في مطلعها :

انا ابن جلا وطلاَّع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

الى ان قال :

(١) الاغاني ٤٣ ج ١٩

« أما والله لا احمل الشر بثقله واحذوه بنعله واجزيه بمثله . أما والله اني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وكأني ارى الدماء بين العمائم واللحى

هذا اوانُ الشرِّ فاشتدّي زيم قد لفها الليل بسوّاق حطم

« ألا وان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان كبَّ كنانته فعجم عيدانها فوجدني اصلبها عوداً فوجهني اليكم . فانكم أهل بغي وشقاق وخلاف ونفاق طالما سعيتم في الضلالة وسننتم سنن البغي اما والله لالحونكم لحو العصا ولاعضبنكم عضب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب عزائب الابل . والله ما احلف الا فريت ولا اعد الا وفيت ... الخ » (١)

فما فرغ من خطبته حتى هابوه واذعنوا له وكان شديداً عليهم وامره مشهور . ومع ذلك فقد كان اذا رقي المنبر وذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه يخيل للسامع انه صادق وأن أهل العراق ظالموه (٢) ولذلك كان الامراء والخلفاء يخافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في اقوالهم من التأثير في تلك النفوس الحساسة

وكان اكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة العارضة على ان تلك القوة اخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس في اسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ وتحولت من الحماسة الى المواعظ ثم الى الشكاية . وتداعى فن الخطابة بتداعي دولة العرب في الشرق فلما قامت دولتهم في الاندلس بعثوه وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم أو اخماد الفتن لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح . على انهم كانوا اذا احتفلوا بتنصيب خليفة او بالنصر على عدوّ أو باستقبال قادم كبير تقدمت الخطباء للترحيب به واعظام شأنه أو شأن مقعده ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٣)

وأما الامراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الاغارة على العدو فيحرضونهم على الثبات . وكثيراً ما كانت الخطبة سبباً للنصر كخطبة خالد بن الوليد في وقعة اليرموك وخطبة المغيرة في وقعة القادسية وخطبة خليد بن المنذر في غزوة فارس وخطبة طارق بن زياد في فتح الاندلس ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

(١) العقد الفريد ٧ ج ٣ وغيره (٢) البيان ٢٠ ج ١
(٣) نفح الطيب ١٧٥ ج ١

ناهيك بشيوع الخطابة في القبائل على اختلاف اصقاعها كما كانت في الجاهلية. وكانت ترد الوفود الى المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة أو استنفاره أو استنجاده أو استجدائه. وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (١) ولاقتباس اساليب البلاغة منهم

الانشاء في العصر الاموي

كان الانشاء في عصر الراشدين جامعاً مانعاً وفيه بلاغة وايجاز كما تقدم وقدعلمت ان الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة ذلك. وكان الخلفاء والامراء ينشطون اهل الادب وا كثر انشائهم في المراسلات بين الخليفة وعماله يتحدون بها مكاتبات عصر الراشدين وقد ذكرنا امثلة من ذلك في مكانه على ان اقتراب الدولة الاموية من الحضارة اثر في الانشاء ونوَّعه وأطاله ونشأت طائفة من الكتاب (اي كتاب الرسائل) في الدولة فاصبحت الكتابة مهنة. وبعدان كان الكاتب في زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتب المراسلات اصبحت الكتابة في الدولة الاموية خمسة اصناف لكل منها كاتب خاص — ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع اسراره. فكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب ابلغ المنشئين. وكان للبلاغة نشأة في سياستهم كما كان للشعر لان القوم يومئذ لا يزالون في عهد الفروسية والاريحية تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن اشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك وقدنقل شيئاً من رسائل ارسطو الى الاسكندر وله رسائل في ١٠٠ ورقة (فهرست ١١٧) وكان للامراء كتَّاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من اخبارهم الا القليل وكان الانشاء في اثناء ذلك يتنوع ويرتقي حسب الاحوال وعملاً بناموس الارتقاء فلم تنقض الدولة الاموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها او أتمها عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد وصار لهُ اسلوب خاص نسب اليه وتحداه الكتاب فيه

(١) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيي بن سعد مولى من اهل الشام اي اهل البلاد الاصليين الذين دخلوا في الاسلام فهو ليس عربياً. وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه في الرسائل فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد. وكان في اول امره معلم صبية يتنقل في البلدان ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ومات معه سنة ١٣٢. ويمتاز عبد الحميد بانه اول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع في الف ورقة لم يصل الينا منها الا القليل

وفي الكتبخانة الخديوية رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

الخلاصة

ان الامويين نشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة فارتقت في ايامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة وكثر الشعراء ونظموا في كل باب ولم يصلنا كل ما نظموه

وفيه بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات وفيه رسخت اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها. وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

اما ماخلا الشعر والخطابة فلم يصلنا من ثمار قرائح اهل العصر الاموي كتاب في علم من العلوم. واهم مابين ايدينا من المؤلفات الشرعية او اللسانية او الادبية او في التاريخ والجغرافيا او في اي علم من العلوم انما هو من ثمار العصر العباسي الآتي ذكره. اما التفسير الذي ينسبونه الى عبدالله بن عباس فقد تقدمت الاشارة اليه حتى الشعر الاموي فانه لم يصلنا الا على ايدي الرواة من اهل العصر العباسي

تم الجزء الاول

فهرست الجزء الاول

من تاريخ آداب اللغة العربية

كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح . ووصف مؤلفاتهم واماكن وجودها اوطبعها من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن

تأليف

جرجي زيدان

منشئ الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ ويدخل فيه تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج العلم في اواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
سنة ١٩١٢

المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة او التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الاَّ من يحصر كتابته في شؤون خصوصية او يعالج علماً يلذُّ له ولا يهم سواه . او يتعاطى الكتابة لاغراض معينة . او يكون مرماه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعاني العويصة والالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماساً لاعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء — فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم او لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا اقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة — مع انه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه بلسانه

واما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدَّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني ان يسبكه في قالب يسهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة او حزب . والكتَّاب يتفاوتون قدرة على القيام باحد هذه الشروط او كلها بتفاوت احكامهم على النافع او الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح افكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها — بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

اما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى اعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه — وهو شائع اليوم على اقلام الكتاب لا يشذُّ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلُّ بيعه او التصرف فيه . وفاتهم انها من قبل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير احوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب العصرية للافكار العصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها . كالاعضاء المهملة في الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . او هي كالحويصلات التي تدثر بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغيير الذي يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف الاعصر دليلٌ على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف في سبيل هذا التغيير فقد عارض الطبيعة — كما يفعل الصينيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

اما صدق اللهجة والصراحة في القول والخلو من الغرض فهي من اهم واجبات الكاتب لكنها من اصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من الروابط الدينية او الاجتماعية التي تجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره بتوالي الاعوام . وانما يقوى على مغالبتها قويُّ الارادة عالي التربية . وقد يتطرف المتعصب لامته اوطائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضرُّ

اما المواضيع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه او ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه واسلوبه في تأديته . وفي مقدار ما يضمّن كتابه من الحقائق او المواد . لان من الكتّاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وترويقها وتمنيقها ولو جرَّ ذلك الى تبديد المعنى اوغموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف او تأنق ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء — هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديها في ما نكتبه . لاننا نرى الامة في حاجة الى الحقائق اكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته . ولاننا نعلق عليه اهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ اداب اللغة

واختلف الكتّاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم . او بمعناه العام لكنه لايتجاوز النظر في تاريخه مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه او بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وامثلة من اقوالهم بدون التعرض لكتبهم . او يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم واطوار العلم . ومنهم من يكتفي باطراء اصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الامم الاخرى . اما نحن فقد اردنا ان نجمع بين ذلك كله على ما يبلغ اليه الامكان

نسق هذا الكتاب

فقسمنا كتابنا الى اعصر بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرّخنا كل علم في كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا اهم تلك الكتب ومنزلتها من سواها . واشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في اشهر المكاتب الكبرى بمصر او الاستانة او اوربا او غيرها من المكاتب العمومية اوالخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . فنرجو ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا اليه لننشره خدمة لا داب هذا اللسان . وذيلنا كل ترجمة او باب باشهر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة او التوسع في ذلك الباب

فمن احب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الاداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا اراد الاطلاع على ترجمة عالم او شاعر او اديب اونحوي او لغوي او مؤرخ اوجغرافي او اي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب واين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد الفنا هذا الكتاب للناشئة العربية اوطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية واماكنها للمطالعة او التأليف . او يعوزهم درس موضوع او

الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب احدهم في درس تاريخ امة او دولة او موضوع من المواضيع الاجتماعية او الاخلاقية او اللغوية واحب الاطلاع على ما قاله العرب فيه ولا يدري من الف فيه منهم وهل ما الفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه وهل طبع واين واذا لم يطبع فاين يوجد ؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب او الشعر او التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك ايضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولها او تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آنسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكوّن العلوم . فاقتنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب الينا البعض الآخر أن نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنفعل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . اما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . واما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة واسلوباً بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدلُّ على حرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحكم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعاً ولو اوتي علم الاولين والاخرين

ومما تحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليله من الامثلة الشعرية اوالنثرية ولكن ذلك ما اردناه . ولو اكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن اراد التوسع فليطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجلدين . و« مجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً نمَّ عن ادبه وفضله ودلَّ على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أو قبل اوانه . فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلاً كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكر اكثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولاً في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانهُ تقدم الينا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان واشرنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا أخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فانا سنتدبر ملاحظاته وننظر فيها باخلاص وامتنان . وفي كل حال فانا قد استفدنا من انتقاده جزاه الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ اداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ ﻫ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة من ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢—٢٣٢ ﻫ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة

والثاني (سنة ٢٣٢—٣٣٤ ﻫ) هو فترة بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤—٤٤٧ ﻫ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء

والرابع (سنة ٤٤٧ — ٦٥٦ ﻫ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فاكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء اي من تكوُّن العلوم الى نضجها . واجلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

الخلاصة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنَّا فذلك ما اردناه وهو فرضٌ اديناه . والاَّ فقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق



العصر العباسي او الدولة العباسية

من سنة ١٣٢ — ٦٥٦ﻫ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً بيناً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية — الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والمؤرخون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن — من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ ﻫ وقد تقلبت آداب اللغة العربية في اثنائها بتقلب الدول وتغلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالها . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار اواعصر وهي :

١ — الدور او العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ﻫ ونسميه العصر العباسي الاول

٢ — العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ﻫ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ﻫ

٣ — العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ

٤ — العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها في ايدي التترسنة ٦٥٦ ﻫ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى احوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية. ونمهد الكلام في ماكان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد اشرنا الى شيء من ذلك متفرقاً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خدمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه راساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلاً خاصاً لبيان ذلك

١ — العلوم التي تفرعت من القرآن او نشأت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا باسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ماكانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولانظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهومنثورمقفى على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعرولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والخلافة . وهو اول كتاب اخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مرَّ ذكرهم . واخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف . وعلل القرآن . وكتابة القرآن . وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن النـاس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريءٌ من المشركين ورسولِه » بخفض رسوله فصنف باب العطف والنعت وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو او الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة اي انه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب واساليبهم . ولما اخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا ايضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجرَّهم ذلك الى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وامثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن — قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية او ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم اسلوب لم يألفوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهـذا المعنى او ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزمخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيـه استغرقت مجلداً ضخماً افرد بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن — قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء «وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن ايضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا اشكل عليهم فهم آية او اختلفوا في تفسيرها او حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعـد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من اهل القرائح في جمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغـاته وتلفيقه واحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء

﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين علماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات . وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة ان لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « ان الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات او قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين او النحاة او الفقهاء او الحفاظ او النسّابين او غيرهم . وكان ذلك من اهم اسس علم التاريخ . واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم . وكتاب تهذيب الاسماء فان من اهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك ان المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاخبار للعبرة والموعظة كقوله « لقد كان في قصصهم عبرة للأولي الالباب » وقوله « ومثلاً من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافيا ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا او تقويم البلدان او الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حملته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً او عنوة . فجرهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الارض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها او آذانٌ يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢- تأثير القرآن في آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لايقلُّ عن ذلك احدثه القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهاك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً وبلاغة . والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات . فمارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي بتحدي اسلوبه واقتباس آياته . فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلاً وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرّض اهله على طاعة اخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤ . وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم تزين بشيء من القرآن « الشوهاء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من اساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . واقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على السنة الرواة . على انهم نقلوا الينا من اساليب الخطابة في الجاهلية ما يخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ — والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان . ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدّل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . واخذ الكتّاب يحدون القرآن في الايجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملاً بالحديث القائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ • وكان لتلك الرسائل تأثيرٌ مثل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء — كان الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل اليه . وقد اتينا بامثلة من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٩٩

وكانوا اذا ارادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام فهي كالترصيع او التطريز ولايزالون يفعلون ذلك الى اليوم • ويكفي مثالاً على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن ابي طالب في خطبه ورسائله — ثم كان للانشاء تاريخ سنأتي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن او الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين • قال ابو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت ان العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت ان صارت عالة عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب او علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره باساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها • ويرى المسلم في القرآن اماكن يتنسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ — تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية في الامم الاخرى — ذلك انه اطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي . لان الاسلام يفرض على كل مسلم ان يحفظه ويطالعه — لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين اصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتفرق اصحابها امماً وطوائف وامحت الدولة الرومانية والامة الرومانية كما امحت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقبط في مصر — وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

اما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها . ولولاه لكانت كل امة من هؤلاء تتكلم لغة لاتفهمها صاحبتها . ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وفناؤها او اندماجها في الامم التي تسلطت عليها كما اصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لكنها الآن تجتمع وتتكاتف لانها تتفاهم بلغة واحدة هي لغة القرآن وتعد نفسها امة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في اقصى الشرق كالهند والصين او باواسط اسيا في تركستان وخراسان وفارس . فان عدد قراء العربية يزيد على مئتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الاناجيل بلغاتها الاصلية فئة قليلة . واكثر امم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها . أما القرآن فالمسلمون يقرأونه في اللغة العربية

وبعدٌ من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في اخلاق اصحابه . ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثيرٌ عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم — وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان • ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه . فالمسيحيون يشتركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك اليهود وغيرهم

واعتبر ذلك في القرآن بل هو اشدُّ تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم اطفال . وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية والدنيوية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم العائلية حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استنباطه منه أو تجد له مثالاً فيه . وهذا لا تراه في الاناجيل مثلاً فانها كتبٌ تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعاً او حكومة او احوالاً شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق الامة التي كتب الكتاب لهم او بلسانهم بما يلائم اخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما تختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن اخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية او الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو الفوا في الفلسفة او الطب او الفلك او الحساب اوغيرها من العلوم الرياضية اوالطبيعية. فضلاً عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب ونحوها

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الاخرى



العصر العباسي الاول

او المئة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هزَّ اركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترك والتتار والهنود — حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول او على اثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتّاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها عرب وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم واجناسهم وعناصرهم وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب اهل البادية من القبائل التي نزحت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمرانها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها

وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش واركانهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة او علم أو ادب الا يمّم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً

ولا يزهو العلم الا في ظل امير يتعهده ويأخذ بايدي اهله — والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم : يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتي » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبتي باهل بيتي ألاّ يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشد عليَّ من مصيبتي بابني » [1]

وكان للمنصور دفاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته [2] . وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق [3] وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغاني ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢

تشبيبهم قبل المدح وكان يكره الغزل [1] اما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا [2] وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وفضله وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بابناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه « ادب ابراهيم » وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً والف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجارح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان تزهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لا تجد نهضة الا كان للملك اوالامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق وارادة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في ايامهم من المجوس وغيرهم . غير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعيًّا وكان وزيره يحيي بن اكثم سنيًّا ووزيره احمد بن ابي دواد معتزليًّا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فاولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

(١) الاغاني ٥٥ ج ٣ (٢) الاغاني ٣٩ ج ٥

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدنية قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون المال في تقريبهم واستحثاث قرائحهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم ايادٍ بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالي (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصروهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالي واستخدموهم في امور الدولة . فارتفع شأن الموالي من ذلك الحين واكثرهم من الفرس . اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالي وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري مما لم يسمع به قبله حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادوهن كما يتهادون الحلي والجواهر [1] . وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم وشاع تسريهم كما يتسرون الجواري ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء [2]

فالانقلاب السياسي والاجتماعي المشار اليه احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيجيء



(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ (٢) الاغاني ٢٠٨ ج ٦

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في اربعة ابواب :

الاول : العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ : العلوم الشرعية الاسلامية التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى

ولنبدأ بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساننا لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب — نعني الكلام في ما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ اصبح معظمها في زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بنفذلكة اجمالية

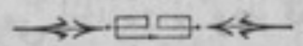
امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم — كما فعل العرب في اوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالفوا لهم الكتب باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة ابحاث رجال العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمنة التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان — ولا يراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهله راساً ولكنهم جاؤا والعلوم قد تحلبت بتوالي الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام في ما نقله العرب من ذلك



آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينا في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بخلاصة تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على أثر الحروب المورية فانها توالت ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقدمونيين واصبح الاثينيون بعد العز اذلاء فساقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع اساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية أوسياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظمة اصاب اهلها اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لا حيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . واصبح اهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت اسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت اذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق احوالهم ونفوسهم تشتاق الى الزيادة



ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو احد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية او هو محوّل الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون اذيتهم او

يسعون فيها . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الأثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه



ش ٢ : افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكيرينية والكلبية والاشراقية . وهذه الاخيرة اشهرها وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والنقليات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والآلهة عنده ثلاث طبقات : عليون ومتوسطون وسفليون وعلم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطاليس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهمه تزويق العبارة او



ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهمه الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على أثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقل احد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفى سنة ٣٥٧ ق م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتقاد



ش ٤ : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية . وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية . وما زالت كتب ابقراط معوَّل الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرها او ترجمها او علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادىء هذا العلم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند انفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقلَّ من جاء بعده من فلاسفة اليونانيين لم يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمنس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفى سنة ٥٠٠ ق م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يونانيٌّ من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية

ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس



ش ٥ : اوقليدس

وقد عقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث



ش ٦ : ارخميدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين . وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخيدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد والف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام



ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشريح وفاقوا به سواهم

وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في اواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه . واصبحت كتبه معوّل الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم امة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتنع على اعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اواسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا تخلو من ادب وعلم والفرس اهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية (١) واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انو شروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب (٢) والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٤٢

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية (١) وانشأ في جند يسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي لجمع بين الحسنيين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمنا في هذا المقام ماكان عندهم من علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لانفسهم

كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور. ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني بلندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريوس وكتاب النفس وغيرها وقد نشر بعضها من عهد قريب

وفي اوئل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج منها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سويرس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني وأثناسيوس

(١) E. Browne's Lit, Hist. of Persia, 167.

بلد . ومن تلامذته أثناسيوس جورجيوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرهما مما يطول شرحه . واشتهر هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم فيها كل العلوم العقلية والنقلية

اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على أثر انشاء مارستان جنديسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واثانوس الامدي وسمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في أثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السريانية فقط او الى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العلياء منهم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة اطباء ألفوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وابراجها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhânta هو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعنهم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والاداب عند الامم المتمدنة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور وكان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب . والمهدي قلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم (١)

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم . واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعاً على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل . وحبيش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وال الكرخي . وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحيى بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدي . هؤلاء اشهر نقلة العلم من اليوناني او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

واما النقلة من الالسنة الاخرى فنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التميمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهريار . والحسن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٠ ج ٣



ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

بن سهل وكان من المنجمين . والبلاذري احمد بن يحيى . وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيارنامه . ومنهم محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنو شاكر وبنو موسى لانهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعدهم ببني المنجم . كان موسى يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكيات وغيرها . واتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم واحضروا النقلة بالبذل لنقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبدالملك الزيات وعلي بن يحيى المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فعددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو وعشرة في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالاوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانية او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ماكان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فاخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكانهم ورثوا اهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

واليونان وقد مزجوا ذلك كله وعجنوه واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من امر ذلك النقل ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوذيسته . والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . واما التواريخ والاداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالباً من عند انفسهم حبًّا في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم فالمترجمون الفرس نقلوا شيئاً من تواريخ الفرس وادابهم وكذلك فعل التراجمة السريان باداب اجدادهم وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان في اولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان لنقلوا كثيراً من تواريخ امتهم واشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الالياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في الشاهنامة ايضاً كثيراً من ذلك فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت

ويلاحظ ايضاً ان العرب نقلوا من علوم تلك الامم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون وذلك شأن المسلمين في اكثر اسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر امم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العمومية . وخصوصاً مما نقل عن الفارسية لان معظمه في الادب والتاريخ . كما اثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الافرنج فضلاً عن دخول الفرس في كل باب من ابواب الدولة . فدخل الاداب العربية والافكار العربية كثيراً من آداب الفرس الساسانيين وافكارهم اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ونتف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ووضع فيه كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩[1]

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما الفوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما اختبروه واضافوه اليها من عند انفسهم . واكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى السنتهم كما سنبينه في مكانه

---

(١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

الباقي من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الان فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :

كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرهما

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه منها رسائل في الطب والاخبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية واشار الى اماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة الاسكوريال ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن . وكتاب النواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو

وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة في ما يلي من هذا الكتاب ولا سيما الذين اشتغلوا بغيرها وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية في ما نرجو نفعه للقراء فعلاً . ولنعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ احوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنويعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الا مفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

وافعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ومخمر ومحكك ومفرح واكال ولاذع ومفتت ومعفن وكاوٍ ومبرد ومقوٍّ ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرّ ومعرق ومزلق ومملس وترياق وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والهتك والوثي والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والجبار وغيره

ناهيك باسماء الامراض اواعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشترة والشرناق والخانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء

والديلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كالمزمنة والحادة والمختلطة والغب والمطبقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كاسماء الاوعية الدموية ورطوبات العين وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام. والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومئة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و« كليات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم كالافسنتين والبقدونس والزيزفون والسقمونيا والقنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية والبابونج والبورق والبنج وخيار شمبر والزانبنج والرجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية ومن المصنوعات والادوات الاصطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجنزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولى والاسطقس والفلسفة والطلسم والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر في ما ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك وان كنا لانستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه. على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً . واذا دققنا النظر في سبب ذلك راينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية
(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم
(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول
(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه
(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني وباقلاني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال أل التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللاأدرية واللاضرورة

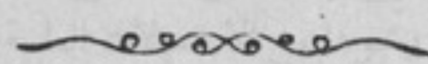
(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللمية والكيفية والكمية والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائية والمنضجة والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و«صاحب الستار» وهو تعبير فارسي . غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة . وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها . وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلتراجع هناك

ما آخذ هذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره «كتاب التعريفات» للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و«درة الغواص» للحريري طبع في مصر وغيرها . و«شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ و«المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب «المعرب والدخيل» لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . و«المغرب في ترتيب المعرب» لابي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة



الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة . فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم . وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها يبيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . لا عشير له الا جواده او ناقته — اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بازهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء او يحتذي النعال من الخوص او الجبال لبس الحرير والوشي — وانتعل الخف والجورب وتخفف بالغلائل والملايات . واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشاؤون . وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم . فانتشر التهتك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم . فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد ويندر فيهم المتحضرون . اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك — كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب . حتى حبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون حجاً للناس [١] وفعل ولم يفلح

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر الاموي طبيعي وفي جملتهم الشعراء وخيالهم — واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة وآدابها وسائر احوالها . فخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ — طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم واهم ما يلاحظ في النظم ثلاثة امور (١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يحتذون طريقة الجاهليين في ما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيرها من خصائص الجاهلية . حتى الالفاظ فانهم كثيراً ما يقلدونهم بها وفيها الوحشي الذي لا يلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس

والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب . فرسخ في اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس وغُلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سائر نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لا يزال في مكانه — هذا هوميروس لا يزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأناً خاصا من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم نعني الشعراء والخطباء والمترسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية [١] فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة — ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لا يدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يحتذون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقبيح تلك الطّريقة واول من تجرا على نقدها من الادباء ابن قتيبة في اواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء [٢] وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على ان الشعراء تنبهوا الى هذا الامر من صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حرية القول . واصبح حديث الشعراء في مجالسهم انتقاد تلك الطريقة واقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من اهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارُ بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى [٣]

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥
(٣) الاغاني ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد

ومن هذا القبيل قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم   فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلالَ والمنزل القفرا   فقد طالما ازرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ   تضيق ذراعي ان اردَّ له امرا

فسمعاً امير المؤمنين وطاعةً   وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عندهُ فراغ وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى الجاهليين حتى الآن

وأثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية اوحفظ فيها من آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيالاً لطيفاً وزادت فيه معانٍ جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ — المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه. وفي الواقع انهم طرقوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معان خاصة . اوهي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى ما زادوه من المعاني وما زاده الذين جاؤا بعدهم — علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقةٌ   والاذن تعشق قبل العين احيانا (٢)

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم   الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وقول ابي نواس :

فكأني وما ازيّن منها   قعديٌّ يزيّن التحكيما

(١) العمدة ١٥٥ ج ١   (٢) العمدة ١٨٨ ج ٢

كلٌّ عن حمله السلاحَ الى الحر   ب فاوصى المطيق ان لا يقيما

والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه . وقوله ايضاً :

بنيت على كسرى سماء مدامة   مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه   اذاً لاصطفاني دون كلّ نديم

وقال ايضاً في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانيرٍ شددن عقودها   زنانير اعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال ايضاً :

لست ادري اطال ليليَ ام لا   كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي   ولرعي النجوم كنت مخلاّ

ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول ابي تمام :

واذا اراد الله نشر فضيلة   طويت اتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثرى   قبورٌ لكم مستشرفات المعالمِ

غوامض قيد الكف من متناول   وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

غير ما اخذوه من المعاني القديمة او توسعوا فيه ولا سيما النسيب والغزل

٣ — المعاني الجديدة بالاقتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر امثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزؤ والمعاد . ومنها قول ابي نواس :

وذات خد موردْ   قوهية المتجردْ

تأمل العين منها   محاسناً ليس تنفد

فبعضها قد تناهى   وبعضها يتولد

والحسن في كل عضو   منها معادٌ مردد

وقوله : يا عاقد القلب مني   هلا تذكرت حلاّ

تركت قلبي قليلاً   من القليل اقلاّ

يكاد لا يتجزى اقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من اخبار اليونان كاقتباس ابي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكنت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حيا

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر اقوال بعض الائمة ورجال الافكار اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وحضارة العباسيين اكثرعمالها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في اشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد
يجول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا ايضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابراهيم الموصلي المغني في وصف خمار نبطي ــ وكانه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « ازل بشينا » حين ودَّعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (٢)

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدنية من اسماء الانية والابنية والقصور والرياش وسائر اسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء

٤ ــ المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية اقرب الى الواقع وابعد عن المبالغة ثم اخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد ان

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١ (٢) الاغاني ١٢ ج ٥

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما جئته متهللاً كانك تعطيه الذي انت سائله

صار منصور النمري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منها حيث تجتمع
اذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الاقوام متضعُ
من لم يكن بامين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان اخلف الغيث لم تخلف انامله او ضاق امرٌ ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكانه بعد الرسول رسول » وقول العكوك في مدح ابي دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال
ومامددت مدى طرف الى احد الا قضيت بارزاق وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى والانغماس في الرخاء كما ستراه

٥ ــ وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على اثر انغماسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفها لم ينضج الا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . واشهر من نظم في وصفها من شعرائه ابو نواس فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع تجدها في ديوانه . ولذلك عدُّوا ابا نواس امام الوصافين للخمر

اما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد من لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به . واقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك واقتدى به ابو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادها تمكناً من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنة له ولشعرائه . ولحسين المذكور اقوال كثيرة في وصف الغلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

اما ابو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهتك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد النهي عنها . لكنهُ قد يسكر او يتحول اذا طال مكثهُ الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعاب اليوم لانها غير مبنية على الصدفة فقط فلا تعد من العاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها اوهي تجرُّهم الى المقامرة الفاحشة . واصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر باباً من ابواب الشعر

٦ ـ الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من اسباب اللهو ولا سيما الخمور والجواري والغلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء اكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم ابو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة او مثال يدل عليها

٧ ـ وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصافها فيه ابو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستتب نعيمه　　في ظل ملتف الحدائق اخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة　　نثرت به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في اقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة او غوطة الشام او غيرهما من مدن العراق او الشام كاعشي بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة　　خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس فيها كوكبٌ شرق　　مؤزر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً باطيب منها نشر رائحة　　ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

على ان اهل هذا العصر فاقوهم فيه كابي نواس وابي تمام وفاقهما فيه اهل العصور التالية



الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرق بينهم وبين من تقدمهم

قد رايت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم او لانفسهم فخراً او حماسة وقلَّ فيهم المتكسبون بالشعر. ثم تبين لك ان شعراء بني امية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بالسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة . فلما استقرت اصولها اصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب او سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة او الامير ان يقدم شاعراً لعصبية او يستنصره على عدوٍّ . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم بمجالس الخليفة او الامير في مجالس الانس او الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة او الامير من حب العلم او الخلاعة او غيرها

١ — الاستجداء

واصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في اوقات معينة او غير معينة كما كانوا يفدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من اهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الاقامة عندهم . اما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على احدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم او غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب اهل البادية (١) وهم ينقطعون لمنادمة الخليفة او الامير او الوزير او الوجيه يمدحونه او ينادمونه . واكثرهم يختصون بتنادمة الخلفاء او الوزراء ولا سيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد ابن سليمان . او بعض رجال الدولة كابي دلف وابن طاهر

فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة او بلد الا وفد على الخلفاء او غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغاني ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندرفيهم من ينظم الشعرولا يلتمس به جائزة او كسباً . فاذا تحضر صارنديماً اوكالنديم . فقلّ الشعراء الفرسان واصحاب السيادة وكانوا كثاراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر اقل كثيراً

٢ — التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيارالحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثر في شعرائهم اهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل واقل منهم في العصر الجاهلي . ومن اقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائر الطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

اما المتهتكون فبلغ من تهتكهم ان يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام [1] وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون اقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره [2] غير مجالسهم في اماكن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده ابونواس وابو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليع يتذاكرون الشعر وينظمون

واذا اعملت الفكرة في ما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رايت اصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم او من يعاشرهم من الخاصة او الشعراء . فجعفر ابن المنصور افسده مطيع بن اياس [3] ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وابو نواس

٣ — الشعراء الموالي

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصراً في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس . ثم تكاثر الشعراء الموالي في العصرالاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المئة . اما في العصرالعباسي فزادوا على ستين في المئة . وبعد ان كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يفدون ايضاً من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالي كابي نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١٢

برد وسلم الخاسر ومروان بن ابي حفصة . فامتاز اولئك الموالي الاعاجم على اسيادهم العرب كما امتازهوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان — واولها ابن مولى والاخر ابن حطاب [1] . ولم يكن للشاعر العربي بدٌّ من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم

٤ — الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على اثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في اذهان الناس — والفلسفة لم تدخل ديار قوم اهل دين الا شوشت اعتقادهم وتركتهم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رايهم على شيء يدينون به . كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على ان الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معاشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقريب الموالي اهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبثوها في سائرهم — فاتيح لطائفة المعتزلة ان تنشر تعاليمها وانتقاداتها وانتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهروا بانتقاد الدين او الذهاب الى انكاره وكلهم متهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن ابي وردة وابن المقفع ويونس ابن ابي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وابان اللاحقي وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وجداً [2] وكثيراً ما كانوا يشتركون في اموالهم واحوالهم كما يفعل الاشتراكية اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثراحدهم على صاحبه بمال ولا ملك . وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان اولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلايرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسميست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان فقال لهما « فيما انتما ؟ » قالا « في قذف المحصنات » قال « او في الارض محصنة تقذفانها ؟ » [3] ويدل هذا من جهة اخرى على رايهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج١٦ و٨١ و١٠٠ ج١٢ وولكسن ٣٧٤

٥ — اطلاق حرية الاقلام والالسنة

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنة في اواخرذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف فكانت حرية القول في ايامه اشبه بحرية الصحافة في البلاد المتمدنة اليوم . ومن اشهر الادلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو لبني العباس وله فيهم قصائد هجوها شديد واعداؤه يحرضون المأمون على قتله . ومن جملتهم ابو سعد المخزومي فقد كان يستعلي دعبل في اول امره وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما اراده فيه • وكان المأمون يقول « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل ما يكذبه فاما القتل فاني لست استعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل ابو سعد مرة على المأمون وانشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجز او ما رأى بالامس راس محمد

واردفها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « اتأذن لي يا اميرالمؤمنين ان اجيئك براسه ؟ » قال « لا . هذا رجل فخر علينا فافخر انت عليه فاما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الامم الدستورية المتمدنة اليوم في صحافي طعن على امير او ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كانهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن هؤلاء يستكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وانهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب اسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في العقل والحزم . على ان اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من الامويين وارضاء للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنة والاقلام في ايام المأمون تظاهر اعداء العرب بالطعن وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم « اهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة وابو عبيدة الراوية وعلان الشعوبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء الطاعنين وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً في « تفضيل العرب » (١)

(١) اقرأ تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و١٣٥ ج٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى اكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعرمن عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام . وقد علل ذلك ابو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما اهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة اهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق انهم كانوا يتنون برؤساء من اهل الادب ومحبيه كعبد الملك في زمن بني امية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر . اما الامويون فكانوا يقربونهم في اول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت او من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية (١)

اما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الأدب . وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض ادبي كوصف منظر او اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً اهداه اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب . فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصري (٢)

وكان الرشيد من اكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائليه فقد سأل اهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه » فلم يعرفه احد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فارسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابي النشناش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة اين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه (٣)

وكثيراً ماكان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت . وقد سأل اهل مجلسه يوماً عن معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعا فلم ارَ مثله مخذولا

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١١٢ ج ٣
(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) المزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدال بينهما والخليفة يسمع[١] واعطى الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على احسن بيت قالته العرب في الذئب[٢] والمأمون ولى ابن الجهم البرمكي ولاية من اجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك[٣]

٧ — نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي انها صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدلّ على كثرة ما كان يصل الى ايديهم من المال ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠ دينار و ١٥٠٠٠٠٠ درهم غير الضياع[٤] ومثله مروان بن ابي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠ دينار مراراً[٥] وكان ابو نواس يكتسب اكثر من ذلك لكنه كان متلافاً سمحاً . وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . واما ابو تمام فانفق ماله في تجواله الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام والبحتري قهارمة وكتاب[٦] وبلغ من دالة ابي نواس على الرشيد انه كان يمرّ به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه وهو متكىء ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم[٧]

وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهمّ ان يغزو بلاد الاسلام ولم يجترىء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته[٨]

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه[٩] . وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

(١) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٦٫٢ ج ١ (٣) الاغاني ١٦ ج ١٣
(٤) الاغاني ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغاني ١٦١ج٣
(٨) الاغاني ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

واحسن اليهم بعد سماعه ابياتاً قالها منصور النمري استعطفه بها فامر بكف السيف عن ربيعة لاجله

٨ — تأثير الشعر في الهيأة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب ان فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم شعرية ولذلك كانوا اكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله او تناشده او تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في عكاظ وامثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . واما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل اهل الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومختزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من ابياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد او المرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله « رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله ابا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرباً — قال الراوي «فتبعت المرأة وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما اراد وما اردت لافضحتك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيـون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وارادت بابي العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف ان مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال[١]

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صدده لكنها يصح ان تكون مثالاً عنه . لان اهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر انهم نقشوه على جدران منازلهم وانديتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب والمستذظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني . ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطراز الاردية والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

(١) حلبة الكميت ٩٥

حتى النعال والخفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرهما . فكنت حيثما توجهت رايت الشعر منقوشاً او مطرزاً او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير العرب وكانوا في زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات اورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات [1] واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث ان نأتي باخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال ان اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى الخلفاء وتحضروا في بغداد او البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يفدون على بغداد في المواسم ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة او غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على احد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون او ان اكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء اشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء او وزرائهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ ومابعدها

او غرض من ينتمون اليه او يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ ﻫ ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لانه نبغ فيه :

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الامراء
ابو دلامة	ابان بن عبدالحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي
حماد عجرد	ابن مناذر	« بن العباس « طاهر بن الحسين (مشطوب)
بشار بن برد	الرقاشي	محمد بن امية واخوه « ابرهيم بن المهدي
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	العكوك « ابا دلف
سلم الخاسر	اشجع السلمي	محمد بن صالح « ابن المدبر
ابو نواس		مطيع بن اياس « جعفر بن المنصور
منصور النمري	شعراء الشيعة	ابو الشيص « عقبة بن جعفر
ابو العتاهية	السيد الحميري	
ابو تمام	دعبل	
علي بن الجهم	ديك الجن	
حسين بن الضحاك		

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولى بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفدون على الخليفة او الامير فينالون الجوائز ثم يعودون الى بلادهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كلثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن

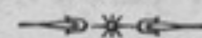
ناهض بن ثومة الكلابي من عامر

ونبغت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع. وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم تقرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ولرفعة مقامهم فلدهم الناس في اساليبهم او استنباطاتهم . وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم:

بشار بن برد	توفي سنة ١٦٧ هـ	ابو العتاهية	توفي سنة ٢١١
السيد الحميري	« « ١٧٣	ابو تمام	« « ٢٣١
ابو نواس	« « ١٩٨	دعبل	« « ٢٤٦
مسلم بن الوليد	« « ٢٠٨		

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز . والا فان كلاً منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه . فنترك ذلك الى من فرغ للدرس والنقد من الادباء



عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ — بَشَّارُ بن بُرْد

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو فارسيّ اصل آبائه من طخارستان أُخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب بن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امراة المهلب . فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار . واعتقته العقيلية فصار مولى . ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاهما لحم احمر . وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلق والوجه مجدراً . وكان اطبع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوّى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى ... صور — ولذلك رايت اكثر العميان من الشعراء يفوقون

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة [1] ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وابو العتاهية وابن ابي عيينه ولكن بشاراً اطبعهم » [2] وقد عاصر اواخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فاعرض جرير عنه استخفافاً — قال بشار « ولو هاجني لكنت اشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي اهل الادب ان له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء » فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى ايام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس منها الان الا نتف متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال ان اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري [3]

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروي من شعر بشار ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرىء القيس فهو عندهم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشاراً اسبق. وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً للعلويين وكان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور . فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

ابا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

وفي هذه القصيدة ابيات حكمية في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح او نصيحة حازم

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٤ ج ١
(٣) الاغاني ٣ ج ٧

ولاتجعل الشورى عليك غضاضةً … فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كفٍّ امسك الغلُّ اختها … وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن … نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة … شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان امر خالد ان يكتبا في صدر مجلسه وهما :

اخالد ان الحمد يبقى لاهله … جمالاً ولا تبقى الكنوز على الكدِ
فاطعم وكلْ من عارةٍ مستردة … ولا تبقها ان العواريَ للردِ

واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار باباً من ابواب الشعر الا طرقه واجاد فيه ومن قوله في الغزل :

لم يطل ليلي ولكن لم انم … ونفى عني الكرى طيفٌ الم
واذا قلتُ لها جودي لنا … خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
نفسي يا عبد عني واعلمي … انني يا عبد من لحم ودم
ان في برديَّ جسماً ناحلاً … لو توكأتِ عليه لانهدم
ختم الحبُّ لها في عنقي … موضع الخاتم من اهل الذمم

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً … صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبهْ
فعش واحداً او صل اخاك فانه … مقارف ذنب مرةً ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى … ظمئت وايُّ الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قولهُ :

يزهدني في حب عبدة معشرٌ … قلوبهمُ فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى … فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبِّ
فما تبصر العينان في موضع الهوى … ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وكان بشار من اصحاب الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون ان الانسان مسوق لا مخير يدلُّ على ذلك قوله :

طبعتُ على ما فيَّ غير مخيرٍ … هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا اعطى واعطى فلم ارد … وقصر علمي ان انال المغيبا

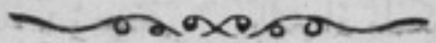
فاصرف عن قصدي وعلمي مقصرٌ … وامسي وما اعقبت الا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يغنه تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبيًا . ولذلك ظل في خاطره شيءٌ عليه . وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه ببيتين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم … ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا … خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات . ولم يخرج في دفنه احد لانه مات وخصمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩



٢ — السيِّد الحِميَري

توفي سنة ١٧٣ ﻫ

اسمه يدلُّ على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً . وقد تقدم انه هو وبشار وأبا العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر . وقد خمل ذكره لانهُ كان يسبُّ الصحابة بتشيعه لعلي فتحومي شعره وتخوف الناس منه . اما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه ويعده بعضهم من طبقة بشار وانهما اشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك ابياتاً وهي :

ايها المادح العباد ليعطى … ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم … وارجُ نفعَ المنزّل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه … وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا ان هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »(١) ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقرَّ الامر لابي العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم ... فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكمْ له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار الا منكمُ فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من ان تملكوها الى ... مهبط عيسى فيكم آيسا

ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سميِّ محمد ... لاتعطينَّ بني عديٍّ درهما
احرم بني تيم بن مرة انهم ... شرُّ البرية آخراً ومقدما
ان تعطهم لايشكروا لك نعمة ... ويكافئوك بان تذم وتشتما
وان ائْتمنتهم او استعملتهم ... خانوك واتخذوا اخراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدؤكم ... بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه ... وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجوائز ان الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته واخباره في الاغاني ٢ ج ٧ وفوات الوفيات ١٩ ج ١

٣ — أبو نُواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانئ ولد في الاهواز سنة ١٤٥ هـ في خلافة ابي جعفر المنصور وكانت امه اهوازية اسمها جلبان وكان ابوه دمشقيًا من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني امية انفذه مروان الى الاهواز فلقي جلبان فاحبها وتزوجها فولدت له اولاداً منهم ابو نواس وابو معاذ . وقبل ان يتجاوز ابو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة او لعل والده مات وترك اولاده في كفالة امهم فاسلمت ابا نواس الى عطار يخرَّج عنده في مهنة العطارة ولكن نفسه

(١) الاغاني ٦ ج ٧

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلاً وصّافاً للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح ابا بجير الاسدي عامل المنصور عليها فمرَّ بذلك العطار فلقي ابا نواس وكان جميل الصورة ذكيا فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فآنس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فهل تصحبني اخرّجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « انا ابو اسامة والبة من الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك ولقد اردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندمائه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون فيهجو بعضهم بعضاً هزلا وجدًّا ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علماً ودربة وكان يختلف الى ابي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه ايام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان ابونواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك اولى ان يقال ببشار لانه اسبق

ويروى عن ابي نواس انه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلأمرىء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلأبي نواس فحسبك » وهو يعدُّ ايضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ماكان لابي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدُّونه امام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء — كان عندهم للشعر الفاظ محدودة واساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله(١) ولكن تقرب ابي

(١) العمدة ٨٣ ج ١

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدونه فيها شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا الناس على دين ملوكهم . واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر ابي نواس لايفي به صفحة او بضع صفحات . وهو اول من توسع في وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بضعة صفحات عديدة من نظمه في هذين البابين فضلاً عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشرنا الى تهتكه في جملة متهتكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا · فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر ان وردت عليه عفواً · وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضُّ ندامة كفيك مما · تركت مخافة النار السرورا

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمتْ في هول كل تنوفة · هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها · صفٌّ تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغنا محمداً · فظهورهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

واخفتَ اهل الشرك حتى انه · لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن قوله في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً · وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها · كمعنى دق في ذهن لطيف

وقوله : مدام تبدت من مقام مشرف · تلوح لنا انوارها ثم تختفي
ولما شربناها ودب دبيبها · الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة ان يسطو عليَّ شعاعها · فيطلع جلاسي على سري الخفي

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها · اكاليل در ما لناظمها سلكُ
جرت حركات الدهر فوق سكونها · فذابت كذوب التبر اخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكانها · بقايا يقين كاد يذهبها الشكُّ

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :

تدور علينا الراح في عسجدية · حبتها بألوان التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها · مهاً تدَّريها بالقسيِّ الفوارس
فللخمر ما زرَّت عليه جيوبها · وللماء ما حازت عليه القلانس

ويظهر انه كان مطلعاً على اقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم والطبيعيات بدليل قوله وفيه الالمام بالفلك :

الم ترَ الشمس حلت الحملا · وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها · واستوفت الخمرُ حولها كملا

ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا · اقلل واكثر فانت مهذارُ
سخنتَ من شدة البرودة حـ · ـتى صرت عندي كانك النار
لايعجب السامعون من صفتي · كذلك الثلج باردٌ حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون ان الشيء اذا زاد في البرد عاد حارًّا . ومن اقوالهم «ان الصندل الابيض اذا افرط في حكه عاد حارًّا مؤذياً» ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

صورة المشتري لدى بيت الـ · ـليل والشمس انت عند انتصابِ
ليس زاويش[1] حين سار امام الـ · ـحوت والبدر اذ هوى لانصباب
منك اسخى بما تشحُّ به الانـ · ـفس عند انتقاص درّ الحلاب
لا وبهرام تستقلُّ به العقـ · ـرب بالليل رائداً في الحساب
منك امضى لدى الحروب ولاأهو · ل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد [2] وهو مطبوع غير مرة في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصلٌ لجامع الديوان حمزة ابن الحسن الاصبهاني في شعر ابي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح (٣) المراثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الخمريات (٩) الخمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون وقد اهمل الناشر باب المجون لتهتكه الزائد

(١) يراد بزاويش (زفس) احد الهة اليونان (٢) فهرست ١٣٩

وتجد اخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦ وابن خلكان ١٣٥ ج ١ وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠ والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ ـ مُسلِم بن الوَليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الغواني وهو من ابناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائحه في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم. وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو اول من الطف في المعاني ورقق في القول وعليه يعول ابو تمام في ذلك وعلى ابي نواس ومن قوله في الوداع :

واني واسماعيل يوم وداعه ... لكالغمد يوم الروع زايله النصلُ
فان اغشَ قوماً بعده او ازرهمُ ... فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

ومن بديعه الذي امتثله ابو تمام وغيره :

اذا ماانكحنا الحرب بالبيض والقنا ... جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

ومن مدحه قولهُ في الفضل بن يحيي :

تساقط يمناه الندى وشماله الـــردى وعيونَ القول منطقه الفصلُ
عجول الى ان يودع الحمد ماله ... يعدُّ الندى غنماً اذا اغتنم البخلُ
له هضبةٌ تأوي الى ظل برمك ... منوطٌ بها الامال اطنابها السبلُ

ومن قوله في وصف سفينة :

اطلت بمجدافين يعتورانها ... يقوّمها كبح اللجام من الدبرِ
كان الصبا تحكي بها حين واجهت ... نسيم الصبا مشي العروس الى الخدر

ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم اعيننا ... ولا نلائم يوماً حين نفترقُ
اقرُّ بالذنب مني لست اعرفهُ ... كيما اقول كما قالت فنتفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ وتجد اخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨ وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ — أبو العَتَاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في اول امره يتخنث فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حداثته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحينما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال « يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا « نعم » قال « لا بد ان يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه قمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم ... مثلنا بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم ... اربحتم ام خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستنشدونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في اول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها :

الا ما لسيدتي ما لها ... ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

اتته الخلافة منقادة ... اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الأ له ... ولا يك يصلح الأ لها
ولو رامها احدٌ غيره ... لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلو　　ب لما قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له « انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه » وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فاحرز نفوذاً عظيماً عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهنأه ابو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع　　فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع

فاذن بادخاله . ولم تطل مدة الهادي نخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد عاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية اوالسنوية

وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى — شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين و ينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر راي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامره الرشيد ان يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فاتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد[1] ولم يتهيب ممايتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفاً من الرجوع عن التقليد . قعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائرا　　ت يدرن صرفها
هن ينتقيننا　　واحداً فواحداً

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم　　ورحى المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف :

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى　　وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا باثقالهم　　وقد ازمعوا للذي ازمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم　　واتبعتهم مقلة تدمع

(1) الاغاني ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً　　اليس مصير ذاك الى زوال

ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه　　تملكهُ المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي انا منفق　　وليس لي المال الذي انا تاركه

وذكروا له ارجوزة حكمية في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبتغيه القوت　　ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا　　من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جعدة وهيأة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم كيف تقول الشعر قال « ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد »

وقد نظم في كل ابواب الشعر وامتازمنها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . على ان تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعدان امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته — فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي انه مولى لليمن وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له « الم تكن تزعم ان ولاءك لليمن » قال « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه خيرٌ ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣ و١٨٦ ج ٦ و٢٤ ج ٨ وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست ١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ — ابو تمّام

توفي سنة ٢٣١هـ

هو عربيٌّ من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج من بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يسقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى اجاده وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فنظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ماكان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه [١]

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء [٢] ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الراثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجلّ الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجا فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها [٣]

ومن مراثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معاً :

لهفي على تلك المخايل منهما لو امهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه ايقنت ان سيكون بدراً كاملا

ومن مدائحه قوله :

سود اللباس كانما نسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابداً على سفر من الاسفار

ولابي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحتري بين فيها احسن

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢ (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال « تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايادٍ فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تمييزاً لها عن حماسة البحتري . حمله على جمعها انهُ نزل عند صاحب له في همدان اسمه ابن سلمة فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح ابن سلمة وقال « وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان » واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همذان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه فشهر فيهم وقد شرحه كثيرون

ومن احسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار من اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابي العلاء المعري وآخر لابن جني منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها

وقد عني في طبع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً فريتاغ في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها الى

الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في ستنغارت سنة ١٨٤٦ . ولابي تمام حماسة اخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر

وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحاً حسنة منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ — دِعْبِل الخُزاعي

توفي سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا يخاف تهديداً . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . اصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه او لم يحسن ولا افلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون :

اني من القوم الذين سيوفهم   قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله   واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقتله الامين حتى تولى المأمون . ومن قوله في هجاءِ المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعةٌ   ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة
خيارٌ اذا عدُّوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة   لانك ذو ذنب وليس لهُ ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم   وصيفٌ واشناسٌ وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد (١) ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها   وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله احد امراء مصر حديث غاظ دعبلاً فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيات   وتبصق في وجهك الموصلُ
وعاديتَ قوماً فما ضرَّهم   وشرَّفتَ قوماً فلم ينبلوا
شعارك عند الحروب النجا   وصاحبك الأخورُ الافشل
فأنت اذا ما التقوا آخرٌ   وانت اذا انهزموا اول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . واكثر مدائحه في اهل البيت لانه كان شديد التعصب لعلي واهله . على انه كثيراً ماكان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم اوليمدحهم ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

ابعد مصرٍ وبعد مطلب   ترجو الغنى ان ذا من العجبِ
ان كاثرونا جئنا باسرته   او واحدونا جئنا بمطلب

ومن اشهر قصائده قوله يمدح اهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حيٌّ من الاحياء نعلمه   من ذي يمان ومن بكر ومن مضرِ
الا وهم شركاء في دمائهم   كما تشارك ايسار على جزرِ
قتلٌ واسر وتحريق ومنهبةٌ   فعل الغزاة بأرض الروم والخزرِ
ارى امية معذورين ان قتلوا   ولا ارى لبني العباس من عذر
إربع بطوس على القبر الزكيّ اذا   ما كنت تربع من دير الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم   وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا   على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت   له يداه فخذ ما شئت او فذر

ومن ادلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملءَ الارض ما اتسعت   فقصَّ مرُّ الليالي من حواشيها
هذا ابو القاسم الثاوي ببلقعة   تسفي الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ان لا هبوب به   وقد تكون حسيراً اذ يباريها

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

اضحى قرىً للمنـايا اذ نزلن به　　وكان في سالف الايام يقريها

ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي يا سلم من رجل　　ضحك المشيب براسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي احداً　　قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فانت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء — والناس على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من اشعاره الا شذرات مبعثرة مع اخباره في الاغاني ٢٩ ج ١٨ وابن خلكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء او كان اكثر منظومهم فيهم او انهم لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجمنا بعضهم في ما تقدم من فحول هـذا العصر ونأتي الان على خلاصة اخبار الباقين مراعاة للمقام وترتيبهم حسب سني وفاتهم

١ — أَبُو دُلَامَة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون وسمي ابا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود اللون مولى لبني اسد . وكان ابوه عبداً لرجل منهم فاعتقه . ادرك ابو دلامة اواخر الدولة الاموية ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره وفيه دعابة وظرف لا يخلو حديثه من نكتة او ملحة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل ابي مسلم الخراساني مطلعها :

ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى　　عليك بما خوفتني الاسد الورد

انشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة الاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم　　قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم　　الى السماء فانتم اطهر النـاس
وقدّموا القائم المنصور رأسكم　　فالعين والانف والاذنان في الراس

ومن مداعباته ومجونه ان ابا العباس السفاح قال له « سلني حاجتك » فقال ابو دلامة «كلب اتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه امر باعطائه فقال ابودلامة « واعطني دابة اتصيد عليها » قال « اعطوه » قال « وغلام يصيد بالكلب ويقوده» قال« اعطوه غلاماً » قال « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال « اعطوه جارية » قال « هؤلاء يا امير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « اعطوه داراً تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة » قال « وما الغامرة ؟ » قال « التي لا نبات فيها » فقال «قد أقطعتك انا يا اميرالمؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني اسد » فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

الم تعلموا ان الخليفة لزّني　　بمسجده والقصر مالي وللقصر
اصلي به الاولى مع العصر دائماً　　فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم　　ولا البر والاحسان والخير من امري
وما ضره والله يصلح امره　　لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور واعفاه . واخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ — حَمَّادُ عَجْرَد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى ايضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد ان نادم الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد ايام المهدي ومعه مطيع ابن اياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجناً ظريفاً خليعاً وادرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا امثلة منها . ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً عالماً كان او خليفة . وقد عاصر الامام ابا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه ابو حنيفة وبلغ حماداً انه ينتقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعدوقم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وانا المقيم على المعاصي
ايام نأخذها ونعطي في اباريق الرصاص

واهتم ادباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد اجمع علماء البصرة انه ليس في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . اما بشار فله من الهجاء اكثر من الف بيت جيد وكل منها هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف اخباره انه هجا حفص بن ابي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص اعمش افطس اعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون فاخذ حفص بن ابي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وانف كثيل العود عما تتبع
تتبع لحناً في كلام مرقش ووجهك مبني على اللحن اجمع
فاذناك اقواء وانفك مكفأ وعيناك ايطاء فانت المرقع

وقد سبق ابا نواس بالتغزل في الغلمان من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه ابو بشر:

اخي ان دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب ابي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلب عينيه لاقصرت عن زجري
فاقسم لو اصبحت في لوعة الهوى لاقصرت عن لومي واطنبت في عذري
ولكن بلائي منك انك ناصح وانك لا تدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد انه شبب بزينب اخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومرض في تنقله حتى مات في شيراز ودفن فيها.

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء ٤٩٠ والفهرست ٩١

٣ - مَرْوان بن ابي حَفْصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالي اصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم واقام بعد ئذ باليمامة وولد له غلام سماه مروان . وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالي بني امية وقد حارب معهم . وكان شجاعاً مجرباً فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين اول من شهره ونوَّه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها :

معن بن زائدة التي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لهم في بطن خفان اشبل

فاجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وانشده قصيدة في مدحه فقال له المهدي « من انت ؟ » قال « شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة » فقال له المهدي « الست انت القائل :

اقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلمَ جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا .. جروا برجله» فجروه برجله حتى اخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وانشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها باكفكم او تسترون هلالها
او تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بتراثهم فأردتم ابطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مئة بيت فامر له عن كل بيت بالف درهم فنال ١٠٠٠٠٠ درهم وهي اول مرة نال شاعر هذه العطية [١]

(١) الاغاني ٤٤ ج ٩

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدي . ثم مدحه بقصيدة بائية أعجبته فاعطاه عن كل بيت الف درهم . ولم ينل احد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالاً كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتنعم بالاكل عكس مروان [١]

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ – سَلْم الخاسِر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق . نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرساً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهِجُ

فجعله :

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب واقسم الا يدخل عليه ولا يفيده ما دام حيًا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى. وكان اول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمئة درهم فقال سلم «ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة» قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فمالي دواء   مما الاقي من حسان النساء

حتى تخلص الى المدح بقوله :

(١) الاغاني ٣٩ ج ٩

كم كربة قد مسَّني ضرها   ناديت فيها عمر بن العلاء

فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالت عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس احسن الملابس كما تقدم. وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار

وتجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج١

٥ – منَصور النمري

هو عربيٌّ من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين يتحضروا وراويته . وعنه اخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيي وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل منهما في هلاك صاحبه

وكان مسكن النمري في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرُّه ان يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي حفصة بسبب ذلك فسلك مذهبه ونحا نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

امير المؤمنين اليك خضنا   غمار الهول من بلد شطير
تخوّض كالاهلة خافقات   تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقالاً   ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه   وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله :

فان شكروا فقد انعمت فيهم   والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت لحق   وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث   مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعطاء ولو قليلاً . وقد ذكرنا الابيات التي قالها في مدح الرشيد من المبالغة [١] وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة[٢]

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب   سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

وتجد اخبار المنصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و٣٢و١٤١ ج ١٧

٦- علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ھ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لانه كان كثير السعاية اليه بندمائه واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابي حفصة في هجاء آل ابي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى   امامٌ . خاب ذلك من امام

امامٌ من له عشرون الفاً   من الاتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً فلما نزل قال في ذلك قصيدة نخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ا   لاثنين مسبوقاً ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم   شرفاً وملء صدورهم تجبيلا

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :

قالوا حبستَ فقلت ليس بضائري   حبسي واي مهند لا يغمدُ

او ما رايت الليث يألف غيله   كبراً واوباش السباع تردّد

والشمس لولا انها محجوبة   عن ناظريك لما اضاء الفرقد

والبدر يدركه السرار فتنجلي   ايامه وكأنه متجدد

والغيث يحصره الغمام فما يرى   الا وريقه يراع ويرعد

والزاعبية لا يقوم كعوبها   الا الثقاف وجذوة تتوقد

والنار في احجارها مخبوأة   لا تصطلى ان لم تثرها الازند

وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن اجمل ذلك قوله في وصف حفلة بعد صيد فرشوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت   علينا البزاة البيض حمر التدارج

ولم تحمها الادغال منا وانما   ابحنا حماها بالكلاب البوارج

بمستروحات سابحات بطونها   على الارض امثال السهام الزوالج

ومستشرفات بالهوادي كأنها   وماعتقت منها رؤوس الصوالج

ومن دالعات ألسناً فكانها   لحى من رجال خاضعين كواسج

فلبنا بها الغيطان فلياً كانها   انامل احدى الغانيات الحوالج

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلكان ٣٤٩ ج ١

٧ — حسين بن الضحاك

توفي سنة ٢٥٠ھ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم لشعره قبول ورونق فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر كان ابونواس يأخذها عنه . ومع ان ابا نواس مات سنة ١٩٨ والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لكن ابن الضحاك عمر كثيراً

وهواول من نادم الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من اهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :

هلاً بقيت لسدّ فاقتنا   ابداً وكان لغيرك التلفُ

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا   ولسوف يعوز بعدك الخلفُ

لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابداً الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول ايام المأمون

وله في الامين مراث جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خير الوفود مبشرٌ بخلافة   خصت ببهجتها ابا اسحق

وافته في الشهر الحرام سليمة   من كل مشكلة وكل شقاق

اعطته صفقتها الضمائر طاعةً   قبل الاكف باوكد الميثاق

سكن الانام الى امام سلامةٍ   عفّ الضمير مهذب الاخلاق

تحمي رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق

وله ابيات في التغزل بالغلمان اقتبس بعضها ابو نواس [1]
وتجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ — أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان . وقد نقله ابن المقفع نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هـذا كتاب ادب ومحنـهْ وهو الذي يدعى كليلة دمنـهْ
فيه احتيالاتٌ وفيه رشـدُ وهو كتابٌ وضعته الهندُ

فاعطاه يحيى بن خالد عشرة الاف دينار واعطاه الفضل خمسة الاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان . ونقله شعراً ايضاً آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب

وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابونواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي جعله فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة وا كثر اعدائه كانوا يتهمونه بذلك وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت ابانا يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطربْ
وكيف يصلي مظلم القلب دينهُ على دين مانٍ ان ذاك من العجب

(١) الاغاني ١٧٠ ج ٦

واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا « ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فماذا نصنع لا تأتي الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعربْ
اعمٌّ رسول الله اقرب زلفةً لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهما اولى به وبعهـده ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباسٌ احق بتلكم وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فابناء عباسٍ هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين
وتجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ — ابن مُناذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في اول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيد طلباً للرزق فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن الربيع للرشيد . « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان ينشدك قوله فيهم » فامره فاعتذر فالح عليه فانشد القصيدة التي مطلعها :

اتانا بنو الاملاك من آل برمك فيا طيب اخبار ويا حسن منظر [1]

وكلها اطراء في البرامكة ولما فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيد ان يلطم فلطموه وامر فسحبوه وخرج لا يلوي

(١) الاغاني ٢٥ ج ١٧

على شيء . فلقيه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه واعذرني » ولم يعد ابن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة

وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ — الرُّقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصولون به على الشعراء ويروُّون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم و يسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثر من رثاهم . من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيي واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيي ... حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمك السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ والشعر والعشراء ٥١٥

٤ — أَشجع السُّلَمي

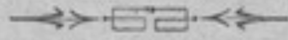
هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد باليمامة ومات ابوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به قيس . ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى الرشيد فاعجب به فأثرى . ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ ... بذوي النفاق وفيه أمنُ المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هواجعٌ ... مال المضيع ومهجةَ المستسلم

جعل الخطام بأنف كل مخالف ... حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يُصلح السلطانَ الا شدةٌ ... تغشى البريء بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحمٌ لا يتقي ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها ... بالامر تكرههُ وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢

واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى



شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

دِيك الجِنّ

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان واصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده في اول الاسلام . ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين في شعره وكان مقيماً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدٍّ لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل البيت وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام مبتكره ... فباكر الكاس لي بلا نظره

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وتزوجها وله فيها تشبيب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها ... والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسودٍ ... جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها ... من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من اردافها ... عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روَّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطىء الحصى ... شيء اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن ... ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها ... وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيه على ابي تمام [1] . وتجد اخباره في لاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير او كبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعكوك انقطع لابي دلف . ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور . وابو الشيص لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ – مُطيع بن أَياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

(١) العمدة ١١٩ ج ٢

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره . وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبل الشعراء وكانوا ثلاثة : مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط ايام المنصور . وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منهُ قوله :

حبذا عيشنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك لا حبذا ذا
اين هذا من ذاك سقياً لذا ... ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمان عسراً وشراً ... عندنا اذ احلنا بغداذا
بلدة تُمطر التراب على النا ... س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخرب ذو العر ... ش باعمال اهلها كلواذا

وكانوا يتهتكون في تعشق الغلمان ولعلهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء . وفي الاغاني حديث عنهم تخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر . ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :

اهلاً وسهلاً بسيد العرب ... ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الجـ ... ـود حوى غايته من كثب

وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و٨٥ ج ١٣ و٨٦ ج ٢١

٢ – أَبو الشِّيص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية . وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته . وكان ابو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس نخمل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي وكان اميراً على الرقة فمدحه باكثر شعره وقلما يروى له في غيره . وكان عقبة جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم . وكان من وصاف الخمر وله مقدرة على الغزل . واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله :

يا نفس ابكي بادمع هتن ... ووا كف كالجمان في سننِ
على دليلي وقائدي ويدي ... ونور وجهي وسايس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرنني والظلام في قرن

ومن اقواله في الغزل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمُ
اجد الملامة في هواك لذيذة حباً بذكرك فليلمني اللوَّم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنتَ نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به. وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :

فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ ولكن يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لا من السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ — العكوك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية من اهل بغداد ولد في الحربية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرفُ . وقد استنفد شعرهُ في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد في تفضيلهما وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر. فاستاء المأمون من ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بابي من زارني مكتتماً خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نمَّ عليه حسنهُ كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧ وتجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٥٠

وهناك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخبارهِ :

٤ ابراهيم بن سيابة	مدح ابراهيم الموصلي المغني	اخباره بالاغاني ٦ ج ١١
٥ محمد بن امية واخوه علي	» ابراهيم بن المهدي	» ٣٢ ج ١١ و٦٣ ج ٢٠
٦ محمد بن صالح	» ابن المدبر	» ٨٨ ج ١٥ و٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ — صالح بن عبد القُدُّوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء متهم بالزندقة قوي الحجة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقصُّ على الناس ويعظهم . وبلغ الى المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له المهدي الست القائل ؟ :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لا تترك اخلاقك حتى تموت » فامر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ ﻫ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن احاسن اقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الاعداء من جاهلٍ … ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك اخلاقه … حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله … كذي الضنى عاد الى نكسه
وانّ من ادبته في الصبا … كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً … بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنك من يصون ثيابه … حذر الغبار وعرضهُ مبذولُ
ولربما افتقر الفتى فرأيته … دنس الثياب وعرضهُ مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :

انستُ بوحدتي ولزمت بيتي … فتم العزُّ لي ونما السرور
وادبني الزمان فليت اني … هجرت فلا أُزارُ ولا ازور
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا … اقام الجند ام نزل الامير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه … وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكمية اخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمع والزمان يفرّق … ويظلُّ يرقع والخطوب تمزّق

وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٢ — العَبَّاسُ بن الأَحْنَف

توفي سنة ١٩٢ﻫ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يجيش في خاطره واكثره في الغزل ولم يتجاوزه الى مديح او هجاء . وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم في مذهب واحد لا يتجاوزه . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً . وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالاستانة سنة ١٢٩٨ ﻫ ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لا جزى الله دمع عيني خيراً … وجزى الله كلَّ خير لساني
نمَّ دمعي فليس يكتمُ شيئاً … ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيٌّ … فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي … املي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة … صدُّ الملول خلاف صدِّ العاتب

وقوله :

اتأذنون لصب في زيارتكم … فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به … عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٢٥

٣ — محمد بن بشِير الرِّياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من اهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقلٌ من غرسه فاكلته ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة [1] مطلعها :

لي بستانٌ انيق زاهر … ناضر الخضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها وتخلل ذلك مجون لطيف . واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً [2] مطلعها :

يارب رب الراتحين عشية … بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يفدون على الخلفاء او الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ — كُلثوم بن عمرو العتّابي

توفي سنة ٢٢٠ ﻫ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله . وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامره فأمر بطرده فخرج حتى اتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك » قال « دابة ابلغ عليها الى راس عين » فقال « يا غلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشترى لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى معه فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم عـلى ترك الغـنى باهليـة	ذوى الفقر عنهـا كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى	مقلدة اعناقهـا بالقـلائد

أسرك ِ اني نلتُ ما نال جعفرٌ	من العيش او ما نال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنـين اغصني	بغصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تجيئني منيتي مطمئنة	ولم اتجشم هـول تلك الموارد

ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستـاذ المنصور النمري

اخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ — ربيعة الرقّي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو ضرير مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزه . وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر احد في عطائه هجاه وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس — وذلك ان الرقي مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد	قل «لا» وانت مخلدٌ ما قالها
ما ان اعدّ من المكارم خصلة	الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة	كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة	حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه الفي دينار فاعطى الدينارين الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى	لتجري في الكرام كما جريتْ
فهبهـا مدحة ذهبت ضياعاً	كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء	كاني ان مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهمّ بقصاصه فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته فتغير عليه وامر للرقّي بثلاثين الف درهم وبغلة واوصاه ان لا يذكر العباس تعريضاً

ولا تصريحاً . واتفق للرقي ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض قدماته الى العراق فمدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يا ابن زائدة الكلا ... ب الذي في الذراع لا في البنان
لا تفاخر اذا نخرت بآبا ... ئك وانخر بعمك الحوفزان

ومن غزله ابيات يغنّى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدّلت خلة ... سواها وهذا الباطل المتقوّلُ
لحى الله من باع الصديق بغيره ... فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني ... بحبك فانظر بعده من تبدل

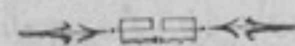
وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدو في هذا العصر حفيد جرير الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٨٣ ج ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة : هو من عامر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم الينا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة عائلات تسلسل الشعر في اعقابها كآل ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عيينة المهلبي وآل المعدّل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحو مئة شاعر منهم بشار له الف ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ واقل الى ٥٠ او ٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل فمن اراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدا بصفحة ١٥٩ من الفهرست



العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديده . اما علم الادب فيشمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم . وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه « اديب »[1] وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه[2] . ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في اول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدريج وتفرعت وصار كلٌ منها علماً له احكام مستقلة جرياً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة . وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »[3]

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها او يروونها ويبذلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسماع منهم او لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر . فالمنصور استقدم شرقيّ القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب[4] فشب المهدي على حب الادب والادباء

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٢) معجم الادباء ١٧ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ١
(٤) طبقات الادباء ٤٢

فألَّفَ لهُ المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما [١] ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة [٢]

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي في حضرته ويأمره ان لا ينزعج لنهضته [٣] وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي عبيدة [٤] او يدعو احد الرواة اذا ارق او ضجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سرّه حديثه اجزل عطاءه الى مئة الف درهم او حواليها فضلاً عن الهدايا وغيرها [٥] وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة [٦] . وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن [٧] واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء والامراء فالبرامكة تنشيطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفضل بن الربيع فاضلَ بين الاصمعي وابي عبيدة [٨] اما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب اهل الادب

رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسية اوالشعر اوالخطابة وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق . فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية او هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداوة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوهما في صدر الاسلام وانزلوا مواليهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالي بني اسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

(١) الاغاني ٧٦ ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) المزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تخير الفاظهم واساليبهم . واكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي . ولم يأخذوا شيئاً عن الحضر ولا من البدو المجاورين — فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهما اهل مصر ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتداوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يحادثون العرب ويستطلعون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في اول الامر لا يرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون على ذلك اجراً . ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما ياخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها او في ضواحيها تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التكسب من املاء ما يعرفونه من اللغة او الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفي بالاخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها — بدأوا بذلك من اواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

١ ابو البيداء الرباحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يوخذ عنه العلم

٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة .

٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي
٥ ابو سوّار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة
٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة
٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة
٨ شبيل بن عزعرة الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم مات بالبصرة
٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباحي
١٠ ابو ثوابة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة
١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة
١٣ نصر بن مضر : من بني اسد
١٤ ابو محلم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه
١٥ ابو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون
١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل
١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
١٩ البهدلي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي
٢٠ جهم بن خلف المازني . عاصر خلف والاصمعي
٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
٢٢ ابو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان
٢٣ الفقعسي : راوية بني اسد وصاحب مآثرها واخبارها ادرك المنصور ومن بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني اسد
٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء
٢٥ ربيعة البصري : بدوي تحضر وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد اسمائهم (١)

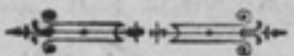
(١) الفهرست ٤٧

ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعرابيين كتب الفوها في اللغة اكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن اولئك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة الى البادية فاكثرهم من الموالي منهم :

١ اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلاّم
٢ الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب
٣ ابو المنهال : احد الرواة
٤ خلف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسنعود اليه
٥ اليزيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي . ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم او اخبارهم . ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقربين من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما وربما كان بين الذين ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء



عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أوالكوفة او الحيرة فيتبادلون اخبار العرب وادابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة هم عمدة الرواة وائمة الناس في تلك العلوم وعنهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام ــ واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — قَتادَة بن دِعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكمه من اهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمرُّ يوم لاتأتيه راحلة من بني امية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر او نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة [1] لكنه لم يخلف اثراً . وهو من اهل العصر الاموي لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١

٢ — ابو عَمْرو بن العَلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشراف العرب ووجوهها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دفاتره الى السقف ثم تنسك فاحرقها [2] . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وعامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال «ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله» [3] وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن رواته وادبائه لكنه لم يخلف اثراً مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ — ابو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . واخذ عنه جماعة من

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١
(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني . وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتها وعرفت فارسها [1] وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن [2] وروى اشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملي شعر كثير بثلاثين دينار [3] وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والف كتاباً في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخاً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وايامهم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقائض جرير والفرزدق : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة [4] ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء : منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ — الأَصْمَعِي

توفي سنة ٢١٤ هـ

هو عبد الملك بن قريب من قيس وقد اشتهر بكنيته «الاصمعي» ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ «الرواي» . وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون . وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال «اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته» وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) العقد الفريد ٤٧ — ٩٣ ج ٣ (٣) الاغاني ٢٨ ج ٨
(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

٠٠٠ ١٢ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً [1] . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد عاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة

اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

١ الاصمعيات : هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليسبك سنة ١٩٠٢
٢ رجز العجاج : رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
٣ كتاب اسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨
٤ « الابل « في بيروت سنة ١٣٢٢
٥ « خلق الانسان « « « « [2]
٦ « الخيل « فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
٧ « الشاء « سنة ١٨٩٦
٨ « الدارات « في بيروت
٩ « الفرق « « فينا
١٠ « النبات والشجر « « بيروت
١١ « النخل والكرم « « « سنة ١٩٠٢
١٢ « الغريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ — أبو زيد الأنْصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من اهل البصرة اخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللغة وكان سيبويه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغاني ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعا معاً باسم الكنز اللغوي

يريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن اهل الكوفة ايضاً ولم يروِ من البصريين عن اهل الكوفة الا ابو زيد [1] فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه « النوادر فى اللغة » على ان اكثر رواياته عن العرب البحت [2] وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم وابو عبيدة اجمعهم [3] وجاء ابو زيد بغداد حين قيام المهدي [4]

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت
٣ كتاب اللبن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦— ابو عُبَيْد القَاسِم بن سَلاَّم

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقه وكان ديناً ورعاً متفنناً في اصناف علوم الاسلام والقرآت والفقه والعربية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن احد في شيء من دينه . وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابى عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والفراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقه وهو اول من الف غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنه ابن طاهر وقال « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طلب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهر ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١
(٤) الفهرست ٥٤

١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاستانة وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري

٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين

٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه اوحفظوه — وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياع اخبار الباقين منهم في أثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن رواتهم في الحرب والغزو على عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فاخذوا يطلبونها في اماكنها وينقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في صحف عند عباد الحيرة من ايام المناذرة

واول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ ه وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمفضل الضبي وغيرهما وهذه تراجمهم :

١ — حَمَّاد الرَّاوية

توفي سنة ١٥٦ ه

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمي من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقراه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ماكان عليه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تميزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المألوف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه . وكان بنو امية يقدّمونه ويستزيرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » فقال له « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر » قال « كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال « سأمتحنك في هذا » ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكر وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً . فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزيناً على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم ان هفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكى وقال « هكذا كان اخي رضي الله عنه[1] . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه في ما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاغاني ١٦٩ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك

وهو الذي جمع المعلقات التي بين ايدينا وجمع اشعار اكثر القبائل واكثر شعراء بني امية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب ـ فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم [1] لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ — المفضَّل الضّبي

توفي سنة ١٦٨ ﻫ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذ عنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقربه وادناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنة — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في ليبسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري

٢ كتاب الامثال : طبع في الاستانة سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ — خَلَفْ الأَحمر

توفي سنة ١٨٠ ﻫ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة واصله من فرغانة لكنه حفظ كلام عرب الجاهلية واشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر اهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها . وهو اول من احدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه [2] . وكان ضنيناً

(١) الاغاني ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهومعدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفرست ٥٠ والشعروالشعراء ٤٩٦ والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ ﻫ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر احد اولاده ان اباه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كلما جمع اشعار قبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مئة سنة وكان يكتب بيده الى ان مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة اجزاء

وتجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨

هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم . وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية او الاشعار او الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرىء القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ — محمد بن سلامّ

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري كان عالماً بالشعر والاخبار فالف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والاخر في الاسلاميين وذكره صاحب الاغاني مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه « المزهر » ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات. وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء. وهو اول من فعل ذلك ثم قلده غيرهُ . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ أنه ضاع لاننا لم نجده في مكاتب اوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص[1] وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات تبدأ بنقد الشعر ثم في اول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منها الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه واشار الى ما ادخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى
الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة
الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار ولبيد بن ربيعة
الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وغدي بن زيد
الخامسة : خداش بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد الخبل وتميم بن مقبل
السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) نبهنا الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فاشكره على صدق رغبته في خدمة آداب اللغة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن ٠٠٠٠ وعوف بن عطية
التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع والخويدرة الذبياني ؟ وسحيم عبد بني الحسحاس
العاشرة : امية بن حرثان وحريث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شاس

واضاف الى ذلك اصحاب المراثي وجعلهم طبقة حادية عشرة وهم متمم بن نويرة والخنساء واعشى باهلة وكعب بن سهل . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخطل وغيرهم
الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة
الثالثة : كعب بن جعيل وعمر بن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء
الرابعة : نهشل وحميد بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء
الخامسة : ابو زبيد الطائي والعجير السلولي وعبد الله بن همام ونفيع بن لقيط
السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب
السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدي بن الرقاع
الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن الغدير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش
التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه
العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وابو داود الرواسي ؟ والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب واخر في ملح الاشعار ويجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ — ابن ابي الخطّاب

صاحب جمهرة اشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه نبغ في اواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه «جمهرة اشعار العرب» في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن واقوال الشعراء وفي الشعر والشعراء واقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صدق الرواة
واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم — فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سببان يتصل احدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتها كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمم بن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فاتاه بعض الرواة وسألوه عن شعرابيه فلم يروبعضه حتى ادركوا المصنوع منه[1] لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباطاً لتشابه القافية والوزن والمعنى فكثير من اشعار كُثيّر تنسب لمجنون ليلى . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن الحدادية اليائية التي مطلعها :

سقى الله اطلالاً بنعم ترادفت   بهنّ النوى حتى حللنا المطاليا

فان بعضهم يدخل ابياتاً منها في قصيدة مجنون ليلى[2] التي مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا   وايام لا أعدي على الدهر عاديا

وقس على ذلك امثاله وهو كثير وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعراً او اربعين

(١) الزهر ٨٧ ج ١ (٢) الاغاني ٨ ج ١٣

تعمد التزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الابيات على لسان بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالي او غرض آخر. واشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما وهما مرجع رواة الاشعار كما رايت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد ان يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ او سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد العصبية لقومه اليمنية على القيسية . فنظم حماد ابياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز ابوجده . فاورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على اسد بن كرز فآواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها — الى آخر الحديث[1] ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال — قال ابن الكلبي « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كريز وكانت امة بغياً لبني أسد يقال لها زينب فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين فسرَّ بذلك ووصلني »[2]

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له «وكيف ذلك ايخطىء في روايته ام يلحن» قال « ليته كان كذلك فان اهل العلم يردُّون من اخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الافاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فاكده له بالامتحان بين يديه فاعترف حماد بابيات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فامر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته[3]

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم القصائد الغر ويدخلها في دواوين

(١) الاغاني ٥ ج ١٣ (٢) الاغاني ٥٨ ج ١٩ (٣) الاغاني ١٧٢ ج ٥

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لاميلُ

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه . وادخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان اهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في اواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى اهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قدادخلها في اشعار الناس فقالوا « انت كنت عندنا في ذلك الوقت اوثق منك الساعة » ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم [(١)]

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي « ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها » فقال « لا ادري » فقيل له « اكذب » فقال « كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة » فشاع ذلك وتحدثوا به .[(٢)] حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب . وقد قال محمد بن سلام الجمحي « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرابه [(٣)] »

على ان المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر بينوا اماكن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً [(٤)] في الاسناد والاخذ والتحقيق لامحل لها هنا . وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على اغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للمبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي اصل علم الادب فلنأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة فان اصحابها كانوا في الاصل من من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) المزهر ٢١٠ ج ٢
(٣) المزهر ٨٥ ج ١ (٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي ادباء البصرة والكوفة . واهل البصرة اسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو والفوا فيه . ومنهم ابو الاسود واضعه وابن ابي اسحق الحضرمي اول من علله وعيسى بن عمر الثقفي اول من الف فيه وهارون بن موسى اول من ضبطه وسيبويه اول من اجاد في تأليفه . ثم قلدهم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوانينه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . واهل البصرة ارسخ قدماً واوسع علماً واولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحويي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من اهل الكوفة وقدعلموا ابناء الخلفاء ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر . وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه و بين الكسائي بشأن النحلة والزنبور وهي اشهر من ان تذكر [(١)]

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه بدأ بذلك ابو الاسود فوضع بعض قواعده واخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء او القراء . فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتكاثف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عليه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن [(٢)] فجعل الناس يأخذون النحوعنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان اول من علله اي ذكر اسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا ان تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادباء ١٦

اول من ضبط قواعده والف فيه

اما ضبط قواعده فاول من اقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من اهل البصرة اسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . واول من الف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً يتقعر في كلامه فيقال انه الف كتابين احدهما الجامع والاخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما احد [1]

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا ان بعضهم كان يميل الى النحو اكثر من سواه وربما دخل في جملة ما يكتبه في الادب او اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد اتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً واخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب واقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلتقى فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى الف فيه سيبويه كتابه المشهور — وهاك اشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ — سيبويه

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب سيبويه بالفارسية ومعناها رائحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقه ثم طلب النحو واخذه عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه والف كتابه الذي لم يسبقه احد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

(١) طبقات الادباء ٢٨

زيد الانصاري وكان يسميه الثقة فكان لذلك وقع جميل عند اهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشتهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيبويه . وكان ابو العباس المبرد اذا اراد احد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له « هل ركبت البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ » واخذ العلم عنه جماعة من المشاهير اشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سناً منه وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان اهل الكوفة في أثناء ذلك قد هموا بالنحو فاخذوه عن اهل البصرة واشتغلوا فيه فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ وابو جعفر الرواسي ابن اخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو اول فعل ذلك من الكوفيين والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

اما كتاب سيبويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغيرها وقد طبع في باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنساوية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الكتاب ٨٢٠ فصلاً يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبدل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدا والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من احرف الجر . وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصور والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات وفي الوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما ابدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للابنية حتى قالوا اصل الكتب المؤلفة في النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لانتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد [1] . وقد الف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتاب

(١) الزهر ٥٨ ج ١

الاستدراك على كتاب سيبويه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير

واخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١ والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ — مُعَاذ الهرّاء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الآتي ذكره ولم يخلف مؤلفاً وانما ذكرناه لانه اول من وضع التصريف [1]

وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ — الكِسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني اسد واصله من فارس . اخذ النحو عن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي الخليل بن احمد فاخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته واخذ يعرّض بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدوي بصحة راي سيبويه لكن الامين تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار في حديث طويل . والف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥

واشهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثار وابو الحسن الاخفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من اهل البصرة . وجماعة كبيرة من اهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده واشهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

٤ — الفَرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني اسد في الكوفة واخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب واتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من اراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال ابوبكر بن الانباري « لولم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنيه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وماسمع من العربية . وامر ان تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه وصيراليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود » في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » تخزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس اوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه اخذ يملي كتاباً آخر في المعاني اطول واوسع تخاف الوراقون فرضوا ان ينسخوا كل عشر اوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطلحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال « لقد اردت منعهما ولكن خشيت ان ادفعهما عن مكرمة سبقا اليها او اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » [1] ففرح المأمون وقال « لو منعتهما عن ذلك لاوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصراً في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وايام العرب واخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة اي ٦٠٠٠ صفحة كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لانه كان قوي الحافظة . وكان اكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة اقام بها ٤٠ يوماً يفرق ماجمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

واللغة لم يصلنا منها الا :

١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ بلغنا ان في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له اصحاب ومريدون اشهرهم ابو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم احد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . واكثرهم الفوا في النحو وضاعت كتبهم

وتجد اخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السِّكِّيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

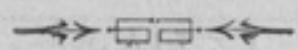
هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر اصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . اخذ النحو عن ابي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الآتي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب واخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره . وغضب عليه المتوكل في آخر ايامه لجراته في الدفاع عن علي ابن ابي طالب وآله وذلك ان المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه « يا يعقوب ايهما احب اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين » فاجابه « ان قنبراً خادم علي خير منك ومن ابنيك » فامر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي . وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ كتاب الالفاظ او تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يحث في احوال الالفاظ ومعانيها منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لا يزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في الاعصر الآتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه



علم اللغة

في العصر العباسي الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بالفاظ اللغة من حيث معانيها واصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما الفه الادباء من الكتب في الفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل واسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة اسمائها انها كتب في علم الحيوان او التشريح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها اسماء الحيوانات واعضائها ومن الانسان اسماء اعضائه واحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من اماكنه إما بالسفر الى البادية او بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين ايديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومسامريه فقال « ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليَّ ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال « انا لها يا امير المؤمنين » فقال « قل ما عندك » قال « انف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع طحال . ظهر . عين . غبية . فم . قفا . كف . لسان . منخر . نغنغ . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين »

فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال « يا امير المؤمنين انا اقولها في جسد الانسان مرتين » فضحك عبد الملك وقال لسويد « اما سمعت ما قال » قال « نعم انا اقولها ثلاثاً » فقال له « لك ما تمنى » فقال « انف . اسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة تمرة . تينة . ثغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق . عاتق . غبية . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا . كف

كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغنوغ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يافوخ » ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم اجازه وانعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

اوليات كتب اللغة

فهذا وامثاله بعث الناس على العناية بحفظ الفاظ اللغة وحمل آخرين على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلاً لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتهما اوزراعتهما وانما هو يبحث في اسماء انواعها واغصانهما وما يتعلق بها من اسم اوفعل . وهاك قطعة من اول هذا الكتاب على سبيل المثال :

«من صغار النخل الجثيث وهو اول ما يطلع من أمه وهو الودي والهراء والفسيل واذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب .فاذا قلعت الودية من امها بكربها قيل ودية منعلة . فاذا غرسها حفرلها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيراً . والاشأ من صغار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة اذا أخرجت قلبها قد انسغت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلبة « العواهن » في لغة اهل الحجاز . اما اهل نجد فيسمونها « الخوافي » . واصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرنافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فاذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت وفي ارض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند اهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف وحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على اسماء وافعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تميزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجمع بها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . واشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده وهي اتم مما فعله الاصمعي واترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

(١) كتاب النخل والكرم طبعة الاب شيخو

وخلق الانسان واشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ونحوها عول واضعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلاً عن تحريهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ – الخليل بن أحمد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد اهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله . وكان من تلامذة ابي عمرو بن العلاء . وعنه اخذ سيبويه وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكلما قال سيبويه « سألته » او « قال » من غير ان يذكر قائله فهو يعني الخليل . واخذ عنه ايضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم

وقد علمت انه اول من ضبط اللغة وهو ايضاً اول من استخرج علم العروض الى الوجود وحصر اقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ بحراً . ثم زاد فيه الاخفش بحراً سماه الخبب . وقد ضبط اوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات . واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجرته وهو يوقع باصابعه ويحركها – رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل :

لو كنتَ تعلم ما اقول عذرتني او كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمتُ انك جاهل فعذرتكا

وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه من الاهواز لتأديب ولده فاخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال « كلْ فما عندي غيره وما دمت اجده فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول « فما ابلغه » فقال

ابلغ سليمان اني عنه في سعة وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

واهم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل اسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعي وسيبويه وسواهما من الادباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفاً في ايامه من الفاظ اللغة واحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين وبدا بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي فكان الخليل حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبداون باحرف الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب ان يسموا الكتاب باول لفظ من الفاظه ككتاب الجيم للهروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم لابي عمرو الشيباني ومثلهما كتاب الغين وكتاب الميم . ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن ابحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في ايامه فقد نقل عنه السيوطي انه أحصى فيه عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ١٢٣٠٥٤١٢ كلمة . ولعله اراد ما يمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على ان ابا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه ان عدد الالفاظ العربية ٦٦٩٩٤٠٠ لفظ لا يستعمل منها الا ٥٦٢٠ لفظاً والباقي وهو ٦٦٥٣٧٨٠ لفظاً مهملاً . وقد قسمها من حيث عدد احرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ		المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	الثنائي	٤٨٩	٢٦١
١٩٦٥٠	الثلاثي	٤٢٦٩	١٥٣٨١
٣٣٤٠٠	الرباعي	٨٢٠	٣٠٢٥٨٠
٦٣٧٥٦٠٠	الخماسي	٤٢	٦٣٧٥٥٥٨
٦٦٩٩٤٠٠		٥٦٢٠	٦٦٩٣٧٨٠

(١) William's Sanskrit Grammar 15 (٢) طبقات الادباء ٢٦٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك ان الزبيدي عنى بعدد الفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك فانك تجد اكثرها مهملاً فهو يريد بالمهمل الالفاظ التي يمكن ان تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم اهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه • ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا اديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثماني واربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب انه في خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روي في شيء من الاخبار انه عمل هذا البتة • وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له واخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في اصله وحجج القادحين فلتراجع في المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما اتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل — وكل سباق محسود • فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب انه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه

وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو واكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصري يخالف ما جاء في كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه • فالف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد الله بن محمد الكرماني وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره واقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما اورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة • وفضلوه ايضاً على سائر ما الف على حروف المعجم من كتب اللغة

(١) الفهرست ٤٢

يومئذ لاجل صغر حجمه . والحق به بعضهم ما زاده أبوعلي القالي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على ان بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحفة الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللاسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولايبعد ان يعثر الباحثون على نسخة منه فى بعض المكاتب الخصوصية

اما مختصره للزبيدي فنه نسخة خطية في مكتبة برلين واخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة

وذكر له ابن النديم من المؤلفات ايضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

٢ كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٣ شرح حرف الخليل « « برلين قطعة منه
٤ جملة آلات العرب « « ايا صوفيا بالاستانة
٥ قطعه من كلام على اصل الفعل « « اكسفورد (بودليان)

وتجد ترجمتهُ في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢ وابن خلدون ٤٨٢ ج ١

٢ — مُورِّج السَّدُوسي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو ابو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من اكابر اهل اللغة واخذ عن ابي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار اصحابه • اصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية واول ما تعلم ذلك في حلقة ابي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور واقام فيها وكتب عنه مشائخها

وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ وطبقات الادباء ١٧٩

٣ — النَّضْر بن شُمَيْل

توفي سنة ٢٠٣ هـ

هو ابو الحسن النضر بن شميل التميمي البصري من تلامذة الخليل اخذ عنه وعن فصحاء العرب كابي خيرة الاعرابي وابي الدقيش واقام في البادية اربعين سنة في هذا السبيل . وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد ان اقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فنزح عنها الى خراسان فاصاب بها مالاً عظيماً وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لانه كان يجالسه .

وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث اخذ الثعالبي عنه

واخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ — قُطْرُب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو ابو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة اخذ عن سيبويه وجماعة من اهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها:

١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين
٢ ما خالف فيه الانسان البهيمة : منه نسخة في مكتبة فينا
٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطاني
٤ مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل سِهام وسَهام وسُهام ولكل منها معنى وهو اول من فعل ذلك • ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في ماربرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في اكثر مكاتب أوربا الكبرى

واخباره في ابن خلكان ٤٩٤ ج ١ وطبقات الادباء ١١٩ والفهرست ٥٢

٥ — ابن الأَعرَابي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من اكابر أئمة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين اشبه برواية البصريين من روايته وكان ربيباً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان احفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

١ كتاب اسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي

٢ كتاب اسماء الخيل وانسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

واخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت انه اختلف في هـذه العصور باختلاف احوالها من المدنية او الجاهلية من الحضارة او البداوة • وللعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر . واللغة اكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام قاصراً على مكاتبة الخلفاء وامرائهم وقوادهم او مع سواهم في طلب حرب او صلح او حث او تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى اقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة انواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي — واهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة ومستودع اسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخرهم وابلغهم عبد الحميد كما تقدم [١]

فلما صارت الدولة الى العباسيين على اثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتنوعت اغراض الخلفاء — كما بينا ذلك في مكانه — اصاب الانشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . واهم ظواهره الاستبحار في المدنية والاغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر اثر ذلك على اقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

(١) الجزء الاول ٣١٤

اول ثمار الرخاء

فالانشاء في صدر الدولة العباسية اخذ في النزوع الى ثمار الرخاء والترف واهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأنقاً في العبارة نزوعاً عن اسلوب البلغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الايجاز والاعجاز • واخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والامثال • وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والتفخيم وخصوصاً في ماكانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم او يستعطونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد بن برمك توخى فيها التسجيع فضلاً عن الاطراء فقال في مطلعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل من المستكين المستجير البائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة امابعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق اليَّ تغضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا اقوم له ولا اقعد ولا انتبه ولا ارقد فلست بحي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحملت بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى اشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ [١] مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها . فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تميق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ اقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح ان تعدَّ مثالاً لاسلوب ذلك العصر وانما امام الانشاء فيه ابن المقفع واسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك

وتنوعت اساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقه اسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث او الفيلسوف اوالطبيب لتعود كل منهم مصطلحات علمه وفنه كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي اسلوباً خاصًّا ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والمحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار اصحابها الى تحدي اساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

(١) البيان والتبيين ١١٤ ج ٢

التوقيعات

وظل الميل الى الايجاز والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سيما في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص او الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام هم الذين يوقعون بانفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم ان يكون اقتباساً من آية او حديث او حكمة مشهورة او شعر حكمي . ومن امثلة ذلك ان سعد بن ابي وقاص عامل العراق كتب الى عمر بن الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوقع عمر في اسفل الكتاب « ابنِ ما يكنك من الهواجر واذى المطر » ووقع عمر ايضاً لعمرو بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه « كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه امر بوجء اعناقهم فوقع في ذلك الكتاب « فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون » وارسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من اهل الانبار شكوا اليه ان منازلهم أُخذت منهم وادخلت في بناء امر به ولم يعطوا اثمانها فوقع « هذا بناءٌ اسس على غير تقوى » وامر باعطائهم الأثمان . وشكا اهل الكوفة الى ابي جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوقع على كتابهم « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في اسفله « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » وكتب صاحب ارمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه فوقع في الكتاب « خذِ العفوَ وأمرْ بالعرفِ واعرض عن الجاهلين» وشكا بعضهم اليه اهمال عامله في خراسان فوقع على شكواهم « انا ساهر وانت نائم » وارسلهُ اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان « داوِ جرحك لايتسع » والى عامله على مصر « احذر ان تخرب خزانتي وخزانة اخي يوسف فيأتيك منه ما لاقِبَل لك به ومن الله اكثرَ منهُ » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من امر فوقع على كتابه « من علامة الشريف ان يظلم من فوقه ويظلمه من دونهُ فاي الرجلين انت؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس « ولكل اجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله « لقد كثر شاكوك وقلَّ شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل او اسلوب المؤلفين

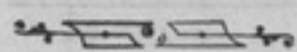
هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب او كتابة المقالات الطويلة في الوصف او الموعظة او الفلسفة — وهو غير اسلوب المراسلات . فان هذا اقرب الى الخطابة او الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند انفسهم بان يدونوا افكارهم او ينقلوا افكار سواهم من اللغات الاخرى . واشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من اساليبها لانها لغته ولغة ابائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لانه اقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمنة اقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره او ما بعده من كتب الادب يغلب على ظننا انه اكتسب ذلك من تأثير اساليب اللغات الاخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قلَّ من جاء بمثله بعده ولم يأت احد باحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي . وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير — مما يدلك على ان الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

فيقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاولى منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب :



منشئو الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للاسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل في هذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر — وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الاسرة توفي سنة ٢٠٧ ﻫ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما اوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الاخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب « ان العمران البشري لابدّ له من سياسة ينتظم بها امره » تدخل في ثماني صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفى سنة ٢١٧ ﻫ وزير المأمون كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في ايام الرشيد . وقد اثرى في خدمة المأمون حتى قيل انه خلف بعد موته ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف واحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالاً من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن النديم اسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في الف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لان آثارهم ضاعت . ثم ان كتاب ديوان الرسائل اكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفي كاتب المأمون وحميد بن مهران كتب للبرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم [1]

(١) الفهرست ١١٥ — ١٢٥

الكتاب المؤلفون

١ — عبدالله ابن المقفع

توفي سنة ١٤٣ ﻫ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في باديء امره مجوسياً فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال — اهمها :

١ — كتاب كليلة ودمنة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا انه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فأنهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من امثال هذه الاقاصيص اصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا اول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج اليه الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة عاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على ارباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب اولاً باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبت فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية اي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وافاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده اعجبوا به واخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكأن علماء اللغة وادباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فاقدم بعضهم على نقله ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين ايدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت ابوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والاخر فارسي والاخر عربي

فالابواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور. الحمامة المطوقة . البوم والغربان . القرد والغيلم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والطائر فنزه . الاسد وابن آوى . اللبوءة وبلاذ وايرخت . السائح والصائغ . ابن الملك واصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزوية وباب بعثة برزوية وباب ملك الجرذان .

وهناك ستة ابواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية نعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الان في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها اخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى السنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والملقية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات اخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلاً ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كليلة ودمنة في العربية مرارا من اواخر القرن الثامن عشر الى الان . وبعض طبعاته مزينة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الان من خيره الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر :

نظم كليلة ودمنة

اقدم من نظم هذا الكتاب في العربية ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان الفضل في خزانة الحكمة بايام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال « نقله ايضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ ﻫ ونظمه ابو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيي بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه اجازه بالف

دينار » وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحقي الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعراً لم يبق منه الابيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ ﻫ في كتاب سماه « كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » كان منه نسخ مشتتة في الاستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ ﻫ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين [1]

ثم نظمه ابن مماتي المصري المتوفى سنة ٦٠٦ ﻫ وضاع نظمه . وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه « درر الحكم في امثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كليلة ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع [2] ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة الاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كليلة ودمنة

٣ كتاب الدرة اليتيمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في النصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب القاريء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الان مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكى باشا . ولها تتمة لابن العربي سماها « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة

وله كتب اخرى ادبية واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انو شروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نتفاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٢ — سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيماً فصيحاً شاعراً شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكى عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلة وعفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والمخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عليها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الريحاني له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . وللمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبد مكي اسمه سعيد ابن مسجح كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبدالله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالاً من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسجح بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية والقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو اول من فعل ذلك . واخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في اواخر الدولة الاموية واواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريض ومعبد وحكم الوادي وفليح بن ابي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها واصبحت الموسيقى عندهم علماً باصول . وقد جمعوا بين الحان اليونان والهنود والفرس والعرب فالفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان . فالفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلاً عما استنبطوه من الالحان او اخترعوه من الآلات

ففي العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . واصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . واول من دونه يونس بن سليمان الكاتب اصله فارسي وصار مولى لعمرو بن الزبير . نشأ في المدينة وكان ابوه فقيهاً اسلمه الى الديوان فكان من كتابه واخذ الغناء عن معبد ولم يكن في اصحاب معبد احذق ولا اقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو اول من فعل ذلك[1] وقد ضاع كتابه . والخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه اصناف النغم وحصر به انواع اللحون وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ اقسامه ونهايات اعداده وقد ضاع هذا ايضاً

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن ابي منصور الموصلي فالف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم نقف على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحان التي حدثت فضلاً عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استنبط الحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلي فاصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون في نسبته اليه .

---

(١) الاغاني ١١٤ ج ٤

والف يحيى بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت اهداه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين الف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون واطلقت الالسنة والافكار اخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحان واستنباط اسلوب جديد . واول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد — وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الامر لاخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من اعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات واطبعهم في الغناء واحسنهم صوتاً وهو يعدُّ من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً او يخففها على قدر طاقته — وانما تجرأ على ذلك بما له من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال « انا ملك اغني كما اشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين واصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فاخذوا في الرجوع اليه

على ان ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من اهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع اكثر ما وضعه العرب في الموسيقى او الغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . وسيأتي ذكره (١)



ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و٣٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت احكامه بعد ان افضت الخلافة الى بني العباس . وكان ائمة الفقه في المدينة فاراد المنصور تصغير امر العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة (١) وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها في امر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي . وعظم امر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع اهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس . فعلم امير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرَّده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه (٢)

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عيالاً فيها على اهل المدينة لانهم اوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلاً في العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج احكام الفقه من القرآن والحديث . فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه . وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به (٣) ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لان الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذي سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور ابا حنيفة واصحابه وهم المعروفون باهل الرأي والقياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم اهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين اهل الحديث واهل الرأي وزعيم الاول مالك وانصاره من اهل الحجاز واصحاب الشافعي واصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من اهل التقليد وعرفوا باصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبراً او اثراً . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي « اذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم اصحاب الراي ابو حنيفة النعمان واصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وابو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ واللؤلؤي وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ ﻫ وابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا اهل الراي لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار (١)

وجاء بعد مالك من اصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطلبي الشافعي فرحل الى العراق وخالط اصحاب ابي حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكاً في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي

واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ — ابو حنيفة النعمان

توفي سنة ١٥٠ ﻫ

هو النعمان بن ثابت مولى بني تيم الله من اهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ ﻫ وكان خزازاً يبيع الخز وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً كثير الخشوع دائم التضرع فاتصل خبره بالخليفة ابي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه اراد ان يوليه القضاء فحلف انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصلح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلاً تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة . وكان قوي الحجة حتى قال عنه الامام مالك « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دوياً وجهارة

وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعاً وعمدته في ما قاله القياس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدوًّا له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الأكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية . وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية

٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ المخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرهما

٢ — مالك بن أنس

توفي سنة ١٧٩ ﻫ

هو ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ ﻫ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ ﻫ بالهاشمية . وكان مالك بن انس ورعاً تقيًّا اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن انس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب :

١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي . ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ ﻫ وفي لاهور بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطليوسي ولابن العربي والقرطبي والزرقاني وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ ﻫ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ ﻫ وورد فيه على مايخالف مذهب مالك وطبع في لكناو الهند سنة ١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لا فائدة من ذكرها

٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي منها نسخة في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا

وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ — الإمام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ ﻫ

هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ ﻫ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ ﻫ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره الآن مدفن العائلة الخديوية . قدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها وما زال الى ان توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقرّ له بالسبق الاصمعي الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد «ما رأيت رجلاً قط اكمل من الشافعي» وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال «يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن» وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومئة مؤلف لم يصل الينا منها الا :

١ كتاب الام : رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدا هكذا «اخبرنا ابو علي الحسين بن حبيب بن عبد الملك في دمشق سنة ٣٣٧ قال اخبرنا الربيع بن سليمان قال اخبرنا محمد بن ادريس الخ» وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات

٢ السنن المأثورة : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ اصول الفقه : هي رسالة في الاصول طبعت بمصر

٤ مسند الشافعي بالحديث : منه نسخة خطية في يني جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير

٥ قصيدة تنسب اليه في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ — الإمام احمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١ ﻫ

هو الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيبان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ ﻫ وكان من اصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله «خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن حنبل» وظهر في ايامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصرّ على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي واهم مؤلفاته الباقية :

١ المسند : في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطاً في اكثر مكاتب اوربا والاستانة والمكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مسانيد اولها مسند ابي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين

٣ « الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

اصحاب الائمة

ونبغ طائفة من تلامذة اولئك الأئمة واصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر الا ثلاثة اثنان من اصحاب ابي حنيفة والثالث من اصحاب مالك وهم :

١ — القاضي أبو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ وهو من اهل الكوفة . وكان صاحباً للامام ابي حنيفة وقد اخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً اخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب ابي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد . وهو اول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر ابو احمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً :

« كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقلٌّ رث الحال فجاءني ابي يوماً وانا عند ابي حنيفة فانصرفت معه فقال « يابنيَّ لا تمد رجلك مع ابي حنيفة فان ابا حنيفة خبزه مشوي وانت تحتاج الى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة ابي . فتفقدني ابو حنيفة وسأل عني فجعلت اتعهد مجلسه . فلما كان اول يوم اتيته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا » قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي » فجلست فلما انصرف الناس دفع اليَّ صرَّة وقال « استمتع بها » فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي « الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع اليَّ مائة اخرى ثم كان يتعهدني وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شيء وكانه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » اهـ والباقي من مؤلفاته :

كتاب الخراج : فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس وايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي . وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ

وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ — محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق واصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس ابي حنيفة وتفقه على ابي يوسف المتقدم ذكره والف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب ابي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا انه « اذا تكلم خيل الى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما احاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رايت احداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات جمة اشهرها :

١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في اياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي

٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة

٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية ويني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب اوربا والاستانة والخديوية

٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية

٦ كتاب السير الكبير : وفيه احكام الحرب ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ — عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زبيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به اصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة منها نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها . وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ج١

ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب الى امام اشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣هـ له كتاب الخراج طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم واقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم . فان الشريعة الرومانية لم يستقر امرها وتضبط الا في زمن يوستنيان وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية باكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الائمة الاربعة المتقدم ذكرهم في الحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام ابو حنيفة زعيم اصحاب الراي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى ابن حنبل ٥٠٠٠٠٠ حديث او اكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم . فابو حنيفة الف كتاباً في الحديث خاصة . واما مالك بن انس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن . وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف بامه وقد ذكرناه

واشتغل في الحديث بهذا العصر جماعة كبيرة في انحاء المملكة الاسلامية اكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك اشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها :

ابن جريج من الموالي	١٤٩	ببغداد	الواقدي مولى	٢٠٧	بغداد
الاوزاعي عربي	١٥٧	ببيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١	اليمن
سفيان الثوري عربي	١٦١	البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢١٤	مصر
زياد البكائي «	١٨٣	الكوفة	« « مسلمة عربي	٢٢١	البصرة
ابن عياش «	١٩٣	«	كاتب الواقدي	٢٣٠	بغداد
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨	مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣	المدينة
السمان فارسي	٢٠٣	البصرة			

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلي هؤلاء الائمة في الحديث اصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الاتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا « اخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروي قال اخبرنا ابي قال اخبرنا ابو عبد الله قال اخبرنا ابو عبد الله محمود بن محمد الرازي قال اخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال اخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال .. » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسابين به . والتفسير لم يتضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية الا في العصر الاتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا الا في ما دعتهم اليه دولتهم واغراضها من الاطراء بمشاهيرهم او تحقيق الانساب لاجل العطاء ونحوه . ولم يصل الينا منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن او لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم الدولة الاموية او لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على ان التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة او الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فاهل المئة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما اخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي كتبت بها الايات او قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لانها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة او صلحاً او اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين اخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ — الشيخ ابو اسماعيل

اقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري من اهل اواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه منفصلاً في باب الانشاء من عصر الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ — الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ ﻫ

يليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦ في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢

٢ كتاب فتوح الشام : هو اشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ — ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعاليق بقلم المستشرق نساو . وطبع ايضاً في مصر سنة ١٨٨٠ ﻫ وغيرها

٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين

٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧

٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥

٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه . واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ ﻫ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في اماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رايت في ما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها فجرهم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجمهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم والفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر امم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ — ١٣٢٥ هـ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهوروفتس وليبرت وسترستين و ,, وكلمن . ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدريين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدراً واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والفا صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازيه وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطا وبرلين والاستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابها

ونعدُّ الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر وقد ذكرنا في الجزء الاول ماكان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ — هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسابة عالماً باخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها . اخذ عن ابيه محمد بن السايب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وايام الناس معدوداً بين المفسرين والنسابين توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . اما هشام فخلف نحو مئة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلاً صفحة (٩٦ — ٩٨) وقسمها الى ابواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وبعضها في اخبار الاوائل . وبعضها في ما قارب الاسلام من امر الجاهلية . وغيرها في اخبار الاسلام واخبار البلدان واخبار الشعر وايام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . واهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على انساب اهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ ازمان ولم يبق منها الا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

١ جزء من كتاب النسب الكبير او جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واوكسفورد ولندن وغيرها

٢ نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام : منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا

٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة

وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسابين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له ايضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : علان الشعوبي وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولاً عنهم في كتب الادب أو التاريخ او الفتوح كالطبري والبلاذري وياقوت وابي الفرج صاحب الاغاني وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي » وذكروا اسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في اواخر القرن الاول وفي النصف الاول من القرن الثاني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي لابن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في اوربا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

واما سيرة النبي كاملة فاقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك بن هشام . وقد اتفقوا على صحتها وفيها ايضاً نسب النبي وكثير من اخبار الجاهلية وانسابهم وعاداتهم وادياتهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على الظن انها دخيلة . وذكر صاحب الفهرست انهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى ابن اسحق ويسألونه ان يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . اما السيرة او المغازي فهي اقدم المصادر التي بين ايدينا واوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو اصله من البصرة واقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهي الموجودة في ايدي الناس. وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

اما ابن اسحق صاحب السيرة الاصلي فهو ابو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر . وكان ابن اسحق ثبتاً في الحديث والمغازي

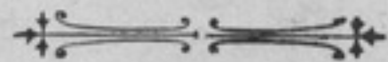
فسمع عنه اكثر العلماء . اتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه اهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي اخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صددها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١

وقد طبعت السيرة مراراً اضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستنفلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . والحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلاً عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفري من اهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة ايضاً في بولاق في ثلاثة اجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستتجارت سنة ١٨٦٤

واما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالاستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق اديب من ادباء ذلك العصر الا واتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي واصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد اسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه واكثر مؤلفيها من ابناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه .. وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد ان ظل المستشرقون دهراً يأسفون لضياعها والفوا في ذلك الكتب والرسائل



نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسـية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر ائمة الفقه ووضعوا اساس المذاهب الاربعة الباقيـة الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف اسلوبه وتولدت فيه ابواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعني علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلاً عن الترجمات

وكان اكثر اشتغال ادباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع الفاظها واخبار اصحابها وامثالهم واشعارهم وانسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . واكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي واهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم اخرى ستولد او تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج في ما يلي . وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يستلفت الانتباه من اخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعدُّ بالمئات او الالوف ولم يبقَ منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لاحدهم مئات من اسماء الكتب التي الفها ثم لا تجد منها الا كتاباً او بضعة كتب كما رأيت في اخبار المدائني وهشام الكلبي وابي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على ان هذا العصر احسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه. وستكون الاعصر الآتية احسن حظاً منه



العصر العباسي الثاني

او المئة الثانية من الدولة العباسية

من سنة ٢٣٢—٣٣٤ هـ

تاريخ

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الاتراك فيه على امور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . واما الاتراك فاول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم [1] وبدأ استبدادهم في ايام المتوكل على الله لانه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الاتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم اغراهم ابنه المنتصر (او هم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك اول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه اكثر من بضعة اشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل امر الاتراك استفحالاً عظيماً — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء انه لما تولى المعتز قعد خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال « انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له « فكم تقول انه يعيش وكم يملك » قال « مهما اراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك [2]

وقد قتلوا المعتز هذا شرَّ قتلة فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه واقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده [3]. والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس [4] . وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠
(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

قبقاب خشب — فلا غرو اذا اصبح الخلفاء آلة في ايدي الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك ان الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم ان يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوهم في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس اولادهم واقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم او قتلهم . ولا عشير لهم في اثناء الحجر الا الخدم والخصيان فالفوا اخلاقهم . وتحققوا بالاختبار ان حياتهم تتوقف بالاكثر على امانة اولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الخصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة اسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لاولادهم واهلهم . فاصبح ولاة العهد اذا افضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا اراد الاتراك الفتك بهم . فعمدو الى الاستكثار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في امورهم

واستكثروا منهم حتى الفوا منهم الفرق • واول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ ه وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي ايامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيره في اموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى ادت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فاصبح الناس يخافون على اموالهم وارواحهم لانها طوع ارادة الخليفة او الوزير أو القائد او تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده [1] ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام • فآل ذلك الى طمع العمال والولاة باعمالهم فاخذوا يستقلون فتشعبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول الديلم بغداد في ايام المستكفي سنة ٣٣٤ ه وانشأوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره أثر في آداب اللغة ولا سيما في الاداب التي هي من آثار النفس او اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحرية وعمد الناس الى التستر بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بامور تمت فيه وهي :

١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت الينا وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ ه

٢ فيه ظهر أثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على ادباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب وسنبين ذلك في مكانه — وراجع كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧ ه

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد احمد بن عبدالله بن سلام [1] ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولاً من اخبار الخليقة [2] وربما ترجموا سواه ايضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الان . واقدم ما وصل الينا من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ ه في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون على مصر وكان اسرائيلياً من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

(١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

في العبرانية واخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الاستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تتراغلوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليغلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جينا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنساوية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزُّهم مداحهم ... هزَّ الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا مافيهم ... مالأريحية منهم بمكان [1]

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعابيرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم • على ان الاراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الثالث الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نذر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنايات [2] . ولكن المشهور ان اول من فتق البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ٢

واتبع هؤلاء ابو تمام والبحتري . ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه وختم به [1] فانه الطف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه واساليبه بعين النقد . ولاسيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله ابو بشر من السريانية الى العربية . واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتي ذكرهم في باب الادب . اما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ما كان من الطعن في اعداء الخلفاء والامراء

٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة اخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيباً من الريحان :

قضيبٌ من الريحان شابه لونهُ ... اذا ما بدا للعين لون الزمردِ
وشبهته لما تأملت حسنه ... عذاراً تدلى في عوارض امردِ

وقول البحتري :

ووُرقٌ تُغني على خضرٍ مهدلة ... تسمو بها وتمسُّ الارض احيانا
تخال طائرها نشوان من طرب ... والغصن من هزّهِ عطفيه نشوانا

اشهر شعراء هذا العصر

قد رايت كثرة الشعراء في عصر بني امية للاغراض السياسية التي اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم . ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر

اما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بانفسهم ورجالهم كما رأيت فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد اصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلائم احوال ذلك العصر وهم :

(١) العمدة ٨٥ ج ١

١ — ابن الرُّومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو ابوالحسن علي بن العباس بن جريج او جورجيس ويعرف بابن الرومي نسبة الى اصلة وهو من موالي بني العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لانه اتى بكثير من المعاني لم يسبق اليها . ومن ميزاته انه لايترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلاً . ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فدس اليه ابن فراس فاطعمه خشكنانجه مسمومة وهو في مجلسه فلما احس بالسم نهض فقال له الوزير « الى اين » فقال « الى الموضع الذي بعثتني اليه » فقال له « سلم على والدي » فقال « ما طريقي على النار » واتى منزله اقام فيه اياماً ومات . ومن بديع شعره في المديح قوله :

المنعمون وما منوا على احدٍ يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضنَّ بالمال أقوامٌ وعندهم وفرٌ واعطى العطايا وهو يدَّان

وله ايضاً وقال ما سبقني احد الى هذا المعنى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجونَ نجومُ
منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله :

واذا امرؤٌ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءهُ
لو لم يقدّر فيه بُعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق اليه :

اذا دام للمرء السواد واخلقت شبيبته ظنَّ السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه يُظنُّ سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً :

سألتك في أمرٍ لجدت ببذله على انني ما خلت انك تفعلُ
والزمتني بالبذل شكراً وانه عليَّ من الحرمان ادهى واعضلُ
لئن سرني ما نلت منك فانه لقد ساءني اذ انت ممن يؤمل

ومن نظمه في الحكم :

ارى فضل مال المرء داءً لعرضه كما ان فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كحسمه

ومن بديع معانيه :

دهرٌ علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً وتعلو فوقه جيفه

ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته [1] . ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم . كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في علي بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي الشطرنجي والمعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدبر وغيرهم ممن عاصروه . وله اهاج شديدة ومدائح بليغة وقد ابدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب وله مراثٍ مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى في مكتبة طوب قبووفي نورعثمانية بالاستانة . ومن الغريب ان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ والفهرست ١٦٥

٢ — البُحتُرِي

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنبج من اعمال الشام وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء . واقام في بغداد دهراً طويلاً ثم عاد الى الشام . وله اشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد ادرك ابا تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذه الغرض . فلما سمع ابو تمام قوله اقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال له « انت اشعر من انشدني » واوصى به اهل معرة النعمان فصار اليهم فاكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

(١) العمدة ٨٢ ج ١

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على ابي تمام . وسئل هو مرة «من اشعر انت ام ابو تمام» فقال « جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه » وسئل ابو العلاء المعري أي الثلاثة اشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال « المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري » على انه امتاز بقوة التصور فانه كان يصور اخلاق الممدوح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها :

اخفي هوى لك في الضلوع واظهر ... وألام في كمد عليك وأعذر

ويقول منها :

بالبر صمتَ وأنت افضل صائم ... وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيناً انه ... يوم اغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى ... طوراً ويطفيها العجاج الاكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فاصبع ... يومى اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من انعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لمشى اليك المنبر

ظل البحتري في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة التامة حتى قتلا فرجع الى منبج . وقد تحدى ابا تمام في البديع ويعده اماماً له ويقدمه على نفسه كما رايت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعده من الشعراء وعرفت بطريقة اهل الشام . وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ اشعار اصحابها ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفتراً ضخم الحجم عليها كان لا يفارق

مجلسه ولا يملأ احد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله او يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحتري بخيلاً وسخ الثوب ومن ابغض الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى يهزّ رأسه مرة وكتفه اخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول « احسنت والله ما لكم لا تقولون احسنت » فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحتري غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ايضاً علي بن حمزة الاصبهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزئين كبيرين . اكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . وتكاد لا تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحتري

وللبحتري حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس . وهي تمتاز على حماسة ابي تمام من اوجه كثيرة : منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحتري من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر اكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاهما . كأن البحتري جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحتري ايضاً كتاب معاني الشعر . والف الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧١ كتاباً انتقاديا في الموازنة بين ابي تمام والبحتري تعصب فيه على ابي تمام وجدّ في طمس محاسنه وتزيين مرذول البحتري . طبع في الاستانه سنة ١٢٨٧ هـ

واخبار البحتري في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ والاغاني ١٦٧ ج ١٨ والفهرست ١٦٥

٤ – ابن المعتز

توفي سنة ٢٩٦ هـ

هو ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من ابناء الخلفاء العباسيين . تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضي بالله اقام يوماً وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا اعوان ابن المعتز وشتتوهم واعادوا المقتدر الى دسته • واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري الشهير يومئذ . فاخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى اهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين[1] وله[2] فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة ،مطلعها :

الا من لعين وتسكابها	تشكي القذاة وتنكا بها

الى ان يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي	فلمْ تجذبون باهدابها
لكم رحمٌ يا بني بنته	ولكن ارى العمَّ اولى بها
به نصر اللهُ اهل الحجاز	وابرأها بعد اوصابها

وعارضه صفي الدين الحلي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

الا قل لشرِّ عباد الاله	وطاغي قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد . ومزيته على الخصوص بما في شعره من انواع البديع كقوله في وصف مليح :

وجاءني في قميص الليل مستتراً	يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خدي في الطريق له	ذلاً واسحب اذيالي على الأثر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا	مثل القلامة قد قدت من الظفر

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء	بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في افق السماء كدرهم	ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته	عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابيهه قوله :

خليليَّ قد طاب الشراب المورَّدُ	وقد عدت بعد النسك والعود احمدُ
فهاتا عقاراً في قميص زجاجة	كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة	له حلق بيض تحلُّ وتعقدُ
وقتنيَ من نار الجحيم بنفسها	وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ومن مزاياه الابداع للمعاني • وكان ايضاً من الادباء والعلماء تثقف على

المبرد وثعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب فالف فيهما بضعة عشر مؤلفاً وصلنا منها :

١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب البديع : وهو اهم كتبه بالنظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ كتاب اشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت

وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ وفعل ذلك ايضاً لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت اشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرهما . وكل منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ — البسامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ ه

هو ابو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام ايضاً . وهو غير ابن بسام الشانتريني المتوفى سنة ٥٤٢ ه وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم . وكان شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه امير ولا وزير ولا صغير ولا كبير . وقد هجا اباه واخوته وسائر اهل بيته فمن ذلك قوله في ابيه :

هبكَ عمرت عمر عشرين نسراً	أترى انني اموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً	لاشقنَّ جيب مالك شقاً

وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت امية قد اتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله	هذا لعمرك قبره مهدوما

اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميا

وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء واخبار الاحوص وعمر بن ابي ربيعة لم يصلنا خبرها

واخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ — الخبز أرزّي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو ابو القاسم نصر بن احمد من اهل البصرة وكان امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد اشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس اشعاره . فمن غزله قوله :

خليليّ هل ابصرتما او سمعتما ... باكرم من مولى تمشى الى عبدِ
اتى زائراً من غير وعد وقال لي ... اجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه ... يدور بافلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطورا على تعضيض تفاحة الخد

وله ايضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما ... هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين ... وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب ... وكنت اظن الحبيبَ القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وامثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج ٢ وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ — ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه ابو بكر الحسن بن علي كان ضريراً من اهل النهروان جيد الشعر واشتهر بقصيدة رثى بها هرًّا والمقصود بالرثاء غلامٌ كان له قتله علي بن الحسين . والقصيدة من احسن شعره مطلعها :

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدِ ... وكنت عندي بمنزل الولدِ

فكيف ننفك عن هواك وقد ... كنت لنا عدةً من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا ... بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها ... ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مددٌ ... وانت تلقاهم بلا مدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان اكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ والدميري ٣٣٧ ج ٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في اول امرها تتشيع وتتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك . وعشقت سعيد بن حميد وكانٌ منحرفاً عن اهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها اشعار نفيسة منها امثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة اخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو واللغة والاخبار والامثال معاً . وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه استقل في ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة . ففي هذا العصر اخذ علم اللغة بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة اقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فنتكلم عن كل منها على حدة

وقبل التقدم الى ذلك لابدّ لنا من التنبيه الى امرين مهمين في تاريخ آداب اللغة :

الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل اهل الكوفة على اهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي احيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطاً بين الحضارة والبداوة . واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد ان سطا صاحب الزنج على البصرة واخربها . والامر الثاني ان نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلاً الى تأليف الكتب وغيرها . على مثال ما شاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول اوفاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . اما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء اهمها :

١ انه كان في العصر الماضي قاصراً على النقل بلا تصرف وانما كان همُّ الاديب ان يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي او سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وابو عبيدة فأصبح يتدبر تلك المرويات ويبني عليها او يستنتج منها حكمة او عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوهما عن اليونانية [1]

٢ ان ما المَّ بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حوَّل همَّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد واقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فاخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ اخذوا يجمعون شتات اخبار العرب على اختلاف مواضيعها وما خذها في كتاب واحد او بضعة كتب وترتيبها في ابواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على اخبار العرب واشعارها وامثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون اخرى من التاريخ او السياسة او الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ – الجاحظ

توفي سنة ٢٥٥ ﻫ

هو ابو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من اهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده اسود اللون جمّالاً لعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار ائمة الادب . نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة واصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان عازماً على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سرَّ من رأى . فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله اخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . واصيب في اواخر ايامه بالفالج النصفي فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما احس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمرُّ اديب او عالم بالبصرة الا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب احد ان يراه يقول « وما تصنع بشقّ مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه تحداه بها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلقى العلم على ابي سحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه ان المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من افعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار بل يصيرون من طبيعتها . وان الله لا يدخل احداً النار وانما النار تجذب اهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن ان يصير مرة رجلاً ومرة حيواناً . وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى . وان الله لا يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجوهر باقٍ . ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هاك اهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبيين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد وامثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحانين واحاديث ونوادر وغير ذلك وهو اصدق مثال للانشاء في اواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو اقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد ادبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب اخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمكائد : « « « « كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في اوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك : في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف : طبع بالاستانة سنة

(١) الشهرستاني ٤٠ ج ١

١٣٠٢ وفي مصر في ٤٤ صفحة

١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة : على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن

١١ المختار من كلام الجاحظ : وحكم علي : بمكتبة برلين

١٢ رسالة في بني امية : في المكتبة الخديوية

١٣ ثلاث رسائل : طبعت في ليدن . و١١ رسالة طبعت بمصر

١٤ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)

١٥ كتاب التاج : في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر

وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ — السُّكَّري

توفي سنة ٢٧٥ ه

هو ابو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع اهم ما بين ايدينا من اشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكري اشعارهم اي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والحطيئة ولبيد ودريد بن الصمة وعمرو بن معدي كرب والاعشى والمهلهل ومتمم بن نويرة واعشى باهلة وبشر بن ابي حازم والمتلمس والمسيب وحميد بن ثور وحميد الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولاً (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً . ومن القبائل التي جمع السكري اشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو ابي ربيعة وبنو يربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين ايدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرئ القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً . اما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل الينا مقتضباً مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء « كتاب شرح اشعار الهذليين صنعه ابو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من اشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري ـ ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٥٩ وله ٣ : شرح ديوان جران العود النميري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ ـ ابن قُتَيْبة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتثقف على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متفنناً بالعلوم صادق في ما يرويه مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبي فألف في اكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهاك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلطان ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السؤدد ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مئة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاستانة وهو اول كتاب في نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان العرفي واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستنفلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء او كتاب الشعراء اواخبار الشعراء وكلها واحد . وهو يحتوي على تراجم « المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » ويدخل في ذلك اخبار اشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظر وانتقاد . وقد طبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب : يبحث في ما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الاداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتّاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم . وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبطرسبرج وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة اشهرها شرح البطليوسي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ الامامة والسياسة : هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء في ما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧

٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلاً في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ اختلاف تأويل الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « « « ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتاباً . وفي مكتبة ايا صوفيا بالاستانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعني كتاب « الرحل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق • وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست ٧٧

٤ — ابن ابي الدُّنيا

توفي سنة ٢٨١ ﻫ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله . وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الاً :

١ الفرج بعد الشدة : مجموع اخبار اتفقت لاناس اصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ نحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ اول من الف في هذا الموضوع • ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ فالف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : و٣ ذم الملاهي : منها نسختان خطيتان في برلين

٤ فضائل عشرذي الحجة : في ليدن

٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

٧ اليقين : في كوبرلي بالاستانة ٨ الشكر : في نور عثمانية

٩ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ — قُدامة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ ﻫ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي كان ابوه نصرانياً واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩—٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان اديباً شاعراً الف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع وسنعود اليه . طبع في الاستانة سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ — الوشّاء

في اواخر القرن الثالث

هو ابو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء احد الادباء الظرفاء في اواخر القرن الثالث للهجرة • غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الاً كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية في ما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان . فهو فريد ببابه ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ — ابن عَبد ربِّه

توفي سنة ٣٢٨ ﻫ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد . اصله من موالي بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعاً . وانما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي اي سرد القصة شعراً وهو قليل في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين وكان معاصراً له . وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد: اما العقد الفريد فانه من اجل كتب الادب واحواها او هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلاً عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده. في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع. وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فسماها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب «العقد الفريد» ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ. والثاني في التعازي والمراثي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات واخبار الكتبة. والثالث في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وايام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمتنبئين والممردين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ. فاخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر. وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هناك من اخبار الخوارج والازارقة فضلاً عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلاً عن كتب ضاعت اصولها. فالعقد الفريد خزانة فوائد وهو من امهات كتب الادب الثقة. ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل. ولم يقتصر في ما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه. وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع. ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا. وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ — ابو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان. كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقاً بتصنيف الكتب والعب اهل زمانه في الشطرنج. وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اماكنه كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحتري. والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتاباً سماه «الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم» قال ابن النديم «انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء واشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى ايام المعتز». ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب اسماءهم على احرف الهجاء واكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائه الشعراء كمحمد بن ابان وابان بن حمدان بن ابان وغيرهما. واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله. وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلاً عن اشعاره. وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي وتوفي قبل ان يتمها. وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها. واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و ١٥٦

ادباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس. وابراهيم بن ابي عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين. وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوريال. (ولابي القاسم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق في ليدن



الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ماكان من اسلوب الانشاء في صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى في العصر الاموي الى عبد الحميد الكاتب فاطال الرسائل وادخل التحميدات في فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين في ذلك العصر كما يظهر في ترجمة كليلة ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

اسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنق فى الانشاء في معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوّع عبارته تنويعاً خاصاً كما فعل فى كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امراً استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل • وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين »

وقد يتفنن في تقطيعه كقوله : « وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً واوفر مع اجسادهم احلاماً . واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً »

وفي كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل اوالمقالات الادبية ونحوها . فانشاء الكتب لا يزال مرسلاً بلا سجع او تقطيع مثل كتاب كليلة ودمنة . واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدرون بها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق بها ويبذل جهده في تنميقها كما فعل ابن المقفع في كتابة الدرة اليتيمة التي اتينا بالمثالين المذكورين منها – فالتنويع الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء في الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

اسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لايشقّ لهم غبار إمامهم الجاحظ وضع اسلوباً في الانشاء نحدوه فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولاقافية . اوهو سجع لانشترط فيه القافية كقوله « جنبك الله الشبهة . وعصمك من الحيرة . وجعل بينك وبين المعرفة سبباً وبين الصدق نسباً . وحبب اليك التثبت . وزين في عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق . واودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »

وقد ادخل الدعاء حشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

« وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة . وعن الحصر من فوات درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »

وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفهاني جامع ديوان ابي نواس فانه من أهل العصر الثاني واسلوبه كاسلوب الجاحظ – قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك اقصى املك . وزادك من افضل ما خولك . واحسن ما منحك . ولا اعدمك جميل ما عودك . ان اصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر ابي نواس . يشتمل على كل اشعاره . وجل اخباره . وقد اسعفتك ايدك الله بطلبتك واجبتك الى ملتمسك .. الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار اكثر ابلاغاً للمعنى واشد تأثيراً في النفس حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الايجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه في بيعته « أما بعد فاني اراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في ادب الكاتب « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر .. »

ولا يؤخذ من ذلك ان تكون اساليب الكتّاب في ذلك العصر واحدة من كل وجه فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به . ولكن ابناء العصر الواحد تتشابه اساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسيرون على خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام اهل الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كساد كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوبية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر اهله . قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب العجز . وأعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذاك . فاين همة النفس وابن الانفة من مجانسة البهائم . وأي موقف اخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً — وفي الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلأ) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلاً عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين . ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . اما الناشىء منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدياد . والمتأدب في عنفوان الشباب ناس او متناس ليدخل في جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع بيع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشييد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر. وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل اديبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كاس . وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله .. الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو بالاكثار من اللفظ الغريب فانحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . واتى مثلاً على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له « ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط « والله ان كانت الا اثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب غض . والزمان زمان . واهله يتحلون فيه بالفصاحة . ويتنافسون في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابي علي القالي . وتزيد عليها العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابي الفرج الاصفهاني . واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع

ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين . وسيخطو خطوة أخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدهم من النحاة لانهم اشتغلوا في النحو وانما جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات . وان كان قد الف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقاً على كتاب سيبويه — فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

اشهر النحاة في هذا العصر

١ — ابو عثمان المازِني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو ابو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من اهل البصرة . أخذ عن ابي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله لهُ من المال لئلا يمكّنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « اظلوم ان مصابكم رجلاً * اهدى السلام تحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لابي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني اول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ — ابو العباس ثَعلَب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو ابو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلاً عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ والف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة . وقد الف انتقاداً عليه ابو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط . منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ ابي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً ابو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة . وقد كتب الزجاج نقداً عليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في اوله ان قواعد الشعر اربع امرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستخبارٌ واتى بامثلة عليهامن اقوال الشعراء الفحول . منه نسخة خطية في الفاتيكان وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ « « الاعشى : في تلك المكتبة ايضاً

٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهر وخزانة الادب . منه نسخة خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة

اخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ والفهرست ٧٤

٣ — ابو اسحق الزَّجَّاج

توفي سنة ٣١١ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج . سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلماً من المبرد فدلهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هاك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جداً تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره ما نصه « قرأه علي ابو جعفر احمد بن محمد بن مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ ... » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء اعضاء الانسان ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ — ابن الأَنْبَاري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من اهل الأنبار . وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان ابوه ابو محمد الانباري من اهل الاخبار والنحو فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب . وكان يضرب به المثل بسرعة الخاطر وحضور البديهة . وكان قوي الذاكرة يملي علمه مما حفظه في ناحية وابوه في ناحية اخرى من المسجد في بغداد . وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن . وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ . والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث . وكان يطيل التأليف فمن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما . واليك ما وصلنا من كتبه :

١ كتاب الاضداد فى النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ وفي مصرسنة ١٩٠٧

٢ » الزاهر : في معاني كلمات الناس . منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ شرح المفضليات : منه نسخ خطية في اياصوفيا وبني جامع والمكتبة الخديوية

٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة فى المتحف البريطاني وكوبرلي

٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ — ابن وَلاَّد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجّاج واسمه ابوالعباس احمد بن محمد بن ولاّد من اهل مصر . وقد توفي فيها • وخلف كتاباً فى النحواسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصرسنة ١٩٠٨وهوجزيل الفائدةمرتب على حروف الهجاء

٦ — ابوجعفر النحَّاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمدُ بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج . وقد يسمى الصفار • وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاخفش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة فى اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جيل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم

٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الأول فيها ايضاً

٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني

وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ — ابو القَاسِم الزَّجَّاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند . اخذ عن الزجاج فنسب اليه . وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً فى القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

١ كتاب الجمل في النحو : هو اهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره . ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر للانباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر كابن الحائل وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاخفش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مذاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدال بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه . وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون اشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ الف كتاباً في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في اربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مئة مسئلة ومسألتين — هذه امثلة منها :

عند البصريين	عند الكوفيين
الاسم مشتق من السمو	الاسم مشتق من الوسم
الاسماء الستة معربة في مكان واحد	معربة في مكانين
الفعل مشتق من المصدر	المصدر مشتق من الفعل
الاسم المنتهي بتاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون	يجمع
فعل الامر مبني	معرب
المبتدا مرتفع بالابتداء	المبتدا يرفعه الخبر
الخبر اذا كان اسماً مختصاً لا يتضمن ضميراً	يتضمن
يجوز تقديم الخبر على المبتدا	لا يجوز
لا يقام مقام الفاعل الظرف والجرور مع وجود المنقول	يقام
نعم وبؤس فعلان مبنيان	اسمان
لا يبنى فعل التعجب من الالوان	يبنى من السواد والبياض
يجوز تقديم خبر ليس عليها	لا يجوز
لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن	يجوز
لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام	يجوز
يقال قبضت الخمسة عشر درهماً ولا يقال الخمسة العشر درهماً	يجوز

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يُعدُّ لغويو هذا العصر ايضاً من النحاة او الادباء لكننا افردناهم لاشتغالهم على الاكثر في اللغة . نعني الالفاظ من قبيل المعاجم او ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الاتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك اكثر ممن تقدمهم من اهل العصور السابقة . فالف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ — ابو عمرو الهَرَوي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للاشعار والاخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجماً في اللغة بدا فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه احد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ — ابو حاتم السِجِستْاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . اخذ عن ابي زيد وابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقاً في النحو لكنه كان كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً اكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في اصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي اوالطبي او الزراعي وانما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

جلتهم طائفة من الشعراء كعبيد بن الابرص ولبيد وعمرو بن قميئة وجماعة من السادة والفرسان كاكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ودريد بن الصمة وزهير بن جناب وغيرهم . والكتاب رواية ابي روق الهمداني . لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . طبع في ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقي للمقدمة والتعاليق . وطبع ايضاً بمصر سنة ١٩٠٥

٢ كتاب النخلة : طبع في بالرمو بايطالياسنة ١٨٣٧ وفي رومية سنة ١٨٩١ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد ترجمة ابي حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ والفهرست ٥٨ وابن خلكان ٢١٨ج ١

٣ — ابو العباس المُبرّد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد ويعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ اهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وابي عثمان المازني . واخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوي الذاكرة كثير الحفظ معاصراً لثعلب المتقدم ذكره . وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء [1] وكان المبرّد يحب الاجتماع بثعلب وهـذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حُكم للمبرّد . وكان المبرد كثير الامالي يملي علمه على الطلبة او على من يدوّنه — ومنها سميت الامالي . وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفاً في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك وهاك ما وصلنا منها :

١ الكامل : هو كتاب في الادب وصفهُ المبرد بقوله « هذا كتاب الفناه يجمع ضروباً من الاداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية ان يفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب او

(١) ابن خلكان ٤٩٠ج ١

معنى مغلق » فهو يعدُّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه كثير من الفوائد التاريخية . اهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني امية . وقدطبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨

٢ كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب التعازي والمراثي : منه نسخة خطية في الاسكوريال

٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين

وترجمته في ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ والفهرست ٥٩

٤ — المُفَضَّل بن سَلَمة

في اواخر القرن الثالث

هو ابوطالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ « الضبي » ونظن ذلك سهواً من ابن خلكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ « الضبي » ويؤيد ذلك ان ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب . ووقع في ما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويشٌ في اسماء مؤلفاته فجاء اسم كتاب الفاخر « المفاخر » وكتاب البارع « التاريخ » وهو خطأ في النسخ اوالطبع . والمفضل بن سلمة من لغويي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطأه في كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا :

١ كتاب الفاخر : في اللغة وموضوعه معاني ما يجري على السنة العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما في كتاب مجمع الامثال للميداني . منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا في ١٣٥ ورقة

٢ كتاب العود والملاهي : في آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى . وهو يرى انه جائز وأتى بالادلة على ذلك . منها نسخة في جملة كتب زكي باشا

وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ - ابن دريد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . واخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن اخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان اقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة • ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس والف لهما كتاب الجمهرة الآتي ذكره . فقلداه الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ امرٌ الا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس . فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد في اللغة وكان من اكابرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار . وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

اما ترى رأسيَ حاكى لونه ... طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيضُ في مسوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد ابياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون . وله قصائد اخرى وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها واورد اشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً هاك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : او كتاب المقصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردوفيك سنة ١٧٨٦ وفي غيرهما • ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا اهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطاً للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات • وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من اشعاره الاخرى

٢ الجمهرة في اللغة : وهي اهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على احرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائي ثم

الثلاثي فالرباعي فملحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقاتهما • وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد . ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل . وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي اولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع احرفها • فيقول « علن الامر يعلنه علناً ... واللعن اصله الابعاد .. والنعل معروف .. ونعل الفرس ما اصاب الارض من حافره الخ » . وقد سماه الجمهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي وبني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ كتاب الاشتقاق : في اسماء القبائل والعمائر وافخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم . وفيه فوائد لغوية . طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ كتاب صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً

٦ « المجتبى : فيه اقوال النبي موجود في المتحف البريطاني وا كسفورد

٧ « السحاب والغيث واخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

واخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ — عبد الرحمن الهمذاني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن ابي دلف العجلي . له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا : كتاب الالفاظ الكتابية : وهو مما يستعان به في تمييق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكراع في اوائل القرن الرابع للهجرة رتبه على ستة ابواب في اعضاء البدن واصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له ايضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رايت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي ان الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب واخبار الفتوح والطبقات وذكرنا اشهر من الف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له اهل العصر الماضي . وانما عمد اهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد ان اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس [1] وبعد اتساع معارف القوم على اثر ترجمة كتب العلم القديمة عن اهم الامم . وقد تقررت احكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح واسبابها فاقتصروا على تلخيص اخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها . وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على اثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فاتجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في احوال المدن واحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب اوتفرع عنه نعني اخبار العرب وايامهم واشعارهم وشعرائهم وسائر احوالهم . فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر . فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة او تعبير او شعر او نحو ذلك . وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه قاصر على اخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالاصمعي وابي عبيدة وانما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى اربعة اقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ اخبار العرب واحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم اي تاريخ كل بلد او امة على حدة — او التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام. واليك اشهر من الف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة:

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

اولاً — مؤرخو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعدئذ كفتح بيت المقدس ونحوه او نقل ما مضى . وهاك اشهر مؤرخي الفتوح فيه :

١ — ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ ﻫ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام . واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وافضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجيهاً . وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفع اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر . الف دينار ومن رجلين اخرين الف دينار . وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صحب الامام الشافعي . والاخر عبد الرحمن الذي نحن في صدده وله مؤلف واحد كبير اسمه « فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقة طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادارة لجنة تذكار جيب الانكليزية في لندن . واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ — البلاذري

توفي سنة ٢٧٩ ﻫ

اسمه ابو جعفر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري . وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في اواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور . وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو ان برد المصطفى اذ حويته ... يظنُّ لظنَّ البرد انك صاحبُهْ
وقال وقد اعطيته فلبسته ... نعم هذه اعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر ايامه فأخذ الى البيمارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ اول ايام المعتضد وله مؤلفات اهمها :

١ فتوح البلدان : هو اشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب اطول منه كان قد اخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر . وهو يدخل في ٥٠٠ صفحة ذكر فيها اخبار الفتوح الاسلامية من ايام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة . وضمنه فضلاً عن الفتوح ابحاثاً عمرانية او سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وامر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق دي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو اجمع كتب الفتوح واصحها

٢ انساب الاشراف : ويسمى ايضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم فرجح انه من اجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة . وفيه كثيرمن اخبار بني امية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج

وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً — مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه . والغالب في هؤلاء ان يكون ما يكتبونه قاصراً على اخبار العرب وايامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك ايضاً انساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغيروجه العطاء على القبائل لم يبق لها شان سياسي حيوي . وبعد ان كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدرّ عليه المال اصبح قاصراً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في اوائل الدولة فاصبح من جملة اخبار العرب . ويدخل في هذا الباب ايضاً اخبار القبائل وحروبها وايامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة او ما يتألف من ذلك كالطبقات ونحوها وهاك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٢٤٥ هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عبيده وكان مؤدّباً . وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتاباً في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه « رايت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن ابي الخطاب بن الفرات في طلحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تنقص تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل احداً يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : او المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظاً المختلفة نسباً وضبط لفظها جيداً . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه ووستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جني

٤ كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٤ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزُبَير بن بكّار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من إعيان العلماء في المدينة ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

اخرها سنة ٢٥٣ ﻫ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ ﻫ وكان شاعراً اديباً جليل القدر . بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة الاف درهم وعشرة تخوت وعشرة ابغل يحمل عليها رحله الى سر من رأى

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفاً في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد (بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية الفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً لم يصلنا منها الا اربعة اجزاء من ١٦ — ١٩ طبعها ووستنفيلد في غوتجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣ — عمر بن شبَّة

توفي سنة ٢٦٢ ﻫ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ريطة النُميري لانه كان مولى لبني نمير ولد سنة ١٧٣ ﻫ ونشأ في البصرة شاعراً اخباريًا راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر من راي سنة ٢٦٢ ﻫ وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتاباً في وصف البصرة والكوفة ومكة وامرائها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتاباً وقفنا عليه في المكتبة الخديوية خطاً اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم واشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن واكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق . وهو من قبيل القصص التاريخية . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في ما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وسائر تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اماكنها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش او القبط او الروم او نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام . فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما الفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليحيى بن منده وغيرها

وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقي

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقي : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيلد في ليبسك سنة ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ٣ سنوات (١٨٥٨ — ١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقي المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهي . ومن شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة

وترجمة الازرقي في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طَيفُور

توفي سنة ٢٨٠ ﻫ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من اولاد الدولة . ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عامياً ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغاً عظيماً . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتاباً لم يبق منها الا النذر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد : هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم او نثر في العربية الى عصره في بضعة عشر جزءا . راينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية (١١و١٢و١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادباء ١٥٢ ج ١ والفهرست ١٤٦

اما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف كتباً جمة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه ليوسف ابن الداية المتوفي سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرّخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجاً فيه . وكانت التواريخ قبله في مواضيع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في اثناء ذلك علائق المسلمين بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فاخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدا بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . واهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سني وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ — اليَعْقُوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجدُّه من موالي المنصور . وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فكان سنة ٢٦٠ هـ في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . والف في سياحاته هذه كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في هذا الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها اليعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي نشره المستشرق هوتسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه اخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة . والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبه حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلاً عن قدمه ان مؤلفه شيعي فيأتي باشياء عن العباسيين يتحاشى سواه ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ — أبو حَنِيفة الدِّينَوري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من اهل الدينور . اخذ علمه عن البصريين والكوفيين واكثر اخذه عن ابن السكيت . وكان متفنناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعدُّ من النحاة او اللغويين ايضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان اهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني امية وخصوصاً اخبار علي ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في ليدن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة ابي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ — ابن جَرير الطَّبَري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب . منهم علي بن عبد العزيز الدولابي ومحمد بن احمد بن ابي الثلج وابن العراد وابو الحسن احمد بن يحيى المنجم وابو بكر ابن كامل وغيرهم . وكل منهم الف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انهُ قضى اربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعني التاريخ والتفسير ذكروا ان كلاً منهما كان في اول الامر ٣٠٠٠٠ ورقة اي ٦٠٠٠٠ صفحة ثم اشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ما هما عليه . وقد الف التفسير قبل التاريخ . وكلٌ منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وايامهم . وكان حرَّ الفكر صريح القول اذا اعتقد امراً جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم . فكثر اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم او يرتزقون بمراضاتهم ولاسيما الحنابلة لانه الف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال « لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدًا في بغداد فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهما اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها ابوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن ليلاً في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً والف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب اخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ في ٢٣ جزءاً . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً . وقد اتبع في اخباره الاسناد الى رواتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتغالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

للملوك واهل الثروة . ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما ارادوا طبعه في ليدن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمي . وترجمه عن ترجمة البلعمي زوتنبرج الى الفرنساوية وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في ٤ مجلدات . وترجم ايضاً بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ وترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي الف ذيلاً على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ سماه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيأتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث في ما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠ وترجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج١ وابن الاثير ٤٩ ج٨ والفهرست ٢٣٤

٤ — ابو زيد البلخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف واخذ عنه ثم عاد الى بلاده تخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك اتخذ في مولفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه وبعد ان كانوا يدرُّون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الالحاد شأنهم في كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولابي زيد عشرات من المولفات في مواضيع مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصلنا ما لم يذكره الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

١ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام انه اوسعها جميعاً في اخبار الخليقة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنساوية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنساوي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافيي العصر العباسي الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط

وترجمة ابي زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ — ابن البطريق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ . وخلف من الاثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجوهر » في التاريخ الفه لاخيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريركاً على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية . وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من اخبار النصارى واعيادهم وذكر البطاركة واحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعاليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي — فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي

وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مئة منها استعان بها المسعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفي ما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس تزلفاً من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التي ذكرها المسعودي فاتت صاحب الفهرست وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ اليعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان . على ان المسلمين بداوا بوضع الجغرافيا قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

اولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل

ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه ايضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . واول من فعل ذلك رواة الادب واصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكتبوا ما شاهدوه او تحققوه وصححوا كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (او العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند انفسهم لكثرة اسفارهم في سبيل الرحلة او لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها وبعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص ببقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » . واليك اقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ — ابن خرداذبه

في اواسط القرن الثالث للهجرة

هو ابو القاسم عبيد الله بن احمد بن خرداذبه . كان خرداذبه مجوسياً واسلم على يد البرامكة. وتولى حفيده ابو القاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخصّ به . والف كتباً في ادب السماع واللهو والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في اواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلاً عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ — قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصنعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مئة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلاً عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها ايضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ — كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . اما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من احوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره . وكان كلما رأى رجلاً من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره واحوال اهله واجناسهم واكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج واخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى الف كتاب البلدان . فهو من امهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد افاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في ايامه ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » . والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى اواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدامة ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤ — ابن الفقيه

هو ابو عبدالله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه احد اهل الادب في اواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصلنا منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩هـ) وصف به الارضين والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضاً . ويقول ابن النديم « انه اخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجيهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢

٥ — ابن رُسته

هو ابو علي احمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » . وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض.

ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في احوال شتى والمشتركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ — ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ ﻫ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعيات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ صفة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواها . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم واراء الاوائل وغير ذلك لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق . وقد اقتبسنا كثيراً منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزع المياه

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج ٣

٢ — ابن فضلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انفذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ ﻫ الى ملك الصقالبة بمهمة . فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية . ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ — سلسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وانما هو رحلة او رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب في القرن الثالث للهجرة . احدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من احوال التجارة وبعض اصنافها . والاخر ابو زيد حسن من اهل سيراف اكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى ابو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجاراتهم واسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنساوي

٤ — بُزُرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا ايضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة واوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطىء بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية — لغة الادب والسياسة والدين عندهم في اوائل القرن الرابع للهجرة . نقلاً عما سمعه من جوّاب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطىء البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر اهل هذا الزمان . لكنه يروي ما سمعه على علاته وفي جملة ذلك اسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من احكام التاريخ الطبيعي . ولا يطعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان اهل ذلك العصر معذورون في تصديق ما يسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب او الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم . وعند الافرنج من اخبار اجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة . وسنعود الى ذلك في مكان آخر

اما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فنه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا قديمة جدًّا وعنها نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان دزليت مع ترجمة فرنساوية لمارسل دفيك . وفي هذه الطبعة اربع صور ملونة منقولة عن مسوَّدات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل اسفار العرب في البحار لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها



ش ١٠: سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس. وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان



العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت ان الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لا تزال في اول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس . اما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعيات والمنطق فغيرت كثيراً من الاراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام او التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام او التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات اخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة ادلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير ان جماعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . واخذوا يكتبون ويقولون اقوالاً كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض اهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاؤا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام او التوحيد . وفي اثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية فاحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها فتوسعوا في ما ارادوه منها من تقوية الحجة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كلٌّ منهم تمسكاً بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيماً وهي الى ذلك العهد مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى ان ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم . فمال اليه جماعة وعولوا على رايه لما فيه من التسوية بين سائر الاراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

اقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنفية فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يالثغ بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره يخاص كلامه من الراء فلا يفطن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابوالهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هـذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل « لا اعرف لجزعك عليه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع » قال صالح « يا ابا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرا كتاب الشكوك » فقال له « كتاب الشكوك ما هو يا صالح » قال « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل « فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك ايضاً في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن الوهاب الجبائي : توفي سنة ٣٠٣ هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء ٠ ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٥ ابو حسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣ هـ سمع زكريا الساجي وابا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمـد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيراً وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من اراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسياً ونادى باعلى صوته « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرّفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعلها وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » واخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها واكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بـلال بن ابي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزليّ الكلام لانه كان ربيب ابي عليّ الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس ايام الجمعات في حلقة ابي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال ابو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى اظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في اقماع السماسم »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير يبصر وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقـال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبـل الاختصاص وكلامه واحد هو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهـذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازليّ فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلـكان ٣٢٦ ج ١ والمقريزي ٣٥٩ ج ٢

وهناك طائفة من المتكلمين اغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة المحدثين . واصحابها ثقة حتى الان وهاك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — البخاري

توفي سنة ٢٦٥ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ هـ كان مغرماً في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهوصاحب كتاب « جامع الصحيح » المشهور بصحيح البخاري اول الكتب الستة في الحديث وافضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه . طبع على الحجر بمصرسنة ١٢٧٩ هـ وطبع بالحروف بمصرمراراً . وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١مجلداً وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في ازمنة مختلفة.

وللبخاري كتاب خلق افعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي

وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ — مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ هـ

هو الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١هـ في نيسابور وكان من الائمة الحفاظ واعلام المحدثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث والف فيه كتاباً سماه « الجامع الصحيح » منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية • وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة اجزاء

وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ — ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ هـ

هومحمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ هـ كان اماماً في الحديث عارفاً بعلومه ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والف فيه كتاب « السنن » منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في ازمنة مختلفة . وطبع في دهلي على الحجر ١٢٨٢ وبمصرسنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه

وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ — ابو داود

توفي سنة ٢٧٥هـ

هوابو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني المتوفى في البصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان احد حفاظ الحديث الف كتاباً في الحديث سماه « السنن » وتعرف بسنن الامام ابي داود • طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفي لكناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس المجدي • وفي غيرهما . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ — الترمذي

توفي سنة ٢٧٩هـ

هو الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب « الجامع الصحيح » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ — النسائي

توفي سنة ٣٠٣ هـ

هوابو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضج في هذ العصر ايضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسيرالقرآن جمع فيه اقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بانصاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض . طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١جزءاً وهو من اجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

اولاً — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان اكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . واقدم من اشهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر واكبرهم واسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في اواسط القرن الثالث

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . وحذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق التراجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد الف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٣	كتاباً
« الحساب	١١	«	« الكريات	٨	كتب
« النجوم	١٩	«	« المنطق	٩	«
« الهندسة	٢٣	«	« الموسيقى	٧	«
« الفلكيات	١٦	«	« الاحكام	١٠	«
« الطب	٢٢	«	« النفس	٥	«
« الجدل	١٧	«	« الابعاد	٨	«
« السياسة	١٢	«	« تقدمة المعرفة	٥	«
« الاحداث	١٤	«	المجموع كله	٢٣١	كتاباً

ويؤخذ من مراجعة اسماء هذه الكتب ان الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد اصحابها . واكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الالهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبتين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة تحاويل السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ واخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢ — ابو نصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلي الكندي ابو نصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . اصله من فاراب لكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملاً درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحليل وانحاء التعاليم وافاد وجوه الانتفاع بها . والف كتباً في مواضيع لم يسبقه احد اليها ككتابه في احصاء العلوم الآتي ذكره وكتاب « السياسة المدنية » وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم اهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ الف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلاً في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى اصبح لا يضاهيه فيه احد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى . واصلح ما بقي من الترجمات غير مصلح ولخصها — اوعز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه « التعليم الثاني » ولذلك سموه « المعلم الثاني » [1]

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية او العبرانية اكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

١ كتاب مبادي اراء اهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في ليدن سنة ١٨٩٥

٢ كتاب احصاء العلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عدّ الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب اوربا والاستانة مع ترجماتها العبرانية او اللاتينية

و٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في ابحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر اماكن وجودها بروكلمن في كتابه [1] فليراجعها من شاء

وترجمته في ابن خلكان ٧٦ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ج٢ واخبار الحكماء ١٨٢

٣— ابن ابي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع» . وقد جاء في اوله انه الف للخليفة المعتصم بالله العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب اقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب واسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في اسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك ان اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من اسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ هـ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف ، وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل ان يتفرد رجل بهذا الاسم في اول القرن الثالث — ولكل عصر اسماء والقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان «المستعصم» (توفي سنة ٦٥٦هـ) فقرىء «المعتصم» وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

(1) Gesch. des Ar. Lit. I. 211

اما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى اربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ احكام الاخلاق واقسامها ٣ اصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ اقسام السياسات واحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار او الاحكام بشكل جداول او مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات . وهذا مثال منه

ويجب على الملك ان يحترز من هذه الخصال وتوابعها

ويجب عليه

ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

ثانياً — الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر ايضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هاك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ ه

هو ابو زكريا يوحنا بن ماسويه كان ابوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتثقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى في زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها . وقد نشرنا رسمه مع المترجمين

وترجمة ابن ماسويه في اخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ — ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ ه وله كتاب الاقراباذين الكبير كان معوّل الصيادلة في اثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشن

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وتراجم الحكماء ١٤٠

٣ — ابو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ ه

هو اشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وافلح واشتهر حتى تولى رئاسة اطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعتقده من مجالس العلم او يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن امثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان اصابوا والا تكلم الرازي . وكان كبير الراس مسفطه جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريماً متفضلاً رؤوفاً بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لامحل لها هنا

وكان اكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وامرائها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري الفه للامير منصور من آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود اليها

وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

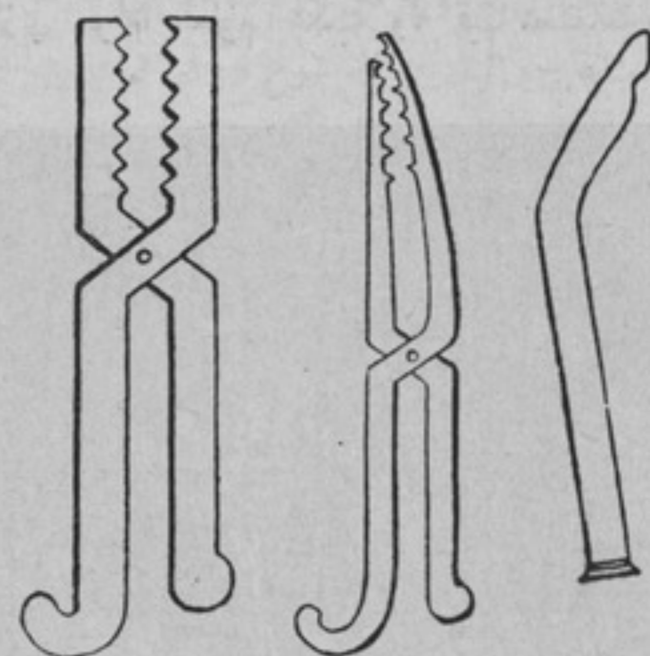


ش١٢: ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيماوية اهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . اما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . والف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقده اهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

اهله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع فغضب عليه وامر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي «كم طبقة للعين» فقال « لا اعلم » فقال « لايقدح عينيّ من لا يعلم ذلك » ثم قال « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ



ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي أكثر من مئتي مؤلف لا يزال باقياً منها الى الان بضعة وعشرون مؤلفاً يطول بنا وصفها وانما نذكر اهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو اجل كتبه واعظمها في صناعة الطب جمع فيه ماوجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني واخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الاهليه بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن والاسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

٣ كتاب الجدري والحصبة : وهو اول من وصف هذين الدائين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها

٤ كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية وهو موجود في مكتبة اوكسفورد

٦ كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ كتاب الطب الملوكي : يوجد خطاً في مكتبة ليدن

وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ وتجد ترجمته ايضاً في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ واخبار الحكماء لابن القفطي ١٧٨



ثالثاً – الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها اهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة او الفلاحة . وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة اجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الخديوية . ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣



العصر العباسي الثالث

او المئة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية. واما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده او المئة الثالثة للدولة العباسية. لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضيعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في اكثرها. ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك اسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها. ونقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت في ما تقدم ان العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني. فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني. حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب. ولكن المعتصم كان على مذهب اخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في ايام المأمون. وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته. وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في انواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ خلفه اخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى امر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه. وكان كثير الاستهزاء بعلي بمجالس من اشتهر ببغضه. وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد. فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه. وامر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وامر الشيوخ والمحدثين بالتحديث. فانحط علم الكلام بعد ان بلغ رونقهُ في ايام الرشيد وخلفائه فاخذ في التقهقر في ايام المتوكل لانهُ كان شديد الوطأة على اصحاب الرأي واصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة. واخذ منذ تولى الخلافة في مناوأتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم واهله. ولاقى اهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم. ومن اشهر حوادث نقمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم. وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من علية الكتاب واخذ منه مالاً وجواهر وامر ان يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ قتله رجاله فاضطربت احوال الخلافة واستفحل شأن الاتراك. فنفرت قلوب طلبة العلم واكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى انحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً ولذلك كان اكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون واصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ثم انتقل في ايام عمر بن عبدالعزيز في آخر القرن الأول للهجرة الى انطاكية. والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد. وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد ام المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية. فلما اضطربت احوال الخلافة في ايام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في انحاء المملكة لاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء واصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض. وتدرَّج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر. وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فاقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من اقصى تركستان في الشرق الى اقصى الاندلس في الغرب. ويدخل في ذلك ما وراء النهر وافغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت اسماء البخاري والنيسابوري والرازي والبغدادي والاندلسي . بعد ان كان اكثر انتسابهم الى اصولهم كالحميري والمازني والقرشي والفارسي ونحوها . او الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

اسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور على أثر البحران السياسي الذي اخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن تنشيط العلم . فكانت المئة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم فاقبلت المئة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية . والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة — فالعلوم الاسلامية ولد اكثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد . فلما تم نموها وادركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في فروع تلك الدولة او من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨—٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	« ٢٦١—٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	« ٣١٦—٤٣٤	«
الحمدانية	بين النهرين وحلب	« ٣١٧—٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرها	« ٣٢٠—٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	« ٣٥١—٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	« ٣٥٧—٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها او امرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا اراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم . لان العلم لايورق ولا يثمر الا في ظل ملك او امير يتعهده ويأخذ بأيدي اصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفي زمن الرشيد والمأمون في العصر العباسي الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذي نحن شأنه . وهو في هذا العصر اكثر ثمراً واصح نتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد ان كان نصيره الخليفة او وزيره او بعض عماله في بلد واحد اصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك وامراء ووزراء في اشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب او انخرط في الاسلام من امم الشرق والغرب . واخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك اشهر انصار العلم في ذلك العصر من الملوك او الامراء او الوزراء في الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التي ساعدت على هذه النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدولة وانصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك من ايام الرشيد وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في اواخر القرن الثالث فاجابوه

وجدُّ آل بويه الاقرب الذي اسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه ابو شجاع كان له ثلاثة اولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . واحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فانتظم اولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

باباً من ابواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت احواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ان يقاطعه على اعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فاجابه الراضي وبعث اليه بالخلعة . واخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدا مع اخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى اتوا بغداد في ايام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم الالقاب المذكورة . وجعل معز الدولة امير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم فرفعوا منار الشيعة واحيوا معالمها واضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما افضت امارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو اول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان اشهر ادباء ذلك العصر من وزرائهم او عمالهم او قضاتهم او كتابهم كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلبي . فضلاً عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على ان ملوك آل بويه انفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر اشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان اوسعهم سلطاناً واقواهم سطوة . وكان مشاركاً في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب واحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له ابو اسحق الصابي كتاباً في اخبار آل بويه سماه التاجي والف له ابو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمتنبي والسلامي وغيرهما وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى ان يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علوٌّ في الحياة وفي الممات لعمرك تلك احدى المعجزات[1]

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) امثلة من نظمه • ومن نكاته الادبية ان افتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه « ان الشام

(١) ابن خلكان ٦٣ ج ٢

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قوّيتني بالاموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط وهي « غرّك عزُّك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلَّك بهذا تهدا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة ابو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧) وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه واشعرهم واكرمهم . وكان بلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك ابو العباس خسرو ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد امثلة من اشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على ان تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على اخذهم بناصر الادباء والعلماء وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان (سنة ٣٢٠—٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصداً للشعراء والادباء واهل العلم كما سترى . وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال ياقوت « لم يكن في الدنيا احسن كتب منها كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة » وكان سابور ايضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ وكان المهلبي شاعراً اديباً وهو صاحب الابيات المشهورة التي اولها :

ألا موتٌ يباعُ فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في اشد الضيق قبل الوزارة

واكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة اخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجمه على حدة . وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يُردُّ له طلب ــ فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من اهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وبالجملة فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتابهم من الادباء ويتعاونون على نصرة الادب

٢ — الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من اشراف بلخ انشأ اعقابه دولة عظيمة في خراسان وتركستان . وزهت في ايامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها انشئت اقدم المدارس الاسلامية [1] وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محبًا للعلم والعلماء فاستوزر البلعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محبي العلم واهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو اول من اقترح نظم الشاهنامة (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فاتمها الفردوسي بعده باشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيجيء . وكان نوح رغاباً في استخدام رجال العلم . فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرًا يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدبير امر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بانه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جمل ـ ولعل له عذراً آخر كتمه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت اهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا في حديثه عن صبوته . وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن ابناء الدولة السامانية منصور الساماني لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فالف له ابو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع افراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقرُّ هذه الدولة في جرجان بطبرستان اول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ واشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً اديباً كاتباً من ابلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد الف في العربية رسالة في الاسطرلاب اطنب ابو اسحق

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٠٠ ج ٣

الصابي في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التي مطلعها .

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل حارب الدهر الامن له خطرُ
اما ترى البحر تعلو فوقه جيَفٌ وتستقرُّ باقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ ما لها عددٌ وليس يكسف الا الشمس والقمرُ

وذكر له صاحب يتيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يراسل الصاحب بن عباد . ووزيره ابو العباس الغانمي يراسل ابا نصر العتبي مؤرخ السلطان محمود الغزنوي

٤ — الدولة الغزنوية بافغانستان والهند



ش ١٤ : السلطان محمود الغزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك اولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ هـ لكن اشهرهم واعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٨٩ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالي الهند . وورث ما كان هنالك من اسباب الادب والعلم . واصبح مجلسه آهلاً بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامة التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم او شاعر الا استقدمه اليه . فعلم ان في مجلس مأمون ابن مأمون امير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وابو سهل المسيحي الفيلسوف وابو الحسن الخمار الطبيب

وابو نصر العراق الرياضي وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتاباً ارسله مع بعض خاصته خلاصته : « علمت ان في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم اليّ ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير ان يرد الطلب لكنه كان حريصاً على اولئك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر انه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والخمّار والعراق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما اردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وان لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استدناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر اهل ذلك العصر من اسباب الابهة وادلة الحضارة

٥ — الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى اخوه ابو الهيجاء بن حمدان اميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ ﻫ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة ابو الحسن علي صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة اديباً شاعراً نقاداً للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساقٍ صبيح للصبوح دعوته　　فقام وفي اجفانه سنة الغمضِ
يطوف بكاسات العقار كانجم　　فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضّ
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً　　على الجوّ دكناً والحواشي على الارض
يطرّزها قوس السحاب باصفرٍ　　على احمر في اخضرٍ تحت مبيض
كاذيال خودٍ اقبلت في غلائل　　مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره واخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء واهل الادب حتى قيل انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما

(١) Browne; Lit. Hist. of Persia II. 96

اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدلّ على شاعرية وعلم ويبذل لهم الجوائز السنية . واخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السري الرفاء والنامي والببغاء والواواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمداني الشهير وسيأتي ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرهما . كما اشتهر منصور واحمد ابنا كيغلغ من امراء الشام

٦ — الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ — ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ — ٣٦٦) وهما اشهر من ان نبين حبهما العلم والعلماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسها فضلاً عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه احد من الملوك قبله . وانشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من انحاء العالم . كان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني معاصراً له وهو امويّ مثله فبذل له الف دينار ذهب على ان يرسل اليه كتاب الاغاني قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي ابي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة اقاموا عليها خازناً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا ان فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة (١) فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسماً فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقري ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد . ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة احبوا الادب ونصروا اهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ ﻫ وكان عالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

٧ – الدولة الفاطمية بمصر

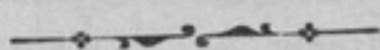
استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في اواسط العصر الذي نحن في صدده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم واهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ — ٣٨٦) والحاكم بامر الله (سنة ٣٨٦ ـ ٤١١) فانشأا خزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضيعها ـ انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من انواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا ايضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما اباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من الكتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقه ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراصد التي انشأوها كالرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصيرالدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء واهل الدولة فاشتهرت غير اسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان واصلهم من فارس لكنهم تعربوا واغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرهما . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون . وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة واصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك او الامراء او الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما الف الواحد منهم كتاباً للملك البويهي وكتاباً للساماني وآخر للغزنوي كما فعل ابو منصور الثعالبي فانه الف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلاعجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في اكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه

وقد رايت مما تقدم ان اكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية واكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد اخذوا في اعادة مجدهم قبل الاسلام بعد ان دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية واخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدًّا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين



مزايا هذا العصر

١ — نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على اسلوب اصبح قاعدة يتحداها اهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية اخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل اخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في اصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشؤ والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهدة والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . وتم تكون الانتقاد الشعري او الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال . وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو اهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائرالعلوم القديمة . ودار الحكمة او دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الان . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعدُّ من قبيل الموسوعات لتعدد مواضيعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ ه الفه لابي الحسن عبيدالله بن احمد العتبي وقسمه الى مقالتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلاً تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ الفقه ٢ الكلام ٣ النحو ٤ الكتابة ٥ الشعر والعروض ٦ الاخبار

والمقالة الثانية ٤١ فصلاً في تسعة ابواب : ١ الفلسفة ٢ المنطق ٣ الطب ٤ علم العدد ٥ الهندسة ٦ النجوم ٧ الموسيقى ٨ الحيال ٩ الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلاثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائلها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيراً من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة ابواب : ١ العلوم الخطية تسعة علوم ٢ العلوم المتعلقة بالالفاظ او العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علماً ٣ العلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات خمسة ٤ العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ العلوم الحكمية العلمية ثمانية علوم ٦ العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث واصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعدُّ بالمئات والالوف ضاع اكثرها وعلينا ان نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها اهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والفوا فيها منذ الف سنة او نحوها . كعلم

« تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحدُّه « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال» وموضوعه «احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام» وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدبير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلاً الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولاحمد بن الطيب وجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ — كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية نحوا بها ما نقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد الف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . والف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ ه ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب « سياسة المالك في تدبير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه الفهُ للمعتصم العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧ ه) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بيناها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جداً لم يغادر بحثاً من ابحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه واوضح مسائله بشكل الشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب «سراج الملوك» للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ — الاقتصاد السياسي

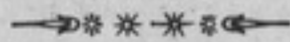
واشتغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صدده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفوا في المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضيعهم كانت خاصة في صنف او بضعة اصناف . ككتاب « الجواهر واصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وكتاب « اجناس الرقيق » لرجل من اهل مصر . وكتاب « مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ » ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعني به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ ابي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يظهر من بعض القرائن ان تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديها وغشوش المدلسين . وفصول في حقيقة المال وانواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة اوالاحتيال . ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ — علم العمران وغيره

ومن ابحاثهم ايضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم . وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون . فان في كتاب سياسة المالك المتقدم ذكره فصولاً كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم في هذا العلم . وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه

وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من اوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتاباً للهرثمي الشعراني الفه للمأمون سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين الاولى ٣ اجزاء والثانية ٣٦ فصلاً كلها في الحروب وآلاته . وذكر كتاباً قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن اكثرها ضاع . وسنأتي على تفاصيل اخرى عند الكلام على كل علم في بابه



الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن احوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر اكثر مما في سائر الآداب . لان الشعر مرآة احوال الامة كما تبين لك مما بسطناه عن احواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يمثلون به الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالغون . فصاروا في ايام بني امية واكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية . فلما استبحر عمران العباسيين واوى الناس الى القصور وسرحوا في الحدائق وشربوا الخمر وافتتنوا الغلمان ظهر اثر ذلك في اشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء . ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم اهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت اساليبهم

مزايا الشعر في هذا العصر

١ — حل القيود القديمة

ان اطلاع اهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة . فخطوا خطوة اخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه . واماما هذه الطريقة المتنبي والمعري . وقد رايت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يحذونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . فتملص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالا الشعر كما توحيه القريحة فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة او تصوير الجمال الطبيعي باعم معانيه وهوما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز وسنعود الى ذلك

٢ — مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على ان العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يمثلون بابطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم   شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه   متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كانما   رد الاله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خز الثيا   ب ومن دونها حالة مضنيهْ
كمن يكتسي خده حمرة   وعلته ورمٌ في الريَهْ

وقوله : ان الجهول تضرني اخلاقه   ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غضَّ من املي اني ارى عملي   اقوى من المشتري في اول الحمل
وانني زاحلٌ عما احاوله   كانني استدرُّ الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وامثالهم في اليونانية اما اقتباساً كما في اشعار المتنبي او نقلاً وتعريباً • واكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه امثلة مما نقله ابو الفضل السكري :

من مثل الفرس ذوي الابصارِ   الثوب رهنٌ في يد القصارِ
ان البعير يبغض الخشاشا   لكنه في انفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل   ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط   لا الزقُّ منشقٌّ ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من اصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سرَّه ان يرى الفردوس عاجلة   فلينظر اليوم فى بنيان ايواني
او سره ان يرى رضوان عن كثب   بملء عينيه فلينظر الى الباني

٣ — ابواب عديدة

وتولدت فيه ابواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في اسباب الرخاء فبعد ان كان الشعر الجاهلي اكثره في الحماسة والفخر والرثاء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو • وزاد العباسيون في العصر الاول الخمريات والتغزل بالغلمان • وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلائم احوال الاجتماع والمدنية اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات وصار النظم في الزهر باباً قائماً بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه امثلة في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هذا العصر ابواباً مستقلة . وهي تدل على تلطف اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلاً ما ينظم في الاخوان او الاصدقاء من اسباب التقارب كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله   ادنى اليَّ على النوى معروفهُ
كالكرم لم يمنعه بُعد عريشه   من ان يقرب للجناة قطوفهُ

والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدفْ   وهل اذا رميت اصبت الهدف
وهل جئت ليلاً بلا حشمة   لهول السرى سدفاً في سدف

والدهريات او شكوى الدهر كقوله :

يا دهر ما اقساك يا دهرُ   لم يحظَ فيك بطائل حرُّ
اما اللئام فانت صاحبهم   ولهم لديك العطف والنصرُ
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا   يرتاع منه لحادثٍ صدرُ

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر للثعالبي

٤ — المبالغة

غالى اهل هذا العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه اهل الاعصر الماضيه حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم   اذا راى غير شيء ظنه رجلا
. فبعده والى ذا اليوم لو ركضت   بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولاً انني رجل   لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واما المداحين في هذا العصر المتنبيان ابو الطيب وابن هاني . ومن مبالغات ابي الطيب في المدح قصيدته السنية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

الى ان يقول :

لو كان ذو القرنين اعمل رايه لما اتى الظلمات صرن شموسا
اوكان صادف راس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى
او كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه عُبدت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورايته فرايت منه خميسا
ولحظت انمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا
يا من نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه ابليسا

ونحو ذلك قوله :

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا
واقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله :

بمن اضرب الامثال ام من اقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهرُ

اما ابن هاني متنبي الغرب فيكفي مثالاً لمبالغاته القصيدة التي مدح بها المعز لدين الله الفاطمي ومنها قوله :

ماشئتَ لا ما شاءت الاقدارُ فاحكم فانت الواحد القهارُ
وكانما انت النبيُّ محمدٌ وكانما انصارك الانصارُ
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار

٥ — طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلاً حتى كثرت فيها ذوات المئات من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذة والاذويسة والفرس في الشاهنامة وهو الشعر المعروف بالايبوبة وتعد ابيات الواحدة بعشرات الالوف . على انهم ذكروا لابي الرجاء محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ قصيدة ابياتها تعد بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزني . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقولٌ ليس فيه تفكير اي لم ينظمه الشاعر من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية او نحوها

٦ — الوصف الشعري

واجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر بابٌ خاص . واول من اجاده منهم شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج والشعر الوصفي عند هؤلاء بابٌ من ابواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدنية حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على ان تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . واحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبرُ اخاك بشرا

الى آخرها . وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويداً رويداً مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحتري واحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن راى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات اذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجبُ الشمس احياناً يضاحكها وريّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماءً ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتز بالله قال فيها :

وكأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب سواحلِ
وكأن تفويف الرخام اذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابلِ
حُبكُ الغمام رصفن بين منمّرٍ ومسيَّرٍ ومقارب ومشاكلِ

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . وممن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والماموني . ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئاً منها بدار حوت منـ ـك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدرٍ كرحب صدرك قد زا د على ظن آمليك انفساحا

ثم اتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب او ما يحتاج الى فخامة اللفظ والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

يطأ البرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسٍ يجسُّ عليلا
ويردُّ غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما تزمجر نفسـه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكانما ركب الكميُّ جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة او التواريخ كما فعل اليونان والفرس قديماً او كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع

٧ — زيادة ابحره واوزانه

تولدت في الشعر ابحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين واول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في اواخر القرن الثالث للهجرة . واخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعاً حسناً عند المحافظين على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ) [1] فاجاد وجاء بعده ابن ارفع راس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان اول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء فى الدولة العامرية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت واخذ الشعراء يتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكانها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا اخذت الا عنه . واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . واول من صنع اوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل ان ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فاحدث التصفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر وفيه ايضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن ايراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقسم النقد الادبي او انتقاد المؤلفات الى اقسام اهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من اقل الامم نقداً وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم او اعمال الناس واحوال الاجتماع لاسباب سنبينها في ما يلي من هذا الكتاب . واما في ما خلا ذلك فهم من اكثر الامم ميلاً الى النقد او التمحيص وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه او اذا تيسر لهم الخوض فيه . اما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء واخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلاً خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه واسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رايت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيراً ما كان الجدال يفضي الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب . وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد ليبينوا فضله

على سواء . ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء اوالشعراء بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سُكينة بنت الحسين في المدينة اشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في ارقى الامم المتمدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة اخرى من نقاد الشعر لما اخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم وانديتهم للمفاكهة او المذاكرة لا تخلو من النقد

اما الطريقة او المذهب ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فاول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ابيات قالوها عرضاً

اما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فاول من اقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء . فانه صدَّر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقدٌ جميل قال في جملته « ان محمد بن اسحق افسد الشعر بما نسبه من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية » . وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب . وتجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . اما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري

على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد اواستحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو انه راى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصَّ به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر . وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في اوله . فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدَث وحسن حتى لقد هممت بروايته) ثم صارهؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء واشباههم . فكل من اتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له واثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله ولا حداثة سنه كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم او الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولاتقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ فافرد لذلك كتاباً خاصاً سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهواول من فعل ذلك فبين حد الشعروشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافها في ابواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدا بعمل جديد فترك اتمامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده

فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وقد ذكرناه في ترجمة البحتري (صفحة ١٦١) وهومن قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ردًّا على كتاب الفه الصاحب بن عباد في مساوىء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصياً بين المتنبي وخصومه لكنه يتضمن ابحاثاً في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه [1] . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢) باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعدُّ من قبيل النقد الشعري ايضاً كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد في اربعة مجلدات كبيرة وسنذكره في ترجمة الثعالبي

ونشأ في اثناء ذلك علم خاص يبحث في احوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

(١) تجد ترجمة علي بن عبد العزيز في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :

كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولمته . ويعد من قبل النقد الشعري ايضاً رسالة الغفران لابي العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسيأتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء

كتاب العمدة

على ان ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه قال « وعولت في اكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق

ونظراً لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابي عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ ﻫ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق في رسائله فسجعها وزينها بالتشابيه والكنايات يقلد بها المقامات في الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهليين فمابعدهم وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها في مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتباً في نقد الشعر لابي عبدالله محمد بن يوسف الكفرطابي المتوفى سنة ٥٠٣ ﻫ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم من شعراء بني امية يعدون في ذلك العصر محدثين فاصبحوا يعدون في العصر العباسي الاول قدماء وصار ابو نواس والعتابي واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدماء او مولدين في العصر الذي نحن في صدده وصار هل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعدُّ هؤلاء جميعاً قدماء

مميزات شعراء هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بامور اهمها :

١ انهم ظهروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادباء من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان

٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة

٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء

٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتي باشهرهم حسب سني الوفاة :

اشهر شعراء هذا العصر

١ – ابو الطيّب المتنبّي

توفي سنة ٣٥٤ ﻫ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفى بطن من سعد العشيرة من القحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان ابوه من العامة يسقي الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعاً على الشعر . فلما ترعرع حمله ابوه الى الشام يتنقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من اصحابه فمهر اولاً باللغة فحفظ غريبها وحوشيها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر او الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوماً من مريديه من ابناء سنه فبايعوه . وحين كاد يتم امر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدَّد الله ورد الخدود | وقدَّ قدود الحسان القدود

الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى | واوهن رجليَّ ثقل الحديدِ
وقد كان مشيهما في النعال | فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفلٍ | فها انا في محفل من قرود
تعجل فيَّ وجوب الحدود | وحديَ قبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وانا صبي لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه

ولما فرغت يده من الفتح طلب ماهو ابعد منه فزعم انه نبي اعتماداً على بلاغة اسلوبه فخرج الى بني كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . وقال انه اظهر دعوته هذه اولاً في باديه سماوة ونواحيها واخذ يتلو عليهم كلاماً زعم انه قرآن انزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة اورد ابو علي بن حامد جزءا من سورة قال انها ضاعت وبقي اولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف أثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من الحد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته

فقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبيـة . فنال منها ما لم ينله سواه فراجت سوق شعره بما اصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في اغراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق . فتسابق الملوك الى استدنائه بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء . فاحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦ هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح انوجور بن الاخشيد فاكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما راى كافور منه سموه بنفسه وتعاليه بشعره خافه وقال « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعي الملك مع كافور فحسبكم » فاغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فاتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه مفلح « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني | والسيف والرمح والقرطاس والقلم »

فكرَّ راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني. ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقه واجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على السنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل الصاحب بن عباد[1] او نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات اهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب في ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والتعصب له او عليه. وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر. فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخبـاره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر او اديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته. وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

(1) يتيمة الدهر ٨٧ ج ١

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحتري » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهم لم يجريا على اساليب العرب . وابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتاباً سماه الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من اشعار المتنبي واورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحتري وابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . وابو علي محمد بن حسن الحاتمي بين ما توارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة بل قال « لما رايت ابا الطيب قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم اورد بعض اقوال ارسطو وما يقابلها من اشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . وانتقد المتنبي جماعة من المستشرقين ايضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المتنبي ورتب على الحروف الابجدية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج واخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورجا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الافليلي المتوفى سنة ٤٤١ ﻫ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ ومن شرحه نسخة في مكتبة منشن واخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٧١ وفي اوربا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب اوربا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها اسماء شراحها . واحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجي طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والمنصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير . وقد عني الموسيو غرانجريه بنقل بعض اشعار المتنبي الى الفرنساوية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه اكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولاسيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عني هذا بترجمة بعض اشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠ .

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ويتيمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٦

٢ — ابو فِراس الحَمْداني

توفي سنة ٣٥٧ ﻫ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعر امير وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعدّ اشعر منه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول « بدئ الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأ القيس وابا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً لا اغفالاً واخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله

واشتهر ابو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في فخذه . فحمل الى القسطنطينية سجن فيها اربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرقة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بحمص فاعترضه ابو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣وسنة ١٩٠٠ وافردصاحب يتيمة الدهر فصلاً كبيراً لترجمة ابي فراس واشعاره (ج ١) وقد عني الموسيو دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن امثلةشعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزَّ الناس جاراً … وامنعهم وامرعهم جنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزار … حللنا المجد منه والهضابا
يفضلنا الانامُ ولا نحاشى … ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ … بانا الراس والناس الذنابى
ولما ان طغت سفهاء كعب … فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير انا … اذاجارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا … كما هيجتَ آساداً غضابا
اسنته اذا لاقى طعاناً … صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والاسنة مشرعاتٌ … فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت … وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا اصابت … مراميها فراميها اصابا

وقوله في العتاب :

قدكنت عدتيَ التي اسطو بها … ويدي اذااشتدَّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املتهُ … والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره … اغضى على الم لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم اواخذك بالجفاء لاني … واثقٌ منك بالوداد الصريح
فجميل العدو غير جميل … وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قولهُ :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا … ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنكم … اذا لم يقرّب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة … على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوّغ نفعه … فافضل منه ان ارى غير فاضل

ومن اضيع الاشياء مهجة عاقل … يجوز على حوبائها حكم جاهل

ومن النسيب قوله :

تبسَّم اذ تبسم عن اقاحٍ … واسفر حين اسفر عن صباح
واتحفني براح من رضاب … وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي … ومن صهباء ريقته اصطباحي

ومن التشبيهات قولهُ :

مددنا علينا الليل والليل راضع … الى ان تردى راسه بمشيب
بحالٍ تردُّ الحاسدين بغيظهم … وتطرف عناً عين كل رقيب
الى ان بدا ضوء الصباح كانه … مبادي نصول في عذار خضيب

ومن رومياته وقد شقت فخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفنَّ الحرب عندي فانها … طعاميَ مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي … وشقق عن زرق النصول اهابي

وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ — كُشاجِم

المتوفى نحو سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته «كتاب ادب النديم» وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وماعليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثه ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ . وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ — السري الرفَّاء

توفي سنة ٣٦٢ هـ

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين الموصليين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه احسن ابيات الخالديين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتي ذكرهما

وكان السري شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتنان بالتشبيهات والاوصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من اشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمتنبي وابن ابي حفصة وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من انامله كالعارض الساري	وفعله ابداً عارٍ من العار
اما ترى الثلج قد خاطت انامله	ثوباً يزرُّ على الدنيا بازرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية	نوراً وماء ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا	بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا	ناراً فانا بلا راح ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى	صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً	كـانه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر	فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى	في جحفل ترك الفضاء مضيقا

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويادبرها الشرقي لازال رائح	يحلُّ عقود المزن فيك ومغتدي
عليلة انفاس الرياح كانما	يعل بماء الورد نرجسها الندي
يشق جيوب الورد في شجراتها	نسيمٌ متى ينظر الى الماء يبرد

وللسري الرفاء ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة نقلت من المدينة المنورة اكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبي وبعض بني حمدان. وفيه اهاج في الخالديين وغيرهما وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنـه نسخ ايضاً

في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحبين واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الخمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن

وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج ١ والفهرست ١٦٩

٥ — ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ ھ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن ابي صفرة . كان ابوهُ هاني شاعراً في بعض قرى المهدية بافريقيا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد سنة ٣٢٦ھ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر امره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه فاشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدولة الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر فلقي القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به فوصل برقة فاضافه شخص من اهلها اقام عنده اياماً في مجلس انس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره فاسف المعز لوفاته وقال « هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق »

ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي الفاظه قعقعة وانين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان ابو العلاء المعري اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا اشبهه الا برحى تطحن قروناً » لاجل القعقعة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ — وانما فعل المعري ذلك تعصباً للمتنبي

وفي كل حال فانه اشعر اهل الاندلس على الاطلاق . هو عندهم كالمتنبي في المشرق وكان معاصراً له . واكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي وقد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها … هضبٌ ولا البيد الحزون حزونُ
عرفتْ بساعة سبقها لا انها … علقت بها يوم الرهان عيون
واجلُ علم البرق فيها انها … مرّت بجانحيه وهي ظنون
في الغيث شبهٌ من نداك كانما … مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هاني ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢

٦ — الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠هـ

هو ابو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالواواء. كان في بدء امره منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى اجاد واشتهر. وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير من اشعاره على السنة الناس من ذلك قوله:

بالله ربكما عوجا على سكني … وعاتباه لعل العتب يعطفهُ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما … ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسّم قولا عن ملاطفة … ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضبٌ … فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره ومطلعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه … قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وله من التشبيهات الابيات المشهورة:

قالت وقد فتكت فينا لواحظها … لِمْ ذا؟ اما لقتيل الحب من قود
واسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت … ورداً وعضت على العناب بالبرد
انسانة لو بدت للشمس ما طلعت … من بعد رؤيتها يوماً على احد
كانما بين غابات الجفون لها … اسد الحمام على طرق الهوى رصدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من المدينة المنورة اكثره مقاطيع في الخمر والغزل وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ — السلّامي

توفي سنة ٣٩٣هـ

هو ابو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي اخي خالد بن الوليد. وسمي السلامي نسبة الى دار السلام. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦هـ ورحل منها الى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقي جماعة من مشائخ الشعراء منهم ابو عثمان الخالدي احد الخالديين وابو الفرج الببغاء وغيرهما. فاعجبوا ببراعته مع حداثته فاتهموه بان الشعر ليس له. ثم خبروه بتجربة — وذلك ان الخالدي كان في يده نارنجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا اليه ان يصف ذلك المنظر فقال مرتجلاً:

لله در الخالدي … الأوحد الندب الخطير
اهدى لماء المزن عنـ … ـد جوده نار السعير
حتى اذا صدر العتا … ب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليه بعذره … عن خاطري ايدي السرور
لا تعذلوه فانه … اهدى الخدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من اشعر اهل العراق ومدح آل حمدان. ونزل على الصاحب بن عباد باصفهان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدولة في شيراز فحمله الصاحب معززاً مكرماً. فاكرمه عضد الدولة وكان يقول «اذا رايت السلامي في مجلس ظننت ان عطارد قد نزل من الفلك اليّ ووقف بين يدي»

ومن جملة مدحه اياه قوله:

اليك طوى عرض البسيطة جاعل … قصارى المطايا ان يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي … ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى … ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ومن بديع شعره في مدح الصاحب:

تبسطنا على الآثام لما … رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من احسن اشعاره. وتجد اخباره ايضاً في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ — البَبَّغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبدالواحد بن نصر المخزومي اصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت بينه وبين ابي اسحق الصابي واشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به واكثره في الغزل والخمر وفي الزهر فضلاً عن قصائد المديح . وفي اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيه قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله   للناظرين اهلةً في الجلمدِ
وكان طرف الشمس مطروف وقد   جعل الغبار له مكان الأثمدِ

واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة
واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ ويتيمة الدهر ١٧٣ ج ١

٩ — النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابو العباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عندهُ بعد المتنبي

وكان اديباً عارفاً باللغة وقد اشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المتنبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهراً حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قيص اللاذ يسعى   عدوٌّ لي يلقب بالحبيب
وقد عبث الشراب بمقلتيه   فصير خده كسنا اللهيب
فقلت له بما استحسنت هذا   لقد اقبلت في زي عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا   ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الراح اهدت لي قميصاً   كلون الشمس في شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدّي   قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السَّعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبي وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلاً قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكأنما لطم الصباح جبينه   فاقتص منه نخاض في احشائه
متمهلاً والبرق من اسمائه   متبرقعاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرُّها   لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الالحاظ في اعطافه   الا اذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطِرف المحاسن كلها   حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب اوربا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١

واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج١ ويتيمة الدهر١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضيَ

توفي سنة ٤٠٦ هـ

هو ابوالحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا بقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبيين فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حيٌّ . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من راي (سامرًّا) . وقد اجمع الاكثرون على ان الشريف الرضي اشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فاما مجيد مكثرٌ فليس الا الشريف الرضي . وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن

اجمل نظمه الدالّ على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي في جلسة جلسها فاوصل اليها الحجيج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهنّ الانيقُ   والركب يطفو في السراب ويغرقُ

وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزتَ في برد النبي وللهدى   نورٌ على اسرار وجهك مشرقُ
وكأن دارك جنةٌ حصباؤها الجـادئُ او انماطها الاستبرق
في موقف تغضي العيون جلالة   فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخصٌ متعجبٌ   مما يرى او ناظر متشوّق
مالوا اليك محبةً فتجمعوا   وراوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً امير المؤمنين فاننا   في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ   ابداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني   انا عاطلٌ منها وانت مطوّق

ويمتاز الشريف الرضى ببراعته في الرثاء وله عدة مراثٍ اشهرها رثاؤه لابي اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

ارأيت من حملوا على الاعواد   ارايت كيف خبا ضياء النادي

وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثي كان صابئيا

ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عينٍ ولا اذن   او لا فعش ابد الايام مصدوراً
والناس اسدٌ تحامي عن فرائسها   اما عقرتَ واما كنت معقوراً

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية ابي حكيم الخيري مرتب على ابواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثي (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويليها زيادات . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن لم تصلنا . وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة اشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ — صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغواني اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعالهُ   يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله   فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة   فاساله من ساعته عن العمى
من اكل الفحم تسود فمه   وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم   ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه   وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه   طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ — مِهيار الدَّيلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسيًّا واسلم على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يلحى على البخل الشحيح بماله   افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما   قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضمُّ اليَّ فضل قناعتي   وابيت مشتملاً بها متزملا
وأُري العدوَّ على الخصاصة شارة   تصف الغنى فيخالني متمولا
واذا امرؤ افنى الليالي حسرة   وامانياً افنيتهنّ توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم   فكانما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تفل كتيبة   لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ابيات تتضمن العتب وهي :

اذا صوَّر الاشفاق لي كيف انتمُ — وكيف اذا ما عنَّ ذكري صبرتمُ
تنفست عن عتب فؤادي مفصح — به ولساني للحفاظ يجمجمُ
وفي فيَّ ماءٌ من بقايا ودادكم — كثيراً به من ماء وجهي أرقم
ارقت فما ضناً عليه وبينه — وبين انسكاب ربما اتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في ايام ابن خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ — ابو العَلاء المعرّي

توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيهُ ابو الطيب المتنبي فاتحته — ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت امه ايضاً من اسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالي

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدري فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض . فكفَّ بصره وهو طفلٌ وكان يقول لا « اعرف من الالوان الا الاحمر لاني البست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر » لانه ابوه النحو واللغة في حداثته ثم قرا على جماعة من اهل بلده . ولما ادرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقراون له كتبها واشعار العرب واخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل ان يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة ارباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العابهم فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً . بل هو كان يقول « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » . وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عادتهم في ذلك العهد فاتى طرابلس واللاذقية وسواها من بلاد الشام واخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة . واطلع في اثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلاً عن سائر العلوم . حتى اذا نضج عقله وامعن النظر في الوجود راى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ واتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » واخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب . وانقطع عن اكل اللحوم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم — اقتبس ذلك من اراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه . ولزم الصوم الدائم

قضى ابو العلاء في هذه العزلة بضعاً واربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين . وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا اقواله واخباره . او يكاتبونه في استفهام او استفتاء ويأخذون عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩

وكان معدوداً من اقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب . اما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة . في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر . وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط اهمها التزام حرفين في القافية وقد نظمه في اثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين . فكان له وقع عند اصحاب الفلسفة فقالوا « ان ابا العلاء اتى قبل عصره باجيال » وتمتاز اشعاره في عزلته بصبغة سوداوية تكشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من اسباب السعادة — لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع او نوعين من الاطعمة . على ان اكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب . وقد نقل امين افندي ريحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره ايضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنساوية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة . طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمه في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

اما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً اكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل ابي العلاء : هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير . وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات . غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديه لو لا ما فيه من اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات . وطبع ايضا في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي مع ترجمة انكليزية وتعاليق وشروح تاريخية وادبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية . وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران : هي من جملة رسائله ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها . وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه احد . فتخيل رجلاً صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في « الرواية الالهية » وما فعله ملتن الانكليزي في «ضياع الفردوس » لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون . لان دانتي توفي نحو سنة ٧٢٠ ﻫ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ ﻫ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ ﻫ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . واقدمهما (دانتي) لم يظهر الابعد احتكاك الافرنج بالمسلمين . والايطاليان اسبق الافرنج الى ذلك . وتقسم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يُسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله او عملاً عمله فغفر له به . ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران — كانه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه احياناً من الابيات التي يعدها الناس كفرية . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملقى السبيل : هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن اصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ح . ح . عبد الوهاب التونسي . وهي على نسق رسائله الاخرى لكن اكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها واراء

شوبنهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث في الادب واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون . وانما ذكرناه لعل احداً يعثر على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاهمية فقد قال فيه الذهبي «حكى من وقف على المجلد الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والردف فقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد »

وعني ابو العلاء بشرح كتب هامة او اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي

وكان مشاركاً في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ويظهر أثر ذلك في اشعاره واقواله . ولو اردنا الاتيان بامثلة منها لضاق بنا المقام ودواوينه شائعة فيزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي بأمثلة اخرى في امكنة اخرى

مناقبه ومنزلته

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب ابي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخليقة . وهو اقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدريين . ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لانهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد تخليف الاولاد جناية . وكان يرى ان المراة لا ينبغي لها ان تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان فقضى النصف الاخير من عمره لم يذق لحماً . وله اقوال في هذا الموضوع سبق بها اصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة قرون . وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل بالتفكير . وكانت حقيقة الدين عنده ان يعمل الانسان خيراً لا ان يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وايدناه بالامثلة من اشعاره واقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد

سائر الشعراء

في العصر العباسي الثالث

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن احب الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخرزي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم. وانا نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ ابو الرقعمق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءاً : ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبد الله الحسن بن احمد بن الحجاج كان مجاناً : اليتيمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي. جال في ميدان المجون والسخف ما اراد. وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق. ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ولم نقف على ديوانه. ترجمته في اليتيمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه ويأسه بعد ان قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلاً فاعتل غماً ومات. وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد ان يختبره فلما كان بعد ايام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند راسه رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه   قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب. ولها شروح وتخاميس وقد تقدم ان الثعالبي ذكر بعضها للواواء الدمشقي. وقد شرحها علي بن عبد الله العلوي وخمسها علي بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من اسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص. ويريدون به « معرفة احوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة ». وهو الذي يتغير مع الاعصر كما بينا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي. ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان اساليبها متشابهة. اما انشاء الكتب اي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب اوتهديد اوتنبيه او تحريض فهذه قلما يعتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية او التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو اقل مجاراة للاحوال الاجتماعية. ولذلك رايت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه. اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقاً خاصاً. فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكيم او الرياضي. وقد يختلف اسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه. ولكنها ترجع كلها الى اسلوب خاص يختلف عن اسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على اسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارىء فينتقل الى اسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور. فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التأنق في مؤلفاتهم فجعلوا عبارتها كلها مسجعة. وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال — كان الترسل اكثر تعرضاً للتغيير في اسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا يغلب ان يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يتحداه معاصروه. كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها في ترجمة حاله . وقد رايت ما اصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ واصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع او التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والترف نعني ما صار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لا يخافون مزاحمة اوفقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سبقاً في بلاط نزحوا الى سواه — والرخاء يدعو الى التأنق فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم وانائهم فاطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق . ونبغ جماعة من اصحاب القرائح تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها اهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة اخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم اخذ في التقهقر . وهكذا اصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هاك اهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها اكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة اخرى على تفرغ صاحبها للتنميق ولا يكون ذلك الا في الرخاء — والسجع اذا اتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً . ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما امكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وامر ان يباع ويورد ثمنه في الحساب فاورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثروا من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية او الوشي للثوب . لا يزيد الوشي الثوب نفعاً للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفء

والستر ولكنه يزيده جمالاً . والجناس اوالبديع لا يزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقاً ولا سيما مع السجع . فقول ابي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد « كتبتُ الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعتباً كرة . فما وجدت للعتاب اعتاباً . ولا قرات عن الكتاب جواباً . وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني . وعن تواضع لا يضعه ويرفعني » لوجعله مرسلاً بسيطاً لم يكن له ذلك الوقع في النفس

٣ كثر فيه الخيال الشعري حتى اصبح سجعهم كالشعر المنثور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال او النكت الادبية او العبارات التاريخية او العلمية التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى ابي العلاء السروي :

« واحمد الله على كل حال واسأله ان يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته . وارغب اليه في ان يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته . ويزيل بركة الطول من ساعاته . ويردّ عليّ غرة شوال فهي اسرُ الغرر عندي واقرُّها لعيني . ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض عليّ هلاله اخفى من السرواظم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واضنى من قيس بن ذريح وابلى من اسير الهجر . ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوؤها ويحط من الاجسام نوّها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ اكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في اثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى اصبح الشعر فيه اكثر من النثر . كقول الصاحب بن عباد يصف فصلاً من كتب ابن العميد قال : « فصلٌ رايته فصيح الاشارة لطيف العبارة

اذا اختصر المعنى فشربة حائم وان رام اسهاباً اتى الفيض بالمدّ

فصل قد نظرته فرايته جسماً معتدلاً وفهماً مشتعلا

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله » الخ

وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطراً شطراً كقول الهمذاني من رسالة الى الخوارزمي :

انا اقرب دار الاستاذ كما طرب النشوان مالت به الخمرُ
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطرُ
ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل ابي بكر الخوارزمي وابي منصور الثعالبي وامثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه اونعته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم « قد حملتُ الى حضرة الشيخ ابياتاً عاتبته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب ايضا كقول ابي بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوساً وخرج من الحبس «كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى ابواب عملاً بسنة النشوء كما تفرع الشعر. فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب او خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » او بالحسبلة ونحوها

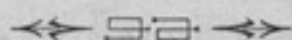
٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى ان تتفاوت اساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تُعنوَن بها كتبهم وادعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة اولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « اطال الله بقاء الامير » ولمؤنس المظفر « اطال الله بقاءك واعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان « لابي الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « اكرمك الله ومد في عمرك واتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليه وعباراته كالتسجيع والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميناها الطريقة المدرسية لانها صارت مثالاً توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سنذكره في مكانه

ومما لا بدَّ من التنبيه اليه ان ما يجري عليه الكتاب من تحدي القدماء في مذاهبهم وتقليد اساليبهم لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء واشعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد. فينبغ في العصر الثالث مثلاً كتاب يحذون اسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون اسلوب ابن المقفع او عبد الحميد او اسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في اهل العصر الواحد ان يخضعوا لما تقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشائهم صبغة خاصة به



المنشئون او المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب او من الشعراء . واشتهر من المترسلين في هذا العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم اقوى اركان تلك النهضة في النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلاً عن الادب والترسل حتى سموه « الاستاذ » وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني .

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان الصاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيجيء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد » يشير الى تفرده في العلم . وهو اسبق المنشئين الى اسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لا تجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشتهر بكثرته . واخذ الصاحب بن عباد عن ابن العميد وكان الصاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له مع ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخرى واتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى ان دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه واشار اليه بيده وقال « ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل واكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فاغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه القاهم وبأي حجة اقاومهم . ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مستقم . فان كان للنجاح علامة فاين هي ؟ وما هي الا ان الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأناً وانورهم شعاعاً وامدهم باعاً واشرفهم بقاعاً »

فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نحامد عليه » فقال ابن نباتة « ايها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغنيُّ اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجبُ هذا العتب من احد من خلق الله تعالى ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي » فقال ابن نباتة « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك

ولا كلفتني تقريضك ولكن جلستَ في صدر ديوانك بابهتك وقلتَ لا يخاطبني احد الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة . فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة . فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال »

فثار ابن العميد مغضباً واسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار مارًّا يقول « والله ان سفَّ التراب والمشي على الجمر اهون من هذا . فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مماكساً فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكانما غاص في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب اهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه كالمتنبي وابن نباته والصاحب بن عباد وغيرهم . كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة — وهي ان يقول احدهم شعراً او بيتاً في وصف شيء او حادثة فيتمه الاخر فالاخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من احسن شعره قصيدة قالها منها :

قد ذبت غير حشاشة ودماء ما بين حرّ هوى وحر هواء

الى ان قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم اغضاءتي فلعلها كالعين تغضيها على الاقذاء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني يوماً اقيك بها من الاسواء
فلوان ماابقيت من جسمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل :

ظلَّتْ تظللني من الشمس نفسٌ اعزُّ عليَّ من نفسي
فاقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظللني من الشمس

وترى امثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفايتين بعده بمثل شهرته

وتجد اخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢ ج ٣

٢ — ابو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ ﻫ

هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له ايضاً الطبرخزي لان اباه من خوارزم وامه من طبرستان . وهو ابن اخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماماً في اللغة والنسب اقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصد الصاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه للاشعار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون ان يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب « قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمهُ بذلك . فقال له ابو بكر « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار ابي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر امثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

اما ابو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣ — ابو اسحق الصابي

توفي سنة ٣٨٤ ﻫ

هو ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبُّون الحراني الصابي جدّ ابي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان ابو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه . وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه فحقد عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ ﻫ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب « التاجي » فقيل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال « اباطيل انمقها واكاذيب أُلفّقها » فهاج حقده عليه ولم يزل الصابي مبعداً في ايامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عزّ الدولة يحرضه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالقصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ منشئات الصابي : في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاة الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالمخابرات الرسمية في وصف الوقائع الحربية اوغيرها . منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ ﻫ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القُفْص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود او تقليدات رسمية للولاة او العمال او القضاة صادرة من الخليفة . كالعهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة واعمال الحرب يدخل في بضع عشرة صفحة . وفيه امور هامة عن احوال السياسة والادارة والاجتماع مما لايتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد اوالفقهاء اوامراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين اوالعمال اوالقرامطة . فضلاً عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشئات خزانة ادب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من ابلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أُنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشئاته المتقدم ذكرها وان كانت تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلاً عن المخابرات السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت

اما التاجي فلم يصلنا منه شيء

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ — الصَّاحب بن عبَّاد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى منزلته من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان اديباً منشئاً وعالماً في اللغة وغيرها . اخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد . ثم اطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وسمي به كل من ولي الوزارة بعده . وقد وزر اولاً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه فخر الدولة فاقرَّ الصاحب على وزارته وكان مبجلاً عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه او يتناقشون او يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ اغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور اولاً وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض . ومشى فخر الدولة امام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء اياماً . ورثاه ابو سعيد الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهشُّ الى السرى اخو املٍ او يستماح جوادُ
ابى الله الا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معادُ

وكان شاعراً مترسلاً مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلاً عن الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سجعة تحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة

لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر امثلة من نظمه ونثره فضلاً عن معرفته اللغة فانه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم . والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلمية . وله في الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة

وترجمته في ابن خلكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ — بديع الزَّمان الهَمَذاني

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغويًّا واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من اولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليه نظم القصيدة او انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطر منه وهلم جرًّا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الاستانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ

٣ مقامات تعرف باسمه وهي اقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن من فنون اللغة . وهو اول من وفاه حقه وجعله علماً . وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه اخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة اوموعظة او نكتة . والمراد بها في الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨ ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبد الرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩ وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ويتيمة الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ – ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩هـ

هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي – قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا العصر واهم ادبائه . ونعم الخاتمة لانه اكثرهم آثاراً واوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر اخبارهم واقوالهم . وكان في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كانما قد انعلوه بالرياح الاربع
لا شيء اسرع منه الا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو انني انصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الالمعي
اقضمته حبَّ الفؤاد لحبه وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله والبرقع

وله مؤلفات كثيرة اكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعني كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغه والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي في اليتيمة او غيره ممن ترجوهم . وهذه اسماؤهم وبجانبها مكان وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

٧	ابو الفتح البستي	في يتيمة الدهر	٢٠٤ ج ٤
٨	ابو الفضل الميكالي	» »	٢٤٧ ج ٤

٩	الخاتمي	في يتيمة الدهر	٢٧٣ ج ٢
١٠	الشابشتي	ابن خلكان	٣٣٨ ج ١
١١	التهامي الشاعر	» »	٣٥٧ ج ١
١٢	القسطلي	في اليتيمة	٤٣٨ ج ١

الادب والانشاء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليتراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب . لكنه يشتمل ايضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة او الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب او الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية او ينتبه له من اماكن النقص في الامة او رجالها اوملوكها فينتقده او يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في اسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن اسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب او الشاعر عندهم يكتب او ينظم او يمثل او يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجود او المجتمع الانساني او احوال الناس من حيث الادب او السياسة او الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب او الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء او الامراء من مدح او هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية . او يشببون بما يطرب الخليفة او الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم اوتسليتهم وتفريجهم . وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق . فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي او السياسي او الفسلفي مما يقتضيه النظر في الخليقة اونظام الاجتماع او الدولة . لان ذلك لا يلائم اغراض اصحاب السيادة . ولاسيما بعد ان صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة اوالاعتزال او الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدًا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فاصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء امراؤهم . واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى او سوء الاحدوثة او الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من اقوال ادباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النذر اليسير

ولعل اول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن ابو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيأة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء او الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدُّوا قوله شعراً فسموه الحكيم وانكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع واخذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدُّونه كما فعل عمر الخيام برباعياته

على ان اكثر ادباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية او الاخلاقية على نظم القصائد الحكمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . واكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي ان يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي او الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتي وهوكو وروسو وفولتير وغيرهم ممن الف القصص للمطالعة او التمثيل او القصائد او المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها باسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف احدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة او نكتة توسعها في نظام الاجتماع او قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر . الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وامثاله وهو تلميحيٌّ وليس هو عربي الاصل . وقد الفوا قصة عنتر مثلاً صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض ما صور هناك من المناقب فيتحداها الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصًا بالعرب بل هو يشمل اكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء . وهم اصحاب قرائح انتقادية حصروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون . او في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاة الامر في ما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه او تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة او القائمين على الدولة . او في المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة او نحوها . اما انتقاد المبادي الاجتماعية او السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف ان نقيس حال ادبائنا في تلك الاعصر بحال ادباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على ان تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من اصفى الناس اذهاناً وادقهم نظراً واأباهم للضيم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة ادبية لا مثيل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في ابان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغنائه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهم في الارض قطانُ
ان العراق وان الشام مذ زمن صفرانِ ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطينٌ مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقه كمنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من ثعالبهم كان ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا فتعرف العدل اجبال وغيطان

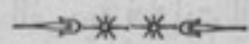
لا يقلُّ قوة عما قاله فيكتور هوكو من قصيدة « الملوك » وهي من اشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك « اتظنون اننا نحبكم ! نحن الذين نشتغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكدُّ ونجدُّ في حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من اتعابنا غير الجوع والعطش . وانتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم . وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش . نحن الخدم وانتم الملوك . نحن الغنم وانتم الذئاب . نحن الفريسة وانتم المفترسون . تبنون القصور من اموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن نقاسي نزاع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم »[1]

وقد تصور ابو العلاء الحكم الدستوري او الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف الامة الذليلة بقوله :

مُلَّ المقام فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدَوْا مصالحها وهم اجراؤها

وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم



الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ومال بالاكثر الى النظر في الشعر والشعراء من شرح اوتلخيص اوانتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد ان نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة — وان انكروا الفلسفة على اصحابها واتهموهم بالكفر . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبّت في عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم من انتقد الرواية والاخبار كابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وعمر بن حمزة . ونظروا في فحول الشعراء فشرحوا اقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا اقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها كما فعل الثعالبي امام المؤلفين في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

١ — ابو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربيٌّ امويٌّ يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني امية . وهو مع ذلك شيعيٌّ ويندر التشيع في بني امية . واسمه علي بن الحسين وكنيته ابو الفرج وانما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من اعيان ادبائها وافراد مصنفيها . وقد روى عن كثيرين وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعى في ذاكرته الوفاً من الاشعار والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث والانساب باسانيدها واسماء قائليها ورواتها . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلبي المتقدم ذكره . وكان يلقى سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويجيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر . والف ايضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبني امية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرًّا . وجاءه الانعام منهم سرًّا فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جمهرة النسب وكتاب جمهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتي على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ كتاب الاغاني : هو اشهر من ان يعرَّف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو امويٌّ مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تمَّ تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه . ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الا اقتناه ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال فلما اقتنى كتاب الاغاني استغنى به عنها

وهواجزاء كثيرة وصل الينا منها ٢١ جزءا في نحو ٤٠٠٠ صفحة . واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه في الاصل نعني « الاغاني » فصدَّره بمئة صوت كان الرشيد امر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للواثق بعده فامر اسحق بن ابراهيم فاختار له منها ما راى انه افضل واضاف اليها اشياء اخرى . فسار ابو الفرج على هذه الخطة معوّلاً على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به ان يكون بين كتب الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار . لان المؤلف اذا ذكر ابياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التي قيلت فيها من حرب او حب في الجاهلية او الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك واسبابه واحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على اخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . واكثر ايام العرب واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم . وفيه خيرة اشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر احوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من اخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لا يكتفي بالاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويبين اوجه الخطأ او المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان اشد وطأة في النقد على ابن خردادبه وابن الكلبي مما على سواهما . وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقها عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه . واخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً وضع لها الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي فهرساً ابجدياً مطولاً سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني كاملاً بمصر في ٢١ جزءا سنة ١٣٢٢ مع فهرس ابجدي مبني على فهرس جويدي . وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧هـ في كتابٍ منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة في كتاب سموه «روايات الاغاني» وهو جزان الاول في الروايات الادبية والثاني في الروايات التاريخية طبع في بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨

٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار في العراق ومصر وغيرهما وفيه كثير من اخبار الشعراء واشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك في نسبة هذا الكتاب اليه ويرى انه للشابشتي وترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتيمة ٢٧٨ ج ٢

٢ - ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هوابوعلي المحسّن بن علي التنوخي . ولد في البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسّن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولي وغيره ثم تعين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتنقل في مناصب اخرى واهم آثاره :

١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهومن كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية

٢ كتاب المستجاد من افعال الاجواد : فيه حكايات واخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج وايا صوفيا

٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبارتاريخية . في باريس وترجمة التنوخي في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ — ابو هلال العسكري

توفي سنة ٣٩٥ هـ

هو ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم في بغداد والبصرة واصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيراً ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . وابو هلال تلميذ ابي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ اما ابو هلال فقد خلف كثيراً من الكتب هاك اهم ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش امثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جدًا في بابه

٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم راى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعاني الشعرية

٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا

٦ كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو اول من الف فيه

٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة

واخباره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا . والثعالبي المذكور مدوّن اخبار العصر الذي نحن في صدده وخصوصاً الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هاك ما وصلنا منها :

١ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المئة الرابعة للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في اربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى ابواب باعتبار البلاد . فافرد باباً لشعراء الشام وماكان من احوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ولا سيما المتنبي وابو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بويه وشعرائهم وكتابهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول لكل من ابي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاخبار . وانه اغفل الوفيات فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف ابو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ ذيلاً لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة اهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . اولها باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد تاريخية هامة كقوله « اول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة واول من كسا الكعبة الحرير نتيلة .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش والممزق واسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات واخيراً نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضيع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة او المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها او تدرجها او تفرعها مما يفتقر الى درس طويل . وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عوّل عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز : يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ وفي الاستانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم او حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت
٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس
٩ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : في الادب وفيه فوائد تاريخية على اسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى اشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة

١٠ شمس الادب في استعمال العرب : جزآن الاول في اسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن

١١ الكناية والتعريض : في البلاغة ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها . منه نسخ خطية في برلين وفينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية

١٢ أجناس التجنيس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال

١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبرلي وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل اخرى

١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين

١٥ اللطف واللطائف : مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي

١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع واوصاف الليالي والايام والغزل والخمريات والاخوانيات . منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة

١٧ برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة اخبار وملح عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلاً يقول «ثلاثة لايسلم منهن أحد الظن والطيرة والحسد» وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل اخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١٨ التوفيق للتلفيق : في برلين

١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة

٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين

٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من اقوال الشعراء والمنشئين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ كتاب الغلمان : في برلين والاسكوريال . و٢٣ تحفة الوزراء : في مكتبة غوطا

٢٤ كنز الكتاب . فيه امثلة من اقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة

٢٥ احاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ احسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانه وفي المكتبة الخديوية

٢٧ المبهج : فيه اخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه

٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء واضدادها . موجود في برلين والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن

٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم

٣١ احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغا والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و٣٣ المقصور والممدود : و٣٤ المتشابه : منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية

٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى ايامه . وهو منتخب من احاسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة اسماؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي الفضل الميكالي معاصر الثعالبي

٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية وترجمة الثعالبي في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ — الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين وكان نقيب الطالبيين في بغداد. واسمهُ علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر. وهو اخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره. وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل الينا. ومن تصانيفه:

١ كتاب نهج البلاغة: وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الاقوال. وان كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله. أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهي له. وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر. ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر. وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعه. وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات: منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب: طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلكان ٣٣٦ ج ١

٦ — ابن رَشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده المحمدية فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها. فانتقل الى صقلية وأقام

بمازر الى أن مات. وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها:

١ كتاب العمدة: وبه اشتهر. يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه. وهو اجلّ كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ومن رفعه الشعر ووضعه ومن قفى له وقفى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقلين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبحوره والبلاغة والايجاز والاستعاره الخ.. وسائر اوجه البلاغة وانواع الفصاحة والجوازات والاوزان. وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك. وفي خلاله طائفة من احسن الاشعار وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد. قال ابن خلدون «ان كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله» طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها. وقد الف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن شرف رسائل سماها «رسائل الانتقاد» تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب: منه نسخة خطية في باريس. وقد ضاعت سائر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ ج ١

كتب اخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم:

١ الجليس الصالح الكافي: في مئة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب: للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة. وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات واشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة: للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين: لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ هـ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاستانة

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر او حماسة الخالديّين : هي مجموع مختارات من اشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة ابي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولهما اشعار نشرها الثعالبي في يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الخمور : لابي اسحق الكاتب القيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مئة معنى من جيد النظم . وقد اضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه او يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال ان مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد اخذه العرب في جملة ما اخذوه عن الاعاجم في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . واشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ ﻫ الف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات او القصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم «رومان» واحدها رواية وهي القصة عندنا . وانما اخترنا لفظ الرواية مجاراة لمفهوم القراء منها لانها عندهم ادل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . واما في العربية فانه من اضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والاداب في سياق قصة موضوعة . وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم «درام» وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر ان العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الالياذة ولا الانياد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبلة بن سالم وغيرهما . فمما نقل عن الفارسية كليلة ودمنة . وكتاب رستم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزارافسانه . وشهر يزاد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انو شروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب ادب الهند وغيرها . وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على اننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها اشهرها قصة عنتر والف ليلة وليلة وابو زيد الهلالي والزير والملك سيف والملك الظاهر وعلي الزيبق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهمنا هنا القصص او الروايات التي دونت في ذلك العصر او قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التي وضعوها

من عند انفسهم

اما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها. كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثار . وتجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وايامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح او حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنترة وغيرها على ايدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادئ الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما ان المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يفضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونونها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وابي عبيدة وامثالها . وتنوسي مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما تنوسيت اسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذ الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات او القصص قبل انقضائه . وهي تتفاوت بعداً عن الحقيقة وقرباً منها وصار بعضها يتلى في المنازل والاندية لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملاً ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية او هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا نحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل آداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم . واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها . والمشهور انها وضعت في اواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٢٠) وبينا هناك ان هذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي احسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى السنتهم كاملة وملخصة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في اوائل تكونها لانهم اسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ او ايام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) تشتمل على حوادث عديدة اكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الاشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنترة وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز واشعار حماسية وغزلية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع اخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصما عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطي وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٢٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليها قصة قطيعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنترة وتخلل ذلك اشعار حماسية

وبليها حروب بين وائل والمينين سببها ان اسيراً كان عند كليب فقتله كليب . ودخل في هذه القصة كليب ومهلهل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها استغرقت مئة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقاري انه يطالع قصة عنتر . لكنها اصح لغة واقرب الى اسلوب صدر الاسلام واقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الايدي وتناقلها القصاص شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنترلصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه اقرب الى التاريخ مما الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظنها خيالية اراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . او لعل الكاتب اخذ شيئاً من رواية ابن اسحق واتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة ١٣٠٥ يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها اقرب منها الى الرواية الخيالية. مبنية على حادثة تاريخية في اصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى انو شروان ان كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقة بنت المتجردة فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنمّ عن حداثة نظمها فضلاً عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مرويّ عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان من الميل الى المبالغة في ما يقصه استلفاتاً لاعجاب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة وتطويلها والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوعاً بيننا الياذة هوميروس فان لها اصلاً تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدوّنه أو انه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيبان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها تمثيل العفة او التفاني في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجميل بثينة . فالفوا قصصاً غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذي نحن في صدده . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير . واحمد وداحة . وقصة ابي العتاهية وعتب . واحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن اديم ومنهلة وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبائب المتطرفات من النساء كقصة ريحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان . وسلمى وسعادة . وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغيرذلك . واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ — القصص المنقولة

اما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب اداب الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل اداب تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماء بعضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاً واسماراً يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة الاف صفحة . وهي مشهورة ومتداولة ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها . وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصلٌ نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة نعني كتاب « هزار افسانه »

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ﻫ قال «وقد ذكر كثيرٌ من الناس ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسيرذلك في الفارسية (خرافة). ويقال لها افسانه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبرالملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في اصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية « ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من اولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرّفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى ان اتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطأها الى ان رزقت منه ولداً اظهرته واوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحماني (الصحيح اهما) ابنة بهمن » وهذا الوصف ينطبق على الف وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد . ولا ندري الان أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم اضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل اسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات انها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك اورجالهم كابي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص واسمار كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم او نقلوه عن سواهم

والارجح ان تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تم بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر . ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفرق بين اوذيسة هوميروس وانيادة فرجيل . فان هذه اكثرها منقول عن الاوذيسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح ان يقال عن الف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الاداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المراة فيها وصفاً يدلُّ على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال . وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس اومما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه

لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فاخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في اسفاره من الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر والحمير والوادي الذي حجارته من الالماس ويعج بالافاعي عجيجاً . وجبل القرود والثعابين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الان فانه لم يوضع دفعة واحدة وانما نما بالتناقل واصله مبالغة قليلة رواها اهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار في اخبار الهند مما فصلناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب . فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة لو تنوقلت شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على ان ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولاسيما في ما تلذ المبالغة فيه من اخبار الابطال والفاتحين . والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنترة مقابلة المئة والمئتين او اكثر من الرجال وحده وذلك مع بعده لا يخالف نواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المكدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعة



ش ١٥ : الاسكندر المكدوني يحارب اقواماً رؤوسهم وحشية

« نقلا عن اصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »



ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواماً متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقلاً عن اصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في اثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلى ادميٌّ والنصف العلوي وحشيٌّ (ش ١٥) . واقواماً وحشيين لكل منهم ست ايد (ش ١٦) . وانه حارب جنوداً من السلاحف واخرى من التنين . وانه بارز مرة حيواناً هائل بثلاثة قرون وبارز مرة اخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم . وفي (ش ١٥ و١٦) امثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصص قصيرة ابطالها من مشاهير العرب بالجود والحلم اوالوفاءاو غير ذلك . كقصة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخذيمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

وبالجملة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاغراض . عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص واعصرها . على انها لم تبق كما وضعت لان النساخ والطباعين نقحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقلت

الى اكثر لغات اوربا نقولاً تختلف قرباً من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب . وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من امثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها او يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتاباً شاهده بنفسه تأليف الجهشياري قال في وصفه « وابتدا ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربعماية ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورايت من ذلك عدة اجزاء بخط ابي الطيب اخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصلنا من هذه الكتب وامثالها غير الف ليلة وليلة

وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ظهرت قبل انقضاء العصر الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر ابي ضمضم ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين ايدينا الآن كقصة الزير والزيبق وبني هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

ونريد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عند الافرنج لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المراسح ليشاهدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا التمثيل على المراسح ولا الفوا فيه . وقد عدَّ بعض المستشرقين المقامات كمقامات الهمذاني او الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجلُّ كتابنا عن ان يكون غرضهم من تأليفها العبرة او الموعظة . وهي في الغالب مبنية على المجون وانتحال

اسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . او هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية او الشعر القصصي (ايبوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعيبه وتفريعه . على ان ابا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعني رسالة الغفران فانها تشبه ان تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها



ش١٧ : تشخيص عاشوراء في ايران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء . وتبتدئ هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله . اوهو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من اول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء . وقدوصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصرولكنهم لم يأتوا شيئاً كثيراً في النحووقلَّ الذين الفوا فيه من عند انفسهم . واكثر ما دونوه شروح على سيبويه او اعراب اونحو ذلك واكثرها ضاع . وهاك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من اهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر نرتبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ — ابن خالَوَيه

توفي سنة ٣٧٠ ﻫ

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه اصله من همذان ودخل بغداد وادرك حلبة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم اقام في حلب وتقرب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة . وله معه محاضرات حسنة . ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في اعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في اوربا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية دربنبرج . وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ ويتيمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ — ابو بكر الزُّبيدي

توفي سنة ٣٧٩ ﻫ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي . وكان اوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير . ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناءه فعلم هشام المؤيد ولي عهده الحساب والعربية . وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطة الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد الف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن ابي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة واخذ السيوطي عنه في المزهر ولا نعلم خبره . وله كتب اخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه اشياء فاتت سيبويه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي

وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ ويتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ — ابن جنّي

توفي سنة ٣٩٢ ه

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي قرأ على ابي علي الفارسي . وكان ابوهُ مملوكا روميًّا ولعل اسمه « جنّي » معرَّب عن لفظ يوناني مثل « جنايس » توفي ابن جني ببغداد وهو اعظم نحويي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هاك اشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة : كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في اصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها وما خذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة اجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣و٤ في مكتبة غوطا . واجزاء اخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على احكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدا بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف واين يكثر او يقلُّ من حيث

موقعه من الالفاظ . واحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضيع التي تهمُّ طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلي بالاستانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين واياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المبهج : هوشرح اسماء شعراء الحماسة شرحاً لغويًّا لا تاريخيًّا . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي : اوجل اصول التصريف مطبوع . في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخم في نيف و٤٠٠ صفحة فيها شرح لغوي نحوي موجود فى ليدن وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جني في ابن خلكان٣١٣ج١ ويتيمة الدهر٧٧ ج ١وطبقات الادباء ٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر فى هذا العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً — فان في الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ ابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبه اكسفورد . وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة ٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب الفات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منها شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خلكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ابو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للعكبري . وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ ــ ١١ ابو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦ والربعي سنة ٤٢٠ والافليلي سنة ٤٤١ والثمانيني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه ان فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم او على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سنفرد لهم فصلاً خاصا بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ — المُطَرِّز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرّز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من اكابر ائمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في اكثر نقله ويقولون "لو طار طائر لقال ابو عمر «حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا» ويقال انه املى من حفظه اكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ — ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جدُّه من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ اهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة . واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لهما ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة اي الف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ — ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر . وكان الصاحب بن عباد يودُّ الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلاً فاحتال في السفر اليه ولقيه واطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل الينا منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحَّف والمحرَّف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعدُّ من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ « الحكم والامثال : » مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة ابي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣

ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة المتوفى سنة ٣٩٩ والسمسماني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧ وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ ﻫ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموُّها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن بنا ان نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

اسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجماً فيه ٤٠٠٠٠ كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . واقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفى سنة ٢٨ قبل الميلاد . ونحو ذلك الزمن او بعيده ظهر اقدم معجم للغة هوميروس الفه ابولونيوس الغراماطيقي الاسكندري في زمن اوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملاً سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم اسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

مآخذ المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التي تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم او على المعاني المتشابهة او المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من افواه العرب في ادوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧

فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه او يأخذونه عمن سمعه ويدونونه او ينقلونه . ويدخل في ذلك اشعار العرب واخبارهم

وامثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك اولاً في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاء والنبات والشجر والنخل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما الفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائي وابي زيد والشيباني والقالي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي . وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان احوالها اللغوية . وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧ ﻫ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالي . وابنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره

ومنها كتاب « ديوان الادب » لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره . جعله على ستة كتب اولها في السالم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وامثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على ان الذين الفوا المعاجم رجعوا ايضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة او ممن سمعها عنهم . وقد ذكرنا صفحة ٩٧ اسماء القبائل التي اخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم :

تاريخ المعاجم العربية

اول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونفطوية . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ — التَّهْذِيب للأزهري

المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

هوابو منصور محمد بن احمد بن الازهرطاحة بن نوح بن ازهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطوية ورحل فطاف ارض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في اسر قوم نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث ايام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البـدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في اسرهم دهراً طويلاً يشتي في الدهناء ويربع في الصمان ويقيظ بالستارين فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمة . فلما الف كتابه « التهذيب » ادخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين اي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة اورد فيها اسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم واسماء الذين ساؤا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي في الاستانة ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثاني بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جداً

٢ كتاب غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلي

وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ — المُحيط للصاحب بن عبَّاد

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

قدتقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه « المحيط » مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجز الثالث في المكتبة الخديوية

٣ — المُجْمَل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هوابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة . وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب ابن عباد . وكان استاذ عصره وقد خلف مؤلفات ذات شأن هاك اشهرها :

١ كتاب المجمل في اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة . اخذ اكثرها عن السماع واخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية في برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد ويني جامع وكوبرلي . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر : في برلين

٤ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطي بالمزهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحبي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . تسمى بذلك لانه الفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه ابحاث في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة : جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم ساغب لاغب ومايق دايق والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ — الصِّحاح للجَوْهَري

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . اصله من فاراب بلاد الترك ولذلك سموه الفارابي ايضاً . وهو غير ابي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلاً . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ما صح عنده فجاء اوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهري وجمهرة ابن دريد . ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع «قلب» مثلاً قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي . ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم . وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت في معجم الادباء قال « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ ابي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعترى الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال أيها الناس اني عملت في الدنيا شيئاً لم اسبق اليه فسأعمل للآخرة امراً لم اسبق اليه . وضم الى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم انه يطير فوقع فمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فبيضه ابو اسحاق ابرهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه ابو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرهما . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢ ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من اهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره وكل ما اهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . والف كثيرون في نقد الصحاح للاسباب التي قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تتميم علم العروض والزيادة في اوزانه(١) وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ — الجامع للقزّاز

المتوفى سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزّاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ — المُوعَب للتياني

المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من اهل قرطبة . الف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد . لكن الكتاب ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ — المُحْكَم والمُخَصَّص لابن سِيدَه

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

وهو آخر اصحاب المعاجم التي ظهرت في ذلك العصر واعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سِيدَه المرسي الاندلسي كان ضريراً وابوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فاخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً اقام في مرسية وتوفي في دانية من اعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هاك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة ابيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من اوائل الفاظها وهي :

(١) العمدة ٨٨ ج ١

علقت حبيباً هنت خيفة غدره   قليل كرى جفني شكا ضرٌّ صده
سبا زهوه طفلاً ديانة تائب   ظلامته ذنبٌ نوى ربع لحده
نواظره فتاكة بعميده   ملاحته اجرت ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد انتقى شواهده من اوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه اجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة الاف صفحة خطها قديم مغربي وللمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفى سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصص : وهو معجم معنوي اي ان مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه اوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه اجزاء خطية متفرقة في مكتبتي اكسفورد والاسكوريال . وهو اوفى كتاب في بابه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها او المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية او الامم او الاشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية . واكثرهم يقربون الكتاب ويغرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بابي اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الاتي ذكره :

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة او الدولة يدون غالباً في اواخر ايامها او بعد انقضائها .

واما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بايعاز منهم . ونظراً لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالاخشيديين فالفاطميين ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف اوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلاً ابوهلال العسكري وقد تقدم ذكره

اما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فالمؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الغرائب . واكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هونفسه من اهل الاسفار وكذلك ابو زيد البلخي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الاتي ذكرهم

ويقال على الاجمال ان النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تحاشياً من التعرض للاحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعة وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامة ثم الخاصة ونرتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامة

١ — المسعودي

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هوعلي بن الحسين بن علي من ذرية عبد الله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي . نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسكر وعاد الى عمان . ورحل رحلة اخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والثغور الشامية الى دمشق . واستقر اخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفي في السنة التالية . ولم يفتر في أثناء اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافيـة مالم يسبقه اليه احد . والف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضيع شتى اهمها في التاريخ وهاك اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من ان يعرف لشيوعه وقد طبع مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الخليقة وقصص الانبياء مختصراً ثم وصف البحار والارضين وما فيهما من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم واوابدهم واطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى ايام المطيع لله العباسي (توفي سنة٣٦٣)

ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في ايامه لم يه لنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري . واما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه . ولذلك فقد عني المستشرق باربيه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنساوية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراش في مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١

٢ كتاب اخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة : وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من الاشارة اليه في مروج الذهب ـ اذا اختصر الكلام في باب قال « وقد فصلنا ذلك في كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن . وليس منه الا الجزء الاول في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضاً ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق [1]

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

٤ كتاب التنبيه والاشراف : اودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها واقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة

وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حَمْزة الأَصفهاني

توفي نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقيماً في بغداد باوائل القرن الرابع واصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعوّل في ما كتبه على المصادر الفارسية واشهر كتبه :

١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبهُ في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس والروم وغيرهم . ويوجّه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة . طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن

٣ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسـية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النَّديم

توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه اول من دونها منذ نحو الف سنة في « الفهرست » ولولا هذا الكتاب لضاع اخبار كثير من آداب هذا اللسان . فهو اول من الف في آداب اللغة واليك وصف كتابهِ :

كتاب الفهرست : بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصوَّر امثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة واصحابها فالاسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات واخيراً الكيمياء واصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الأثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٣٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من اول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامة والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والناشي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة ادب لا تثمن لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى مالم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشي

توفي سنة ٤٢١ ه

هوابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الغرر في سير الملوك واخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابنائه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصغرى التي تفرعت من الدولة العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ — مَسْكَوَيْه

المتوفى سنة ٤٢١ه

هو ابو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم . وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلاً عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك وتنقلت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل انيقة على اسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٦٩ه ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من اخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر او نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عني الاستاذ كايتاني المستشرق الايطالي في امرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاستانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة اجزاء عنيت لجنة تذكار جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصوَّر الاصل الخطي كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ ه وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير ابو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلاً لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكي باشا

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات ايضاً تكلم فيها عن الاخلاق والاداب عند العرب والفرس والهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق : هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وافعالها وقسم ذلك وبوبه على اسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في اسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل باكثر مواده . ويتخلل ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تعليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها . وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان نحو ما ذهب اليه اهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ — صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ﻫ

هو ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى احوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول والحاج خليفه صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن ونتف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند احد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة ايضا

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ ﻫ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ ﻫ

اصحاب التواريخ الخاصة

١ — ابو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ ﻫ

هو ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي . كان يقيم بمصر الى اوائل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : الفه لكافور الاخشيدي يشتمل على ما جاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدي باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ اولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ﻫ منه نسخة في المتحف البريطاني وهي الان تحت الطبع بعناية كونيغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاة مصر : طبعه كونيغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وقد اخذت لجنة تذكار جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ — ابو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ ﻫ

نسبة الى خشينه من قضاعة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ — ابو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه « ما كفى من اخبار الايام » . منه نسخة خطية في الاسكوريال

٤ — ابن القُوطيَّة

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من اعلم اهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان اروى الناس للاشعار وادركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعاً باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها واحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه . وكانت كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد الف كتباً مفيدة في اللغة ويقال انه اول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب اخرى اهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنساوية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ — ابن زُولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا

٢ تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس

٣ اخبارسيبويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة

٤ تمة كتاب الكندي في اخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يبتدىء بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هوابو الوليد عبد الله من محمد الازدي الفرضي . ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً لبلنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات في تلك السنة . ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧ و ٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عزُّ الملك المُسبِّحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هوالاميرالمختارعز الملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسبّحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات . وقد الف كتباً كثيراً في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك . لم يصلنا منها الا القليل . وهاك ما وصلنا خبره منها :

كتاب اخبار مصر : ذكر فيه من نزل مصرمن الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة . وذكر نيلها واحوال اهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب . وتخلل ذلك اشعار الشعراء واخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم . وهو ثلاثة عشر الف ورقة او ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو اطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضهُ في مكتبة الاسكوريال

وقد الف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس

وترجمة المسبحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — ابو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد الف فيه . وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ — ابو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . اصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الاداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب الفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه

اليميني : هو الكتاب الذي اشتهر ابو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجعاً على اسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه ابلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عدُّه من المنشئين لولا اهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجدالدين الكرماني وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومنشن وفينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج وبني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جدًّا مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابي النصر العتبي للمنيني الدمشقي منه نسخة في فينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاتي في بني جامع . وقد ترجم الى الفارسية الجرباذكاني . ومن هذه الترجمة نسخ في فينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجم من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ — هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو ابو الحسن هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشيء صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئياً اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الاً :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهبٌ في وصف المدة التي تكلم عنها قاصرٌ على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبري قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده لكن اكثرها ضاع . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اماكن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب ايضاً كتاب الاعيان والاماثل

وترجمته في ابن خلكان ٢٠٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ — القضاعي

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي . تولى القضاء بمصر وقد نابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقريزي في خططه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنهُ ضاع وهاك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :

١ كتاب الشهاب في المواعظ والآداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مئة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الخديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد .

٣ كتاب عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبني امية والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦هـ وكلاهما في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : هوذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني

٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن اسانيد الشهاب المتقدم ذكره ويسمى ايضاً اسناد الشهاب موجود في المكتبة الخديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة

وترجمة القضاعي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ — ابو بكر الخطيب البغدادي

المتوفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الائمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه واللغة وغيرها اكثرها ضاع وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه اشهر . لكنهُ تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة الخديوية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً على حدة في ثلاثمائة صفحة تحتوي على اصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في ايامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها .

والكتاب على اجماله مرويٌّ بالاسناد على طريقة المحدثين

٢ الكفاية : في معرفة اصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف اصحاب الحديث : ٥ المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم في ما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض او غير ذلك . وفي ما يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم واخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

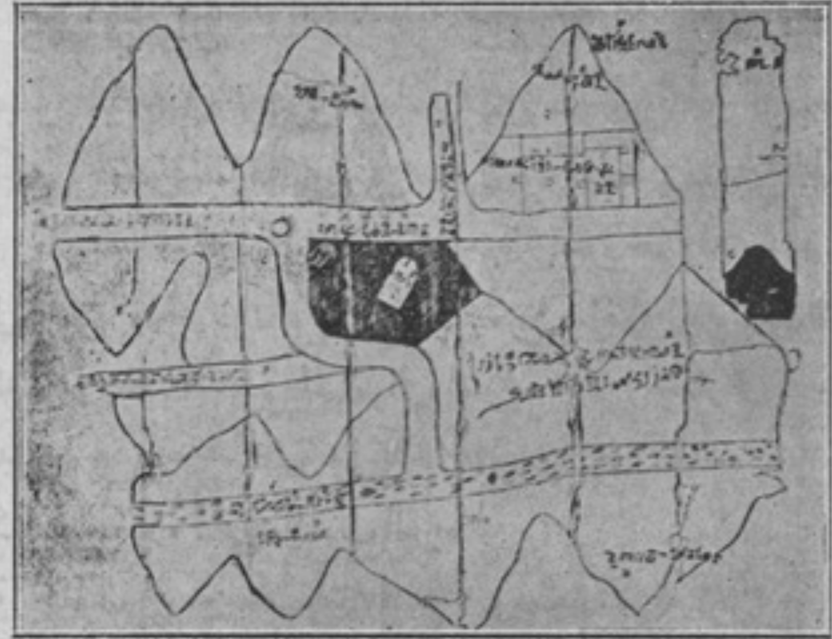
الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تامًا . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف اماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم احد الى وصفها على أثر الفتوح او الاسفار التجارية في اواسط اسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكتشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا اصقاع الارض اكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا امثلة منها في انقاض بابل واشور ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراعنة



ش ١٨ : خريطة مصرية قديمة من زمن رعمسيس الثاني

اما العرب فبداوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون اساس رسومهم قياس العرض والطول . واول من رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك كما فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها . ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان يكون دائماً اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً ويمينها شرقاً وشمالها غرباً . اما هم فالغالب عندهم ان يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة . فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلاً قد تكون

شمالاً والزاوية المقابلة لها من الاعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩) . اوأن تكون الزاوية بين الاعلى واليمين غرباً وتكون المقابلة لها في الاعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) او غير ذلك على ان العرب اخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الابعاد بين الاماكن واقدم من عينها منهم الشريف الادريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره — وهاك تراجم اصحاب الجغرافية العامة :

اصحاب الجغرافية العامة

١ — ابو زيد البلخي

قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :

صور الاقاليم : وهو اقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لان المؤلف اراد تصوير الاقاليم فالف هذا الكتاب وسماه « صور الاقاليم الاسلامية » فرسم الارض واشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب في ذلك العصر . منه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه باقاليم الاصطخري الاتي ذكره لان هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح احوال البلاد . فنكتفي بشرح جغرافية الاصطخري

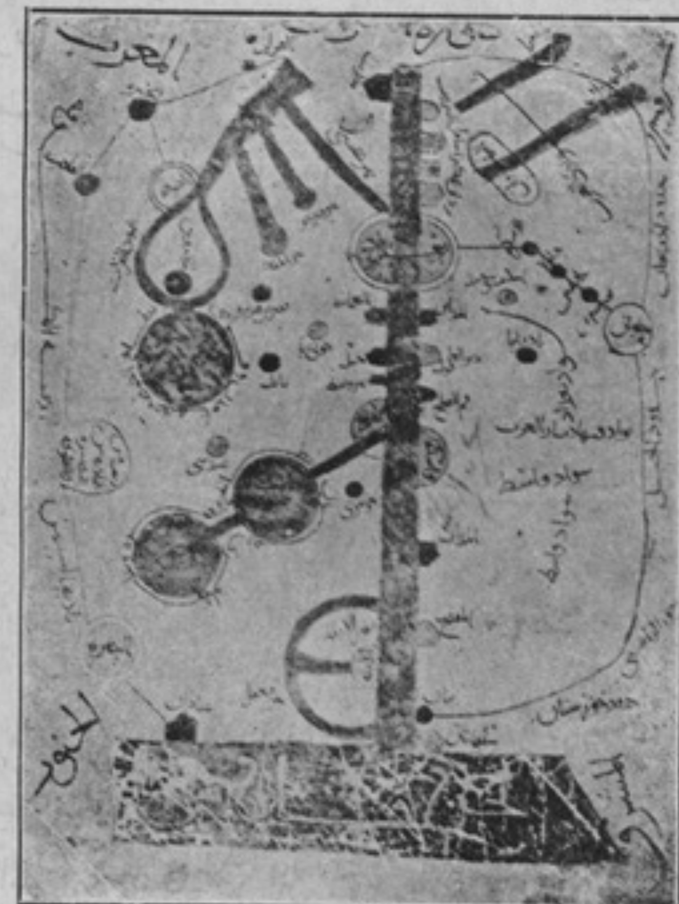
٢ — الاصطخري

في اواسط القرن الرابع للهجرة

هو ابو اسحق الفارسي من اهل اصطخر ويعرف ايضاً بالكرخي له كتابان :

١ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور اقاليم الارض ومدنها وبحارها وانهارها والمسافات بينها مفصلاً . فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر واقسامها وبلادها وارض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وارض الجزيرة والعراق ومسافاتها وانهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وارمينية واذربيجان والجبال وطبرستان اوالديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضح ذلك كله بالخرائط ويسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط المشار اليها ملونة مثل الاصل تماماً . وفي ش ١٩ صورة تمثل العراق وش ٢٠ يمثل الشام



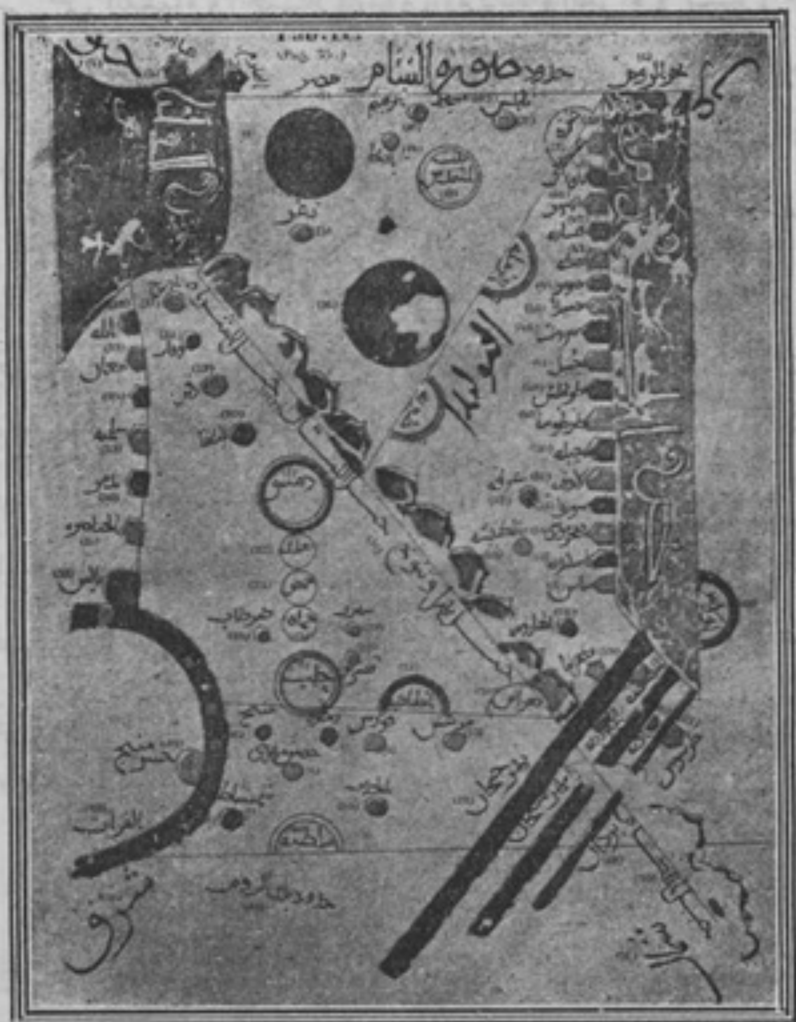
ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه . وقد قال المؤلف في صدره انه عوَّل فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ — ابن حوقَل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص بالرم طبع في باريس سنة ١٨٤٥



ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ — المَقدِسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي . ولد في بيت المقدس وساح في اكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى السند والهند والاندلس . وقد عوَّل في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضاً من سابقيه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو افضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر . صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى ايامه بانتقاد . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه فقال : « وما تم لي جمعه الا بعد

جولاني في البلدان ودخولي اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل احد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي الى الاجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى احصيتها » الخ

وقد اوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها الملحة بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد في الطبعة التي بين ايدينا . وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ — هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراي في الاستانة لم يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له . وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر من الجغرفيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سرابيون

وهي جغرافية ما بين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل ايام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . اما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية المستشرق سترانج الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واضاف اليها تعاليق وشروح جزيلة الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافيي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الاسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الاسلامية في اوائل الاسلام الى القراءة والتفسير والحديث . ثم ظهر الفقه واخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن . وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في اثناء ذلك فروع اخرى من علوم القرآن او العلوم الاسلامية الدينية على أثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع اخرى في الاعصر الاتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الاسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة اخرى اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة . ومن ينظر في قضاياه واحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . اما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروعه والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الاخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو :

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ ﻫ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفي الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن . وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها . وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « انه من العلوم الشرعية الحادثة واصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في اصل كلمة التصوُّف او الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء او الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون ان اشتقاقها من الصوف اقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλος (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) اي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يحثون في ما يقولونه او يكتبونه بحثاً فلسفيًا . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من اساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ ﻫ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلاً عن التصوف وقد الف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ ﻫ وسنة ١٣٠٤ وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ ببغداد الف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالي بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الائمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح او التعليق . وقد ظهر في اثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت تراجمهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخرى من اداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن الماوَرْدي

توفى سنة ٤٥٠ ﻫ

هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التي وصلت الينا وهاك اهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة واقسامها وشروطها وامارة الجهاد واقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام الفيء والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وانواعها . وما اختص ببيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ ادب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه ابحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

٣ نصيحة الملوك : في باريس

٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا

٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في اقوال النبي من ذلك . منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في ليدن

٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال

وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الورثة واشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في اوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكثم ثم ابو المعالي ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجالٌ فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ وابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم ما يستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الأول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لا يشقّ لهم غبار فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلاً منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلاً خاصًّا . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص في هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في أول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن في التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط في خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . ومنهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للاطباء عندهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . واشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيادلة وكانوا كثاراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر اولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات او المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغداد ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء او الصيادلة من هو خاصٌ بالجند يرافقه في اسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطببون العامة وهم غير مرتزقين واشهر اطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ ﻫ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو علي الحسين ابن عبدالله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ ﻫ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن واخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل في الدرس والبحث

واتفق ان نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرئ على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد ان وعى زبدتها . واخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارئ مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب والملوك مناظروه اومريدوه . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه . فأثرت في مزاجه حتى اماته بهمذان سنة ٤٢٨ ﻫ وهو في الثامنة والخمسين من عمره



ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة اوربا الاخيرة لانهم نقلوا اهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

اما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لا يزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن اراد — فمن كتبه الطبية الموجودة هناك

١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من اهم كتبه . حوى اهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابي بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة اوربا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب

ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطاً في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب المبدأ والمعاد ٣ الالهيات ٤ الجمانة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرقيين ٣ رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب اوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لا يوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب اوربا ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد اوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم الحكماء ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللافرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته وكتبه في الفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء والنبات وهي من فروع الطب بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وان تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عني الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا ان العرب هم واضعو اسس هذا الفن وهم اول من اشتغل في تحضير الادوية او العقاقير فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم اول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيادلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين امين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم اول من انشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن اقرب الشواهد على ذلك اسماء العقاقير التي اخذها الافرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية او الفارسية او الهندية كما اخذوها عن العربية

على ان تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في ان العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم — واول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه اخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر محققو الافرنج ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدرو كلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة)



ش ٢٢ : العرب يستقطرون العقاقير

والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورق . وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل الينا خبرها . على اننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في ايامهم مما لم نسمع له بمثيل في تاريخ الكيمياء قبل اواخر القرن الماضي — فقد اشار ابن الاثير الى ادوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب امتنع احتراقه ولم يذكر ما هي . ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه . وهم اول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة – اول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في اواسط القرن الثالث للهجرة

واما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد اخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند. نقل كتاب ديسقوريدس في ايام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية



ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقاقير التي لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني اتكالاً على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره. وحُمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى ايام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة. فكاتبه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصوَّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب. ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلاً يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون. فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلاً على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالقي النباتي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى اقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن واخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه. واجتمع ايضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه. وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات. وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابه وكان عليه معول اهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات. ومؤلفاته الباقية:

١ كتاب المغني في الادوية المفردة: الفه للملك الصالح الايوبي. منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس

٢ جامع مفردات الادوية والاغذية: طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستتجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنساوية بقلم لاكلارك وغيره

٣ ميزان الطبيب: في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ ووفيات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه واصوله ويصور بحسبها بالدقة. وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم. وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيماويي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيها اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه. وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك « ما اظن الله يغفل عن المأمون ولابد ان يعاقبه بما ادخله على هذه الامة »

فاضطر اصحابها الى التستر فالفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض واشهرها جمعية « اخوان الصفا » تألفت في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سرًّا ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على اراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . واساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا اسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مبادىء الموجودات واصول الكائنات الى نضد العالم فالهيولي والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والاثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات واوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور واجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي او رياضي او فلسفي او الهي او عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك اراء لم يتصل اهل هذا الزمان الى احسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرًّا الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد ابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي المتوفى سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد ان يفسر الفلسفة بالدين

ما خذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها في درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام :

(١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903

(٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897

(٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878

(٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876

(٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Göttengen, 1840

غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية . وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٦٤٩ سنة ١٠ ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين « طبقات الاطباء » لابن ابي أصيبعة و « تراجم الحكماء » لابن القفطي وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الآتي فنبغ الزهراوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

النجوم

كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثاراً وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاكر وابو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان اوحد عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر الثالث الذي نحن في صدده فاكثر فلكيي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير وسنأتي على ترجمته واعماله



ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول ما يستلفت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الكيمياء . وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها او يجمعون بين مذاهبها



ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لا محل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البيروني

المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن احمد البيروني نسبة الى بيرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع فيها على علوم الهنود فضلاً عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة او المؤلفة في هذه الفنون واقام مدة في خوارزم . واكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره الينا :

١ الاثار الباقية عن القرون الخالية : الفه للامير شمس المعالي وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك . وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الاخر. فهو من قبيل التوقيت او ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه . وما اصاب التقاويم في اثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل . وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب في الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاويل من آدم فما بعده من رجال التوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتهم وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفصول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المتنبئين واممهم من اهل الاوثان او اهل البدع في الاسلام واعياد الفرس . ومذاهب اهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . واعياد النصارى واحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وماكانت العرب تستعمله من هذا القبيل في ايام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها . وغير ذلك مما لا تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عني المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليبسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨

٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين واوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر

٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني واكسفورد

٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

٦ استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس

٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها : هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن

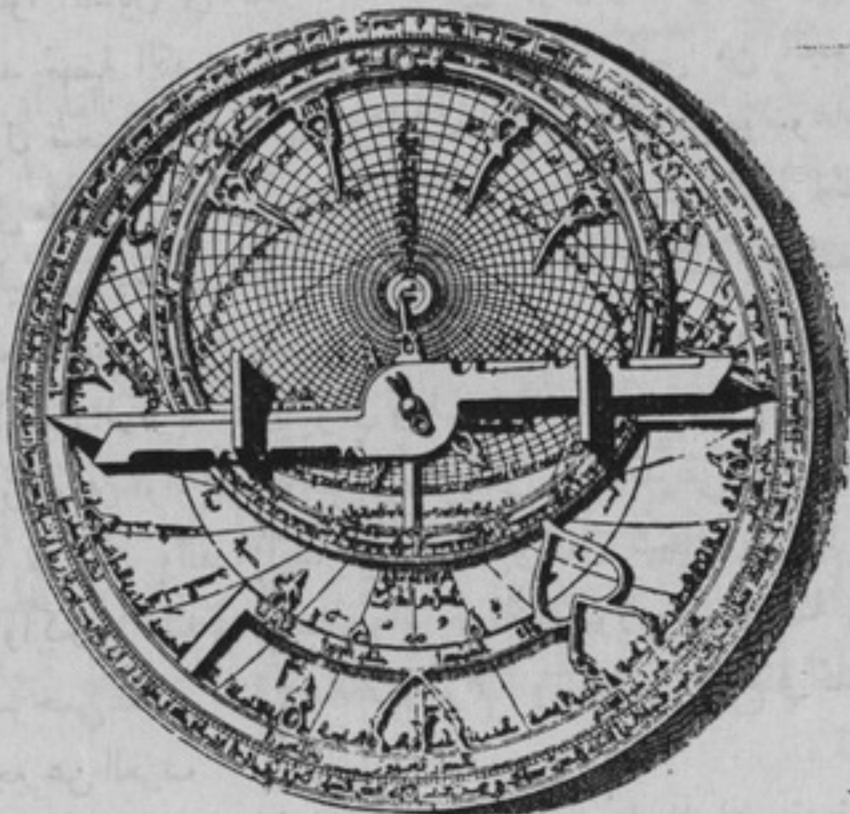
٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي بلندن

٩ مبحث في مبادىء العلوم الفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس

١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد

١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : الفه للملك المعظم ابي الفتح مودود . موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا

وترجمة البيروني في طبقات الاطباء ٢٠ج ٢ وفي مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية



ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبغ غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالبوزجاني المتوفى سنة ٣٨١ وابن رستم الكوهي والمنجم القمي وابو الحسين الصوفي وابن اللبان الجيلي وعبد الاعلى الصدفي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم . وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم اولئك العلماء في اماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم . ومن اكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند الى سائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاماً هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم اخذوها عن العرب واول من تناول تلك الارقام من الهنود ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه او تأليفه . ولما اخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لذيوفانتوس والاخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء أو هي أصول ضعيفة لا يعتدُّ بها . وهم يعتقدون ان الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما نرى ان العرب بعد ان اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين أراء الهند والفرس واليونان . وقد عني العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . والف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن اسلم وابو الوفاء البوزجاني واكثر مؤلفاته في الحساب وابو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١ هـ وابو العباس السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما احدثه المسلمون في الهندسة انهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في اوائل القرن الخامس للهجرة فانه الف كتاباً جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلنيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابلونيوس . وادخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في اوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاكر اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها احد من الاولين كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

واشتغل العرب في اعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة اقسام ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وان لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد كثير من قواعده في كتاب الاغاني وامثاله وكان لهم شأن في اختراع الالات الموسيقية وتحسين الآلات التي اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها —

ذكروا ان الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن احد من الحضور يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معها واستخرج تلك الالة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج

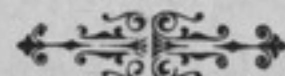
زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود اربعة اوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وتراً خامساً احمر متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالخشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الالة المعروفة بالمثقال يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رايت ان العصر العباسي الثالث المذكور من اهم عصور آداب اللغة . والباقي لنا من ثمار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته وفيها نخبة من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك اقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب . فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلاً في الجزء الثالث ان شاء الله



﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قريش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان « صقر قريش » والصواب ان هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس .

فهرست الجزء الثاني

من تاريخ آداب اللغة العربية



تم الفهرست

موءلفات جرجي زيدان

صاحب الهلال ومؤلف هذا الكتاب

١ — موءلفاته التاريخية

	الثمن	البريد	
	ص	ص	
تاريخ مصر الحديث مزين بالرسوم جزآن (طبعة ثانية)	٤٠	٤	
« التمدن الاسلامي ٥ اجزاء مزين بالرسوم	٧٥	٥	
« العرب قبل الاسلام جزء اول	٢٠	٢	
« الماسونية العام	٢٠	٢	
« اليونان والرومان (مختصر)	٣		٢٠
« انكلترا مزين بالرسوم	٤	١	
التاريخ العام الجزء الاول	٨	١	٢٠
تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر مزين بالرسوم جزآن مجلدان (طبعة ثانية)	٤٠	٥	

---

٢ — موءلفاته العلمية واللغوية وغيرها

	الثمن	البريد	
الهلال — مجلة علمية تاريخية ادبية تصدر مرة في الشهر مزينة بالرسوم قيمة اشتراكها بالسنة للقطر المصري والسودان	٨٠		
وقيمة اشتراكها في السنة للخارج	١٠٠		
سنو الهلال من السنة الاولى الى الخامسة عشرة ثمن السنة	٦٠	٥	
ومن السنة السادسة عشرة الى الاخيرة « «	٨٠	٥	
الفلسفة اللغوية (طبعة ثانية)	١٠	١	
تاريخ اللغة العربية	٥		٢٠
تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الاول والثاني . ثمن الجزء	٢٠	٣	
انساب العرب القدماء	٤		٢٠
علم الفراسة الحديث مزين بالرسوم	١٥	٢	

تابع مؤلفات جرجي زيدان

٣ — سلسلة روايات تاريخ الاسلام

	الثمن ص	البريد ص
١ فتاة غسان جزآن طبعة ثالثة	٢٠	٣
٢ ارمانوسة المصرية " "	١٠	٢
٣ عذراء قريش " "	١٠	٢
٤ ١٧ رمضان " ثانية	١٠	٢
٥ غادة كربلاء " "	١٠	١ ٢٠
٦ الحجاج بن يوسف " "	١٠	١ ٢٠
٧ فتح الاندلس " "	١٠	١ ٢٠
٨ شارل وعبد الرحمن " "	١٠	١ ٢٠
٩ ابو مسلم الخراساني " "	١٠	١ ٢٠
١٠ العباسة اخت الرشيد " "	١٠	١ ٢٠
١١ الامين والمأمون	١٠	١ ٢٠
١٢ عروس فرغانة	١٠	١ ٢٠
١٣ احمد بن طولون	١٠	١ ٢٠
١٤ عبد الرحمن الناصر	١٠	١ ٢٠
١٥ الانقلاب العثماني	١٠	١ ٢٠
١٦ فتاة القيروان	١٠	٢

٤ — رواياته الاخرى

اسير المتمهدي تاريخية غرامية طبعة ثالثة	١٠	٢
استبداد المماليك « ادبية « ثالثة	٨	١ ٢٠
المملوك الشارد « غرامية « ثالثة	٨	١ ٢٠
جهاد المحبين ادبية غرامية " ثانية	٦	١ ٢٠

